

التقابل والتماثل في القرآن الكريم

الدكتور
فايز عارف القرعان
جامعة اليرموك

دراسة أسلوبية



عالم الكتب الحديث
جدارا للكتاب العالمي

التقابل والتماثل

في القرآن الكريم

التقابل والتماثل

في القرآن الكريم

"دراسة أسلوبية"



د. فايز عارف القرعان

جامعة اليرموك- إربد- الأردن

٢٠٠٦

جدارا للكتاب العالمي
عمان- الأردن

عالم الكتب الحديث
إربد- الأردن

الطبعة الأولى ٢٠٠٦

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٥/٩/٢١٠٩)

٢٢٥,٣

القرعان، فايز عارف

التقابل والتماثل في القرآن الكريم: دراسة أسلوبية/ فايز عارف القرعان.- إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٦*.

(٥١٢) ص.

ر.إ.: ٢٠٠٥/٩/٢١٠٩

الواصفات: /إعجاز القرآن//القرآن//الإعجاز البلاغي//اللغة العربية/

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية



عالم الكتب الحديث
للنشر والتوزيع
إربد - شارع الجامعة - بجانب البنك الإسلامي
تلفاكس: ٧٢٧٢٢٧٢ - ٩٦٢+ خلوي: ٥٢٦٤٣٦٣ - ٠٧٩
صندوق بريد (٣٤٦٩) الرمز البريدي (٢١١١٠)
الموقع على الانترنت
www.almalktob.com

جدارا للكتاب العالمي
للنشر والتوزيع
عمان-العبدلي-مقابل جوهرة القدس
تلفاكس: ٥٦٦٧٢١١

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

صدق الله العظيم

الإهـــداء

إلى روحك الطاهرة يا أمي

إلى والدي الذي تعلمت منه الصبر والجد في العمل

إلى رفيقه الدرب زوجتي العزيزة

وطفلي الحبيبين عدي ودانة

إلى أختي الكريمة

إليكم جميعاً يا من هيأتم لي كل شيء حتى أخرج هذا العمل

إهداء محبة وعرفان ووفاء

فايز القرعان

المحتويات

الموضـــــوع	رقم الصفحة

مقدمة الطبعة الأولى:

فقد تعددت الدراسات البديعية في المصادر العربية وتنوعت طرق البحث فيها. ولكن أغلبها ظل محصوراً في الطابع المدرسي الذي يتمثل في تعداد المفاهيم والمصطلحات البلاغية أو البديعية وشرحها والتمثيل عليها من القرآن الكريم والشعر والنثر. وقد بالغ العلماء في تقسيم البديع وتفريعه وإحصاء أنواعه. وكانت النظرة إليه أنه مجرد محسنات لفظية أو معنوية تأتي لمناسبة لفظية مرغوبة أو لحلية حسية مطلوبة لا علاقة لها ولا مكانة لها على مستوى المعنى أو السياق.

وإزاء تلك الطرق في البحث والدرس رأيت أن أقوم بدراسة التقابل والتماثل في صورة جديدة في القرآن الكريم على غير ما قدمه الدارسون عن هذا الكتاب العظيم.

فدراستي للتقابل والتماثل في القرآن الكريم نابعة من إيماني بأهمية هذا الموضوع في الدراسات، وذلك من جانبين: أولهما أن القرآن الكريم مصدر مهم يشكل حقلاً مناسباً للكشف عن أهمية الجوانب البديعية في البلاغة العربية، وهي دراسة تقوم على خدمة هذا الكتاب الشريف.

وثانيهما أن تناولي للتقابلات والتماثلات لا يقوم على حصرها، وبيان أنماطها الشكلية، وإنما تقوم على الكشف عن علاقاتها التجاورية الخاصة والعامة في السياق؛ وذلك لإظهار قيمها الجمالية والتعبيرية، وإظهار مدى إسهامها في تشكيل المعنى ضمن الصياغة الكلية للجملة والنص. ولم تكن الدراسات البديعية للقرآن الكريم قد أخذت هذه الجوانب في الكشف عن حقيقة الموضوع وعن دوره في إنتاج الدلالة.

لقد قرأت القرآن الكريم قراءات متعددة قبل أن أسجل هذه الدراسة لنيل درجة الدكتوراه، وتابعت فيه موضوع التقابل والتماثل على وجه

الخصوص فوجدت أنه يشكل دراسة متكاملة يمكن أن تكون كاشفة عن الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم؛ ولهذا وجدتني أهتم بهذا الجانب اهتماماً كبيراً أوصلني إلى نقطة الاقتناع بضرورة دراسته دراسة علمية تقوم على تبني وجهة نظر جديدة مستمدة أصولها من الدراسات الأسلوبية البنائية. وبعد هذه النظرة التحليلية للقرآن الكريم، وبعد أن أحطت بموضوع التقابل والتماثل معرفة عند اللغويين والبلاغيين، وألممت بأهم جوانبه شرعت أضع خطة تتناسب معه، وقد جاءت الدراسة في أربعة فصول متكاملة تشكل الهيكل العام للموضوع.

حددت في الفصل الأول مفهوم التقابل والتماثل، وقد جاء هذا الفصل في أربع نقاط هي: الأولى المعنى اللغوي للتقابل والتماثل في المعاجم، إذ إن هذا المعنى يشكل طريقاً لفهم التقابل والتماثل اصطلاحياً. والثانية مفهومهما الاصطلاحي عند اللغويين والنحاة المتقدمين. والثالثة مفهوم التقابل عند الفلاسفة من فترة متقدمة إلى فترة متأخرة؛ وذلك لأنهم يشكلون في وجهات نظرهم رافداً من روافد أصحاب الدراسات البلاغية. والرابعة مفهومهما عند أصحاب الدراسات البلاغية المتقدمين والمتأخرين.

وقد تتبعت أهم الآراء التي تكشف عن حقيقة المفهوم متجاوزاً بعض الآراء التي لا تشكل إضافة جديدة لآراء سابقة من البلاغيين إلى أن استقر هذا المفهوم، واتضحت معالمه، وحاولت هنا أن أحلل الطبيعة التركيبية التي اعتمدها هؤلاء البلاغيون في نظرتهم للتقابل والتماثل متخذاً وجهة النظر الخاصة طريقاً لي في فهم ما أرادوه من الموضوع. ومن ثم ارتأيت مفهوماً خاصاً للموضوع مستمداً من مفهوم البلاغيين.

وتناولت في الفصل الثاني أنماط التقابل والتماثل في القرآن الكريم، وقسمتها حسب مفهومي لها فكانت ثلاثة أنماط هي: النمط البسيط، والنمط المركب، والنمط المعقد. وقد تحدثت في هذا الفصل عن الطبيعة التركيبية

للتقابلات والتماثلات في كل نمط، كما تناولت الأبنية الأسلوبية التي تشكلت فيها، وتتبعت في كل نمط التقابلات والتماثلات إحصائياً لعلي أجد التفسيرات والنتائج المترتبة على أعدادها ونسبها.

وتــناولت في الفصل الثالث التقابل والتماثل في محاور القرآن الكريم، وقد قسمت هذه المحاور ثلاثة أقسام كان الأول محور الإيمان، تناولت فيه عدداً مــن المواضــيع هي: العقيدة، والمعاملات، والعبادات، والآداب، والأخلاق، والمؤمــنون والإيمان. ومن ثم رصدت لهذا المحور معجماً لفظياً بينت فيه الألفاظ وانــتماءاتها إلى معــاني هذا المحور، والمحور الثاني هو محور الكفر، تناولت فيه عناصر الكفر، ووسائل دعوة الكفار إلى الإيمان، والكفار والكفر، وقد رصدت لــه معجماً لفظياً بينت فيه الألفاظ وانتماءاتها إلى المعاني الواردة في هذا المحور. والمحــور الــثالث هو محور النفاق، تحدثت فيه عن المنافقين والعقيدة، والمنافقين ومــواقفهم مــن المؤمنين، والمنافقين وموقفهم من الجهاد في سبيل الله، وحال المنافقين في الحياة الدنيا، والمنافقين والعذاب، والمنافقين بين الترغيب والترهيب. ومن ثم رصدت الألفاظ التي تنتمي إلى هذا المحور في تقابلاته وتماثلاته.

وقد اعتمدت العملية الإحصائية في هذا الفصل لجميع المحاور وفروعها ومعاجمهــا اللفظــية لــتكون كاشفة لنقاط جوهرية توصلنا إلى حقيقة التقابل والــتماثل في هــذه المحــاور. ومن ثم وضعت معجماً إحصائياً لألفاظ التقابل والــتماثل يعــتمد علــى تقسيم القرآن الكريم إلى السور المكية والسور المدنية وتتبعت في هذين القسمين الألفاظ المشتركة. وتحدثت عن إسهامها في كشف حركة المعنى. ونظرت نظرة كلية إلى كل لفظة وما يقابلها من الألفاظ الأخرى في تقابلات القرآن الكريم وتماثلاته.

وعالجت في الفصل الرابع الدور الذي يقوم به التقابل والتماثل في إنتاج الدلالة في النص القرآني. وقد تناولت في هذا الفصل الدلالات من جانبين: الجانب الأول الدلالة الاستدعائية التي تثيرها مفردات التقابل والتماثل في طرفيهما ومدى انتشار هذه الدلالة في السياق. والجانب الثاني الدلالة السياقية التي تنتجها البنية النحوية وتعكسها بالتالي على التقابل والتماثل وقد قسمت هذا الفصل إلى التقابل والتخالف والتماثل.

ووضعت في الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة وألحقت بها قائمة بالمصادر والمراجع مرتبة حسب الحروف الهجائية.

إن الاهتمام بالتقابل والتماثل في القرآن الكريم اهتمام قديم، ولعل المطلع على الدراسات البلاغية على مر العصور يدرك أن محور التطبيقات والشواهد البلاغية آيات الكتاب العظيم علاوة على الشعر والنثر العربيين. وقد خُصصت كتب تعالج مثل هذه القضايا في القرآن الكريم في بعض فصولها أو كلها مثل: بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، وإعجاز القرآن للباقلاني، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز لفخر الدين الرازي، والبرهان في علوم القرآن للزركشي.

ومن ثم نجد دراسات حديثة تناولت بعض المواضيع البلاغية في القرآن الكريم. مثل: الصورة الفنية في المثل القرآني، للدكتور محمد حسين علي الصغير، والبديع في ضوء أساليب القرآن، للدكتور عبد الفتاح لاشين، ولطائف المعاني في ضوء النظم القرآني للدكتور عبد الله محمد سليمان هنداوي، ودراسات حول الإعجاز البياني في القرآن، للدكتور المحمدي عبد العزيز الحناوي.

ولا شك في أن هذه الدراسات وغيرها قد أسهمت في البحث عن كثير من الجوانب البلاغية التي تتعلق بالإعجاز القرآني، والواقع أنني أفدت

بالاطلاع عليها، ولكنني حاولت أن تكون لي آرائي الخاصة المستقلة، إذ تناولت موضوع التقابل والتماثل من منطلق آخر غير منطلقات أصحاب تلك الدراسات. وقد أخذت في هذا التناول من كثير من المصادر والمعاجم التي لجأت إليها في مناقشاتي لمفهوم التقابل والتماثل، فحددت المفهوم الذي أسير عليه في البحث في إطاره العام، من مثل: الطراز، للعلوي، والمثل السائر، لضياء الدين ابن الأثير، والبرهان في علوم القرآن، للزركشي، وجوهر الكتر، لنجم الدين بن الأثير.

لعلي أزعم أني نظرت إلى موضوع الدراسة نظرة تختلف عن نظرة أصحاب الدراسات السابقة التي تناولت التقابل والتماثل في القرآن الكريم. وذلك أني جعلت اهتمامي بهما من خلال العلاقات البنائية بين الأطراف نفسها من جهة، وبين الأطراف والسياق من جهة أخرى. فجاءت نظرة تكاملية، إذ بدأت من دراسة الأنماط السائدة للتقابل والتماثل في القرآن إلى دراسة تحركها داخل الموضوعات القرآنية، ومن ثم رصدت حركة المعنى لهما في هذا الإطار، ومن ثم إلى علاقاتهما الخاصة بين أطرافهما وبين السياق، لأصل في النهاية إلى الدور الدلالي الذي أخذته في النص القرآني فجاءت دراستي دراسة بنائية وأسلوبية للقرآن الكريم، إذ إن اعتمادي كان على دراسة بنية الصياغة القرآنية من حيث تركيبها من الدالات ومن حيث دلالات تلك الدالات.

إن ثمة دراستين نقديتين كان لهما الفضل الكبير في بناء منهجي. الأولى دراسة للدكتور محمد عبد المطلب "بناء الأسلوب في شعر الحداثة" (التكوين البديعي) والثانية دراسة للدكتور صلاح فضل "علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته".

أما الدراسة الأولى، فهي من الدراسات القيمة التي تشكل منهجاً جديداً في طرح موضوع التقابل والتماثل في دراسة الشعر من خلال النص

الشعري، وقد استأنست في غير موضع من فصول دراستي بخطى هذه الدراسة التي التقيت فيها بكثير من آرائها الصائبة.

وأما دراسة الدكتور صلاح فضل. فهي من الدراسات المهمة أيضاً في علـم الأسـلوب، وأخص بالاهتمام ما يتعلق بموقع التضاد في السياق ومدى ترابط الاثنين معا.

وقـد كان لهاتين الدراستين فضل في تطوير مفهومي للتقابل والتماثل، ومدى إسهامهما في الترابط بالسياق وفي إنتاج الدلالة فوصلت من خلالهما إلى نتائج جوهرية في النص القرآني.

وبعد:

فقـد كان لإشراف أستاذي الدكتور محمد عبد المطلب أثر عميق في تقـويم منهجـي الدراسي الذي خططته لنفسي في تناول هذا الموضوع، وقد وجدت في توجيهاته المستمرة طوال مدة الإشراف على هذه الرسالة آراء عميقة وقـيمة؛ لـذا فإن كلمة شكر لا تكفي بحق أستاذي على ما قدمه لي. وإن ما تركه لدي من فكر عميق لهو أكبر من كلمة الشكر، فإني أدعو الله عز وجل أن يجزيه عني وعن العلم كل الخير. وأعترف أنني مدين بالفضل والشكر للأستاذين الكريمين الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرحمن محمد والأستاذ عبد الحميد إبراهيم لما أبدياه من آراء قيمة وعميقة على هذه الدراسة عند مناقشتهما لها وقد أفدت منها فائدة كبيرة.

والله من وراء القصد

فايز عارف القرعان

الفصــل الأوّل

مفهوم التقابل والتماثل

التقابل والتماثل عند اللغويين والنحاة المتقدمين:

قبل أن أتحدث عن التقابل والتماثل عند أصحاب الدراسات البلاغية لابد لي أن أتحدث عنهما عند اللغويين في معاجمهم وعند النحويين المتقدمين، وذلك من جهتي المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، فأبدأ بالمعنى اللغوي.

التقابل: اسم أُخذ من الأصل الثلاثي (ق ب ل) وقد تنوعت المعاني التي اشتقت من هذا الأصل. يقول الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ): "والقَبَل: الطاقة، تقول: لا قِبَل لهم. وفي معنى آخر هو التلقاء، تقول: لقيته قِبَلاً أي مواجهة"[١]، ويقول البطليوسي (ت ٥٢١هـ): "والقِبَل بالكسر: الطاقة، والقبَل: المواجهة"[٢]. نفهم مما تقدم أن المعنى من هذا الأصل مرتكز على معنى الطاقة المقابلة لطاقة أخرى، وذلك من خلال معنى المواجهة، فلعل الخليل يشير في قوله (لقيته قبلاً أي مواجهة) إلى التقاء طاقتين متواجهتين. ولا يخرج البطليوسي عن هذا المعنى، كما نرى. ولا ينتهي المعنى إلى هذا الحد عند اللغويين، وإنما يمتد إلى غيره ليصبح بمعنى المواجهة بشكل عام، يقول ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): "القاف والباء واللام أصل واحد صحيح تدلّ كلمة كلّها على مواجهة الشيء للشيء"[٣]، ويقول ابن سيده (ت ٤٥٨هـ): "وقابل الشيء بالشيء مقابلة وقبالاً: عارضه... وتقابل القوم: استقبل بعضهم بعضاً"[٤]. فليست المقابلة عند ابن فارس وابن سيده مقتصرة على الطاقة المواجهة، وإنما هي مواجهة عامة فكل شيء يواجه شيئاً آخر فهو يقابله ويعارضه، ويزيد الليث على هذا المعنى في قوله: "إذا ضممت شيئاً إلى شيء قلت قابلته به"[٥] فضم الشيء إلى الشيء مقابل له. والمقابلة والتقابل في اللغة واحد، يقول الجوهري (ت ٣٩٣هـ): "المقابلة: المواجهة والتقابل مثله"[٦]. ويقول ابن منظور (ت ٧١١هـ): "المقابلة: المواجهة، والتقابل مثله. وهو قبالك وقُبالتك أي تجاهك"[٧].

نفهـــم ممـــا تقدم أن معنى التقابل في اللغة المواجهة التي تتم بين شيئين يكون الأول منهما يواجه الثاني ويتقابل معه، سواء أكان تقابل طاقتين أم تقابل قوتين وغير ذلك من المتقابلات التي تتم بين الشيئين، ويعني أيضاً ضم الشيء إلى شيء آخر أي قابله.

لاشك في أن معنى التقابل هنا يتيح لنا أن نضع تحته عدداً من المفردات اللغـــوية الـــتي تشير في معناها إلى المواجهة وهي بالتحديد: المطابقة، والتكافؤ، والتـــضاد، والتناقض، والمخالفة؛ وذلك لأن هذه المفردات تتضمن معنى المقابلة بـــين طرفي التقابل سواء بالتضاد أو المخالفة أو المماثلة، كما سنعرفه من معناها اللغوي.

أمـــا **المطابقـــة** فقد أخذت من الأصل (ط ب ق) وقد أورد أصحاب المعـــاجم اللغوية لها معنيين مهمين؛ الأول منهما يشير إلى التقابل بالمثل، يقول الخلـــيل بن أحمد: "وطابقت بين الشيئين: جعلتهما على حذو واحد وألزقتهما فيـــسمى هذا المطابق"[(٨)]. ويقول ابن فارس: "وطابق بين الشيئين: إذا جعلتهما علـــى حـــذو واحد. ولذلك سمينا نحن ما تضاعف من الكلام مرتين مطابقاً. وذلك مثل جرجر، وصلصل، وصعصع"[(٩)]. ويقول ابن سيده: "وتطابق الشيئان: تـــساويا"[(١٠)]. ويقـــول الجوهري: "والمطابقة الموافقة، والتطابق: الاتفاق"[(١١)]. ويقول ابن منظور: "هذا الشيء وفق هذا ووفاقه وطباقه وطابقه وطبقه وطبيقه ومطبقه وقالَبُه وقالِبُه بمعنى واحد"[(١٢)].

نلحظ مما تقدم من النصوص أن المطابقة تعني تقابل الشيئين على وجه الاتفـــاق والموافقة، وذلك أن المثل يقابل المثل ويساويه. فإذا جمعت بين شيئين يكـــونان علـــى حذو واحد، حتى إن ابن فارس ذهب إلى استخدام هذا المعنى عـــندما جعل الأفعال الرباعية مثل جرجر وصلصل وصعصع من المطابق فكل حرف من الحرفين الأولين من كل فعل يقابل الحرف في الحرفين الأخيرين.

والمعنى الثاني للمطابقة هو التقابل بالخلاف، وفهم هذا المعنى متأت من التدقيق في النصوص التي ننقلها من أصحاب اللغة، يقول ابن سيده: "والمطابق من الخيل والإبل: الذي يضع رجله موضع يده"(١٣)، وقد أشار إلى هذا المعنى الجوهري في قوله: "ومطابقة الفرس في جريه: وضع رجليه مواضع يديه"(١٤) ولعل في هذين النصين معنى الخلاف؛ وذلك أن موضع الرجل عند الإبل أو الخيل لا يتماثل تماماً مع مواضع أيديها، فالرجل خلاف لليد من حيث المعنى، وبالتالي فإن الجمع بينهما في موضع واحد هو تقابل بالخلاف وليس بالمثل. وثمة نصوص أخرى تشير إلى هذا المعنى، يقول الخليل: "والمطابقة في المشي كمشي المقيد، قال عدي: وطابق في الجملتين مشي المقيِّد"(١٥). ويقول ابن فارس: "فأما المطابقة فمشي المقيد، وذلك أن رجليه تقعان متقاربتين كأنهما متطابقتين"(١٦). ويقول ابن منظور: والمطابقة المشي في القيد وهو الرّسف"(١٧). ويقول الأصمعي: "التطبيق أن يثب البعير فتقع قوائمه بالأرض معاً"(١٨)، لعلنا نلحظ من معنى "مشي المقيد" أن اليدين تتماثلان في التنقل من مكان إلى مكان أثناء مشي الحيوان، وهذا المعنى يشير إلى التقابل بالمثل، ولكن ثمة معنى آخر يشير إلى التقابل بالخلاف يفهم من المعنى الملازم للمشي المقيد، وهو أن المشي المقيد خلاف للمشي الحر الذي تعتاد الحيوان عليه، ومن هنا جاء معنى المخالفة، فهذا المعنى ليس كالسابق وذلك بظهور المتقابلين، وإنما جاء بحذف الأول وإيراد الثاني.

وثمة نصوص أخرى تشير إلى معنى التقابل بالخلاف. يقول ابن فارس: "الطاء والباء والقاف أصل صحيح واحد، وهو يدل على وضع شيء مبسوط على مثله حتى يغطيه. من ذلك الطبق"(١٩). ويقول الزمخشري: (ت ٥٣٨هـ) "أطبقت الرحى إذا وضعت الطبق الأعلى على الأسفل. وطبق الغطاء الإناء.

وانطـــبقت علـــيه وتطبق ... والسماوات طباق: طبقة فوق طبق أو طبق فوق طـــبق"[٢٠]. لا شـــك في أن معنى المخالفة يأتي من جهة الطبق الأعلى والطبق الأســـفل فكل منهما يأتي من جهة مغايرة للجهة التي وضع فيها الآخر، علاوة على أن الطبق ليس من الواجب أن يكون مماثلاً للجزء الثاني تماماً كما في طبق الإنـــاء. فـــأعلاه قد يختلف عن أسفله مع مراعاة التساوي والتماثل في موافقة الأول للثاني من حيث الانطباق.

وأمـــا **الـــتكافؤ** فهو مشتق من الأصل (ك ف ء) وقد جاء يشير إلى معنـــيين، الأول مـــنهما التماثل، يقول ابن فارس: "والكفاء: المثل. والتكافؤ: التساوي، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المسلمون تتكافأ دماؤهم" أي تتساوى"[٢١]، ويقول ابن سيده: "وتكافأ الشيئان: تماثلا"[٢٢]، ويقول الجوهري كـــذلك: "الـــتكافؤ: الاستواء.. وكل شيء ساوى شيئاً حتى يكون مثله فهو مكافـــئ له"[٢٣]. ويقول ابن منظور: "والتكافؤ: الاستواء.. يقال: كافأه يكافئه فهو مكافئه أي مساويه"[٢٤]. فكما نلحظ فإن معنى التماثل والتساوي مشترك بين مشتقات هذا الجذر، فالشيء يقابل الآخر بالتساوي والتماثل.

والمعنى الثاني منهما التقابل بالخلاف، يقول الخليل: "وفلان كفاء لك، أي: مُطـــيق في المـــضادة والمناوأة"[٢٥] ويقول ابن سيده: "وكفأ الشيء يكفؤه كفأ، وكفأه فتكفأ: قلبه.. وأكفأ الشيء: أماله"[٢٦] ويقول الجوهري: "كفأت القـــوم كفـــأ، إذا أرادوا وجهاً فصرفتهم إلى غيره، فانكفؤوا أي رجعوا"[٢٧]. نـــدرك ممـــا سبق من النصوص أن معنى التكافؤ يتضمن معنى الخلاف، فالكفاء يـــدخل في المضادة والمناوأة، ويدخل في قلب الشيء إلى غير وجهه وإمالته أو الـــرجوع عن الوجهة، كما أشار الجوهري، وقد توضح معنى التقابل بالخلاف والمخالفة في قول ابن جني (ت ٣٩٢هـــ): "إذا كان الإكفاء في الشعر محمولاً

على الإكفاء في غيره وكان وضع الإكفاء إنما هو للخلاف"[٢٨] كما ظهر هذا المعنى في قول الأخفش (ت ٣٥١هـ): "فإن الإكفاء المخالفة"[٢٩]. وقد فسر القول: "مكفأ غير ساجع" بأن المكفأ ها هنا: "الذي ليس بموافق"[٣٠]. ومن هنا نلحظ أن التكافؤ يحمل معنى الخلاف كما حمل معنى المثل، وهذا المعنى يلتقي معنى المطابقة كما رأينا.

وأما **التضاد** فهو مشتق من الأصل الثلاثي (ض د د) وهو من مفردات التقابل الذي يجري بين الشيئين، يقول ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ): "الضد: خلاف الشيء"[٣١]. ويقول ابن فارس: "والمتضادان: الشيئان لا يجوز اجتماعهما في وقت واحد، كالليل والنهار"[٣٢]. ويقول الليث: "الضد كل شيء ضاد شيئاً ليغلبه، والسواد ضد البياض، والموت ضد الحياة، والليل ضد النهار إذا جاء هذا ذهب ذلك"[٣٣]. وقال ابن منظور: "ابن سيده: ضد الشيء وضديده وضديدته خلافه؛ الأخيرة عن ثعلب"[٣٤]. فالضد إذن هو كل شيء تضاد مع الآخر بحيث لا يجتمع الضدان معاً في وقت واحد كما أشار ابن فارس، ولا يجتمعان في مكان واحد أيضاً كالسواد لا يقع موقع البياض إلا إذا ذهب البياض وهكذا كل المتضادات.

وأما **التناقض** فهو مشتق من الأصل الثلاثي (ن ق ض) وهو يلتقي التضاد من حيث معنى الخلاف وإن كان يختلف في طبيعة معناه وتركيبه، يقول ابن فارس: "النون والقاف والضاد أصل صحيح يدل على نكث الشيء... ونقضت الحبل والبناء والنقيض: المنقوض"[٣٥]، ويقول ابن سيده: "النقض ضد الإبرام... وناقضه، ونقاضا: خالفه... ونقيضك: الذي يخالفك"[٣٦]، ويقول ابن منظور: "والمناقضة في القول: أن يتكلم بما يتناقض معناه"[٣٧]. فالنقض أصلاً هو جعل الشيء على خلاف ما كان كأن تنقض حبلاً بعد إبرامه، وأن

تـــنقض عهـــداً بعد إبرامه، وكما يشير ابن منظور قد يقع في الكلام فيناقض الكـــلام معـــناه. من هنا ندرك أن أصل التناقض الخلاف بين حالتين في الشيء الواحد، بحيث يكون لهذا الشيء وجهان الأول خلاف للثاني.

وأما **المخالفة**، فقد اشتقت من الأصل الثلاثي (خ ل ف). وقد جاءت تـــشير إلى معـــنى التقابل بالخلاف، وهي تلتقي في هذا المعنى المطابق والتكافؤ والتـــضاد. يقول ابن فارس: "الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة: أحدها أن يجيء شـــيء بعد شيء يقوم مقامه، والثاني خلاف قدام، والثالث التغير"[٣٨]. لا شك في أنـــنا نلحظ أن هذه الأصول الثلاثة تشير إلى معنى التقابل، فالأول منها يشير إلى أن الشيء الأول يتقابل مع الشيء الثاني الذي جاء بعده وحل مكانه، والثاني منها أن يقابل الشيء بخلافه مثل خَلْفٌ وقدام، والثالث أن يتغير الشيء من حال ليـــصير إلى حـــال أخـــرى. ولذلك قيل خَلَفَ اللبن إذا تغير طعمه وريحه[٣٩]. ويقـــول ابن سيده: "والخلاف: المضادة، وقد خالفه مخالفة وخلافاً... وتخالف الأمـــران، واختلفا لم يتفقا، وكل ما لم يساو فقد تخالف واختلف"[٤٠]. ويقول الجوهـــري: "والخلاف: المخالفة، وقولـــه تعالى: ﴿**فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله**﴾[٤١] "أي مخالفـــة رســـول الله". ويقول الصنعاني (ت ٦٥٠هـــ): "الاخـــتلاف: خـــلاف الاتفاق[٤٢]. وقال اللحياني: "سررت بمقعدي خلاف أصـــحابي أي مخالفهم"[٤٣]. فالمخالفة، إذن، تشير إلى معنى تقابل الشيء للشيء على وجه الاختلاف لا على وجه الاتفاق والمساواة.

وأمـــا **التماثل**، فقد أخذ من الجذر الثلاثي (م ث ل). وقد تركز معنى الـــتماثل على الشبه. يقول البطليوسي: "المِثْلُ بالكسر: الشِّبْهُ"[٤٤]. فالشبه هو الأســـاس في معـــنى التماثل، ولا شك في أن الشبه يقوم بين شيئين أو أكثر إذ

يحدث معنى المماثلة بين الأشياء. والواقع أن هذا التماثل قد اتصل بمعنى المساواة، وقد ذكر ابن بري الفرق بينهما في قوله: "الفرق بين المماثلة والمساواة: أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين، لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص، وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين نقول: نحوه كنحوه وفقهه كفقهه ولونه كلونه وطعمه كطعمه، فإذا قيل: هو مثله على الإطلاق فمعناه أنه يسدُّ مسده، وإذا قيل: هو مثله في كذا فهو مساوٍ له في جهة دون جهة"[٤٥]. فالتماثل يتصل بالمساواة من حيث اجتماعهما على المتفقين. ولكن المساواة تزيد عن المماثلة بأنها تكون بين المختلفين في الجنس. بحيث لا يزيد أحدهما عن الآخر في المقدار ولا ينقص عنه. ويبدو أن المماثلة تتجه نحو معنيين الأول هو المماثلة التامة إذ يكون الشيء مماثلاً تماماً للآخر فيسد مسده. والثاني هو المماثلة الجزئية إذ يكون الجزء من الشيء مماثلاً لجزء آخر من الشيء الآخر. ولا شك في أن التماثل في هذا المعنى يتصل بمعنى التكافؤ الذي أدركناه فيما تقدم عند ابن فارس والجوهري وابن منظور.

والواقع أن ثمة كلمة أخرى تدخل في معنى المماثلة وهي المشاكلة التي أخذت من الجذر الثلاثي (ش ك ل) وذلك أن هذا الجذر يشير إلى معنى المثل، يقول الخليل ابن أحمد: "الشكل: المثل، يقال: هذا على شكل هذا، أي: على مثل هذا... وشاكل هذا ذاك من الأمور، أي: وافقه وشابهه، وهذا يُشكل به، أي: يُشَبَّهُ"[٤٦]. ويقول البطليوسي: "الشّكل بالفتح: المثل والجمع أشكال وشكول"[٤٧]. ويقول ابن منظور: "وقد تشاكل الشيئان وشاكل كل واحد منهما صاحبه. أبو عمرو: في فلان شبه من أبيه وشَكْلٌ وأشْكَلَةٌ وشَاكِلٌ ومشاكلة.. والمشاكلة الموافقة. والتشاكل مثله"[٤٨]. فالشكل إذن يشير بمعناه إلى التماثل من حيث المشابهة والموافقة والمصاحبة. ومن هنا نستطيع أن نفهم معنى التماثل بأنه المشاكلة التي تعني الموافقة والمشابهة والمصاحبة.

ولا شـــك في أنه أصبح في مقدورنا الآن أن نفهم معنى التقابل اللغوي الذي يمكن أن نلخصه بالتضاد والتخالف. ومعنى التماثل الذي يغلب عليه معنى المشاكلة والمماثلة والمساواة.

بعـــد أن تعرفنا إلى معنى التقابل والتماثل لغة عند اللغويين نأتي لنتعرف إلى معناهما الاصطلاحي لدى اللغويين والنحاة المتقدمين.

لاشـــك في أن الـــتقابل هو أول المصطلحات التي يجدر بنا أن نتناوله ونتعرف إليه. ويبدو أن اللغوي أبا علي الفارسي (ت ٣٧٧هـــ) قد شغل نفسه به على ما وجدنا من الروايات بحيث عرض معناه وضرب الأمثلة له، وقد نقل لنا علي بن خلف الكاتب (توفي في منتصف القرن الخامس الهجري) تعريف أبي علي للمقابلة يقول: "وأما أبو علي الفارسي فقال: إن المقابلة تطبيق لفظي، لأن الكلمـــة تقابـــل فيه أختها على ترتيب... ومثله بقول الشاعر- المثال في البيت الثاني:

وظبـــية مـــن ظـــباء الأنـــس ... دريّـــة الثغـــر كافورية النفس

تبكي وتضحك إن صدّت وإن وصلت ... فـــنحن في مأتم منها وفي عرس

فابـــتدأ البكاء وأتبعه بالضحك، وقابل البكاء بالصد والمأتم والضحك بالوصل والعرس على ترتيب من غير تقديم وتأخير"(٤٩).

نفهم مما تقدم أن المقابلة عند أبي علي تقوم أساساً على التطبيق اللفظي أي التطابق القائم بين الألفاظ إذ طابق الشاعر بين الفعل تبكي والفعل تضحك، وقـــد تمـــت المقابلة عندما قابل البكاء بالصّد والمأتم، وقابل الضحك بالوصل والعـــرس، وذلك أن المعاني بين البكاء والصد والمأتم متقاربة ومشتركة والأمر مـــشابه في الـــضحك والوصل والعرس، وكأننا نلحظ أن التقابل لديه يقتضي

الترتيب علاوة على التطبيق، وكما يبدو لي بأن أبا علي لم يجعل التعدد في المتطابقات شرطاً للمقابلة وذلك من قوله الذي نقله لنا السيوطي (ت٩١١هـ) معلقاً على قوله تعالى: ﴿جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً﴾[٥٠]، يقول: "قال أبو علي الفارسي: لما كان البناء رفعاً للمبني قوبل بالفراش الذي هو على خلاف البناء"[٥١]. فالمقابلة إذن عند الفارسي قد تكون بين اثنين، وقد تكون بين أكثر. ولعله يشير في قوله التطبيق اللفظي إلى ما كان ضداً بين الألفاظ كالضحك والبكاء وما كان في معنى الألفاظ كالبناء والفراش، وعلى ما يبدو أن شرطه هو أن تكون اللفظة تطابق الأخرى كما رأينا في الأمثلة.

فالتقابل عند أصحاب اللغة والنحو في الاصطلاح قائم على التطبيق. فكيف فهم هؤلاء التطبيق؟ يبدو أن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) كان من أوائل الذين أشاروا إلى هذه القضية، والواقع أنه لم يخرج عن نطاق المعنى اللغوي الذي يشير إلى التقابل بالمثل، كما أدركنا في المعنى اللغوي للطباق. ولكن ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) نقل لنا عن الخليل والأصمعي (ت ٢١٦هـ) نصاً يقول فيه: "قال الخليل رحمه الله يقال طابقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حذو واحد وكذلك قال أبو سعيد فالقائل لصاحبه أتيناك لتسلك بنا سبيل التوسع فأدخلتنا في ضيق الضمان قد طابق بين السعة والضيق في هذا الخطاب"[٥٢]، لا شك في أننا نفهم من هذا النص أن ابن المعتز قد فهم التطابق عند الخليل بأنه التضاد كما جاء عند الأصمعي وهو أبو سعيد، ولكني أستبعد أن يكون الخليل قد عنى بالتطابق ما عناه الأصمعي، فالأصمعي قد وضح معنى التطابق من خلال كلمتي: السعة والضيق وهما كلمتان متضادتان لا تلتقيان. وأنا أذهب مع ابن رشيق (ت ٤٥٦هـ) في تفسيره كما ورد عن الخليل، وذلك في قول له يعلق فيه على فهم قدامة (ت ٣٣٧هـ) للطباق، يقول: "وأما

قدامة في المطابق... فإنه أيضاً مساواة لفظ للفظ. وهي- أعني المساواة- على رأي الخليل والأصمعي معنى لمعنى. وقد يكون أيضاً مطابقة اللفظ للمعنى، أي، موافقته، ألا ترى أنهم يقولون: "فلان يطابق فلاناً على كذا" إذا وافقه عليه وساعده فيه، فيكون مذهب قدامة أن اللفظة وافقت معنى، ثم وافقت بعينها معنى آخر، ويصح هذا أيضاً في قول الخليل في الطباق ... فيكون الشيئان للمعنيين، والجذر الواحد: اللفظة"(٥٣). فلعل الخليل قد عنى بمعنى التطابق التماثل اللفظي مع اختلاف المعنى من غير تضاد. ويشترك الرماني (ت٣٨٤هـ) في هذا الفهم للمطابقة، يقول ابن رشيق: "وقال الرماني: المطابقة: مساواة المقدار في غير زيادة ولا نقصان"(٥٤). ولكن ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ينظر إلى الطباق من مفهوم يختلف عن مفهوم الخليل للتطبيق ويشابه مفهوم الأصمعي، وذلك في قوله: "ومن المقلوب: أن يوصف الشيء بضد صفته للتطير والتفاؤل، كقولهم: للديغ: سليم، تطيراً من السُّقم، وتفاؤلاً بالسلامة"(٥٥) نلحظ من قوله أنه أدرك معنى التضاد الذي يقع بين الكلمتين اللديغ والسليم، وإن كان لا يشير إلى التطبيق بالمعنى الذي نفهمه من كلمتين متضادتين في جملة أو عبارة، فهو يعتمد على اللفظة الواحدة التي أطلقت لتشير إلى ضدها، وهو المعنى الذهني المرافق لها. ولاشك في أننا نلحظ الاختلاف بين الأصمعي وابن قتيبة فالأول يعتمد على لفظتين مكتوبتين، والآخر على لفظة قصد مقلوبها الذهني.

ويأتي المبرد النحوي (ت ٢٨٥هـ) بعد ذلك ليشترك مع الأصمعي في فهمه للطباق على أساس التضاد في قول له يعلق فيه على بيتين لأبي عيينة هما:

ما راح يوم على حي ولا ابتكرا   إلا رأى غيره فيه أن اعتبرا

ولا أتت ساعة في الدهر فانصرفت حتى تؤثر في قوم لها أثرا[٥٦]

يقول: "فانصرفت أشبه للمطابقة والمشهور انصرمت"[٥٧]. فهو يشير إلى أن الطباق يتم بين أتت وانصرفت. وهذا طباق لفظي كما نلحظ، وكأنه قد فهم المطابقة فهم النحويين الآخرين له.

ويأتي ثعلب (ت ٢٩١هـ) أيضاً ليكشف عن معنى هذا المصطلح في صورة واضحة فنعته بمجاورة الأضداد حيناً، وبالمطابق حيناً آخر، يقول في مجاورة الأضداد: "وهو ذكر الشيء مع ما يعدم وجوده، كقوله تبارك وتعالى: ﴿**لا يموت فيها ولا يحيى**﴾، وقال زهير:

هنيئاً لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم

السحيل ضد المبرم"[٥٨]. فالفعل (يموت) يجاور الفعل (يحيى) وهما لا يجتمعان على الحقيقة في شيء: وكذلك السحيل والمبرم فهما لا يجتمعان كذلك في الشيء الواحد. وقد أشار إلى المطابق في قوله: "وهو تكرير اللفظة بمعنيين مختلفين، نحو قوله تعالى: ﴿**ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت**﴾، ﴿**وترى الناس سكارى وما بسكارى**﴾.

وقال طرفة:

"كريم يروّى نفسه في حياته ستعلم إن متنا صدى أينا الصدى"[٥٩]

يبدو من النص أن المطابق لدى ثعلب هو أن تأتي بالشيء موجباً ثم تسلبه بالنفي أو ما يفيد النفي، كما في الآية الأولى (الموت/ وما هو بميت) والآية الثانية (سكارى وما هم بسكارى) وهذا نفي بما، وأما في بيت طرفة فإن كلمة صدى الأولى نفاها بالاستفهام (أينا الصدى) فالشاعر أراد أن يقول: إن

أحـــدهما عطشان والآخر غير عطشان عندما يموتان. وهذا هو نفي اللفظ بعد إيجابه. ويبدو أن الدكتور عبد القادر حسين قد فهم هذا الباب عند ثعلب على غـير ما فهمته، فهو يقول: "ويذكر المطابق وهو تكرير اللفظة بمعنيين مختلفين، وثعلـب في هذا الباب مضطرب أشد الاضطراب. إذ نراه يخلط فيه بين طباق الـسلب والجناس وملحق الجناس، ويعدها جميعاً من المطابق"(٦٠). ولعل كلمتي الـصدي هما اللتان جعلتاه يحكم هذا الحكم ولكني كما قلت سابقاً أرى أنهما من باب الإيجاب والسلب لا غير؛ لأن السياق يعطينا هذا المعنى.

ويـروي ابن رشيق أبياتاً اختارها الأخفش (ت ٣٥١هـ) للمطابقة، يقول: "وأما علي بن سليمان الأخفش فاختار قول ابن الزبير الأسدي:

رمـى الحـدثان نسوة آل حرب ... بمقـدار سمـدن لـــه سمـودا

فـرد شـعورهن الـسود بيـضاً ... ورد وجـوههن البـيض سـودا

واختار قول طفيل:

بـساهم الـوجه لم تقطع أباجله ... يُصان وهو ليوم الروع مبذول"(٦١)

نلحـظ ممـا تقدم أن اللغويين والنحويين المتقدمين قد استوت لديهم معاني التقابل والتطبيق إذ وصلوا إلى درجة استخدام البلاغيين لهذين المصطلحين كما سنرى في الصفحات القادمة من هذا الفصل.

وقـد أشار أبو علي الفارس إلى التطبيق بمصطلح التكافؤ، نقله لنا علي ابـن خلـف الكاتب، يقول: "وقال أبو علي الفارسي: التكافؤ تطبيق معنوي ومثله بقول النبي صلى الله عليه وسلم "إذا أتى أحدكم شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله تعالى، فمن أبدى لنا صفحته أقمنا عليه الحد"(٦٢) فكما نلحظ

أن أبـــا علـــي قد قصد التطبيق بين (فليستتر) وبين (أبدى) ولكنه تطبيق بين الكلمة وما يضادها في المعنى، وذلك أن الاستتار ضدها في اللفظ الانكشاف.

ويـــتحدث الثعالبي (ت ٤٢٩هـــ) أيضاً عن مفهوم الطباق، من خلال تعليقه على قول المتنبي:

أزورهـــم وســـواد الليل يشفع لي وأنثني وبياض الصبح يغري بي[٦٣]

يقـــول: "ولعله أمير شعره... وما أحسن ما جمع فيه أربع مطابقات في بيت واحد، وما أراه سبق إلى مثلها"[٦٤] فكما نلحظ أن الطباق لديه هو الجمع بين المتضادين، وهذا يكشف عن اكتمال معنى المصطلح عند النحويين.

أمـــا المصطلح الثاني الذي نتناوله عند اللغويين والنحاة المتقدمين، فهو مصطلح **التماثل** الذي ينتهي مفهومه لدينا إلى المشاكلة. ويبدو أن اللغويين قد تـــناولوا مفهوم التماثل من خلال مصطلحات مختلفة إلى أن استقروا على معنى المـــشاكلة، ولعـــل الفراء (ت ٢٠٧هـــ) من أوائل اللغويين الذين تناولوا هذا المفهـــوم، يقول: "فإن قال قائل: أرأيت قولـــه: "فلا عدوان إلا على الظالمين" أعـــدوان هو وقد أباحه الله لهم؟ قلنا: ليس بعدوان في المعنى إنما هو لفظ على مـــثل ما سبق قبله؛ ألا ترى أنه قال: "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم" فالعدوان من المشركين في اللفظ ظلم في المعنى، والعدوان الذي أباحه الله وأمر به المسلمين إنما هو قصاص. فلا يكون القصاص ظلماً. وإن كان لفظـــه واحداً. ومنه قول الله تبارك وتعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ وليست مـــن الله على مثل معناها من المسيء؛ لأنها جزاء"[٦٥]. إن الفراء هنا يفرق تماماً في المعنى بين الألفاظ المتجاورة الواردة في آيات القرآن العظيم، ويدرك أيضاً أن مـــا وقـــع بـــين هذه الألفاظ من التماثل في شكلها المكتوب لا ينسحب على

مضمونها، فمضمون كل لفظة يختلف عن الآخر، فمثلاً العدوان في الحقيقة هو ظلم، وأما ما جاء في الآية الكريمة، إنما هو مباح من الله سبحانه وتعالى ويعده قصاصاً. ويعلل ورود مثل هذا التماثل اللفظي بين مفردات الآيات الكريمة بأنه لفظ على مثل ما سبق قبله، فالتماثل لديه إذن هو اشتراك الكلمات الواردة في السياق باللفظ مع الاختلاف في المعنى، وشرط هذا الاشتراك هو المجاورة والمثلية البنائية.

ويستخدم ابن قتيبة بعد الفراء مصطلحاً آخر يعبر عن المفهوم الاصطلاحي للتماثل بطريقة مشابهة، يقول: "ومن ذلك الجزاء عن الفعل بمثل لفظه والمعنيان مختلفان: نحو قوله تعالى: ﴿ **إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم** ﴾ أي يجازيهم جزاء الاستهزاء. وكذلك: ﴿ **سخر الله منهم** ﴾، ﴿ **ومكروا ومكر الله** ﴾، ﴿ **وجزاء سيئة سيئة مثلها** ﴾. وهي من المبتدئ سيئة، ومن الله جل وعز، جزاء، وقوله: ﴿ **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم** ﴾: فالعدوان الأول: ظلم، والثاني: جزاء، والجزاء لا يكون ظلماً، وإن كان لفظه كلفظ الأول"(٦٦). إن ابن قتيبة هنا يشترط معنى الجزاء في التماثل بين الكلمات المتماثلة بألفاظها، ولعل هذا الشرط يحدد بدقة تامة المراد بالتماثل، فالتماثل اللفظي في الأساس هو علاقة متبادلة بين طرفي التماثل يترتب على هذه المبادلة معنى الجزاء، ويتبع أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) ابن قتيبة في هذا المفهوم في حديثه عن باب (المحاذاة)، يقول: "ومن هذا الباب الجزاء على الفعل بمثل لفظه، نحو "إنما نحن مستهزئون، الله يستهزئ بهم"(٦٧).

ويلتفت أبو علي الفارسي إلى مفهوم الجزاء للتماثل، كما روى علي ابن خلف الكاتب، يقول: "وقد حكي عن أبي علي الفارسي أيضاً أنه يرى أن التجنيس صنفان: لفظي، ومعنوي... والمعنوي أن يأتي في الأول كلام ويأتي في الثاني كلام يدل على أنه جواب له، وهذا يقع في الجزاء، كقوله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ أي جازوه بما يستحق على سبيل العدل"(٦٨). لا شك في أننا نفهم من هذه الزاوية أن أبا علي الفارسي قد اتخذ مصطلح الجزاء للتماثل، وإن كان قد أدخله في معنى التجنيس كما أشار علي بن خلف الكاتب، ولكن أبا علي الفارسي يستخدم في موضع آخر مصطلح المشاكلة للآية الكريمة التي ذكرت سابقاً، وهذا نجده في قوله: "فكذلك قوله: ﴿وما يخادعون إلا أنفسهم﴾ يكون على لفظ فاعل وإنه لم يكن الفعل إلا من واحد كما كان الأول كذلك. وإذا كانوا قد استجازوا لتشاكل الألفاظ وتشابهها أن يجروا على الثاني طلباً للتشاكل ما لا يصح في المعنى على الحقيقة فإن يلزم ذلك ويحافظ عليه فيما يصح في المعنى أجدر وأولى: وذلك نحو قوله:

ألا لا يجهلن أحد علينا   فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وفي التنزيل: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾. والثاني قصاص وليس بعدوان، وكذلك ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾، وقوله: ﴿فيسخرون منهم سخر الله منهم﴾ ونحو ذلك فإن يلزم التشاكل في اللفظ مع صحة المعنى أولى"(٦٩). فالمشاكلة والتشابه لديه هما الأصل في التماثل الذي يتم بين الكلمتين في اللفظ مع وجود اختلاف المعنى. ويرى الدكتور عبد القادر

حسين أن أبا علي الفارس هو من أوائل الذين استخدموا هذا المصطلح، يقول: "وربما كان أول من أطلق عليه اسم المشاكلة أبو علي الفارسي العالم النحوي"[٧٠] ولا أخال أن الدكتور عبد القادر جانب الصواب، وذلك أننا لم نجد أحداً من اللغويين والنحاة قد سبقه إلى مثل هذا المصطلح.

نلحظ مما تقدم أن اللغويين والنحويين قد أسهموا إسهاماً كبيراً في الجانب البلاغي وقد أطلقوا مصطلحات مختلفة فهموا من خلالها التقابل والتماثل. وقد أشار الدكتور عبد القادر حسين إلى أهمية النحاة في البحث البلاغي، يقول: "ومن ثم يمكن القول بأن النحاة كان لهم أثر كبير في وضع البذور الأولى لنشأة البديع، وذكر كثير من ألوانه... كما يمكن القول أيضاً إن هذه الألوان البديعية التي ذكرت في كتب النحاة لم تكن مقصودة لذاتها في كثير من الأحيان وإنما ذكرت استطراداً في مسائل نحوية أو تفسيرية"[٧١]. ولا شك في أن إسهاماتهم قد جعلت للبلاغيين قاعدة ينطلقون منها في آرائهم وأفكارهم.

ويبدو لي أن الاستمرار في الحديث عن التقابل والتماثل عند النحاة واللغويين بعد الثعالبي سيكون بلا أهمية؛ لأن أصحاب الدراسات البلاغية قد شاركوا اللغويين والنحاة وزادوا في معارفهم وفصلوا لدرجة أن النحويين قد أفادوا من معارف البلاغيين، لهذا فإنني أرى أنه ليس من المناسب أن أستمر بالحديث عن التقابل والتماثل عند اللغويين والنحاة حديثاً منفصلاً عن مفهومهما عند أصحاب الدراسات البلاغية.

التقابل عند الفلاسفة:

لاشـــك في أن دائـــرة البحث عن مفهوم التقابل قد لا تكتمل إلا إذا تعـــرفنا إلى هذا المفهوم عند الفلاسفة، وذلك لما لهم من أثر في العقلية العربية لا ســـيما في العقلية الأدبية والنقدية(٧٢). ولذلك آثرت أن أتحدث عن هذا المفهوم في هذه الدراسة.

إن التقابل عند الفلاسفة يشمل أربعة أنماط هي:

أولاً : تقابل السلب والإيجاب؛ كقولنا: زيد فرس، زيد ليس بفرس.

ثانياً : تقابل الضدين، كما في السواد والبياض.

ثالثاً : تقابل المتضايفين؛ كقولنا: زيد أب لعمرو، وزيد ابن لعمر.

رابعاً: تقابل العدم والملكة؛ كالعمى مع البصر(٧٣).

نلحـــظ أن القضايا التي طرحت في التقابل، عند الفلاسفة، تعتمد على الثنائـــيات الـــتي لا تجتمع معاً في شيء واحد، فالسلب مقابل للإيجاب والضد يقابـــل الضد، والمتضايفان يتقابلان والعمى يقابل البصر، وقد عرف ابن سينا (ت ٤٢٨هـــــ) المتقابلين في قولـــه: "هما اللذان لا يجتمعان في موضوع واحد مـــن جهة واحدة في زمان واحد معاً"(٧٤). فالمتقابلان إذن لا يجتمعان في شيء واحد في زمان واحد ولا شك في أن جعل ابن سينا الزمن الواحد شرطاً للتقابل شيء في غاية الأهمية؛ وذلك لأن العمى والبصر مثلاً قد يجتمعان في شيء واحد في زمنين مختلفين، وكذلك الشيء الأبيض قد يتحول من البياض في زمان ما إلى الـــسواد في زمن آخر بفعل الظروف والأحوال، ولذلك فإن قضية الزمن مهمة في هـــذا الـــتقابل. وقـــد أشار إليه كذلك عمر بن سهلان (ت ٤٥٠هـــ) في قولـــه: "المتقابلان هما اللذان لا يجتمعان في شيء واحد في زمان واحد"(٧٥).

وحتى تكون المسائل المطروحة في التقابل مفهومة لدينا لابد من الحديث عن كل طرف منها على حدة، فأبدأ بالسلب والإيجاب.

يقول ابن سينا: "فأول القضايا الحملي، وأوله الإيجاب لأنه مؤلف من منسوب إليه يسمى موضوعاً ومنسوب يسمى محمولاً على نسبة وجود، وأما السلب فإنه يحصل من منسوب إليه ومنسوب ورفع وجود النسبة"(٧٦) ويقول ابن سهلان: "فالمراد به التقابل في القول بين الأمر الإثباتي والسلب كان ذلك إثباته في نفسه أو إثباته لشيء أو سلبه في نفسه أو سلبه عن غيره"(٧٧) فالسلب إذن مقابل للإيجاب، ويتم التفريق بينهما بالنفي والإيجاب، فمثلاً قولنا: زيد فرس، زيد ليس بفرس هو من قبيل الإيجاب والسلب وذلك أن الموضوع واحد، وهو زيد، والمحمول واحد كذلك هو فرس، ولكن نسبة الفرسية في المثال الأول مثبتة لزيد (الموضوع) بينما الفرسية في المثال الثاني منفية عن الموضوع (زيد)، وقد اشترط ابن سينا تماثل الموضوع والمحمول في السلب والإيجاب. يقول: "والقضيتان المتقابلتان بالسلب والإيجاب وموضوعهما ومحمولهما واحد في المعنى..."(٧٨). فالأساس في الإيجاب إذن هو إثبات نسبة المحمول إلى الموضوع. وأما السلب فهو انتزاع نسبة المحمول عن الموضوع.

وقد تناول ابن سينا السلب والإيجاب من جانب آخر هو مدى الصلة بينهما، يقول: "فالسلب لا يتصور إلا أن يكون عارضاً على الإيجاب رافعاً له؛ لأنه عدمه، وأما الإيجاب فهو وجودي مستغن عن أن يعرف بالسلب فيكون السالب بعد الموجب، ولست أعني بهذا أن الإيجاب موجود في السلب، كما قال بعض المفسرين، فإن الإيجاب يستحيل أن يوجد مع السلب؛ بل الشيء الذي لو انفرد كان إيجاباً هو موجود في حد السلب، كما لو قال قائل إن البصر موجود في حد العمى، ليس معناه أن البصر موجود في العمى، بل معنى

هذا أن العمى لا يحد إلا بأن يذكر أنه عدم البصر، فيقرن البصر بالعدم، فيكون البـــصر أحد جزأي البيان، وإن كان ليس جزءاً من نفس العمى. كذلك نسبة الإيجاب مذكورة في نسبة السلب على أنها مرفوعة لا على أنها جزء من السلب أو داخـــل في السلب وجوداً، بل داخل في حد السلب... وإذا جعل الإيجاب موجـــوداً في السلب فإنما هو من حيث إن السلب إنما يرفعه فيوجد في السلب مـــن حيث تركيب بينه وبين حرف السلب، كقولك: زيد ليس هو حياً، فإنه هـــو حي "هو الذي لولا حرف النفي كان إيجاباً على زيد، فجاء السلب فرفع هـــذه النسبة"[٧٩]. نفهم من هذا النص أن السلب تال للإيجاب، فالإيجاب يأتي أولاً بعـــد ذلـــك يـــأتي السلب، فالسلب طارئ على الإيجاب رافع له، وليس الإيجـــاب داخـــلاً في السلب أو جزءاً منه، وأن الإيجاب داخل في حد السلب ولـــيس داخلاً في السلب نفسه، فإن كان داخلاً فيه، كما رأى بعض المفسرين علـــى مـــا أورده ابن سينا، فإنما يكون من حيث إنه لو رفع حرف النفي لكان إيجاباً ويمثل بقولـــه: زيد ليس هو حياً، فإنه هو حي، فلو رفعنا ليس من الجملة الأولى لأصبحت جملة إيجاب، وهذا ما يعني به أن الإيجاب قد يدخل في السلب.

ويعـــرف علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـــ) الإيجاب والسلب في قولـــه: "هما أمران أحدهما عدم الآخر مطلقاً كالفرسية واللافرسية"[٨٠]. وهذا يعني أن الإيجاب سلبه عدم الذي لا يمكن أن يجتمع معه أو يتداخل فيه، فالإيجاب في المـــثال المطروح هو الفرسية، والسلب هو اللافرسية وهو عدم الإيجاب. وقد أدخـــل ابـــن سينا كذلك العدم والملكة في السلب والإيجاب، فقال: "والعدم والملكة هما الإيجاب والسلب مخصصين في الموضوع فإن الإنسان يكون أعمى أو يكـــون بصيراً، ومعناه أن الإنسان إما بصير وإما ليس بصيراً"[٨١]، فالملكة هي الإيجـــاب والعـــدم هو السلب، فقولـــه: إن الإنسان إما بصير يكون من جانب الإيجـــاب وقـــولـــه: وإما ليس بصيراً من جانب السلب؛ لأنه رفع للبصر أي الإيجاب.

وأما تقابل الضدين، فهو من المواضيع التي طرحها الفلاسفة. وقد تعددت آراؤهم فيها. وثمة جوانب ظهر فيها التضاد. منها قضية السلب والإيجاب في القول الكلي، يشير إلى هذا التقابل الفارابي (ت ٣٣٩هـ) في قوله:"وأعني بالمتضادين ها هنا، إما قولين يسلب أحدهما بالكل ما يوجبه الآخر بالكل في موضوع واحد بعينه، وإما قولين يوجبان أمرين متضادين إيجاباً كلياً في موضوع واحد بعينه"[٨٢]. فالمتضادان يحدثان بين سالب وموجب لموضوع واحد أو بين موجبين لموضوع واحد، مثال الأول قولنا: محمد ليس مجتهداً في السلب. ففي المثال الأول إيجاب بالاجتهاد. والمثال الثاني هو سلب الاجتهاد، وهذا يقع في الكل من القول، وأما مثال الموجبين لموضوع واحد، فكقولنا: الثوب أبيض، والثوب أسود. الموضوع واحد هو الثوب، ولكن المحمول (المنسوب) في المثال الأول أبيض، وهو على ضد من المحمول في المثال الثاني وهو أسود، والقولان موجبان ليس فيهما سلب.

ويضيف ابن سينا لقضية السلب والإيجاب، من حيث التضاد، جانباً آخر هو الصدق والكذب. وينفذ من خلالهما إلى تقابل التضاد، يقول: "... ومثاله كقولك كل إنسان كاتب أي بالفعل ولا واحد من الناس بكاتب، فإن كليهما كاذبان، ولو كان قولنا كل إنسان كاتب سلبه الذي يبقى صدقاً عند كونه كاذباً هو ولا واحد من الناس بكاتب ليس يجب أن لا يكون قولنا: ولا واحد من الناس بكاتب، فإذن ليس هذا مقابلة التناقض، بل هو مقابل له من حيث هو سالب لمحموله مقابلة أخرى. فلنسم هذه المقابلة تضاداً إذا كان المتقابلان بها لا يجتمعان البتة في الصدق ولكن قد يجتمعان في الكذب كالأضداد في أعيان الأمور. فإن الأضداد لا تجتمع معاً ولكن قد ترتفع معاً. على ما علمت"[٨٣]. فابن سينا يرى أن التضاد محكوم بالكذب فمثاله في هذا النص

كالإنسان كاتب فهذا يحتمل الكذب؛ لأننا لا نجد كل الناس يكتبون بالفعل، وهذا هو الإيجاب كطرف أول. وقوله (ولا واحد من الناس بكاتب) هو سلب للإيجاب إلا أنه يبقى في دائرة الكذب؛ لأننا نجد من الناس من هو كاتب بالفعل، ولذلك صار الكذب الأساس في التضاد القائم على الإيجاب والسلب. وقد أشار ابن سينا أيضاً إلى نقطة مهمة في التضاد وهي أن المتضادات لا تجتمع معاً كالأبيض والأسود، ولكنها قد ترفع معاً، كقولنا الثوب لا أسود ولا أبيض.

ويضيف ابن سينا أيضاً إلى التضاد قضية أخرى هي التضايف، يقول: "المتضادان يلزمهما التضايف بسبب التنازع ويكون كل واحد منهما معقول الماهية بالقياس إلى الآخر بسبب التنازع، وصحيح أن يقال إنهما حيث هما متضادان متضايفان، وليس صحيحاً أن يقال من حيث هما متضايفان متضادان"[٨٤]. ويقول أيضاً: "لكل واحد من المضافين معنى في نفسه، ولكنه بالقياس إلى الآخر، وليس هو ذلك المعنى الذي للآخر، وهو بذلك المعنى الذي للآخر، وهو بذلك المعنى مضاف كالأب مثلاً فإن إضافته للأبوة التي فيه، والابن فإن إضافته للبنوة التي فيه، وليس هناك شيء واحد هو في كليهما ولا حالة موضوعة للمعنيين اللذين هما بهما مضافان.. قولهم: إن الإضافة لا تتناهى فإن كل واحد من الإضافة إضافة أخرى كالأبوة مثلاً فلها علاقة مع الأب دون العلاقة التي لها بالقياس إلى الابن. هذا الشك ينحل بتجريد معنى الإضافة: كل واحد من المضافين معقول بالقياس إلى الآخر بسبب شيء غير نفسه بل هو مضاف لذاته. فليس هناك ذات ويبقى هو الإضافة، بل هناك مضاف لذاته لا بإضافة أخرى"[٨٥]. فالتضاد إذن يتبين ويتوضح إذا ما دخله التضايف، وذلك كالأبوة والبنوة فهما ضدان من جهة التضايف، ولا يعقل أحدهما إلا بإدراك الثاني، ويأتي هذا الإدراك بسبب معنى الإضافة التي فيه، فهو لا يقاس إلى غيره حتى يدرك أو يعقل بل يقاس لذاته.

ثمـــة جانب آخر يتصل بالتضاد هو الضدية التامة والضدية من جنس واحد. يقول ابن رشد (ت ٥٩٥هـــ): "فأما الأضداد التي هي واحدة بالجنس وهـــي غـــير بالصورة، فهي الضدية التامة ولذلك لم يمكن فيهما أن يجتمعا في موضـــوع واحد. وكان كون أحدهما فساداً للآخر فهما متباعدان في الوجود غايـــة البعد، ولذلك ما قيل في حد الأضداد إنهما اللذان الموضوع لهما موضوع واحـــد، وهمـــا متباعدان في الوجود غاية البعد؛ ومن هذا الذي أخذ في حدهما يظهر أنه ليس للضد إلا ضد واحد، وذلك أنه إن كان التام في جنسه هو الذي لـــيس يوجد شيء أبعد منه، لأنه متى وجد شيء آخر مضاد له فإما أن يكون أشـــد مـــضادة له في الوجود من الأول أو أنقص؛ فإن كان أنقص فحاله حال المتوســـط بين الضدين وليس بطرف، وإن كان أشد فما فرض في نهاية التضاد لـــيس هو في نهايته بل هو متوسط، ولا يمكن أن يوجد شيئان في مرتبة واحدة من المضادة لشيء آخر، فإن غاية التباعد إنما توجد بين نهايتين اثنتين فقط هما في غاية البعد؛ ولهذا لا يمكن أن يقع بين نهايتين أكثر من خط واحد مستقيم"[(٨٦)].

يـــشير ابـــن رشد في هذا النص إلى قضية مهمة في التضاد، وهي أن الأضداد تـــنحدر من جنس واحد وتكون تامة، فمثلاً الأبيض والأسود يأتيان من جنس اللـــون، وهما من الأضداد التامة إذ لا توسط بينهما، ووجود أحدهما في الشيء فساد للآخر، فالضد التام في جنسه لا يوجد ما هو خارج عنه ولا فوقه بل هو واحد إذ ليس هنالك ما يوازيه بالمرتبة والمساواة في الضدية. ويضيف ابن رشد إلى ذلك الجانب من التضاد جانباً آخر يقع من جهة الاستعارة والتشبيه، يقول: "إن الأضـــداد بالحقـــيقة هي التي في جنس واحد. وقد يقال أضداد على جهة التـــشبيه بهـــذه التي لا تجتمع معاً في موضوع واحد وإن كانت مختلفة بالجنس. وقـــد يقال أيضاً: أضداد على جهة الاستعارة لما كان من هذه لسبب. أو كان

بينهما نسبة مثل أنها فاعلة لها أو منفعلة عنها، وبالجملة منسوبة إليها"[٨٧]. فابن رشد هنا يرى أن التضاد قد يأتي على غير الحقيقة، وقد سماه بهذه التسمية على جهتي التشبيه والاستعارة.

وثمـة جانب آخر للتضاد وهو من جهة الوجود والسلب. يقول محمد ابـن علـي الجرجاني: "الضدان صفتان وجوديتان يتعاقبان في موضوع واحد يـستحيل اجـتماعهما كالسواد والبياض"[٨٨]. ويقول عمر بن سهلان: "هما الـذاتان الوجوديان المتعاقبان على موضوع أو محل واحد وبينهما غاية الخلاف وذلك كالسواد والبياض والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة..."[٨٩]. فالتضاد علـى الحقيقة إذن هو الذي يقوم على الوجوديات، فالسواد والبياض والحرارة والـبرودة هي موجودات، فكل منها موجود في الكون على حدة، فلا يجتمع الـواحد مـنها مع ضده، وقد أشار ابن سهلان إلى أن الجمهور قد أدخل في التـضاد مثل النور والظلمة وغيرهما والتي هي أعدام وليست وجوديات، وذلك أن الظلمـة هي عدم النور فبذهاب النور تحل الظلمة. وقد جعلها الجمهور من الأضـداد عندهم كل شيئين لا يجتمعان في موضوع واحد[٩٠]. وقد أشار إلى هذا الكفوي (ت ١٠٩٤ هـ) في قولـه "والضدان في اصطلاح المتكلم عبارة عما لا يجتمعان في شيء واحد من جهة واحدة، وقد يكونان وجوديين كما في السواد والبياض، وقد يكون أحدهما سلباً وعدماً كما في الوجود والعدم"[٩١]. فالضدان، إذن، قد يكونان وجوديين أو عدمياً ووجودياً.

وأمـا تقابل المتضايفين فقد أدركنا معناه عندما تحدثنا عن التضايف في التـضاد، كالأبـوة والبـنوة فإنهما من المتضايفين اللذين لا يدرك أحدهما إلا بالآخر، كما أشار إليه ابن سينا وقد سماه الآمدي بتقابل المتسابقين[٩٢].

وأمـــا تقابـــل العدم والملكة، فقد أشار إليه ابن سينا في قولـــه: "فأما العـــدم والملكة، فالحقيقي من العدم أن يكون الشيء معدوماً في الموضوع القابل لوجوده بطباعه من حيث هو كذلك، سواء كان المعدوم ما سميته ههنا ملكة أو شيئاً آخر، وسواء عاد أو لم يعد، وسواء كان قبل الموت أو بعده، أو فيه. ومنه مـــا هـــو أهم من ذلك، وهو عدم الشيء عما في طبيعة من طبائع الموضوع أن يقارنـــه؛ شخصية كانت تلك الطبيعة، أو نوعية؛ كالخرس الأصلي، أو جنسية كالأنـــوثة"[٩٣]. ويـــشير ابن سهلان إلى هذا المعنى، في قولـــه: "تقابل العدم والملكـــة فمنه مشهور ومنه حقيقي فأما المشهور من الملكة فليس مثل الإبصار بالفعل مثل القوة الأولى التي تقوى على أن يكون لها بصر بل أن تكون لها بصر بل أن تكون القوة على الإبصار متى شاء صاحبها موجودة والمشهور من العدم هـــو ارتفـــاع هذا المعنى عن المادة المتهيئة لقبوله في الوقت الذي من شأنها أن يكـــون لها من ارتفاع هذا التهيؤ مثل العمى للبصر والدرد[*] للأسنان والصلع للشعر فإن العمى ليس عدم البصر فحسب فإن الجرو الذي لم يفقح عادم للبصر ولا يقـــال أعمى بل العمى عدم البصير في وقت إمكانه وتهيؤ الموضوع له مع ارتفـــاع التهـــيؤ فلا يعود البصر البتة فالملكة تستحيل إلى العدم أما العدم فلا يستحيل إلى الملكة وأما العدم الحقيقي فهو عدم كل معنى وجودي يكون ممكناً للـــشيء إمـــا بحق جنسه أو نوعه أو شخصية قبل الوقت أو فيه أما الذي بحق جنسه فكل الأنوثة التي هي عدم الذكورة الممكنة لجنس الحيوان وكالفردية التي هـــي عدم الانقسام بمتساويين الممكن بجنس العدد وأما الذي بحق النوع فعدم اللحية للمرأة الممكنة لنوع الإنسان وأما الذي بحق الشخص فكالمرء وهو عدم في الـــوقت وكانتشار الشعر بداء الثعلب وهو عدم في الوقت والعدم في الوقت

(*) الدرد: ذهاب الأسنان.

منه ما يزول كهذا ومنه ما لا يزول كالعمى، والسكون والظلمة والجهل والشر والفردية كلها أعدام حقيقية"[٩٤]. نلحظ من النصين أن ابن سهلان وابن سينا يتفقان على تعريف العدم الحقيقي، فهما يريان بأنه عدم كل معنى وجودي سواء أكان هذا العدم زائلاً بحيث يعود إلى الوجود أم غير زائل بحيث لا يعود إلى الوجود، فمثال الأول السكون، فهو يزول بالحركة ومثاله الشر والجهل وغير ذلك. ومثال الثاني العمى فهو لا يزول، إذ يأتي بعد الإبصار وهو الملكة. وينفرد ابن سهلان بالحديث عن المشهور من الملكة والعدم. فالمشهور من الملكة مثل القدرة على الإبصار متى شاء صاحبها. بحيث يكون الإبصار موجوداً عند الحاجة إليه. أما المشهور من العدم فهو على العكس من القدرة على الإبصار؛ ذلك أن الشخص لا يستطيع الإبصار إذا ما احتاج إليه عند العمى، فهو عدم دائم لا يزول.

بعد أن تحدثنا عن الأنماط الأربعة للتقابل لا بد من الحديث عن ثنائيات أخرى لها صلة بتلك الأنماط التقابلية، وأعني التناقض والتخالف. أما التناقض، فقد تحدث عنه الفلاسفة من جهتين: الأولى: تقابل الإيجاب والسلب في الحقيقة. والثانية: تقابلهما في الصدق والكذب. أما الحقيقة، فإن الفارابي أشار إليها في قوله: "وأعني بالمتناقضين القولين اللذين هما في الحقيقة متناقضان"[٩٥]. ويقول ابن سينا: "ولما كان كل ما يوجبه موجب فغير متعذر أن يسلبه سالب، وما سلبه سالب فغير متعذر أن يوجبه موجب، سواء كان زمانياً أو غير زماني تبين أن لكل إيجاب سلباً يقابله، ولكل سلب إيجاباً يقابله. وهذا هو التناقض، وأعني أن يكون إيجاب وسلب متقابلين بالحقيقة، وإنما يكون هذا التقابل متقرراً إذا كان المعنى في الإيجاب محصلاً من كل جهة، فيكون السلب قد تناول كل ذلك بعينه، أعني أن يكون الموضوع معنًى واحداً، وكذلك المحمول، وأن يكون

الجزء الذي يتوجه إليه القصد في الموضوع أو المحمول محفوظاً بعينه"[٩٦]، فتقابل القولين يجب أن يكون في الحقيقة إذ يكون أحدهما موجباً والآخر سالباً مثل: زيد إنسان، وزيد ليس بإنسان. فالقول الأول إيجاب والثاني سلب، ويشترط ابن سينا أن يكون الموضوع في المعنى واحداً والمحمول كذلك سواء في الإيجاب أم في السلب كالمثالين فزيد في المثالين، وهو إنسان في المثالين أيضاً. ولكن المثال الثاني قد رفع المنسوب أو المحمول فأصبح القولان متناقضين من جهة الحقيقة.

وأما الصدق والكذب في التناقض، فقد أشار إليهما ابن سينا في قوله: "والقضيتان المتقابلتان بالتناقض هما اللتان تتقابلان بالإيجاب والسلب تقابلاً يجب عنه لذاته أن تكون إحداهما صادقة والأخرى كاذبة، وإنما كذلك إذا تمت فيهما شرائط التقابل التي في المخصوصات وفي المحصورات زيادة أن تكون إحداهما كلية والأخرى جزئية"[٩٧].

ويقول ابن سهلان: "والتناقض نوع من التقابل الذي ذكرناه في الفن الثاني من المقالة الأولى وهو اختلاف قضيتين بالسلب والإيجاب بحيث يلزم عنه لذاته أن تكون إحداهما صادقة والأخرى كاذبة وإنما تكونان كذلك إذا اتفقت القضيتان في الموضوع والمحمول لفظاً ومعنى، واتفقتا في الكل والجزء والقوة والفعل والشرط والإضافة والزمان والمكان"[٩٨]. ويقول الآمدي: "وأما التناقض: فهو اختلاف القضيتين بالإيجاب والسلب على وجه يلزم من صدق إحداهما لذاته كذب الأخرى، كقولنا زيد إنسان، وزيد ليس بإنسان. ولابد في ذلك من اتحاد جهة الإيجاب والسلب، بأن يكون السلب من جهة ما لا يكون الإيجاب، وبالعكس"[٩٩]. فالتناقض، إذن، قائم على الصدق والكذب مع وجوب اتفاق الطرفين في الموضوع والمحمول لفظاً ومعنى، كما في قوله: زيد إنسان، وزيد ليس بإنسان وهذا التوحد يجب أن يكون في كل جوانب الطرفين، سواء أكان في الكل أم في الجزء أم في الزمان أم في المكان وغير ذلك مما عدده الفلاسفة في هذه النصوص.

وأمـــا الاخـــتلاف فإن طبيعته تختلف عن التضاد والتناقض، يقول ابن سـينا: "المخالف يخالف بشيء خارجه، والغير يغاير بالذات"[١٠٠]. ويقول ابن رشـد: "والخـلاف يخالف الغير في أن الشيء يغاير بذاته ويخالف بشيء فيه، ولذلك يلزم أن يكون المخالف يخالف بشيء ويوافق بشيء"[١٠١]. فكما نلحظ أن المخالـف إنمـا يخالف بشيء خارج عن ذاته، لا كما هو المغاير الذي يغاير بالـذات. ولـذلك يرى ابن رشد أن المتخالفات قد تخالف في بعض أجزائها، وتوافـق في أجـزائها الأخرى، ومن هنا نرى أن التخالف بطبيعته يختلف عن التـضاد والتـناقض القائمين على السلب والإيجاب حيناً، وعلى الكلية والتمام حيناً آخر كما رأينا فيما سبق.

مفهوم التضـــاد:

لقـد أدركنا مما تقدم في معاني التقابل في اللغة وعند الفلاسفة أن معنى التضاد في الأصل هو عدم اجتماع الضدين معاً في شيء واحد في زمان واحد، والواقع أن أصحاب الدراسات البلاغية لم يخرجوا كثيراً عن فهمهم للتضاد عن هـذا المعنى[١٠٢]، ولعل من أبرز الذين تناولوا معنى التضاد في كتاباهم أبا هلال العـسكري، يقول: "والمتضادان هما اللذان ينتفي أحدهما عند وجود صاحبه إذا كـان وجود هذا على الوجه الذي يوجد عليه ذلك كالسواد والبياض"[١٠٣]. ويأتي حديث أبي هلال عن التضاد في حديثه عن الفرق بين المختلف والمتضاد. ويتحدث السبكي (ت ٧٧٣هـ) عن معنى التضاد في شرحه للتلخيص، يقول: "والمراد بالمتضادين في الجملة أي سواء أكان التقابل من وجه ما أم من كل وجه سواء أكان التقابل حقيقياً أم اعتبارياً وسواء أكان بين وجودين كما هي حقيقة

التـــضاد أم بـــين وجـــودي وعدمي أو عدميين"(١٠٤). ويتحدث أيضاً السعد التفـــتازاني (ت ٧٩٣هـــ) عن الطباق والتضاد، يقول: "أي يكون بينهما تقابل وتـــناف ولو في بعض الصور سواء كان التقابل حقيقياً أو اعتبارياً وسواء كان تقابل التضاد أو تقابل الإيجاب والسلب أو تقابل العدم والملكة أو تقابل التضاد أو مـــا يـــشبه شيئاً من ذلك"(١٠٥). ويقسم السجلماسي (توفي في القرن الثامن الهجـــري) أجناس الطباق حسب تقابلات الفلاسفة التي تتضمن تقابل التضاد، يقول: "إذ كان ينبغي أن ينقسم جنس المطابقة في البلاغة بحسب انقسام التقابل في النظـــريات إلى الأنواع الأربعة والتي هي: السلب والإيجاب والعدم والملكة، والمضاف، والأضداد"(١٠٦). ويتحدث ابن يعقوب المغربي (ت ١١١٠هـــ) عن التـــضاد والتقابل في شرحه للتلخيص، يقول: "فالمراد بالتضاد والتقابل هنا أن يكـــون بين الشيئين تناف وتقابل ولو في بعض الصور ومن المعلوم أن المتقابلين في بعـــض الصور إنما يكون التنافي بينهما باعتبار ذلك البعض عن الصور فلهذا نقـــول لبيان عموم التقابل سواء كان التقابل حقيقياً كتقابل القدم والحدوث أو اعتبارياً كتقابل الإحياء والإماتة فإنهما لا يتقابلان إلا باعتبار بعض الصور وهو أن يـــتعلق الأحياء بحياة جرم في وقت الإماتة بإماتته في ذلك الوقت، وإلا فلا تقابـــل بينهما باعتبار أنفسهما ولا باعتبار المتعلق عند تعدد الوقت وسواء كان التقابل الحقيقي تقابل التضاد كتقابل الحركة والسكون على الجرم الموجود بناء على أنهما وجوديان أو تقابل الإيجاب والسلب كتقابل مطلق الوجود وسلبه أو العـــدم والملكة كتقابل العمى والبصر والقدرة والعجز بناء على أن العجز نفي القـــدرة عمـــن شـــأنه الاتصاف بالقدرة أو تقابل التضايف كتقـــابل الأبوة والبنوة"(١٠٧).

لا شـــك في أن أولى الملاحظـــات على جميع هؤلاء المتقدمين أهم قد تأثـــروا في تعـــريفهم للتضاد بالفلاسفة مع اختلاف عمق هذا التأثر من واحد لآخـــر، فالتـــضاد لديهم في الأساس هو عدم اجتماع الضدين في شيء واحد، فالانتفاء لأحدهما عند وجود الآخر شرط في معنى التضاد، وقد توسعوا في معنى التضاد بحيث استغرقوا معظم الجوانب التي جاء بها الفلاسفة. فالتضاد لديهم قد يكـــون مـــن وجه واحد بين المتضادين أو من كل الوجوه، وقد يكون اعتبارياً كالقدم والحدوث وقد يكون حقيقياً كالحياة والموت، وقد يكون بين وجوديين كالحركة والسكون أو بين الإيجاب والسلب كتقابل مطلق الوجود وسلبه، وقد يكـــون بين العدم والملكة، فالتضاد، إذن، عند هؤلاء قد استغرق جميع الجوانب التي يمكن النظر إليها بين الأشياء.

التقابل والتماثل عند أصحاب الدراسات البلاغية:

أتحـــدث فـــيما يأتي عن مفهومي التقابل والتماثل عند البلاغيين وأبدأ حديثي عن مفهوم التقابل.

التقابل:

لقد قسم أصحاب الدراسات البلاغية التقابل أقساماً متعددة، وذلك من فترة متقدمة من تاريخ البلاغة العربية ابتداء من قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـــ)، وانـــتهاء بالمتأخرين من مثل ابن عباس (ت٩٦٣هـــ)، وابن معصوم (ت١١٢٠ هـــ). وقبل أن أتحدث عن طبيعة التقابل في مفهوم الطباق بشكل عام لدى البلاغـــيين، لابـــد من الكشف عن بعض المصطلحات المهمة التي حددوها في دراساتهم حتى تكون طريقاً لنا للحديث عن الطباق ومفهومه لديهم.

إن أول هذه الأقسام كان طباق السلب والإيجاب وقد ذكره قدامة بن جعفـــر، في قولـــه: "والذي أريد بقولي متكافئين في هذا الموضوع أي متقابلين إمـــا من جهة المصادرة أو السلب والإيجاب أو غيرهما من أقسام التقابل"[١٠٨]، ويـــشير الآمدي (ت ٣٧٠هـــ) إلى قسم آخر وهو ما يقارب الضد في تعريفه للطباق في قولـــه: "وهو: مقابلة الحرف بضده أو ما يقارب الضد"[١٠٩] ولعله يعـــني بما يقارب الضد هو ما لا يقع بالتضاد في اللفظ وإنما في المعنى، وقد ذكر أبـــو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـــ) هذا القسم وهو طباق المعنى (١١٠) الذي تحدثـــنا عنه في التقابل عند اللغويين والنحاة، ويشير أيضاً أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـــ) من البلاغيين إلى هذا القسم، في قولـــه: "وقد طابق جماعة من المـــتقدمين بالـــشيء وخلافـــه على التقريب لا على الحقيقة، وذلك... كقول الحطيئة:

وأخـــذت أطرار الكلام فلم تدع   شـــتماً يـــضر ولا مـــديحاً ينفع

والهجاء ضد المديح فذكر الشتم على وجه التقريب"[١١١]. فكما نلحظ من المثال أن التضاد قد وقع في المعنى لا في اللفظ، وذلك كما ذكر المديح ضد الهجـــاء لا الشتم، وثمة قسم آخر للطباق وهو المخالف. وقد ذكره ابن رشيق (ت٤٥٦هـــ) في قولـــه: "وقال زهير، وزعموا أنه لأوس بن حجر:

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا   أصـــبت حلـــيماً أو أصابك جاهل

لمـــا وجده خلافاً له طابق بينهما كما يفعل بالضد، وإن كان الخلاف مقـــصراً عن رتبة الضد في المباعدة والناس متفقون، أن جميع المخلوقات: مخالف وموافق، ومضاد، فمتى وقع الخلاف في باب المطابقة فإنما هو على معنى المسامحة

وطـــرح الكلفة والمشقة"[١١٢]. ويذكر هذا القسم أيضاً ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـــ) بقوله: "فأما المخالف وهو الذي يقرب من التضاد، فكقول أبي تمام:

تـــردّى ثياب الموت حمراً فما أتى   لها الليل إلا وهي من سندس خضر

فـــإن الحمـــر والخـــضر من المخالف، وبعض الناس يجعـــل هذا من المطابق"[١١٣]، وما أن يأتي ابن الأثير (ت ٦٣٧هـــ) حتى يضع لنا قسماً واضح التفـــصيل في الطـــباق، وهو الطباق اللفظي والطباق المعنوي، وقد صرح بهذا التقسيم عندما تحدث عن المقابلة التي تساوي لديه المطابقة، كما رأينا في حديثه عـــن العلاقة بين التقابل والمطابقة، يقول: "فأما الأول وهو مقابلة الشيء بضده كالـــسواد والبـــياض وما جرى مجراهما فإنه ينقسم قسمين: أحدهما مقابلة في اللفـــظ والمعنى، والآخر مقابلة في المعنى دون اللفظ"[١١٤]. ولا شك في أنه يشير هـــنا إلى الطباق اللفظي والطباق المعنوي، وعندما جاء ابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤هـــــ) وضع قسمين آخرين للطباق سماهما الطباق الحقيقي والطباق المجـــازي، وأضاف مصطلحاً جديداً وهو طباق الإيجاب، يقول: "الطباق على ضربين: حقيقي، ومجازي، وكل من الضربين على قسمين: لفظي ومعنوي، فما كـــان منه بألفاظ الحقيقة أبقوا عليه اسم الطباق، وما كان بألفاظ المجاز أو بعضه سموه تكافؤاً"[١١٥]. ويتحدث عن الطباق الذي يختص بألفاظ الحقيقة بأن قسمه ثلاثـــة أقـــسام هي: "طباق سلب، وطباق إيجاب، وطباق ترديد"[١١٦]. فكما نلحظ من تقسيمه هذا أنه جعل فروعاً متعددة للطباق اللفظي والمعنوي.

ما تقدم من النصوص يضع لنا تصور أصحاب الدراسات البلاغية عن التقسيمات العامة للطباق، ويمكننا أن نضع هذه التقسيمات في النقاط الآتية:

أولاً: تقابل التضاد، ينقسم إلى:

- التضاد اللفظي: حقيقي ومجازي.
- التضاد المعنوي.

ثانياً: تقابل السلب والإيجاب.

ثالثاً: تقابل التخالف.

لذا أتحدث عن كل منها مبيناً أبعادها البنائية كما فهمها البلاغيون القدماء وأبين طبيعتها التركيبية.

تقابل التضاد:

ينقسم تقابل التضاد عند أصحاب الدراسات البلاغية إلى التضاد اللفظي والتضاد المعنوي، وأبدأ الحديث عن التضاد اللفظي.

التضاد اللفظي:

أولاً- التضاد الحقيقي:

ظهرت قضيتان بارزتان عند أصحاب الدراسات البلاغية المتعلقة بالتضاد الحقيقي. وأولى هاتين القضيتين، هي- أن بعض الدارسين لم يضعوا شروطاً على التقابل بين المتضادات، فتحدثوا عنه من غير تحديد. ولعل ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) من أوائل هؤلاء، يقول: "قال الخليل رحمه الله يقال طابقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حذو واحد وكذلك قال أبو سعيد فالقائل لصاحبه أتيناك لتسلك بنا سبيل التوسع فأدخلتنا في ضيق الضمان قد طابق بين السعة والضيق في هذا الخطاب، وقال الله تعالى: ﴿**ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب**﴾. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار: "إنكم لتكثرون عند

الفزع وتقلون عند الطمع وهذا مثل الأول"[١١٧]. إن المثالين الواردين في هذا النص يوضحان رؤية ابن المعتز للطباق، فهو يشير إلى أن الآية الكريمة قد طابقت بين (القصاص) الذي يعني الموت وبين (الحياة)، وهذا داخل في الطباق المعنوي، وسنناقش هذا الجانب في مكانه. وأشار أيضاً إلى (تكثرون) و(تقلون) في الحديث الشريف. لاشك في أن الطباق لديه يعني التضاد بدليل ما جاء به في المثالين (فالقصاص) ضد (للحياة) و(تكثرون) ضد (لتقلون)، ولكنه لم يتحدث عن شروط تقابل الضدين كما نرى، ويفصح الآمدي (٣٧٠هـ) عن حقيقة الطباق في قوله: "ورأى الطائي الطباق في أشعار العرب؛ وهو أكثر وأوجد في كلامها من التجنيس، وهو مقابلة الحرف بضده... فهذا حقيقة الطباق، إنما هو مقابلة الشيء لمثله هو على قدره، فسموا المتضادين- إذا تقابلا- مطابقين؛ ومنه قول زهير:

ليثٌ بعثّر يصطاد الرجال إذا ما الليث كَذَبَ عن أقرانه صدقا

فطابق بين قوله "كذب" وبين قوله "صدقا" وقول طفيل الغنوي يصف فرساً:

يُصان وهو ليوم الرّوع مبذول

فطابق بين قوله "يصان" وبين قوله "مبذول"[١١٨]، ويشير العسكري (ت٣٩٥هـ) إلى هذا المعنى في قوله: "وقد أجمع الناس أن المطابقة في الكلام هو الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة مثل الجمع بين البياض والسواد... والليل والنهار... والحر والبرد"[١١٩] ويقول الباقلاني (ت ٤٠٣هـ): "ويرون من البديع أيضاً ما يسمونه "المطابقة وأكثرهم على أن معناها أن يذكر الشيء وضده: كالليل والنهار، والسواد والبياض"[١٢٠]، والذي يتابع الدارسين القدماء والمتأخرين

للبديع سيجد أن هؤلاء قد اتفقوا بشكل عام على أن الطباق في الأصل يعتمد على التضاد اللفظي في الصورة التي رأيناها في النصوص السابقة، علاوة على أنهم لم يضعوا شروطاً لهذا التضاد[١٢١].

لا شك في أن النصوص التي ذكرتها هنا تعد من النماذج التي يعبر فيها أصحابها عن رؤيتهم للتضاد الحقيقي في الطباق. فكما رأينا أن ابن المعتز قد رأى في (تكثرون) ضداً لـ (لتقلون) فلو نظرنا إلى هذا المثال مثلاً لوجدنا الملاحظتين الآتيتين:

أولاً- إن التضاد بين الكلمتين قائم على اللفظ والمعنى.

ثانياً- إن التضاد بينهما قائم بين فعلين.

ولو انتقلنا إلى أمثلة الآمدي لوجدنا الملاحظات الآتية:

أولاً- إن التضاد في قول زهير بين كذب وصدق قائم على اللفظ والمعنى.

ثانياً- إن التضاد بين كذب وصدق قائم بين فعلين.

ثالثاً- إن التضاد في قول الغنوي بين يصان ومبذول قائم على اللفظ والمعنى.

رابعاً- إن التضاد بين يصان ومبذول قائم بين فعل واسم.

فمن الملاحظات التي أمامنا على الأمثلة التي طرحها ابن المعتز والآمدي يتبين لنا بأنهما لم يضعا شروطاً للمتضادين إذ أجازا أن يكون التقابل بين الفعل والفعل، وبين الاسم والفعل.

وأما القضية الثانية التي طرحها الدارسون الآخرون، فهي التضاد المشروط، وليس ثمة فرق كبير بين أصحاب هذا التصور وأصحاب التصور الأول، إلا أن هؤلاء قد وضعوا شرط مراعاة التقابل بين الأسماء أو الأفعال أو الحروف في التضاد اللفظي. ويدخل مع هؤلاء من تنبهوا إلى هذه الشروط ولكنهم أجازوا اختلاف نوع المتقابلين. فمن الذين شرطوا مراعاة التقابل علي ابن خلف الكاتب (توفي في منتصف القرن الخامس الهجري) يتحدث عن علماء

البديع في قولــه: "متفقون على أن المطابقة ذكر الشيء وضده. وسبيل المطابقة أن يبنى على التطابق والتوازن، فلا يطابق اسم مع فعل ولا فعل مع اسم، وأن تطابق الأسماء بالأسماء والأفعال بالأفعال، فإن ذلك أذهب في الصنعة"[١٢٢].

ولا شك في أن هذا الإفصاح عن مراعاة التقابل أو عدم اشتراطها لا يضيف إلى طبيعة بناء تقابل التضاد شيئاً، وإنما هي محاولة لوضع قواعد أو تقنين له، وإذا ما رجعنا قليلاً إلى التضاد غير المشروط وأمثلته عند المتقدمين، لرأينا أنهم لم يختلفوا عن هؤلاء في فهمهم للتضاد مع فارق اشتراط مراعاة التقابل، إذ أورد ابن المعتز أمثلة للتضاد كانت مراعاة التقابل متوفرة فيها دون أن يذكر الشروط، وأما الآمدي فلم يلتفت إلى هذا الجانب بحيث استشهد بالمثال الذي طابق به الغنوي بين الفعل (يصان) والاسم (مبذول) دون أن يذكر مراعاة التقابل بين الفعلين في قول زهير (كذب وصدق) وبين الفعل والاسم عند الغنوي.

وقبل أن نتجاوز هذه القضية يجدر بنا أن نكشف عن الطبيعة التركيبية لتقابل التضاد الحقيقي عند أصحاب الدراسات البلاغية، وذلك من خلال الأمثلة التي طرحها هؤلاء الدارسون في دراساتهم.

لنأخذ مثلاً المتضادين (تكثرون) و(تقلون) اللذين وردا في الحديث النبوي الشريف في مقولة ابن المعتز، حتى نرى كيف يجري التضاد والتقابل بينهما، لاشك في أن ذكر (تكثرون) يولد في الذاكرة معنى مضاداً وهو تقلون، فما أن يقرأ الإنسان (تكثرون) حتى ترد إلى ذهنه كلمة تقلون. وقد سمى الدكتور شوقي ضيف هذا النوع من التقابل طباق الذاكرة، وذلك عند حديثه عن الطباق عند البحتري، يقول: "فطباقه ليس فيه فلسفة وليس فيه عمق وليس فيه تفكير بعيد؛ هو طباق ساذج لا صعوبة فيه ولا تعقيد، هو طباق "الذاكرة"،

إن صح هذا التعبير، فهو يذكر الوصل فيأتي الهجر، وهو يذكر الذل فيأتي الكبر، وهو يذكر السهل فيأتي الوعر"(١٢٣). ويناقش الدكتور محمد عبد المطلب الطباق في "البديع والتكرار" من خلال حركة الذهن مشيراً إلى طبيعة التضاد وبما يجري في الذاكرة، يقول: "والانتقال إلى الحركة الباطنية للطباق والمقابلة يؤدي إلى الرصد الآتي:

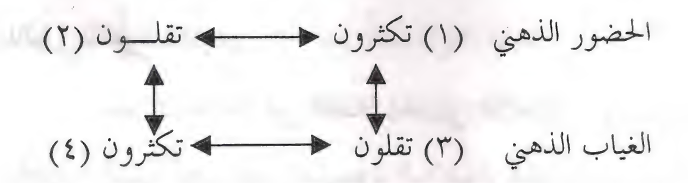
	أبيض	أبيض	
حضور			غياب
	أسود	أسود	

فحضور النقيض يستعدي حضور نقيضه غياباً، مما يعطي للتقابل طبيعة تكرارية مزدوجة من خلال حركة الذهن بين المتناقضين"(١٢٤).

ولكن كيف يحدث تقابل التضاد في الجملة على مستوى الذهن أو الذاكرة؟ يمكننا أن نستمر مع التمثيل بالحديث النبوي الشريف لتبيان هذا النمط الأسلوبي من البديع، فقولـــه صلى الله عليه وسلم (تكثرون عند الفزع) هذا الطرف يتقابل أفقياً مع الطرف الثاني وهو (تقلون عند الطمع)، ومن هنا يصبح تقابل التضاد على مستوى الجملة. كما هو مبين في الرسم التمثيلي الآتي:

(١) تكثرون ◄────► تقلون (٢)

فتكثرون وتقلون ضدان يقعان في إطار الحضور الذهني كما هو في الحديث النبوي، ويمكننا أن ننتقل بعد هذا لنبين كيفية حدوث التقابل الذهني الذي يتمثل في إطار الغياب الذهني للمتضادين، ويمكن أن نبين هذا في الرسم الآتي:



فقراءة تكثرون تولد ضداً ذهنياً هو تقلون، كما في رقم ثلاثة، وقراءة تقلون تولد ضداً ذهنياً هو تكثرون كما في رقم أربعة، هنا تنتقل صيغة التقابل من التقابل الظاهر إلى التقابل بين الظاهر وما في الذهن، وإلى العلاقة العمودية فتكثرون في الرقم الأول تتقابل ضدياً مع تقلون في الرقم الثالث، كما في الرسم، وتقلون في الرقم الثاني تتقابل مع تكثرون في الرقم الرابع، كما هو في الرسم أيضاً، وعندما ننظر إلى التقابلات الحاضرة في الجملة والغائبة في الذهن نلحظ نشوء تقابل جديد وهو التقابل على المستوى الذهني بين تقلون وتكثرون، وبإحداث التقابل الأفقي الجديد بين المتضادين الذهنيين تنتهي إحداثيات تقابلات جديدة فيصبح التقابل في المقروء وفي الذهن، بحيث يتكرر التقابل المقروء مرتين والتقابل الذهني مرتين، ولا مجال لزيادة هذا العدد من التقابل أو إنقاصه ما دام الأصل في الجملة يقوم على متضادين حقيقيين.

فالتضاد الحقيقي في الطباق، إذن، عند البلاغيين ينتهي بأربعة متقابلات ضدية ليس أكثر، ومن هنا يمكننا النظر في الطباق عندهم كتقابل ظاهر وذهني يجري بين المكتوب (العبارة) وبين الذهن أو الذاكرة. ولذلك لم يجد البلاغيون طرفاً ثالثاً لطرفي التضاد، فليس ثمة ما هو متوسط بين تكثرون وتقلون، وبين أسود وأبيض، وبين ليل ونهار، وإنما هي أطراف متقابلة لا تداخل بينها ولا توسط بكلمة أخرى، فالتضاد طرفان متقابلان لا يجتمعان إذا اتحدت الجهة، وأما إذا اختلفت الجهات، فإنه لا يجوز أن يجتمعا، ويمكننا أن نسمي هذا التضاد بالتضاد الانعكاسي لوجهي الظاهر (المكتوب) والذهن، حيث يخرج الذهن صورة تقابل التضاد اللفظي مماثلة للصورة المرسومة في العبارة المقروءة.

ثانياً_ التضاد المجازي:

بعد أن تحدثنا عن التضاد الحقيقي للألفاظ، نأتي للحديث عن التضاد المجازي، لنرى كيف فهم الدارسون البلاغيون هذا الجانب من التقابل؟ وما هي الطبيعة التركيبية له؟

حاول ابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤هـ) أن يضع تعريفاً للتضاد المجازي، في قولـه: "الطباق على ضربين: حقيقي، ومجازي... فما كان منه بألفاظ الحقيقة أبقوا عليه اسم الطباق، وما كان كله بألفاظ المجاز أو بعضه سموه تكافؤاً، بشرط أن تكون الأضداد لموصوف واحد، فإن كان الضدان أو الأضداد لموصوفين، والألفاظ حقيقية فهو الطباق، فمن أمثلة التكافؤ قولـه تعالى: ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾"[١٢٥] ويقول في مكان آخر: "فلابد أن يأتي الكلام المتضمن التكافؤ استعارة، فـإن لم تكن فيه استعارة فـلا تكافؤ"[١٢٦]. وقد نظر إلى التضاد المجازي من زاوية أخرى، يقول: "وقد جاء للطباق قسم غير ما تقدم ذكره، وهو ائتلاف الطباق والتكافؤ في كلام واحد، لمجيء أحد الضدين أو أحد المتقابلين حقيقة والآخر مجازاً، كقولـه تعالى: ﴿وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾[١٢٧]

فالتضاد المجازي، إذن، لديه نوعان: الأول ما كان الطرفان فيه مجازين وقد سماه التكافؤ[١٢٨]، والثاني ما كان أحد الطرفين مجازياً والآخر حقيقياً، وقد سماه ائتلاف الطباق والتكافؤ. وقد تابع شهاب الدين الحلبي (ت ٧٢٥هـ) ابن أبي الإصبع في هذا النوع من التضاد، إلا أنه أنكر عليه جانباً منه، يقول: "وقال الزكي ابن أبي الإصبع المصري في الطباق: وهو على ضربين ضرب يأتي بألفاظ الحقيقة وضرب يأتي بألفاظ المجاز.

فما كان بلفظ الحقيقة سمي طباقاً وما كان بلفظ المجاز سمي تكافؤاً فمثال التكافؤ قول أبي الشغب العبسي من إنشادات قدامة:

حلو الشمائل وهو مرّ باسل يحمي الذمار صبيحة الإرهاق

وقد جمع بيت دعبل بين الطباق والتكافؤ وهو:

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

لأن ضحك المشيب مجاز وبكاء الشاعر حقيقة هكذا قال ابن أبي الإصبع المصري وفيه نظر. لأنه إذا كان الطباق عنده هو التضاد من حقيقيين والتكافؤ التضاد من مجازين فليس في البيت ما شرطه"(١٢٩) ولا شك في أن شهاب الدين قد فاته ما سماه ابن أبي الإصبع بائتلاف الطباق والتكافؤ، ويتابع شهاب الدين النويري (ت ٧٣٣هـ) ابن أبي الإصبع في إطلاق مصطلح التكافؤ على المجازين المتضادين(١٣٠)، وأما جلال الدين القزويني (ت ٧٣٩هـ) فيضع لنا مصطلحاً آخر لما أسماه ابن أبي الإصبع بائتلاف الطباق والتكافؤ وهو إيهام التضاد، يقول: "ويلحق به.. نحو: أشداء على الكفار رحماء بينهم، فإن الرحمة مسببة من اللين، ونحو قولـه:

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

ويسمي الثاني إيهام التضاد"(١٣١). ولا شك في أنه يشير إلى البيت الشعري في قولـه إيهام التضاد. ويجري مع القزويني شارح التلخيص بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣هـ) فيُقرّ المصطلح والمثال الشعري(١٣٢).

يبدو أن أصحاب الدراسات البلاغية متفقون على أن التضاد المجازي بين الألفاظ مختلف عن التضاد الحقيقي، ولا يهم هنا أي المصطلحين التكافؤ أم إيهام التضاد أنسب.

لابد لنا هنا من متابعة مفهوم البلاغيين للطبيعة التركيبية للتضاد المجازي سواء أكان مركباً من طرفين مجازيين أم من طرف حقيقي وآخر مجازي، فلنبدأ بالطرفين المجازيين، ولنأخذ قولـــه تعالى: ﴿**أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم**﴾[١٣٣]. هذه الآية أتى بها ابن أبي الإصبع المصري شاهداً على التكافؤ الذي يعني لديه تضاد المجازين، ويعلق عليها في قولـــه: "فإن اشتراء الضلالة وبيع الهدى مجاز، هذا إن كان أصل الضلالة إخطاء الطريق المحسوس الحقيقي خاصة، ولم يكن عاماً في إخطاء كل طريق مستقيم حقيقي أو مجازي، ويكون الهدى إصابة الطريق المحسوس الحقيقي[١٣٤]". فالضلالة بمعناها هنا، الانحراف عن الطريق المستقيم، وهو طريق الإسلام، والهدى يعني، هنا، اتباع طريق الإسلام. ويأتي المجاز في الآية من رابط الضدين وهو (اشتروا) (فالضلالة والهدى) يشتريان. فالمعنى المراد إذن هو ما تعنيه هاتان الكلمتان. ولا شك في أن قضية التذكر أو الخاطر الذهني في هذا النوع من التضاد تصبح هامشية أو لا أهمية لها؛ وذلك أن الجملة قد شغلت الذهن بالمعنى المجازي. فنحن عندما نقرأ الآية يشغلنا وضع الجملة (اشتروا) حتى نتبين المعاني المرادة منها، فالمجاز يلغي قضية توارد الأضداد في الذهن وإن كانت واردة. ولكن كما قلت فهي هامشية لا تشكل بعداً بنائياً رئيساً في الجملة كما كان في تقابل التضاد الحقيقي.

وحتى تكون الطبيعة التركيبية واضحة لهذا التضاد، نبين كيفية التقابل في هذه الآية. إن الأساس الأول في التقابل هو بين الكلمتين (الضلالة) و(الهدى) ولا شك في أن ما دل على المجاز هنا مهم في تحديد نوعية التركيب، فـ (الضلالة) ترتبط بـ (الهدى) عن طريق القرينة (اشتروا)، فالقاعدة الأساسية في التقابل هنا قائمة على التقابل المكتوب الذي ظهر على مستوى

الجملة. ولكن ما ترابطات هذين الضدين في المجاز؟ إن (الضلالة) في هذا المجاز مع ربطها بالفعل (اشتروا) تشير إلى معنى الخسارة في التجارة، و(الهدى) في المستوى نفسه يشير إلى معنى الربح في التجارة، فتصبح (الضلالة) مقابلة للخسارة، و(الهدى) مقابلاً للربح، لا شك في أن هذا التقابل يعطينا نتائج جديدة في طبيعة التركيب، وذلك أن الخسارة (الضلالة) في معناها المجازي والربح (الهدى) في معناه المجازي تتقابلان في صورة المماثلة للتقابل المكتوب على مستوى الجملة (الضلالة/ الهدى)، فالمعنى المراد من المجاز إذن يتشكل في المستوى نفسه لأصله في العبارة. ولا تتوقف سلسلة التقابل إلى هذا الحد بل تستمر بالتوالد وذلك أن (الضلالة) التي أصبحت تعني الخسارة تتقابل مع كلمة الربح التي تعني في الأصل الهدى وأن (الهدى) الذي يعني الربح يتقابل مع الخسارة التي تعني في الأصل الضلالة، فينتج لدينا نوع جديد من التقابل وهو التقابل بين المكتوب والمجاز، في هذه الصورة يصبح التضاد بين المجازين يشكل تقابلاً متداخلاً بين (الضلالة/ الربح)، وبين (الهدى/ الخسارة).

وحتى تتضح الصورة في تقابل المجاز لابد من الانتقال إلى الحديث عن الطبيعة التركيبية بين المتضادين الذي يكون أحدهما حقيقياً والآخر مجازياً، ولنأخذ بيت دعبل:

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى[١٣٥]

وهو بيت أتى به كثير من أصحاب الدراسات البلاغية، كما رأينا فيما سبق من النصوص.

إن التقابل على المستوى الظاهري للبيت بين ضحك المجازي وبكى الحقيقي، ولكن من الملاحظ هنا أن الرابط بين الضدين يتشكل في طرفين، هما:

المشيب والرجل، على خلاف ما كان في الضدين المجازيين كما كان في الآية الكريمة، والمعنى الذي يتولد من الفعل ضحك يشي بالسرور؛ لأن الضحك حقيقة السرور. ولذلك يمكن أن نجعل السرور ممثلاً لبروز الشيب في رأس هذا الرجل. فالشيب كأنه الإنسان الذي يضحك كاشفاً عن أسنانه البيضاء اللامعة التي يشبهها الشيب تماماً، فالتعبير إذن ينتج دلالة السرور بالنسبة للشيب، ولكن بالمقابل فإن البكاء ينتج دلالة الحزن للرجل. من هنا تصبح كلمة (ضحك) مقابلة للسرور، وكلمة (بكى) مقابلة للحزن. ونلحظ هنا أن ثمة تقابلاً آخر ينشأ بين السرور والحزن، على المستوى المجازي والمرادف للطرف الحقيقي، وذلك أن السرور (الضحك في معناه المجازي) يقابل الحزن (البكاء في مرادفه)، فمعطيات المجاز والحقيقة إذن تشكل تقابلاً مماثلاً للتقابل الأصلي في مستوى العبارة. وهذا الوضع في تركيب الجملة يعطينا تقابلاً آخر وهو التقابل التداخلي إذ يتضاد الضحك مع الحزن، ويتضاد البكاء مع السرور. ولا شك في أن الطبيعة التركيبية للضدين المجازي والحقيقي تتماثل مع الطبيعة التركيبية للضدين المجازيين كما نرى.

ولو حاولنا أن نقارن بين طبيعة التركيب البنائي للتقابل اللفظي الحقيقي والمجازي لوجدنا ثمة فرقاً رابعاً بينهما. إذ كان التركيب في التضاد الحقيقي قائماً على التقابل الظاهري على مستوى العبارة، والذهني على مستوى الذاكرة، كما رأينا، في حين إن التقابل في التضاد المجازي على العموم كان قائماً على التقابل الظاهري المتداخل. ولا شك في أن أصحاب الدراسات البلاغية كانوا على حق عندما جعلوا للتضاد الحقيقي مصطلحاً يختلف عن التضاد المجازي، ولعلهم أدركوا الفارق الأساسي بين القسمين، وهو أن التضاد الحقيقي في الأصل قائم على الضدين قبل دخولهما الجملة في حين أن التضاد

المجازي قائم داخل الجملة بما يعطيه من معاني مرادفة أو مجازية فاعتمدوا السياق لتلمس الفارق الأساسي بين القسمين. ولعل ما بينته من طبيعة التركيب هنا يسهم في توضيح هذه الفوارق، ويجدر بنا هنا أن نسجل ملاحظة للدكتور عز الدين إسماعيل على شكلية التقابل عند البلاغيين، وذلك في تعليقه على بيت للمتنبي، يقول فيه:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي   وأنثني وبياض الصبح يغري بي

وكان قد علق الثعالبي على هذا البيت كما عرفنا في التقابل عند اللغويين، يقول الدكتور عز الدين إسماعيل: "مع أن التطابق يلحظ ما بين معنى الكلمة ومعنى مقابلتها من تضاد فإن علاقة التضاد هنا كما رصدها الثعالبي علاقة شكلية. مثلها يستدعي النقيض نقيضه في أي تداع حر"[١٣٦]. وذلك أن ما ينطبق على نظرة الثعالبي ينطبق على نظرة الذين تناولوا التقابل اللفظي، فالشكل كان المطلب الأساسي لديهم.

التضاد المعنوي:

يبدو أن الذين اهتموا بالدراسات البلاغية من المتقدمين لم يكونوا يميزون التضاد اللفظي من التضاد المعنوي، وذلك أننا نجد ابن المعتز في حديثه عن الطباق يأتي بالنوعين تحت المطابقة دون تقسيم[١٣٧].

ولكننا نجد العسكري (ت ٣٩٥هـ) يميز بينهما في قوله: "وقد طابق جماعة من المتقدمين بالشيء وخلافه على التقريب لا على الحقيقة وذلك كقول الحطيئة:

وأخذت أطرار الكلام فلم تدع   شتماً يضر ولا مديحاً ينفع

والهجاء ضد المديح فذكر الشتم على وجه التقريب"[١٣٨]. فقوله على وجه التقريب يشير به إلى الطباق الذي لا يقوم على التضاد اللفظي، ويوضح هذا بقول الحطيئة، إذ طابق بين الشتم والمديح، والشتم هو الهجاء إذ جاء به ليقابله بالمديح، ولاشك في أننا من هنا نستطيع أن نتلمس مفهوم التضاد المعنوي بوضوح، وإذا ما تابعنا الدراسات البلاغية فإننا نجد أصحابها قد أشاروا إلى هذا المفهوم في مصطلحات متعددة، فابن سنان الخفاجي يشير إلى التضاد المعنوي بما يقارب الضد وبالمطابق غير المحض، يقول: "أن يكون أحد المعنيين مضاداً للآخر أو قريباً من المضاد... ومما يستحسن من المطابق... قول أبي الطيب:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي   وأنثني وبياض الصبح يغري بي

فهذا البيت مع بعده من التكلف كل لفظة من ألفاظه مقابلة بلفظة هي لها من طريق المعنى بمنزلة الضد: فأزورهم وأنثني، وسواد وبياض، والليل والصبح، ويشفع، ويغري، ولي وبي، وأصحاب صناعة الشعر لا يجعلون الليل والصبح ضدين، بل يجعلون ضد الليل النهار لأنهم يراعون في المضادة استعمال الألفاظ، وأكثر ما يقال الليل والنهار، ولا يقال الليل والصبح، وبعضهم يقول في مثل هذا- مطابق محض ومطابق غير محض- فالليل والصبح عنده من بيت المتنبي طباق غير محض"[١٣٩]. ويأتي الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ) ليشير إلى هذا المفهوم بما يقوم مقام الضد، يقول: "فالطباق: أن يأتي الشاعر بالمعنى وضده، أو ما يقوم مقام الضد.. وكقول أبي تمام:

مها الوحش، إلا أن هاتا أوانس   قنا الخط، إلا أن تلك ذوابل

فطابق بـ"هاتا" و"تلك" وأحدهما للحاضر والآخر للغائب، فكانا نقيضين في المعنى، وبمنزلة الضدين"[١٤٠]. فالطباق بين هاتا وتلك متأت من معناهما المتضادين وهما الحاضر والغائب، ويتابع أبو طاهر البغدادي (ت ٥١٧ هـ) هذا المصطلح أيضاً[١٤١]. ويبدو أن أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ) أدخل في هذا النوع من التضاد ما أشار إليه بأخفى تطبيق في القرآن، يقول: "وأخفى تطبيق في القرآن في قولـه سبحانه: مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً"[١٤٢]، وذلك أن (أغرقوا) متأتية من جهة الماء و(أدخلوا) ارتبطت بالنار فكان الطباق معنوياً بين الماء والنار، وعندما جاء ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ) أشار إلى هذا المفهوم في باب المقابلة في شكل واضح، يقول: "وأما المقابلة في المعنى دون اللفظ في الأضداد فمما جاء فيه قول المقنع الكغدي* من شعراء الحماسة:

لهم جُلّ مالي إن تتابع لي غنى　　　وإن قل مالي لم أكلفهم رفدا

فقولـه تتابع لي غنى بمعنى قولـه كثر مالي، فهذا إذا مقابلة من جهة المعنى لا من جهة اللفظ، لأن حقيقة الأضداد اللفظية إنما هي في المفردات من الألفاظ نحو قام وقعد وحل وعقد وقل وكثر، فإن القيام ضد القعود، والحل ضد العقد، والقليل ضد الكثير، فإذا ترك المفرد من الألفاظ وتوصل إلى مقابلته بلفظ مركب كان ذلك مقابلة معنوية لا لفظية، فاعرف ذلك"[١٤٣]. لا شك في أن قول ابن الأثير يختلف بعض الشيء عما تقدم من أقوال الدارسين إذ اعتمد هؤلاء التضاد بين المفردات لا التراكيب، في حين أن ابن الأثير رأى التضاد المعنوي بين التراكيب، إذ رأى التضاد المعنوي بين (تتابع لي غنى) وبين (قل مالي). ويتابع ابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤هـ) ابن الأثير في هذا

---

* كذا في المثل السائر، ولعل الرواية الصحيحة الكندي، أنظر: الحماسة البصرية تصحيح مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٤، ج٢، ص٣١.

النهج، يقول: "وقد يقع في الطباق ما هو معنوي، كقولــه تعالى: ﴿إن أنتم إلاّ تكذبون، قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون﴾. معناه يعلــم إنــا الصادقون، والله أعلم"[١٤٤]. إلا أن الفرق بين ابن الأثير والمصري، أن الأول طابق بين تركيبين، والثاني طابق بين مفردة (تكذبون) وتركيب (ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون). ويتابع يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٢٩هـ) على ما يبدو ابن الأثير في هذا المفهوم إذا رأى أن ثمة قسماً يقابــل الشيء بضده مــن جهة مــعناه دون لفظه[١٤٥]. ويكاد لا يخرج أصحاب الدراسات البلاغية عن المصطلحات السابقة في المفهوم نفسه للتضاد المعنوي، فحازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) يطلق عليه المطابقة غير المحضة[١٤٦]. أو المطابقة بغير اللفظ الصريح[١٤٧]، ويطلق عليها محمد بن علي الجرجاني (ت ٧٢٩هـ) المطابقة الخفية[١٤٨]، ويسميها القزويني بالطباق الظاهر، ويأتي بالمثال الذي أتى به القرطاجني وهو الآية الكريمة: ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً﴾[١٤٩] ويأتي ابن قيم الجوزية، ليضع مصطلح الطباق المعنوي في مفهوم مشروط للتضاد المعنوي بوضوح وإن أدخل معه النفي، يقول: "وأما المعنوي فعلى قسمين الأول أن يزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء... والثاني في النفي"[١٥٠] وينعت الزركشي (ت ٧٩٤هـ) هذا المفهوم بالمعنوي[١٥١]. والذي يتابع أصحاب الدراسات البلاغية للتضاد المعنوي يجدهم يدورون في فلك هذه المصطلحات[١٥٢].

لا شك في أن مفهوم تقابل التضاد المعنوي عند أصحاب الدراسات البلاغية يختلف اختلافاً بيناً عن تقابل التضاد اللفظي. ويبدو أن الأمثلة التي أتى بها هؤلاء الدارسون تسمح لنا بالملاحظات الآتية:

أولاً - إن التضاد المعنوي يتم بين المفردات، مثل: القصاص/ والحياة، وهاتا/ وتلك، والصبح/ والليل.

ثانياً - إن التضاد المعنوي يتم بين تركيبين، مثل: تتابع لي غنى/ وقل مالي، وأغرقوا/ وأدخلوا ناراً.

ولابد لنا من تلمس الفوارق في الطبيعة التركيبية بين تقابل التضاد المعنوي، وتقابل التضاد اللفظي.

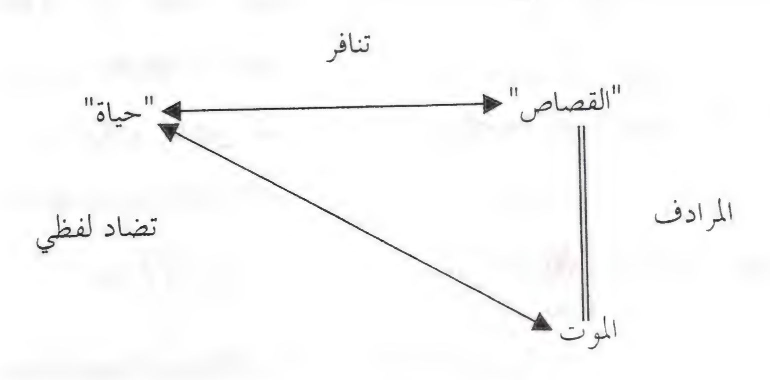
نبدأ أولاً بتقابل المفردات، ونأخذ من الأمثلة، قولـه تعالى: ﴿**ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب**﴾[١٥٣]، وقول المتنبي:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي   وأنثني وبياض الصبح يغري بي[١٥٤]

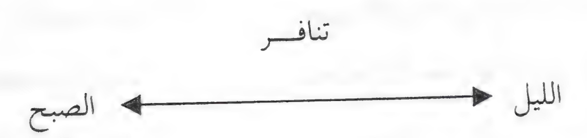
وقول أبي تمام:

مها الوحش، إلا أن هاتا أوانس   قنا الخط، إلا أن تلك ذوابل[١٥٥]

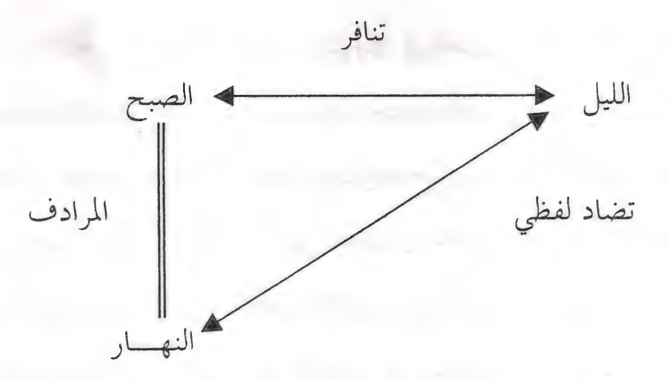
الآية الكريمة تقيم التقابل بين كلمتي (القصاص) و(حياة)، و(القصاص) لا يتضاد بلفظه مع كلمة (حياة) وإنما بمعناه. والملاحظة الأساسية هنا أن المضاد المعنوي قد جاء قبل المضاد اللفظي، إذ إننا نستطيع أن نقول إن هذا النوع من التضاد يجمع بين المعنوي واللفظي. فالكلمة الأولى معنوي والثانية لفظي، ويمكن أن ننعت العلاقة بينهما بعلاقة التنافر إذ لا تصل المقابلة إلى التضاد على مستوى العبارة، إلا أن المرادف (المعنى) لكلمة (القصاص) هو الموت يتضاد مع (حياة)، ومن هنا جاء نعت البلاغيين لهذا الأسلوب بالتضاد المعنوي، فيصبح إذن التضاد الفعلي بين الموت والحياة، لا بين (القصاص) و(حياة)، وعلى هذا الأسلوب يتشكل لدينا نمط من التقابل هو التقابل المرادف، ويمكن أن نضع هذا الأسلوب في الرسم الآتي:



وحتى تكتمل صورة التركيب التقابلي في المفردات نأخذ المثال الثاني. إذ إن التضاد المعنوي في البيت قائم بين الليل والصبح. ونلحظ هنا أن المضاد اللفظي (الليل) قد جاء قبل المضاد المعنوي (الصبح)، وتتكون العلاقة بينهما على مستوى العبارة في صورة التنافر التي رأيناها بين (القصاص) و(حياة). ويمكننا أن نوضحها في الرسم الآتي:

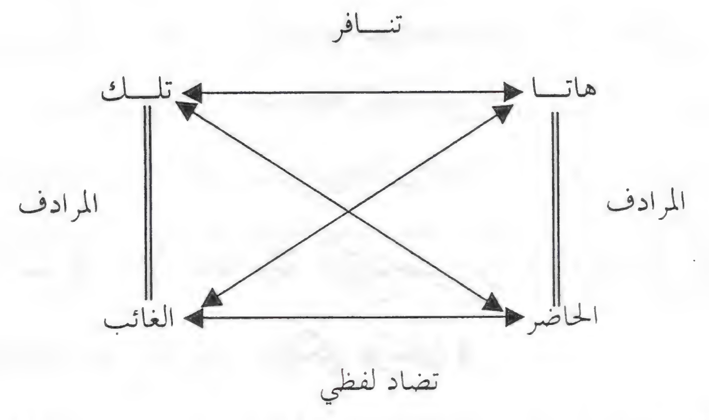


ولا شك في أن المرادف لكلمة الصبح (المضاد المعنوي) هو النهار، فهذا المرادف إذن يشكل علاقة التضاد اللفظي مع الليل. وليس بين الليل والصبح. ولكن الأسلوب التقابلي هنا يختلف في وضعه عن الأسلوب السابق، وحتى يتضح لنا هذا القول نمثل التقابل في الرسم الآتي:



فكما نلحظ أن الصورة هنا معكوسة للتقابل السابق، وما جاء هذا العكس إلا بسبب تقديم المضاد اللفظي على المعنوي أو تأخيره.

أما المثال الثالث وهو قول أبي تمام، فالتقابل فيه يقوم بين (هاتا) و(تلك). ولا شك في أن التضاد لا يأتي من التقابل بين هاتين المفردتين، وإنما بين مرادفيهما، ولذلك فالعلاقة بينهما هي علاقة التنافر، وأن التضاد يقع بين معنييهما المتأتيين من الحاضر والغائب، وتتم في الصورة الآتية:



فكما نلحظ فإن التضاد يتم بين المعاني وليس بين مفرداتها، ولكن في الوقت نفسه نلحظ أن التقابل بالتضاد لا يقوم بين الحاضر والغائب فحسب، وإنما يحدث تضاداً جديداً بين هاتا والغائب وبين تلك والحاضر، وهذا التقابل يشكل نوعاً من التداخل في التضاد المعنوي.

يجدر بنا هنا أن نلحظ الفروق في الطبيعة التركيبية بين التضاد اللفظي والتضاد المعنوي بين المفردات، وقد أجزت لنفسي بهذه الملاحظة؛ لأن النوعين يلتقيان معاً من جهة المفردات، وبالرجوع إلى التضاد اللفظي نلحظ أنه يقوم على صورة المماثلة لما يتم على مستوى العبارة، إذ كان اللفظ بين كلمتين متضادتين فيها يتقابل بلفظين مماثلين في الذهن، ويصنع تقابلاً مماثلاً لما في العبارة، ولكن التركيب هنا يختلف عن سابقه، إذ إن المثالين الأول والثاني يشكل الأسلوب فيهما نمطاً مختلفاً، فالمضاد المعنوي يولد المرادف، وهذا المرادف يتضاد مع المضاد اللفظي فلا يتشكل لدينا تضاد مماثل لما كان على مستوى العبارة، ونجد كذلك في المثال الثالث أن التضاد يتم بين المرادفين للفظين، فيتشكل تضاد واحد، وهو ليس مماثلاً لما كان في العبارة. فالعبارة تجعل التقابل بين الكلمتين يقوم على أساس التنافر لا التضاد إلا أنه يلتقي التضاد اللفظي من جهة التداخل بين الأطراف الأربعة، كما لاحظنا في الرسمين لكل نوع من التضاد اللفظي والمعنوي، وأخص هنا التضاد اللفظي المجازي.

لنأتي إلى تقابل المفرد والتركيب حتى نتبين طبيعته التركيبية. إن كان ثمة اختلاف بينه وبين الطبيعة التركيبية للمفردات، لنأخذ قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾[١٥٦].

إن مضمون هذه الآية يتحدث عن الدعوة إلى توحيد الله سبحانه وتعالى. وإلى تصديق الرسل، ونجد فيها متقابلين: الأول مفرد يتمثل في (تكذبون). والثاني تركيب يتمثل في (ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون) ولا شك في أن التقابل على مستوى العبارة يقع في التقابل التنافري. إذ إن المرادف للجملة هو إنا

لصادقون، وذلك أن الآية عنت المعنى المقابل لـ (تكذبون)؛ لأن الكفار كانوا قد كذبوا الرسل، والرسل يرجعون إلى رهم، ليدللوا على صدقهم، ولذلك كان المرادف هو الصدق. ومن هنا يصبح التضاد بين تكذبون ومرادف التركيب، فمن الملاحظ هنا أنه ليس ثمة فرق في الطبيعة التركيبية بين المفردات والتركيب فكل منها يعتمد على المفرد وهو المضاد اللفظي، والمفرد أو التركيب المضاد المعنوي، وأخص بهذا القول المثالين الأول والثاني اللذين يتماثلان مع التركيب في المفرد والتركيب وما زال الاختلاف قائماً بين التضاد المعنوي والتضاد اللفظي في شكله النهائي.

أما تقابل التراكيب، فلنأخذ له قول المقنع الكندي مثالاً:

لهم جل مالي إن تتابع لي غنى   وإن قل مالي لم أكلفهم رفدا[١٥٧]

إن التقابل في البيت يتم بين (تتابع لي غنى) و(قل مالي). ولاشك في أن التضاد لا يكون على مستوى العبارة في البيت وإنما هو على مستوى المرادف، فالعلاقة بين تتابع لي غنى وقل مالي هي علاقة تنافر، وكل طرف يولد مرادفاً يتضاد أحدهما مع الآخر، فالمرادفان (الغنى) و(الفقر) يتضادان لفظياً، ومن ثم يتضاد الفقر مع (تتابع لي غنى) ويتضاد الغنى مع (قل مالي) وهذا يشكل تقابلاً متداخلاً بين المرادفين والتركيبين في العبارة.

ونلحظ هنا أن الطبيعة التركيبية لهذا التقابل تتماثل مع تركيب التقابل بين المفردين كما رأينا في المثال الثالث.

السلب والإيجاب:

إن الذي يتتبع الدراسات البلاغية يجد أن أصحابها قد اتفقوا على ثلاثة مفاهيم للسلب والإيجاب، هذه المفاهيم هي: اجتماع الكلمتين على النفي والإثبات، واجتماعهما على النهي والأمر، واجتماعهما على النفي. وحتى تكون هذه المفاهيم واضحة نتناول آراء الدارسين فيها.

أما المفهوم الأول النفي والإثبات، فلعل من أوائل الذين أشاروا إليه قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ)، يقول: "وقال الفرزدق أيضاً:

لعمري لئن قل الحصى في رجالكم بني نهشل ما لؤمكم بقليل

فهذا ضرب من المكافأة من جهة السلب"[١٥٨]، وهو يشير بالسلب إلى كلمة (قل) المثبتة، وتركيب جملة (ما لؤمكم بقليل) المنفية. ويشير إليه أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) يقول: "وهو أن تبني الكلام على نفي الشيء وإثباته من جهة أخرى"[١٥٩]. ومن ثم يتابعه الباقلاني (ت ٤٠٣هـ)، يقول: "ومن البديع: السلب والإيجاب، كقول القائل:

وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول[١٦٠]

ويمثل ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) للسلب والإيجاب في قوله: "وأما الإيجاب والسلب فكقول أبي عبادة:

يقيض لي من حيث لا أعلم النوى ويسري إليّ الشوق من حيث أعلم[١٦١]

فالتقابل هنا بين (لا أعلم) و(أعلم). ويتابع هؤلاء الدارسين كثير من دارسي البلاغة في هذا الجانب[١٦٢].

ومن خلال استعراضنا للأمثلة التي يطرحها هؤلاء الدارسون نجد أن معظمهم قد أشار إلى أن النفي والإثبات يقعان على الكلمة الواحد، كما لاحظنا من تقابل (قل) و(ما لؤمكم بقليل)، الأولى مثبتة والثانية منفية، وتقابل (أعلم) المثبتة و(لا أعلم) المنفية، ولكن بعضهم أدخل الكلمتين المتضادتين قبل النفي في هذا المفهوم. وذلك كما فعل ابن أبي الإصبع المصري، وإن كان قد أشار إلى هذا المفهوم في باب سماه نفي الشيء من جهة وإيجابه من جهة أخرى... ومن شواهد السلب والإيجاب أيضاً قولــه تعالى: ﴿**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾. فإنه عز وجل سلب عن هؤلاء الموصوفين العصيان وأوجب لهم الطاعة(١٦٣).

ومن الملاحظ، إذن، أن أصحاب الدراسات البلاغية قد أجمعوا بصورة عامة على أن النفي والإثبات يقعان في الكلمتين من مصدر واحد، ولكن إشارة المصري للآية الكريمة لها قيمتها من حيث توسيع مفهوم السلب والخروج به عن الأثر الذي تركه الفلاسفه عند البلاغيين، إذ كنا قد أدركنا معنى السلب والإيجاب عندهم في حديثنا عن تقابل السلب والإيجاب، إذ كان الشرط الأساسي لديهم أن السلب والإيجاب إنما يقعان في الجملة الواحدة مرة مثبتة، وأخرى منفية، ولكن من أصل واحد بحيث يكون المنسوب واحداً.

وأما المفهوم الثاني النهي والأمر، فلعل من أوائل من أشار إليه كان أبو هلال العسكري في باب السلب والإيجاب، يقول: "وهو أن تبني الكلام على نفي الشيء من جهة وإثباته من جهة أخرى... أو الأمر به في جهة والنهي عنه في جهة وما يجري مجرى ذلك... كقولــه تعالى: ﴿**فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً**﴾(١٦٤). فالنهي هنا يقع في كلمة (لا تقل) والأمر في كلمة

(وقل). وتابعه بعد ذلك ابن أبي الإصبع المصري، في قولــه: "وهو بناء الكلام على نفي الشيء من جهة، وإيجابه من جهة أخرى، أو أمر بشيء من جهة ونهي عنه من غير تلك الجهة، كقولــه تعالى: **﴿فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾** فإنه سبحانه نهى الولد عن أن يقول للوالدين أدنى قول مؤلم، أو ما فيه غضاضة، وأمره بالقول الكريم وخفض الجانب لهما ذلاً وتواضعاً، فأمره سبحانه بأمرين، ونهاه عن أمرين"[١٦٥]. ويشير إليه العلوي (ت ٧٤٥هـ) في باب مقابلة الشيء بضده في قولــه: "ومنه قولــه تعالى: **﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾** فقابل الأمر بالنهي وهما ضدان"[١٦٦]. ويتابع هؤلاء الدارسين عدد آخر من أصحاب الدراسات البلاغية[١٦٧].

من خلال استعراضنا للأمثلة التي طرحها الدارسون هنا نلحظ أن جلهم قد أجمع على أن النهي والأمر يقعان في كلمتين من مصدر واحد، إذ وقع الفعل (لا تخشوا) في النهي والفعل (اخشون) في الأمر، وقد ضربوا هذا المثال كثيراً في دراساتهم إلا أن العلوي كان قد طرح مثالاً يختلف عن سابقية ولاحقية في هذا المفهوم كما جاء في النص الذي أثبتناه قبل أسطر، وذلك أنه جعل من باب مقابلة الشيء بضده كلمة (اعبدوا) التي أمر بها الخالق عز وجل، وكلمة (ولا تشركوا) التي نهى عنها، ولاشك في أن العبادة والشرك أمران متضادان قبل صياغتهما في الآية، وقد دخلا من خلال مفهوم النهي والأمر، وقد اختلفا في أنهما من كلمتين من مصدرين مختلفين.

وأما المفهوم الثالث النفي والنفي، فقد أشار إليه ابن أبي الإصبع المصري في قولــه: "وطباق السلب، وهو أن يأتي المتكلم بجملتين أو كلمتين إحداهما موجبة والأخرى منفية، وقد تكون الكلمتان منفيتين وقد تقدم في شعر

الفرزدق"[١٦٨]، ويشير إلى هذا المفهوم الزركشي (ت ٧٩٤هـ) في باب سماه نفي الشيء رأساً يقول فيه: "لأنه عدم كمال وصفه أو لانتفاء ثمرته، كقولـه تعالى في صفة أهل النار: ﴿لا يموت فيها ولا يحيى﴾ فنفى عنه الموت، لأنه ليس بموت صريح ونفى عنه الحياة لأنها ليست بحياة طيبة ولا نافعة، كقولـه تعالى: ﴿وترى الناس سكارى وما هم بسكارى﴾ أي ما هم بسكارى مشروب، ولكن سكارى فزع"[١٦٩]. ويبدو أن أصحاب الدراسات البلاغية لم يتابعوا هذا الجانب من السلب؛ لأنهم رأوا فيه النفي دون الإيجاب، وقد أدخله المصري كما نلحظ في مفهومه للسلب في الطباق، وأما الزركشي فقد أدخله في باب قواعد في النفي وقد أدرجته هنا لالتقاء الزركشي بابن أبي الإصبع في المفهوم.

وقبل أن أنتقل إلى نقطة جديدة في تضاد السلب لابد لنا من الكشف عن الطبيعة التركيبية لهذا التضاد، ولنتحدث عن كل مفهوم على حدة.

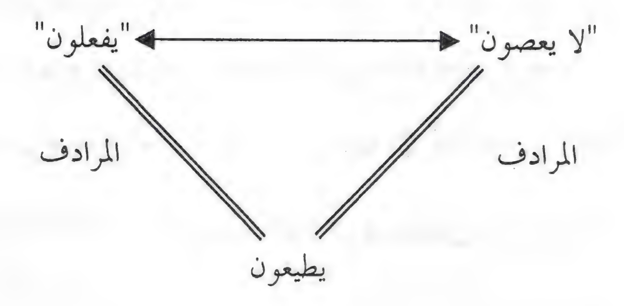
أما المفهوم الأول، فلنأخذ له قول أبي عبادة البحتري مثالاً:

يقيض لي من حيث لا أعلم النوى ويسري إلي الشوق من حيث أعلم[١٧٠]

والآية الكريمة: ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾[١٧١]. وهما كما نلحظ نفي وإيجاب لكلمتين من أصل واحد ولكلمتين من أصلين.

ففي المثال الأول مقابلة بين (لا أعلم) و(أعلم)، والعلاقة بينهما تضاد السلب إذ إن الكلمة الأولى قد سلبت مضمون العلم فيكون مرادفها الجهل، وأما الكلمة الثانية، فهي مثبتة ولا مرادف لها. وفي هذا الإطار تصبح حقيقة التقابل الضدي بين المرادف (الجهل) والكلمة المثبتة (أعلم) ولعلنا نلحظ أن التقابل في هذا الأسلوب يرتبط بالتقابل في أسلوب التضاد المعنوي المبني على مفردة وتركيب الذي أشرنا إليه في الصفحات المتقدمة.

وإما في المثال الثاني، فكان التقابل بين (لا يعصون) و(يفعلون)، وهما كما نلحظ منفي ومثبت ولكن في كلمتين مختلفتين، فالطرف الأول من التقابل (لا يعصون) مرادفه يطيعون. وأما الطرف الثاني (يفعلون) فهو يتقابل مع معنى الفعل يعصون. قبل النفي من جهة المعنى إذ إن يفعلون هنا بمعنى يطيعون التي تتضاد مع يعصون. ولا شك في أننا نلحظ في هذا المثال تركيباً يختلف عنه في المثال السابق إذ إن كل كلمة تعطي مرادفاً يتماثل مع مرادف الآخر، ومن هنا أرى أن هذه الآية قد سعت إلى إثبات معنى الطاعة عند المؤمنين، ويظل التقابل السلبي على مستوى العبارة، وليس فيما وراء العبارة من معنى، ومن هنا نستطيع أن نعيد صياغة أسلوب التقابل والمرادف في شكل جديد من الطبيعة التركيبية وهو توحد الضدين في معنى واحد، كما في الرسم الآتي:



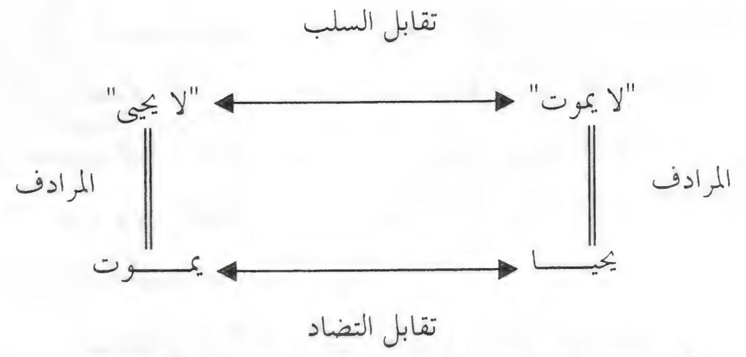
ولعل هذه النتيجة للمتقابلين هي التي جعلت معظم دارسي البلاغة يعزفون عن هذا التركيب للمتقابلين. لأن السلب والإيجاب هنا لا يحقق الثنائية التي كانوا يسعون إليها دائماً، وهي ثنائية التضاد التي نلحظها في كل أمثلة تقابل التضاد.

وأما المفهوم الثاني، فلنأخذ له مثالين: الأول قولــه تعالى: ﴿**فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً**﴾[١٧٢]. والثاني قولــه تعالى: ﴿**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً**﴾[١٧٣].

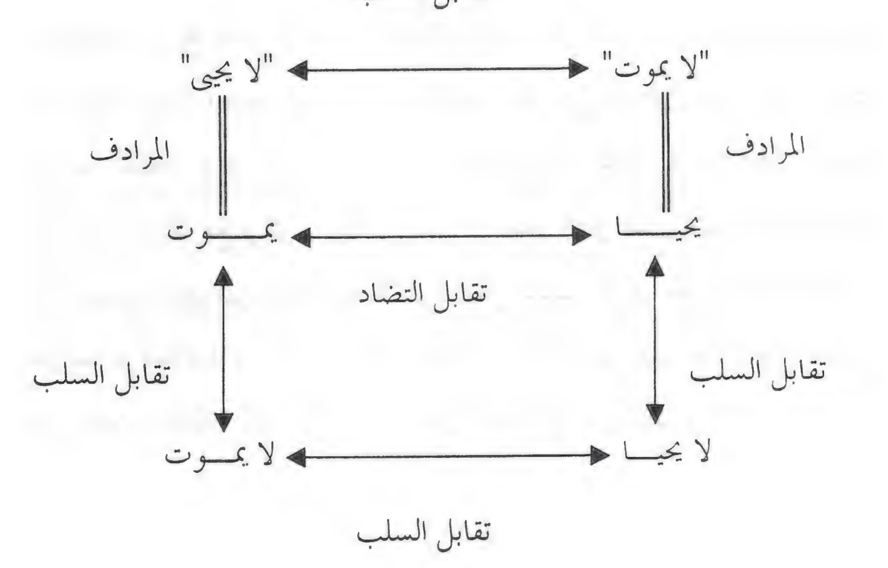
الشاهد في المثال الأول قولــه (لا تقل) وقولــه (وقل)، وهما يقعان في النهي والأمر على الترتيب، ولاشك في أن كلمة (لا تقل) تعني الصمت والسكوت عن الكلام الذي يحتوي الإيلام، في حين إن الكلمة الثانية تفيد القول الكريم، فنحن نلحظ أن تقابل السلب كان على مستوى العبارة في حين إن تقابل التضاد كان بين المرادف لـــ (لا تقل) وبين (قل) فالتقابل هنا إذن على مستوى العبارة تقابل سلب، في حين على مستوى المرادف تقابل بين المعنى لـــ(لا تقل) وبين اللفظ لـــ (قل) وهذا التركيب يتماثل مع تركيب النفي والإثبات في الكلمتين من مصدر واحد.

والشاهد في المثال الثاني هو (اعبدوا) في الأمر و(لا تشركوا) في النهي. ولا شك في أننا نلحظ أن الكلمتين في المثال قبل النهي والأمر تقعان في التضاد اللفظي، ولكنهما في التركيب دخلتا في إطار تقابل السلب بين الأمر والنهي. وبالبحث عن المرادف فإن الأمر بالعبادة يفيد ترك الشرك ونفيه والنهي أيضاً يفيد ترك الشرك ونفيه وإثبات معنى العبادة، فكل من المرادفين يفيد نفي الشرك وإثبات العبادة، ولا شك في أن في هذا التركيب تماثلاً في المرادف، وهذا التركيب يشترك مع تركيب تضاد السلب في المثال الثاني الذي اتصف بالكلمتين من مصدرين متضادين في المفهوم الأول، ولعل السبب الذي دفع معظم أصحاب الدراسات البلاغية إلى تجاوز هذا النمط من التقابل هو عدم قدرة هذا التقابل على إحداث الثنائية كما كانت الحال في المثال الثاني من المفهوم الأول.

وأمـــا المفهـــوم الثالث، فلنأخذ له المثال الذي أتى به الزركشي وهو قـــولـــه تعـــالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾[١٧٤]. لا شك في أن (يموت) و(يحـيى) قـبل صياغتهما في الآية تقعان في التضاد اللفظي، ولكن دخولهما في الآيـــة جعلهما من تقابل السلب، ولكنه نفي ونفي، ويبدو أن الطبيعة التركيبة لهـــذا المفهوم تختلف عن المفهومين السابقين، وذلك أن مرادف (لا يموت) هو يحيا، ومرادف (لا يحيى) هو يموت، فالمرادفان متضادان كما في الصورة الآتية:



ولكن مستوى العبارة هو الذي يوجه المعنى في هذا التقابل إذ إن تكرار النفي مرتين مع يموت ويحيا الرديفين منفيان أيضاً، كما في الصورة الآتية:



وفي هذا الإطار يصبح الرديف لكلمة (لا يموت) متماثلاً مع مرادف كلمة (لا يحيى)، ويمكن توليد مرادف آخر للمرادف، وهكذا بحيث تصبح المرادفات سلسلة لا تنتهي، وكأنما التقابل في الآية هنا يشير إلى الحياة والموت اللذين لا ينتهيان في الإحداث، ونمط هذا المفهوم هو نمط مختلف تمام الاختلاف عما سبق من الأمثلة.

تقابل التخالف:

إن تقابل التخالف من المتقابلات التي بحث فيها أصحاب الدراسات البلاغية، وتحدثوا عنها إلى جانب تقابل التضاد في اللفظ والمعنى، ولكن كيف نظر هؤلاء الدارسون إلى هذا التقابل؟ إن من أوائل الذين أشاروا إليه كان أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) فبعد أن تحدث عن الطباق وأنواعه قال: "وقد طابقت جماعة من المتقدمين بالشيء وخلافه على التقريب لا على الحقيقة وذلك كقول الحطيئة:

وأخذت أطرار الكلام فلم تدع   شتماً يضر ولا مديحاً ينفع

والهجاء ضد المديح فذكر الشتم على وجه التقريب... وهكذا قول الآخر:

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة   ومن إساءة أهل السوء إحساناً

فجعل ضد الظلم المغفرة"[١٧٥].

ولا شك في أن أبا هلال لم يفرق بين المثال الأول والمثال الثاني، إذ كان المثال الأول يقع في التضاد المعنوي، كما أشرت سابقاً، في حين أن المثال

الثاني يقع في تقابل التخالف، وذلك أن حقيقة التقابل بين الظلم والمغفرة تختلف عن التقابل بين الشتم والمديح، إذ إن الشتم بمعناه (الهجاء) ضد للمديح، في حين أن الظلم الذي ضده (العدل) لا يتقابل مع المغفرة من زاوية المعنى، فالعدل في الأساس ضد للظلم، وليس بضد للمغفرة، من هنا أرى أن المثال الثاني يبتعد في طبيعته عن المثال الأول، ويمكننا أن نفهم طبيعة التخالف من مقولة ابن رشيق (ت ٤٥٦هـ) التي يشير فيها إلى المخالفة، يقول: "وقال زهير: وزعموا أنه لأوس بن حجر:

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا   أصبت حليماً أو أصابك جاهل

لما وجده خلافاً له طابق بينهما كما يفعل بالضد، وإن كان الخلاف مقصراً عن رتبة الضد في المباعدة، والناس متفقون على أن جميع المخلوقات: مخالف، وموافق ومضاد، فمتى وقع الخلاف في باب المطابقة فإنما هو على معنى المسامحة وطرح الكلفة والمشقة"(١٧٦)، إن ابن رشيق وضع لنا أساساً مهماً للتفريق بين المخالف والمضاد، وذلك أنه أشار إلى أن الخلاف مقصر عن رتبة الضد في المباعدة بين الكلمتين، إذ إننا فهمنا الضد بأنه لا يلتقي الضد الآخر، فمتى وجد أحدهما في الشيء انتفى الثاني بينما المخالف ليس له هذه المباعدة، فالحليم والجاهل كما في مثال ابن رشيق لا يبتعدان كما البعد في التضاد، ويوضح ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ) هذا المفهوم في قولـه: "وأما مقابلة الشيء بما ليس بضده فهي ضربان: أحدهما ألا يكون مثلاً والآخر أن يكون مثلاً، فالضرب الأول يتفرع إلى فرعين: الأول: ما كان بين المقابل والمقابل نوع مناسبة وتقارب، كقول قريط بن أنيف:

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة   ومن إساءة أهل السوء إحساناً

فقابل الظلم بالمغفرة، وليس ضداً لها، وإنما هو ضد العدل، إلا أنه لما كانت المغفرة قريبة من العدل حسنت المقابلة بينهما وبين الظلم... النوع الثاني: ما كان بين المقابل والمقابل بعد. وذلك مما لا يحسن استعماله كقول أم النُّحيف وهو سعد بن قرط وقد تزوج امرأة كانت نهته عنها فقالت من أبيات تذمها فيها:

فتربص بها الأيام على صروفها ستزمي بها في جاحم متسعر

فكم من كريم قد مناه إلهه بمذمومة الأخلاق واسعة الحر

فقولـــها بمذمومة الأخلاق واسعة الحر من المقابلة البعيدة، بل الأولى أن كانت قالت بضيقة الأخلاق واسعة الحر. حتى تصح المقابلة(١٧٧). فالقرب بين المتخالفين والمناسبة هي من صميم مفهوم تقابل التخالف كما في الظلم والمغفرة وفي الشدة والرحمة، وكما يرى ابن الأثير قد يكون تقابل المتخالفين في البعد كالمذمومة والواسعة، وهو يفضل المناسبة والمقاربة في هذا التقابل.

ولابد هنا من الكشف عن طبيعة التركيب لتقابل التخالف، ولنأخذ قول الشاعر:

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحساناً

إن الطبيعة التركيبية لهذا التقابل تتضح من خلال تفسير طبيعة التخالف في قول الشاعر (الظلم والمغفرة)، إذ إن التقابل على مستوى العبارة كان التخالف، ولكون الظلم لا يتضاد مع المغفرة وجدنا الدارسين البلاغيين قد ذهبوا للبحث عما يتضاد مع الظلم، ويتناسب مع المغفرة في الوقت نفسه، فكان العدل هو المطلوب لديهم، والمصلحة النهائية لتقابل التخالف أن الطرف الأول من المتقابلين يتضاد مع ما يناسب الطرف الثاني وهو العدل، ولاشك في

أن هذا الأسلوب في التركيب يلتقي التضاد المعنوي، فإذا نظرنا إليه، فإننا نجد الإطارين الخارجيين للتركيبين متماثلين، إلا أن الفارق الأساسي بينهما هو المرادف والمناسب، فالمرادف هو معنى أحد طرفي التضاد المعنوي، في حين أن المناسب هو خارج عن المعنى، وإنما يلتقي مثيله بحيث يبقى كل منهما وحيداً من غير نيابة عن الآخر عند ذكره.

التماثـــل:

لاشك في أننا أدركنا سابقاً أن مفهوم مصطلح التماثل عند اللغويين والنحاة يتصل اتصالاً وثيقاً بمفهوم المشاكلة، وقد فهم البلاغيون المشاكلة على هذا الأساس أي على أساس التماثل. وكان مدار الحديث عندهم في العلاقة بين أطراف التماثل هو المصاحبة. بحيث إذا ما ذكر طرف، وأريد التعبير عن شيء آخر مصاحب له، جيء بكلام يماثل الطرف الأول في اللفظ مع اختلاف المعنى. وقد أشار السكاكي (ت ٦٢٦هـ) إلى المصاحبة في قولـــه: "ومنه المشاكلة وهي أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، كقولـــه:

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه   قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

وقولـــه: ﴿ **صبغة الله** ﴾ وقولـــه: ﴿ **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليهم بمثل ما اعتدى عليكم** ﴾ وقولـــه: ﴿ **ومكروا ومكر الله** ﴾ وقولـــه: ﴿ **تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك** ﴾"(١٧٨). فقول الشاعر (اطبخوا) ينبع من سياق البيت الشعري الذي جاء في صدره، حيث أورد كلمة (طبخه) فعندما أراد الشاعر أن يعبر بما يريد جاء بهذه الكلمة، وما ذلك إلا للمصاحبة مع اختلاف المعنيين. وينطبق ذلك على كلمة (صبغة الله) وعلى كلمة (فاعتدوا عليه) وغير ذلك، فالمصاحبة أو المجاورة في المشاكلة هي الأساس الذي ينطلق منه البلاغيون في مفهوم التماثل.

وقد جعل محمد بن علي بن محمد الجرجاني (ت ٧٢٩هـ) المشاكلة تنبع من استخدام لفظ ليس موضوعاً للمعنى أصلاً، يقول: "هي ذكر الشيء بغير لفظه، اعتماداً على معموله أو عامله: أما الأول، فكقول الشاعر:

فقالوا: اقترح شيئاً نجد لك طبخه فقلت اطبخوا لي جبة وقميصا

أقام: اطبخوا مقام خيطوا؛ لدلالة المعمول عليه، لقصد المشاكلة بين الكلامين... وأما الثاني، فكقوله تعالى: ﴿**تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك**﴾" أقام: نفسك مقام ذاتك؛ لتشاكل نفسي... وقد تقدر المشاكلة، لعدم التلفظ بالمشاكل، كما حكي أن بعض الولاة كان يغرس سيالاً في جامع بغداد، فوقف عليه وأنشد:

إن الولاية لا تدوم لواحد وإن كنت تنكره فأين الأول؟

واغرس من الفعل الجميل غرائسا فإذا عزلت فإنها لا تعزل

أقام: اغرس مقام اصنع؛ ليشاكل فعل الوالي. ومنه قوله تعالى: ﴿**صبغة الله**﴾. أراد تطهير الله. فأقام: الصبغ مقام التطهير؛ ليشاكل صبغ النصارى؛ فإنهم كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه بالمعمودية؛ تطهيراً لهم. يدل عليه سبب نزول الآية. والباب كله استعارة لقصد المشاكلة لا للمبالغة، ولذلك ليست من مسائل علم البيان"[١٧٩]. ندرك مما تقدم أن الجرجاني ينظر إلى مفهوم المشاكلة من زاويتين: الأولى- أنه يرى المشاكلة تقع في ما هو مكتوب في السياق بين الكلمات التي تقع في إطار التماثل. والثانية- أنه يرى المشاكلة تقع في النص تقديراً للمشاكل المقدر. إن الزاوية الأولى تشكل الأساس الذي يمكن أن نفهم منه طبيعة المشاكلة لديه، وذلك أنه توجه في هذه

الزاوية إلى فهم وقوع التماثل من جهتي المعمول والعامل، فأما المعمول فقد مثل له في قول الشاعر:

فقالوا: اقترح شيئاً نجد لك طبخه   فقلت اطبخوا لي جبة وقميصا

الواقع أن اكتشاف المشاكلة في هذا البيت متأت من علاقة (اطبخوا) بمعمولها (جبة وقميصاً)، وذلك أن الاستخدام الحقيقي لهذا المعمول ليس هو (اطبخوا)، وإنما هو (خيطوا) ولذلك حدثت المشاكلة. ويبدو أن هذا الاستخدام اللفظي لكلمة (اطبخوا) يضعنا أمام معنيين: المعنى الأول- هو المصاحبة، حيث صاحبت الكلمة (اطبخوا) الكلمة الواردة في صدر البيت (طبخه)، إذ يصنع السياق بهذا نمطاً تكرارياً يزيد بنيته الإيقاعية تنغيماً وسلاسة. والمعنى الثاني- هو الذي يكشف عن حركة المعنى المتضمنة في البيت الشعري- بحيث تصنع هذه الحركة إجراء عدولياً عن المعنى الحقيقي لـ (اطبخوا)، وذلك في ربطها بمعمولها، فهذا التوجه في مفهوم المشاكلة يدخلنا في جانب المجاز الذي يعني الانحراف عن الاستخدام الحقيقي إلى غير الحقيقي.

وأما العامل فقد جاء بمثال له، وهو قولــه تعالى: **﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾** إن ملاحظة التماثل في هذه الآية تختلف عنها في البيت الشعري السابق، وذلك أن لفظ (نفسك) الذي يشاكل اللفظ الحقيقي (نفسي) يختلف من حيث حركة المعنى عن سابقه. فالآية الكريمة أقامت (نفسك) مقام (ذاتك)، وهذا ما أشار إليه الجرجاني، وذلك أن حركة المعنى هنا نتجت من الاستخدام الحقيقي إلى استخدام آخر، في طرف المشاكلة، يمكن أن يتوسط بين المجاز والحقيقة لأن (النفس) لا تنطبق على التخالف عز وجل. وذلك لعدم انطباق الصفة الإنسانية على الذات الإلهية. ومن هنا يبقى طرف المشاكلة الثاني (نفسك) معلقاً بين الحقيقي والمجاز.

وأما الزاوية الثانية التي تقع في المشاكلة التقديرية، فقد أوضح الجرجاني طبيعتها البنائية القائمة على المجاز ولكنها تختلف في تركيبها عن الاستعارة التي تستخدم للمبالغة.

ويستقر مفهوم المشاكلة لدى البلاغيين بعد الجرجاني على أنها تتوزع على جانبين، هما: الجانب الحقيقي والجانب التقديري، يقول القزويني: "ومنه المشاكلة، وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً، فالأول نحو قولــه:

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه   فقلت اطبخوا لي جبة وقميصا

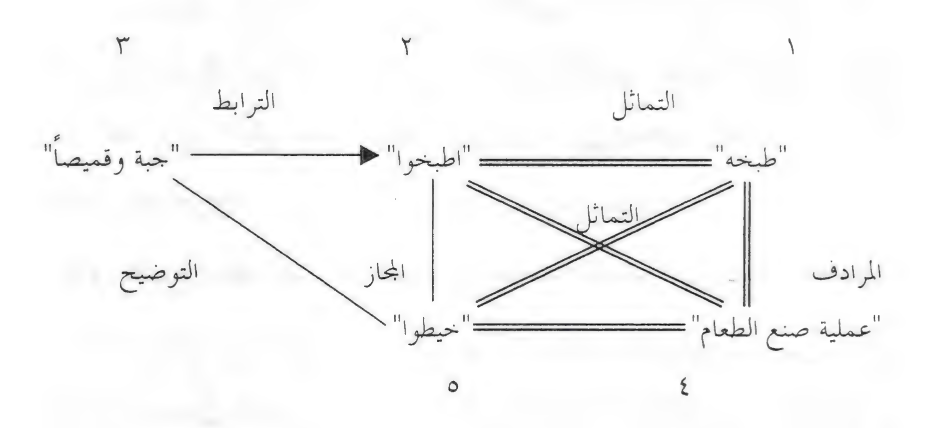
والثاني نحو: صبغة الله، وهو مصدر مؤكد لآمنا بالله، أي تطهير الله، لأن الإيمان يطهر النفوس، والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون إنه تطهير لهم، فعبر عن الإيمان بالله بصبغة الله للمشاركة بهذه القرينة"(١٨٠).

وقبل أن ننتهي من الحديث عن التماثل عند البلاغيين لابد من أن نوضح الطبيعة التركيبية للتماثل التي فهمها هؤلاء، وحتى نحقق ذلك نأخذ المثالين الواردين سابقاً. المثال الأول قول الشاعر:

فقالوا: اقترح شيئاً نجد لك طبخه   فقلت اطبخوا لي جبة وقميصا

أن الطبيعة التركيبية لهذا التماثل تعتمد على طرفين أساسيين هما (طبخه) و(اطبخوا). وعلى طرف ثالث هو (جبة وقميصاً) يكشف عن حقيقة الطرف الثاني. والطرف الأول يقوم بدور إظهار الجانب الحقيقي من التماثل الذي ترادف (عملية صنع الطعام) وأما الطرف الثاني، فهو يقوم بدور المجاز بحيث استخدم بدلاً من الطرف الحقيقي المخفي وهو (خيطوا). ولاشك في أن

الكشف عن هذا الطرف المخفي نابع من الطرف الثالث في البنية اللغوية وهو (جبة وقميصاً). ويبدو أن التماثل في هذه الطبيعة التركيبية ذو علاقات متعددة في البيت الشعري. ويمكن أن نبين هذه العلاقات في الرسم الآتي:

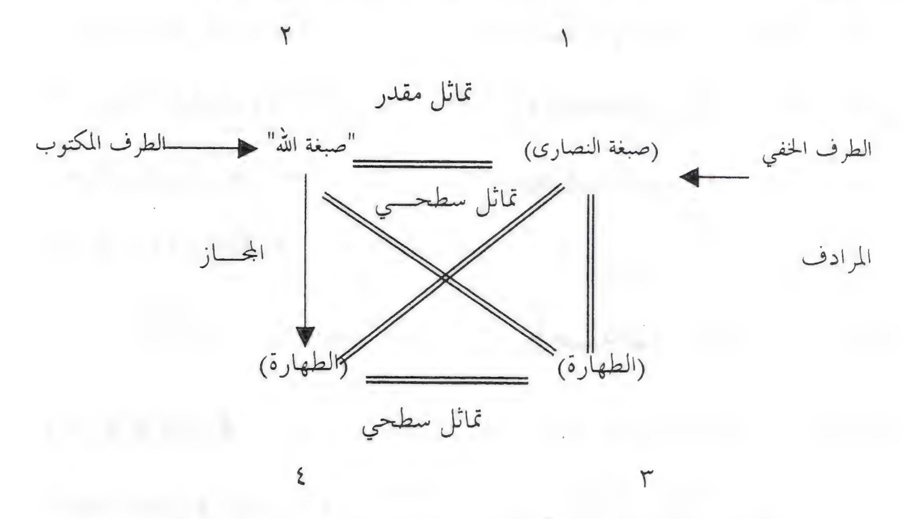


إن العلاقة البنائية التي تنتجها الطبيعة التركيبية في البيت الشعري تظهر من خلال هذا الرسم علاقات متداخلة تفرز أكثر من نوع، وذلك أن الطرف الأول (طبخه) يتصل بالطرف الثاني (اطبخوا) من خلال علاقة التماثل الأساسية التي بنيت عليها وحدة التماثل. ولكن كل طرف منهما يفرز علاقة جديدة، أي أن الطرف الأول مع (عملية صنع الطعام) تفرز علاقة الترادف، والطرف الثاني مع (خيطوا) يفرز علاقة المجاز، وتتأكد علاقة المجاز في الطرف الثاني من خلال علاقتين مع (حبة وقميصاً)، وذلك بأنها في المستوى البنائي كانت تقوم بدور الترابط مع (اطبخوا) وهذا الترابط وجه الطرف الثاني إلى المجاز (خيطوا)، ولذلك تكون العلاقة بين (خيطوا) و(جبة وقميصاً) علاقة التوضيح. وعند الرجوع إلى الطرفين في وحدة التماثل والمرادف والمجاز نلحظ

أن ثمة علاقة جديدة تجمع المرادف (عملية صنع الطعام) والمجاز (خيطوا)، وهذه العلاقة هي علاقة التواصل من حيث دخول الطرفين في صناعة شيء جديد من شيء آخر. وذلك أن الطعام مكون من مواد مختلفة تتوحد معاً في عملية الطبخ، وكذلك الأمر في الخياطة بحيث يكون الثوب متعدد الأجزاء تتوحد هذه الأجزاء في عملية الخياطة، ومن ثم نلحظ علاقة تماثلية تقاطعية بين الطرف الأول ومجاز الطرف الثاني، وبين الطرف الثاني ومرادف الطرف الأول. ومن هذه العلاقات تكتمل دائرة التماثل في إحداثاها البنائية.

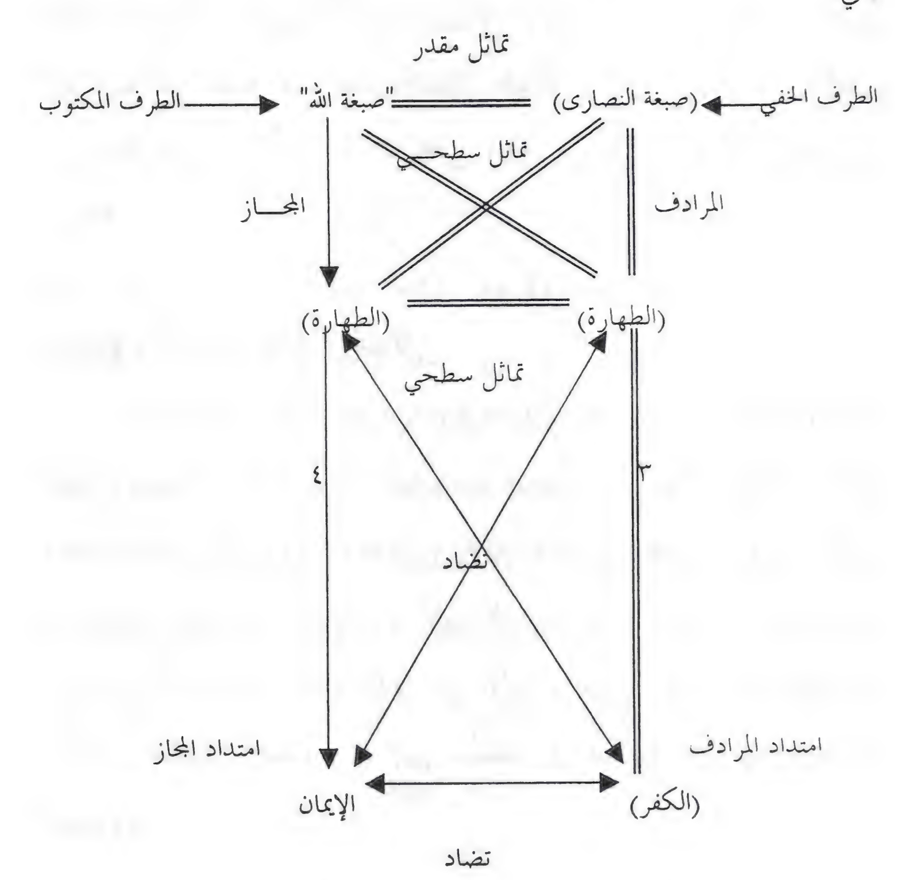
وأما المثال الثاني، فهو قوله تعالى: **﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون﴾**[١٨١]. إن التماثل في هذه الآية الكريمة يختلف في بنيته عن طبيعة التماثل في البيت الشعري السابق، وذلك أنها كما ذكر سابقاً تقوم على التقدير. إن المحور الأساسي في اللفظ المرصود (صبغة الله). ولاشك في أن العلاقة المجازية في التماثل هنا ترتبط ارتباطاً كبيراً بما هو مقدر من المعاني التي تدور حول هذه الآية، وذلك "أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم، وإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال: الآن صار نصرانياً حقاً، فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم- قولوا آمنا بالله- وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا، وطهرنا به تطهيراً لا مثل تطهيرنا، أو يقول المسلمون:صبغنا الله بالإيمان صبغته و لم نصبغ صبغتكم"[١٨٢]. فالطرف الخفي إذن هو (صبغة النصارى) ومن هنا نستطيع أن نتتبع الطبيعة التركيبية لمثل هذا التماثل، فالطرف على المستوى المكتوب هو (صبغة الله)،

يقيم علاقة تماثلية مع الطرف المخفي، ولكن هذه العلاقة لا تتحدد على هذا المستوى فحسب، وإنما تتحدد على مستوى المرادف ومستوى المجاز لكلا الطرفين، ويمكن أن ندرك هذه العلاقة من الرسم التوضيحي الآتي:



إن الطرف المخفي الأول يقيم علاقة مقدرة مع الطرف الثاني على المستوى المكتوب، وينتج الطرف الأول مرادفاً هو (الطهارة)، وأما الطرف الثاني، فهو ينتج مجازاً، يتمثل في مفردة (الطهارة)، والاختلاف بين هذين الناتجين (الطرف الثالث والطرف الرابع) يأتي من أن الطرف الثالث هو رديف للطرف الأول على (الحقيقة) إذ إن صنيع هؤلاء النصارى يؤدي بهم إلى (الطهارة) حسب ما يعتقدون. وأما الطرف الرابع، فهو ليس رديفاً؛ لأنه لا يقوم على الحقيقة في ممارسة (الصبغ)، وذلك أن الله عز وجل لا يصبغ المسلمين على الحقيقة كما يفعل النصارى، ومن هنا جاء الناتج وهو المجاز. ويمكننا أن ندرك العلاقات في الطبيعة التركيبية للتماثل على ما تقدم كما في الصورة الآتية: إن العلاقة بين الطرفين: الثالث والرابع هي علاقة تماثلية سطحية ليست حقيقية؛

لأن كل طرف منها يأتي من جهة خاصة تقوم على إنتاجين مختلفين هما المرادف والمجاز، وكذلك تنشأ علاقة تقاطعية بين الطرف المخفي ومجاز الطرف الثاني، وبين الطرف الثاني المثبت في المستوى المكتوب ومرادف الطرف المخفي، وتقوم هذه العلاقة على التماثل السطحي في المعنى وليس الحقيقي للسبب نفسه الذي توفر في العلاقة بين الطرفين الثالث والرابع. ولهذا نجد أن الطبيعة التركيبية لمثل هذا التماثل لم تنته، وإنما تنتج علاقات جديدة تنشأ بين الطرفين الثالث والرابع، والعلاقة هي علاقة التضاد، ويمكننا أن ندرك نهاية الطبيعة التركيبية في الرسم الآتي:



إن الطرف الثالث (الطهارة) بارتباطه بالنصارى يمتد إلى مرادف آخر يرتبط به ارتباطاً وثيقاً وهو (الكفر). في حين إن الطرف الرابع (الطهارة) بارتباطه بالخالق عز وجل يمتد إلى مجاز آخر هو (الإيمان). وذلك أن هذين الطرفين الجديدين الخامس والسادس يكشفان عن حقيقة إنتاج المرادف والمجاز في الطرفين على الترتيب. ومن هنا نستطيع أن نتلمس العلاقة الجديدة التي ينتهي فيها التماثل، وهي علاقة التضاد التي تنشأ على المستوى الأفقي بين الطرفين الخامس والسادس من جهة وبين الرابع والخامس من جهة ثانية. وكذلك ناتج من سيطرة السياق على بنية التماثل، وفي هذه العلاقات تأتي الآية الكريمة إلى إنهاء الطبيعة التركيبية للتماثل. ونجد هنا أن ثمة فرقاً بين الطبيعة التركيبية التي تقوم على طرفي التماثل المذكورين في السياق وبين الطبيعة التركيبية التي تقوم على طرف مخفي (مقدر) وعلى طرف آخر مثبت في السياق.

مفاهيم متكاملة للتقابل والتماثل:

إن بعض أصحاب الدراسات البلاغية وضعوا مفاهيم متكاملة ومستقلة للتقابل والتماثل، ولهذا أفردت هنا مبحثاً خاصاً بهم، وهؤلاء هم: الزركشي، ونجم الدين بن الأثير، وضياء الدين بن الأثير، ويحيى بن حمزة العلوي، وسأتحدث عن مفهوم كل واحد منهم، ولم أعتمد الترتيب الزمني لهم في حديثي، وذلك أنني أخرت مفهومي ضياء الدين بن الأثير والعلوي لقرب مفهومهما من مفهومي للتقابل والتماثل، إذ إنني سأنطلق في مناقشة مفهومي من خلال مفهومهما.

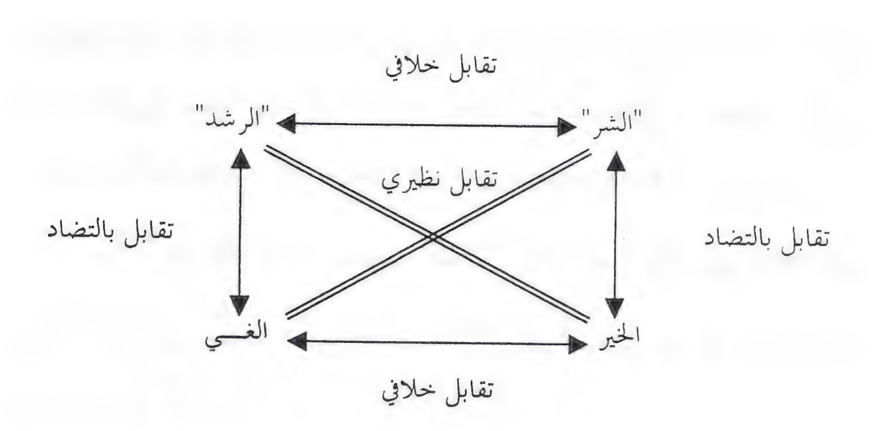
عند الزركشي (ت ٧٩٤هـ):

لقد تحدث الزركشي عن المقابلة في باب خاص بها منفصلة عن الطباق، وقد عرفها في قولـه: "وهي ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته، ويخالفه في بعضها، وهي من باب "المفاعلة"، كالمقابلة والمضاربة، وهي قريبة من الطباق"(١٨٣)، فالمقابلة لديه تشير إلى أن الكلمات المتوازية في بعض صفاتها من أساسيات المقابلة، ولا شك في أنها الكلمات التي تتماثل في صفاتها أو في بعضها، وكذلك يشير إلى أن الكلمات التي تتخالف في بعضها تابعة للمقابلة، ومن هنا جعل للمقابلة ثلاثة أنواع، يقول: "وهي ثلاثة: نظيري، ونقيضي، وخلافي، والخلافي أتمها في التشكيل، ألزمها بالتأويل والنقيض ثانيها، والنظيري ثالثها"(١٨٤).

ويقول في النظيري "مثال مقابلة النظيرين، مقابلة السنة والنوم في قولـه تعالى:"**لا تأخذه سنة ولا نوم**" لأنهما جميعاً من باب الرقاد المقابل باليقـظة"(١٨٥)، فالسنة والنوم من جنس واحد ويتناظران في المعنى ولا يتخالفان، ولا شك في أن هذا هو التماثل في المعنى لا من جهة اللفظ، وبذلك يكون النظيري لديه كل كلام يقابل كلاماً آخر ويتماثل في معناه كالحب والعشق مثلاً إذا تقابلا، لأنهما يلتقيان في جنس المعنى، وهذا هو التماثل بعينه.

وأما عن المقابلة بالنقيضين، فيقول: "وقولـه: "**وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود**"، وهذه هي مقابلة النقيضين أيضاً"(١٨٦). إن النقيضين في الآية هما اليقظة والرقود وهما، كما نرى، يقعان في تقابل التضاد.

وأما عن المقابلة الخلافية، فيقول: "ومثال مقابلة الخلافين، مقابلة الشر بالرشد في قولـــه تعالى: ﴿**وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً**﴾ فقابل الشر بالرشد؛ وهما خلافيان، وضد الرشد الغي، وضد الشر الخير، والخير الذي يخرجه لفظ الشر ضمناً نظير الرشد قطعاً، والغي الذي يخرجه لفظ الرشد ضمناً نظير الشر قطعاً، فقد حصل من هذا الشكل أربعة ألفاظ: نطقان وضمنان، فكان بهما رباعيان"(١٨٧). إن الزركشي في تحليله لهذه الآية وضع وصفاً دقيقاً للطبيعة التركيبية للتقابل الخلافي، إذ إن الشر يقابل الرشد وذلك على وجه المخالفة، وأشار إلى أن المقابلة الحقيقية بالتضاد لكل طرف هي كما يأتي: الشر يقابله ضده الخير، والرشد يقابله ضده الغي. وقد نظر إلى كل مقابل ضدي نظرة ثاقبة، بحيث أفرز تقابلا نظيرياً علاوة على التقابل الخلافي وذلك كما في الصورة الآتية: الشر يقابل الرشد بالتخالف، والخير (ضد الرشد) يقابل الرشد بالتناظر، والغي (ضد الشر) يقابل الشر بالتخالف، ويمكن أن نوضح هذه المتقابلات في الرسم الآتي:



ويمكننا أن نضيف إلى هذا التركيب تقابلاً خلافياً آخر ناتجاً عن مقابلات الشر والغي على مستوى العبارة، وهما: الخير والغي، بحيث يعيدان التقابل الخلافي مرة أخرى، كما نرى من الرسم.

إن هذه الأنواع الثلاثة من المقابلة هي التي جعلها الزركشي مفهوماً للتقابل والتماثل وإن كان قد عدد بعض أوجه للمقابلة عند بعض دراسي المقابلة بعد حديثه عن هذه الأقسام الثلاثة، فذكر أن بعض الدارسين قد قسموا المقابلة أربعة أقسام: الأول- أن يأتي الكاتب بكل واحد من المقدمات مع قرينه من الثواني. والثاني- أن يأتي بجميع الثواني مرتبة من أولها. والثالث- أن يأتي بجميع المقدمات، ثم تجمع الثواني مرتبة من آخرها، وهذا يسمى رد العجز على الصدر. والرابع- أن يأتي بجميع المقدمات، ثم بجميع الثواني مختلفة غير مرتبة. ويسمى هذا اللف[١٨٨]. وذكر كذلك أن بعضهم قسم التقابل إلى مقابلة الشيء بمثله، وهو ضربان: مقابلة في اللفظ دون المعنى، ومقابلة في المعنى دون اللفظ[١٨٩].

عند نجم الدين بن الأثير (ت ٨٣٧هـ):

تحدث ابن الأثير عن المقابلة، فعرفها في قوله: "فأما حد المقابلة: فهو أن تكون اللفظة مقابلة لأختها ومعناهما مختلف"[١٩٠]. فالأساس في المقابلة عند ابن الأثير هو الاختلاف في المعنى بين المتقابلات. ويدخل ضمن هذا التعريف أقساماً ثلاثة، يقول: "والمقابلة تنقسم إلى ثلاثة أقسام: مقابلة الشيء بضده أو بغيره، أو بمثله"[١٩١] وقد أتى بأمثلة على كل قسم، فأما القسم الأول وهو مقابلة الشيء بضده، فقد ضرب أمثلة منها، قوله تعالى: ﴿**مثل الفريقين**

﴿كالأعمى والأصم والبصير والسميع﴾[١٩٢]. وقد علق عليها في قولـه: "وهذه الآية الكريمة فيها بحث دقيق يتعلق بعلم البيان، وذلك أن القائل أن يقول: لم لا قيل مثل الفريقين كالأعمى والبصير والأصم والسميع، تكون المقابلة في لفظة الأعمى وضده البصير، والأصم وضده السميع. وقد أجيب عن ذلك بأنه تعالى لما ذكر انسداد البصر اتبعه بانسداد السمع، وضد ذلك لما ذكر انفتاح البصر اتبعه بانفتاح السمع"[١٩٣] فتقابل التضاد هنا يقع بين الأعمى والبصير، وبين الأصم والسميع.

أما عن مقابلة الشيء بغيره، فيقول: "وأما مقابلة الشيء بغيره فكقول القائل:

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة وعن إساءة أهل السوء إحساناً

فقابل الظلم بالمغفرة وليست ضداً لها، وإنما ضد الظلم العدل، لكنها لما كانت المغفرة متضمنة معنى العدل من حيث استشعار عدم المؤاخذة، حسنت المقابلة بذلك"[١٩٤]، فالتقابل هنا، كما نرى، يقع بين الظلم والمغفرة، وهو تقابل التخالف بعينه الذي تحدثنا عنه في الطباق.

وأما عن القسم الثالث، فيقول: "وأما مقابلة الشيء بمثله، كقولـه تعالى: ﴿نسوا الله فنسيهم﴾، وكقولـه تعالى: ﴿ومكروا ومكر الله﴾ وقد تكون المقابلة في اللفظ والمعنى، وفي المعنى دون اللفظ؛ وأما مقابلة اللفظ والمعنى فكما قدمناه من الشواهد، وأما مقابلة المعنى دون اللفظ فكقولـه تعالى: ﴿أو لم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً﴾ فإنه لم يراع التقابل اللفظي بين قولـه: ﴿ليسكنوا فيه﴾ وقولـه: ﴿مبصراً﴾ فإن القياس أن يكون قبالة السكون

الحركة، وقبالة الإبصار الظلمة"[١٩٥]. يبدو لي أن ابن الأثير قد وقع في هذا القسم بما يخالف تحديده لمفهوم المقابلة، إذ كان قد أشار إلى اختلاف المعنى في المتقابلات، ولكنه أشار هنا إلى أن قولـــه تعالى: ﴿ومكروا ومكر الله﴾ يقع في تماثل اللفظ والمعنى، والحقيقة أن المعنى في الآية مختلف إذ إن مكر الإنسان يقع من جهة الذنب والخطيئة في حين إن مكر الله يقع من جهة الجزاء والعقاب، وما جاء التماثل في اللفظ إلا للمشاكلة، بحيث يكون الجزاء من جنس العمل، فالمعنى إذن مختلف، وإن تماثل اللفظان في المتقابلين، وأما مثاله في الآية الكريمة لتقابل المعنى دون اللفظ، فقد حقق فيه ما ذهب إليه من التعريف.

عند ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ):

يبدو أن ابن الأثير قد تميز في فهمه للمقابلة من غيره من أصحاب المفاهيم المتكاملة للتقابل والتماثل وذلك أنه جمع إلى المقابلة أنواع المطابقة التي عرفناها في مكانها من هذا الفصل، علاوة على نوع آخر من أنواع البديع، فكيف نظر إلى مفهوم المقابلة؟

يعرف ابن الأثير المقابلة بعدما ناقش مصطلح المطابقة عند أرباب صناعة البديع، يقول: "الأليق من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع المقابلة، لأنه لا يخلو الحال من وجهين، إما أن يقابل الشيء بضده، أو يقابل بما ليس بضده، وليس لنا وجه ثالث"[١٩٦]. فهو ينظر إلى المقابلة من جهتين الأولى مقابلة الأضداد، والأخرى مقابلة غير الأضداد.

وقد تناول في الجهة الأولى ما تضمنه مفهوم المطابقة عند أصحاب الدراسات البلاغية، أي التضاد اللفظي والتضاد المعنوي، وهو يشير إلى هذا في

قولــه: "فأما الأول وهو مقابلة الشيء بضده كالسواد والبياض وما جرى مجراهما فإنه ينقسم قسمين: أحدهما مقابلة في اللفظ والمعنى فكقولــه تعالى: {فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً} فقابل بين الضحك والبكاء والقليل والكثير... وأما المقابلة في المعنى دون اللفظ في الأضداد فكما جاء منه قول المقنع الكغدي من شعراء الحماسة:

لهم جل مالي إن تتابع لي غنى وإن قل مالي لم أكلفهم رفدا

فقولــه: تتابع لي غنى بمعنى قولــه كثر مالي، فهو إذا مقابلة من جهة المعنى لا من جهة اللفظ، لأن حقيقة الأضداد اللفظية إنما هي في المفردات من الألفاظ نحو قام وقعد وحل وعقد ... فإذا ترك المفرد من الألفاظ وتوصل إلى مقابلته لفظ مركب كان ذلك مقابلة معنوية لا لفظية، فاعرف ذلك[١٩٧]، فالتضاد اللفظي كما وقع بين ليضحكوا وليبكوا، وبين قليل وكثير، وأما التضاد المعنوي فهو الذي تم بين تتابع لي غنى الذي يعني كثر مالي وبين قل مالي.

أما الجهة الثانية، وهي مقابلة الشيء بما ليس بضده، فقد قسمها ضربين: الأول المقابلة بين شيئين لا يتماثلان، وقد قسم هذا الضرب قسمين، يقول: "فالضرب الأول يتفرع إلى فرعين: الأول: ما كان بين المقابل والمقابل نوع مناسبة وتقارب، كقول قريط بن أنيف:

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحساناً

فقابل الظلم بالمغفرة، وليس ضداً لها، وإنما هو ضد العدل، إلا أنه لما كانت المغفرة قريبة من العدل، حسنت المقابلة بينها وبين الظلم... النوع الثاني: ما كان بين المقابل والمقابل به بعد، وذاك مما لا يحسن استعماله كقول أم

النحيف وهو سعد بن قرط وقد تزوج امرأة كانت نهته عنها فقالت من أبيات تذمها فيها:

تربّص بها الأيام علّ صروفها   سترمي بها في جاحم مُستعمر

فكم من كريم قد مناه إلـــهه   بمذمومة الأخلاق واسعة الحر

فقولـــها بمذمومة الأخلاق واسعة الحر من المقابلة البعيدة، بل الأولى أن كانت قالت بضيقة الأخلاق واسعة الحر، حتى تصح المقابلة(١٩٨). لاشك في أن النوع الأول هو تقابل التخالف الذي رأيناه في الطباق، وذلك أن الظلم لا يقابل المغفرة على الحقيقة، وإنما يقابله العدل وهذا يقع في إطار التخالف، ويجعل ابن الأثير المناسبة والتقارب علة لهذا التقابل، كما نرى. وأما النوع الثاني، فهو الذي تتقابل فيه المتقابلات من غير مناسبة أو تقارب، وقد نعته قدامة بفساد المقابلة، كما عرفنا فيما تقدم.

لقد أدخل ابن الأثير نوعاً آخر من التقابل في هذا الضرب، وهو المؤاخاة بين المعاني وبين المباني، يقول: "ومما يتصل بهذا الضرب ضرب من الكلام يسمى المؤاخاة بين المعاني والمؤاخاة بين المباني، وكان ينبغي أن نعقد له باباً منفرداً، لكنا لما رأيناه ينظر إلى التقابل من وجه وصلناه به.

أما المؤاخاة بين المعاني فهو أن تذكر المعنى مع أخيه، لا مع الأجنبي، مثاله أن تذكر وصفاً من الأوصاف وتقرنه بما يقرب منه ويلتئم به، فإن ذكرته مع ما يبعد منه كان قدحاً من الصناعة، وإن كان جائزاً، فمن ذلك قول الكميت:

أم هل ظعائن بالعلياء رافعة   وإن تكامل فيها الدل والشنب

فإن الدل يذكر مع الغنج، وما أشبهه، والشنب يذكر مع اللمس وما أشبهه... وأما المؤاخاة بين المباني فإنه يتعلق بمباني الألفاظ، فمن ذلك قول أبي تمام في وصف الرماح:

مثقفات سلبن العرب سمرتها والروم زرقتها والعاشق القصفا

وهذا البيت من أبيات أبي تمام الأفراد، غير أن فيه نظراً، وهو قوله العرب، والروم، ثم قال العاشق، ولو صح أن يقول العشاق لكان أحسن، إذ كانت الأوصاف تجري على (نهج) واحد، وكذلك قوله سمرتها وزرقتها، ثم قال القصفا، وكان ينبغي أن يقول قصفها أو دقتها"[199]. ولاشك في أنه يعني بالمؤاخاة هنا الملاءمة بين الكلمات المتقابلة، بحيث تكون في المعنى، كما هي الحال في الدل التي تلائم الشنب، وفي المبنى بحيث لاءم أبو تمام بين العرب والروم، وسمرتها وزرقتها، إلا أنه لم يلائم بين العرب والروم من حيث الجمع، وبين العاشق المفرد، وبين سمرتها وزرقتها من حيث ارتباط الضمير بهما، وبين القصف لخلوه من الضمير، ويبدو لي أن ابن الأثير قد أقحم هذا النوع من البناء البديعي في المقابلة، فكان عليه أن لا يدخله فيها، وإن كان قد أشار في حديثه إلى اختلاف هذا البناء عن المقابلة.

وأما الضرب الثاني من مقابلة الشيء بما ليس بضده فهو مقابلة بين المتقابلات، وقد نظر إليه من زاوية الإفراد بين الكلمات، والتركيب بين الجمل، يقول: "الضرب الثاني في مقابلة الشيء مثله وهو يتفرع إلى فرعين: أحدهما مقابلة المفرد بالمفرد. والآخر مقابلة الجملة بالجملة النوع الأول كقوله تعالى: ﴿نسوا الله فنسيهم﴾ وكقوله: ﴿ومكروا مكراً ومكرنا مكراً﴾ وقد روعي هذا الموضوع في القرآن الكريم كثيراً، فإذا ورد في صدر آية من الآيات ما يحتاج إلى

جواب كان جوابه مماثلاً كقولـــه تعالى: ﴿من كفر فعليه كفره﴾[٢٠٠]. لاشك في أن ما عناه بمقابلة المفرد للمفرد واضح هنا، إذ إن تقابل مكروا مكراً بمكرنا مكراً ظاهر، وهو تقابل المفرد بالمفرد من جهة المماثلة وكذلك الحال قابل في الآية الثانية الكفر بالكفر، وأما عن مقابلة الجملة بالجملة، فيقول: "اعلم أنه إذا كانت الجملة من الكلام مستقبلة قوبلت بمستقبلة، وإن كانت ماضية قوبلت بماضية، وربما قوبلت الماضية بالمستقبلة، والمستقبلة بالماضية، إذ كانت إحداهما في معنى الأخرى، فمن ذلك قولـــه تعالى: ﴿قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي، وإن اهتديت فيما يوحي إلي﴾ فإن هذا تقابل من جهة المعنى، ولو كان التقابل من جهة اللفظ لقال وإن اهتديت فإنما أهتدي لها.

وبيان تقابل هذا الكلام من جهة المعنى هو أن النفس كل ما عليها فهو بها، أعني أن كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بسببها ومنها، لأنها الأمارة بالسوء، وكل ما هو لها ما ينفعها، فبهداية ربها وتوفيقه إياها"[٢٠١]. إنه هنا يلتفت إلى موضوع الزمن في تقابل الجمل، وذلك أنه أشار إلى الزمن الماضي والزمن المستقبل بحيث يقابل الماضي بالماضي والمستقبل بالمستقبل، وقد يقابل الماضي بالمستقبل والمستقبل بالماضي، ولعل هذا الالتفات إلى الزمن يقع في إطار التماثل من جهة الزمن بين الجمل المتماثلة، ولو نظرنا إلى الآية الكريمة التي أتى بها، لأدركنا أنه ينظر إلى تقابل الجمل من زاويتين الأولى المماثلة في اللفظ، كما هو وارد في المقابلة بين قولــــه (إني ضللت) وقولـــه (فإنما أضل على نفسي)، ففي هذا التقابل باللفظ، وأما الزاوية الثانية فهي المماثلة في المعنى، كما هو وارد في المقابلة بين (وإن اهتديت) وقولـــه (فبما يوحي إلي ربي)، فالجملة الثانية تتقابل مع الجملة الأولى من جهة المعنى، وذلك أن الجملة الثانية تشير إلى الهداية ولكن الهداية هنا من جهة الخالق عز وجل.

هكذا إذن، ينظر ابن الأثير إلى المقابلة من منظار واسع أدخل فيه بعض أنواع الطباق وأضاف إليه التماثل بالمفردات والجمل، وأعني بأنواع الطباق اللفظي والمعنوي وطباق المخالفة.

عند يحيى بن حمزة العلوي اليمني (ت ٧٤٥هـ):

تناول العلوي موضوع مصطلح التطبيق وناقشه وخلص إلى أن المقابلة أجود بمعناها من التطبيق وغيره لهذا الموضوع، يقول: "والأجود تلقيبه بالمقابلة، لأن الضدين يتقابلان، كالسواد والبياض، والحركة والسكون، وغير ذلك من الأضداد من غير حاجة إلى تلقيبه بالطباق والمطابقة، لأنهما يشعران بالتماثل"[٢٠٢]. وقد قسم المقابلة أربعة أضرب، يقول: "فنذكر كيفية التقابل في الكلام، لأن الشيء ربما قوبل بضده لفظاً، وربما قوبل بضده من جهة المعنى، وتارة يقابل المخالفة، ومرة يقابل بما يماثله، فهذه ضروب أربعة لابد من تقريرها وتفصيلها بمعونة الله تعالى"[٢٠٣]. نلحظ أن العلوي قد جعل للمقابلة أقساماً واضحة ومفصلة. فكيف فهم كل ضرب من هذه الأضرب الأربعة.

أما عن الضرب الأول وهو مقابلة الشيء بضده في اللفظ، فيقول: "الضرب الأول في مقابلة الشيء بضده: من جهة لفظه ومعناه ومثاله قوله تعالى: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي**﴾ فانظر إلى هذا التقابل العجيب في هذه الآية ما أحسن تأليفه وأعجب تصريفه، فلقد جمع فيه بين مقابلات ثلاث، الأول منها مأمور بها والثلاث التوابع منهي عنها، ثم هي فيما بينها متقابلة أيضاً... ومنه قوله تعالى: ﴿**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً**﴾ فقابل الأمر بالنهي وهما ضدان"[٢٠٤]. لعلنا

ندرك أن العلوي في هذا الضرب يعتمد على تقابل التضاد اللفظي، فكلمة يأمر تتضاد مع كلمة ينهى، ويدخل فيه كذلك الأمر والنهي فالضرب الأول عند العلوي يجمع تقابل التضاد بين الألفاظ وتقابل السلب والإيجاب من جهة الأمر والنهي.

وأما عن الضرب الثاني وهو مقابلة الشيء بضده في المعنى، فيقول: "الضرب الثاني في مقابلة الشيء بضده من جهة معناه دون لفظه، ومثاله قولـه تعالى: ﴿ **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً** ﴾ فقولـه يهدي ويضل من باب الطباق اللفظي، وقولـه يشرح صدره مع قولـه يجعل صدره ضيقاً حرجاً من الطباق المعنوي، لأن المعنى بقولـه يشرح يوسعه بالإيمان ويفسحه بالنور حتى يطابق قولـه ضيقاً حرجاً... ومن ذلك ما قاله البحتري:

يقيض لي من حيث لا أعلم النوى ويسري إلى الشوق من حيث أعلم

فقولـه: أعلم مطابق لقولـه (لا أعلم) من جهة معناه، لأن معناه من حيث أجهل"[(٢٠٥)] إن العلوي هنا يشير إلى التضاد المعنوي بين المتقابلات، إذ أشار إلى أن كلمة (يشرح) تتضاد بمعناها مع كلمة (ضيقاً)، وهذا تضاد من جهة المعنى، ونلحظ أنه أدخل تقابل السلب والإيجاب، وذلك من خلال كلمة (لا أعلم) التي تعني أجهل وكلمة (أعلم). هذا تقابل بين السلب والإيجاب كما عرفنا في هذا الفصل.

وأما عن الضرب الثالث، وهو مقابلة الشيء بمخالفه، فيقول: "الضرب الثالث في مقابلة الشيء بما يخالفه من غير مضادة وذلك يأتي على وجهين، الأول منهما أن يكون أحدهما مخالفاً للآخر، خلا أن بينهما مناسبة، وهذا نحو

قولـــه تعالى: ﴿إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يفرحوا بها﴾ فالمصيبة مخالفة للحسنة من غير مضادة، إلا أن المصيبة لا تقابل الحسنة، وإنما تقابل السيئة، لأن كل مصيبة سيئة، وليس كل سيئة مصيبة، فالتقارب بينهما من جهة العموم والخصوص... الوجه الثاني ما لا يكون بينهما مقاربة وبينهما بعد لا يتقاربان، ولا مناسبة بينهما، ومثاله ما قاله أبو الطيب المتنبي:

لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها   سرور محب أو إساءة مجرم

فالمقابلة الصحيحة أن تكون بين محل ومبغض، لا بين محل ومجرم، فإن بين المحب والمجرم تباعداً كثيراً فإن ليس كل من أجرم إليك مبغض لك"[٢٠٦] إن التقابل هنا يتم بين نوعين من المتقابلات الأولى ما كان بينها مناسبة، والأخرى ما لم يكن بينها مناسبة. فمثال الأولى؛ المصيبة والحسنة، وهما ليسا متضادين، وإنما متخالفان، إذ إن الحسنة تتضاد مع السيئة وليست مع المصيبة ومثال الثاني: المحب والإساءة وهما ليسا متضادين، وإنما متخالفان، إذ إن المحب يتضاد مع المبغض وليس مع المجرم.

وأما عن الضرب الرابع، وهو مقابلة الشيء بمثله، فيقول: "الضرب الرابع المقابلة للشيء بما يماثله: وذلك يكون على وجهين؛ الوجه الأول منهما مقابلة المفرد بالمفرد، وهذا كقولـــه تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ وقولـــه تعالى: ﴿والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها﴾ وغير ذلك من الأمور المفردة وإنما أوردنا ما ذكرناه في أمثلة المفردات لأن كل ما ذكرناه في الأمثلة إما مبتدأ وخبر كقولـــه تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ وأما شرط ومشروط كقولـــه تعالى: ﴿من كفر فعليه كفره﴾ وكله معدود في حيز المفردات، فلهذا

عددناه في قسم المفرد، فضابط المماثلة أن كل كلام كان مفتقراً إلى الجواب، فإن جوابه يكون مماثلاً كما قررناه، وإن كان غير جواب جاز وروده من غير مماثلة لفظية... الوجه الثاني مقابلة الجملة بالجملة وهذا كقولـــه تعالى: ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾ وقولـــه تعالى: ﴿ومكروا مكراً ومكرنا مكراً﴾ وقولـــه تعالى: ﴿قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي﴾ والجمل الشرطية متعددة بين عدها في باب المفرد والجملة، فإن عدت في المفردات فلأنها وإن كانت جملاً لكنها قد نقصت عن الاستقلال بعقد حرف الشرط لها عقداً واحداً، وإن عدت في الجملة فلأن الظاهر من الشرط والجزاء جملتان، فلما كان الأمر كما قلنا، جاز فيها الوجهان، وقد تكون الجملتان ماضيتين، أو مضارعتين، أو تكون الأولى مضارعة والثانية ماضية، وبالعكس من هذا"[٢٠٧].

إن العلوي يحدد مقابلة المفرد بالمفرد من خلال إطار الجملة التي تتكون من مبتدأ وخبر متماثلين أو جملة شرطية فيها الشرط وجواب الشرط متماثلان ففي قولـــه تعالى: ﴿والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها﴾ يتماثل المبتدأ جزاء سيئة مع الخبر بمثلها، وفي الآية: ﴿من كفر فعليه كفره﴾ يتماثل الشرط (كفر) مع جواب الشرط (فعليه كفره) وأما مقابلة الجملة بالجملة، فهو يخرج عن هذا الإطار بحيث تكون الجمل مكتملة من حيث الإسناد، ومتقابلة بالتماثل كقولـــه تعالى: ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾ إذ كانت الجملة الأولى (مكروا) والجملة الثانية (ومكر الله). ولكنه جعل جملة الشرط مترددة بين الأفراد والتركيب، فقد أجاز أن يكون مقابلة المفرد بالمفرد على أساس أنها جملة واحدة أو مقابلة الجملة بالجملة على أساس أن الشرط جملة والجواب جملة أخرى.

بعد أن عرضنا لمفهومي ابن الأثير والعلوي، لابد أننا أدركنا مدى التشابه بين المفهومين وليس من شك في أن العلوي قد أفاد من ابن الأثير الذي تقدم عليه زمنياً في نظراته إلى المقابلة. وبالرجوع إلى مفهوم كل واحد منهما لأضرب المقابلة نستطيع أن نرصد الملاحظات الآتية:

أولاً - لم يتحدث ابن الأثير عن قضية النهي والأمر، التي تشكل جزءاً من مفهوم السلب والإيجاب في الطباق، في مفهومه للمقابلة. في حين أن العلوي أدخل هذه القضية في الضرب الأول، لأنه وجد أن هذا الأسلوب مناسب لهذا الضرب.

ثانياً - لم يتحدث ابن الأثير عن قضية السلب والإيجاب في مفهومه، بينما نجد العلوي يدخلها في الضرب الثاني وهو التقابل المعنوي.

ثالثاً - إن ابن الأثير كان قد ألحق المؤاخاة في المعاني والمؤاخاة في المباني في الضرب الأول من الجهة الثانية، وهي مقابلة الشيء بما ليس بضده في حين أن العلوي استبعدها من المقابلة في مفهومه.

رابعاً - إن ابن الأثير لم يحدد الفرق بين مقابلة المفرد بالمفرد والجملة بالجملة، في حين نجد العلوي قد حددها في قواعد واضحة تعتمد على المبتدأ والخبر والشرط والجزاء في المفرد، وعلى عطف الجمل المكتملة في الإسناد في تقابل الجملة بالجملة.

من هذه الملاحظات، نرى أن العلوي قد نظر في مفهوم ابن الأثير، وقد عدل عليه، ونقحه، بحيث أخرجه لنا مفهوماً واضح الحدود في قواعد مضبوطة وخصوصاً للتماثل كما رأينا.

لاشك في أننا أدركنا بعد هذا الحديث أن الطباق والمقابلة يمكن لنا أن نجمعهما تحت مفهوم واحد هو التقابل: وذلك لما يتوفر في كل واحد منهما المعنى الضمني للتقابل، فالطباق يعتمد أصلاً على تقابل الألفاظ أو تقابل الألفاظ بالتراكيب أو تقابل التركيب بالتركيب، وأن المقابلة تستوعب هذه الأقسام التي تظهر في الطباق وتقوم عليها.

أستطيع أن أخلص إلى مفهوم التقابل والتماثل الذي أعتمد عليه في دراستي للقرآن الكريم، ولابد من الإشارة هنا إلى أن مفهومي ضياء الدين بن الأثير ويحيى ابن حمزة العلوي يشكلان الأساس الذي انطلق منه لمفهومي الخاص للتقابل والتماثل، وكما أرى، أنهما وضع لغوي يتركب من عناصر لغوية تقوم في الأصل على المواجهة فيما بينهما سواء مواجهة التقابلات أو التخالفات أو التماثلات، وقد تكون العناصر اللغوية بسيطة كتقابل الضدين أو المتخالفين أو المتماثلين، وقد تكون مركبة كتقابل الجملة بالجملة أو مجموعة من الجمل بمجموعة أخرى من الجمل.

ويمكننا أن نضع هذا المفهوم في ثلاثة أنماط هي:

أولاً- النمط البسيط:

يتكون هذا النمط من:

أ- تقابل التضاد اللفظي:

وهو يتكون من كلمة تقابل أخرى من جهة التضاد في اللفظ والمعنى، ويدخل ضمن هذا التقابل ما كان من جهة النفي أو الأمر والنهي، على أن تكون الكلمتان متضادتين في الأصل قبل دخولهما سياق التركيب.

ب- تقابل التضاد المعنوي:

وهو يتكون من كلمة تقابل أخرى من جهة التضاد في المعنى، ويدخل ضمنه ما كان من جهة النفي فقد تكون الكلمتان من أصل واحد قبل دخولهما سياق التركيب، أو من كلمتين متضادتين في الأصل قبل دخولهما السياق.

ج- تقابل التخالف:

وهو يتكون من كلمة تقابل أخرى من جهة التخالف لا التضاد.

د- التماثل:

وهو يتكون من مفرد يتماثل مع مفرد كالمبتدأ والخبر من جهة التماثل اللفظي أو المعنوي.

ثانياً- النمط المركب:

يتكون هذا النمط من:

أ- تقابل التضاد المعنوي:

وهو يتكون من كلمة تقابل تركيباً من جهة المعنى المضاد. أو من تركيب يقابل تركيباً من جهة المعنى المضاد.

ب- التماثل:

وهو يتكون من تركيب يجاور تركيباً من جهة التماثل، إما في اللفظ أو المعنى، كجملتي الشرط والجواب في الجمل الشرطية، أو جملتين مكتملتي الإسناد تتماثلان من جهة اللفظ أو المعنى.

ثالثاً- النمط المعقد:

وهو نمط يجمع أشكال التداخل بين التقابلات والتخالفات والتماثلات بحيث يجمع أكثر من نمط من النمطين السابقين في أقسامهما.

الهوامش

١- كتاب العين، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد (١٩٨٢) ج٥، ص١٦٦.

٢- المثلث، تحقيق: صلاح مهدي علي الفرطوسي، دار الحرية للطباعة، بغداد (١٤٠١هـ-١٩٨١م)، ج٢، ص٢٩٢.

٣- معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط٢، (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، مادة (ق ب ل).

٤- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تحقيق: مراد كامل، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط٢ (١٣٩٠هـ-١٩٧٠م) ج٦ ص٢٦٣.

٥- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت- لبنان، دون تاريخ، مادة (ق ب ل).

٦- الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفار عطار، الشركة اللبنانية للموسوعات العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، (١٣٧٧هـ-١٩٥٨م) مادة (ق ب ل).

٧- لسان العرب، مادة (ق ب ل).

٨- كتاب العين، ج٥، ص١٠٩.

٩- معجم مقاييس اللغة، مادة (ط ب ق).

١٠- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، ج٦، ص١٨٧.

١١- الصحاح، مادة (ط ب ق).

١٢- لسان العرب، مادة (ط ب ق).

١٣- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، ج٦، ص١٧٩.

١٤- الصحاح، مادة (ط ب ق).

١٥- كتاب العين، ج٥، ص١٠٩.

١٦- معجم مقاييس اللغة، مادة (ط ب ق)، كذا وردت كلمة (متطابقتين).

١٧- لسان العرب، مادة (ط ب ق).

١٨- المصدر السابق، مادة (ط ب ق).

١٩- معجم مقاييس اللغة، مادة (ط ب ق).

٢٠- أساس البلاغة، مطبعة دار الكتب- القاهرة، ط٢ (١٩٧٣م) ج٢، ص٦١.

٢١- معجم مقاييس اللغة، مادة (ك ف ء).

٢٢- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، ج٧، ص٧٠.

٢٣- الصحاح، مادة (ك ف ء).

٢٤- لسان العرب، مادة (ك ف ء).

٢٥- كتاب العين، ج٥، ص٤١٤.

٢٦- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، ج٧، ص٧٠.

٢٧- الصحاح، مادة (ك ف ء).

٢٨- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، ج٧، ص٧١.

٢٩- لسان العرب، مادة (ك ف ء).

٣٠- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، ج٧، ص٧١.

٣١- إصلاح المنطق، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، ط٤، (١٣٧٥هـ-١٩٥٦م)، ص٢٨.

٣٢- معجم مقاييس اللغة، مادة (ض د د).

٣٣- لسان العرب، مادة (ض د د).

٣٤- المصدر السابق، مادة (ض د د).

٣٥- معجم مقاييس اللغة، مادة (ض د د).

٣٦- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، ج٦، ص١١١.

٣٧- لسان العرب، مادة (ن ق ض).

٣٨- معجم مقاييس اللغة، مادة (خ ل ف).

٣٩- لسان العرب، مادة (خ ل ف).

٤٠- المحكم والمحيط الأعظم، ج٥، ص١٢٣.

٤١- الصحاح، مادة (خ ل ف).

٤٢- العباب الزاخر واللباب الفاخر، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار الرشيد للنشر، بغداد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام (١٩٨١م)، مادة (خ ل ف).

٤٣- لسان العرب، مادة (خ ل ف).

٤٤- المثلث، ج٢، ص١٥٣.

٤٥- لسان العرب، مادة (م ث ل).

٤٦- كتاب العين، ج٥، ص٢٩٥-٢٩٦.

٤٧- المثلث، ج٢، ص٤٤٤.

٤٨- لسان العرب، مادة (ش ك ل).

٤٩- مواد البيان، تحقيق: الدكتور حسين عبد اللطيف، طرابلس- جامعة الفاتح، سنة (١٩٨٢م)، ص٢٧٩.

٥٠- البقرة: ٢/٢٢.

٥١- الإتقان، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، ج٣، ص٢٨٤.

٥٢- كتاب البديع، اعتنى بنشره: كراتشقوفسكي، دار المسيرة، بيروت، ط٢ (١٤٠٢هـ-١٩٧٢)، ص٢٦.

٥٣- العمدة، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، دون تاريخ، ج٢، ص٧.

٥٤- المصدر السابق، ج٢، ص٦.

٥٥- تأويل مشكل القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط٢ (١٣٩٣هـ-١٩٧٣م)، ص١٥٨.

٥٦- الكامل، المبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، والسيد شحاته، دار نهضة مصر للطبع والنشر، مطبعة نهضة مصر بالفجالة، دون تاريخ، ج ٢، ص١٤.

٥٧- المصدر السابق، ج٢، ص١٤، هامش ١.

٥٨- قواعد الشعر، تحقيق: الدكتور رمضان عبد التواب، دار المعرفة، القاهرة (١٩٦٦م)، ص٦٢.

كذا وردت (هنيئاً) في الكتاب وقد أشار المحقق إلى البيت في الهامش وطابقه برواية الديوان ولم يشر إلى اختلاف الرواية بين الديوان

والكتاب، ورواية الديوان هي (يميناً) ولعل السبب في ذلك راجع إلى خطأ طباعي، انظر لتصحيح الرواية شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة ثعلب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية سنة (١٢٦٣ هـ-١٩٤٤م)، الهيئة العامة للكتاب، والدار القومية للنشر، القاهرة، ص١٤.

٥٩- قواعد الشعر، ص٦٤-٦٥.

٦٠- أثر النحاة في البحث البلاغي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، دون تاريخ، ص٢٢٦-٢٢٧.

٦١- العمدة، ج٢، ص٦.

٦٢- مواد البيان، ص٣٠٨.

٦٣- ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق: مصطفى السقا وصاحبيه، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، دون تاريخ، ج١، ص١٦١.

٦٤- يتيمة الدهر، تحقيق: المرحوم محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط٢، سنة (١٣٩٣هـ-١٩٧٣م) ج١، ص١٣٧.

٦٥- معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط٣ (١٤٠٢هـ-١٩٨٣م)، ج١، ص١١٦-١١٧.

٦٦- تأويل مشكل القرآن، ص٢٧٧.

٦٧- الصاحبي، تحقيق: السيد أحمد صقر، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، دون تاريخ، ص٣٨٥.

٦٨- مواد البيان، ص٢٣٦-٢٣٧.

٦٩- الحجة، تحقيق: علي النجدي ناصف ورفيقه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، ج١، ص٢٣٦.

٧٠- أثر النحاة في البحث البلاغي، ص١٦٤.

٧١- المرجع السابق، ص٢٣٥-٢٣٦.

٧٢- انظر دراسات بلاغية ونقدية، الدكتور أحمد مطلوب، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر (١٩٨٠م) ص١٥ وما بعدها.

٧٣- كتاب المقولات، ابن سينا، تحقيق الأب جورج قنواتي ورفاقه، القاهرة (١٩٥٩م) ص٥٥، وكتاب المبين، الآمدي (ت ٦٣١هـ) تحقيق: عبد الأمير الأعسم، دار المناهل-بيروت، ط١ (١٤٠٧هـ-١٩٨٧) ص١٢٠، وتلخيص ما وراء الطبيعة، ابن رشد (ت ٥٩٥هـ) تحقيق: الدكتور عثمان أمين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي-القاهرة (١٩٥٨م) ص٢٣.

٧٤- كتاب المقولات، ص٢٤١.

٧٥- البصائر النصيرية، تحقيق المرحوم الشيخ محمد عبده، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح بميدان الأزهر بمصر، مطبعة الصاوي بالقاهرة، دون تاريخ ص٦٥.

٧٦- العبارة، تحقيق محمود الخضيري، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، دون تاريخ ص٣٤.

٧٧- البصائر النصيرية، ص٦٦.

٧٨- النجاة، نشره محيي الدين صبري الكردي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢ (١٣٥٧هـ-١٩٣٨م) ص٢٦.

٧٩- العبارة، ص٢٤-٢٥.

٨٠- كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، طهران بالمطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر (١٣٠٦هـ) ص٨٦.

٨١- كتاب التعليقات، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن بدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة (١٣٩٢هـ-١٩٧٣م) ص٤٤.

٨٢- كتاب الجدل، تحقيق وتقديم: الدكتور رفيق العجم، دار الشروق-بيروت، (١٩٨٦م) ص٢١.

٨٣- كتاب العبارة، ص٤٦-٤٧.

٨٤- كتاب التعليقات، ص٤٤.

٨٥- المصدر السابق، ص٧٥.

٨٦- تلخيص ما وراء الطبيعة، ص١١٠.

٨٧- المصدر السابق، ص٢٣.

٨٨- كتاب التعريفات، ص٥٩.

٨٩- البصائر النصيرية، ص٦٦.

٩٠- المصدر السابق، ص٦٦-٦٧.

٩١- الكليات، تحقيق الدكتور عدنان درويش، والدكتور محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي-دمشق (١٩٨٢م) ج٣/ص١٤٠.

٩٢- كتاب المبين، ص١٢٠.

٩٣- كتاب المقولات، ص٢٦٤-٢٦٥.

٩٤- البصائر النصيرية، ص٦٧-٦٦.

٩٥- كتاب الجدل، ص٢١.

٩٦- كتاب العبارة، ص٤٣.

٩٧- النجاة، ص٢٧.

٩٨- البصائر النصيرية، ص١٢٢.

٩٩- كتاب المبين، ص٦٣.

١٠٠- التعليقات، ص٣٥.

١٠١- تلخيص ما وراء الطبيعة، ص٢٤.

١٠٢- سنلحظ هذا في تناولنا للتضاد اللفظي والمعنوي والسلب والإيجاب في الصفحات القادمة من هذا الفصل.

١٠٣- الفروق اللغوية، تحقيق حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية- بيروت، (١٤٠١هـ-١٩٨١م) ص١٢٩.

١٠٤- عروس الأفراح، ضمن كتاب شروح التلخيص، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر (١٩٣٧م) ج٤ ص٢٨٦.

١٠٥- المختصر، ضمن كتاب شروح التلخيص، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر (١٩٣٧م) ج٤ ص٢٨٦-٢٨٧.

١٠٦- المترع البديع، تحقيق علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط-المغرب، ط١ (١٤٠١هـ-١٩٨١م) ص٣٣٥.

١٠٧- مواهب الفتاح، ضمن كتاب شروح التلخيص، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر (١٩٣٧م) ج٤/ص٢٨٦-٢٨٧.

١٠٨- نقد الشعر، تحقيق: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية-القاهرة، ط١ (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) ص١٤٧-١٤٨.

١٠٩- الموازنة، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المسيرة (١٣٦٣ هـ-١٩٤٤م) ص٢٥٤.

١١٠- انظر مواد البيان، علي بن خلف الكاتب، ص٣٠٧.

١١١- كتاب الصناعتين، تحقيق: الدكتور مفيد قميحة، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١ (١٤٠١هـ-١٩٨١م) ص٣٢٩.

١١٢- العمدة، ج٢/ص١٠.

١١٣- سر الفصاحة، شرح وتصحيح: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر- القاهرة (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م)، ص١٩٦.

١١٤- المثل السائر، تحقيق: الدكتور أحمد الحوفي، والدكتور بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة-القاهرة،دون تاريخ، ج٣ ص١٤٤.

١١٥- بديع القرآن، تحقيق: الدكتور حنفي محمد شرف، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، ط٢، دون تاريخ، ص٣١، وانظر: كتابه تحرير التحبير، تحقيق: الدكتور حنفي محمد شرف، دار إحياء التراث الإسلامي، القاهرة (١٣٨٣هـ)، ج١، ص١١١.

١١٦- المصدر السابق، ٣٣، وانظر كتابه تحرير التحبير: ج١/ص١١٣.

١١٧- كتاب البديع، ص٣٦.

١١٨- الموازنة، ص٢٥٤-٢٥٦.

١١٩- كتاب الصناعتين، ص٣٣٩.

١٢٠- إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف-القاهرة، ط٥، دون تاريخ، ص٨٠.

١٢١- انظر على سبيل المثال لا الحصر: العمدة، ابن رشيق، ج٢/ص٥، وسر الفصاحة ابن سنان الخفاجي، ص١٩١، والوافي، الخطيب التبريزي، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، دار الفكر-دمشق، سورية، ط٤ (١٤٠٧هـ-١٩٨٦م) ص٢٣١-٢٣٢. وقانون البلاغة، لأبي طاهر البغدادي، تحقيق: الدكتور محسن غياض عجيل، ص٨٤، ومعالم الكتابة، القرشي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية-بيروت، ط١ (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) ص١٠٣، وجوهر الكتر، نجم الدين بن الأثير الحلبي، تحقيق: الدكتور محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية-مصر، دون تاريخ، ص٨٤.

١٢٢- مواد البيان، ص٢٣٩، وانظر أيضاً: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، تحقيق: الدكتور بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين-بيروت، ط١ (١٩٨٠م) ص٢٨٥، وحسن التوسل، شهاب الدين الحلبي، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، وزارة الثقافة والإعلام-الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، (١٩٨٠م) ص٢٠٠، ونهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر- القاهرة، دون تاريخ، ج٧ ص٩٩.

١٢٣- الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف- مصر، ط٧ (١٩٦٩م) ص١٩٥.

١٢٤- بناء الأسلوب في شعر الحداثة، التكوين البديعي، القاهرة، (١٩٨٨م) ص١١٠-١١١.

١٢٥- بديع القرآن، ص٣١-٣٢، وانظر كتابه تحرير التحبير: ج١/ص١١١-١١٢.

١٢٦- المصدر السابق، ص٣٢.

١٢٧- المصدر السابق، ص٣٤.

١٢٨- لقد أطلق بعض أصحاب الدراسات البلاغية على الطباق القائم على التضاد الحقيقي تكافؤاً، انظر: نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص١٤٧، ومواد البيان، علي بن خلف الكاتب، ص٣٠٦ وما بعدها، وإعجاز القرآن، الباقلاني ص٩٧، والوافي، الخطيب التبريزي، ص٢٤٦، وقانون البلاغة، أبو طاهر البغدادي، ص٣٨،٢٠٧.

١٢٩- حسن التوسل إلى صناعة الترسل، ص٢٠١-٢٠٢.

١٣٠- نهاية الأرب في الأدب، ج٧/ص١٠٠.

١٣١- التلخيص في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي-بيروت، دون تاريخ، ص٣٥١-٣٥٢، وانظر كتابه: الإيضاح شرح الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية-القاهرة، دون تاريخ، ص١٥.

١٣٢- عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص، ج٤ ص٢٩٥-٢٩٦. وانظر في اختلافات أصحاب الدراسات البلاغية: الحلة السيرا، لابن جابر الأندلسي، تحقيق: علي أبو زيد، عالم الكتب-بيروت، ط٢ (١٤٠٥ هـ-١٩٨٥م) ص٨٥. ومعترك الأقران، السيوطي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، دون تاريخ، ج١/ص٤١٤ وأنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم، شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان-النجف الأشرف، ط١١ (١٣٨٨هـ-١٩٦٨م) ج٢/ص٣٣،٣٧.

١٣٣- البقرة، ٢/١٦.

١٣٤- بديع القرآن، ص٣٢.

١٣٥- ديوان دعبل بن علي الخزاعي، تحقيق، الدكتور محمد يوسف نجم، دار الثقافة، بيروت-لبنان (١٩٦٢م) ص١١٧.

١٣٦- حركة المعنى في شعر المتنبي بين السلب والإيجاب ضمن كتاب المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد للنشر، (١٩٧٩م) ص١٦٩.

١٣٧- كتاب البديع، ص٣٦. وانظر: إعجاز القرآن، الباقلاني، ص٨.

١٣٨- كتاب الصناعتين، ص٣٤٧.

١٣٩- سر الفصاحة، ص١٩١-١٩٣.

١٤٠- الوافي، ص٢٣١-٢٣٢.

١٤١- قانون البلاغة، ص٨٤-٨٦.

١٤٢- البديع، ص٦٤.

١٤٣- المثل السائر، ج٣/ص١٥١.

١٤٤- تحرير التحبير، ج١/ص١١٥، وانظر بديع القرآن: ص٣٣.

١٤٥- الطراز، بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية-بيروت، لبنان (١٤٠٢ هـ-١٩٨٢م) ج٢/ص٣٨٣.

١٤٦- منهاج البلغاء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي-بيروت،ط٢ (١٩٨١م) ص٤٩.

١٤٧- المصدر السابق، ص٥٠.

١٤٨- الإشارات والتنبيهات، تحقيق الدكتور عبد القادر حسين، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة-القاهرة، دون تاريخ، ص٢٦٢.

١٤٩- الإيضاح، ج٦/ص١٠.

١٥٠- الفوائد المشوق، بإشراف لجنة تحقيق التراث، مكتبة الهلال-بيروت، دون تاريخ، ص٢٠٥.

١٥١- البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث-القاهرة، ط٣ (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) ج٣/ص٤٥٦.

١٥٢- انظر على سبيل المثال لا الحصر: الحلة السيرا، ابن جابر الأندلسي، ص٨٣ وما بعدها، ومعترك الأقران، السيوطي، ج١/ص٤١٤-٤١٥. والإتقان، السيوطي، ج٣/ص٢٨٤ وما بعدها، وأنوار الربيع، ابن معصوم، ج٢/ص٣٩ وما بعدها.

١٥٣- البقرة، ١٧٩/٢.

١٥٤- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري، ضبطه وصححه مصطفى السقا ورفيقاه، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، دون تاريخ، ج١/ص١٦١.

١٥٥- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف بمصر، ط٣، دون تاريخ، ج٣/ص١١٦.

١٥٦- يس، ٣٦/١٥-١٦.

١٥٧- الحماسة البصرية، ج٢/ص٣١.

١٥٨- نقد الشعر، ص١٤٩.

١٥٩- كتاب الصناعتين، ص٤٥٦.

١٦٠- إعجاز القرآن، ص٩٨.

١٦١- سر الفصاحة، ص١٩٦-١٩٧.

١٦٢- انظر على سبيل المثال لا الحصر، الوافي، الخطيب التبريزي، ،ص٢٣٢، ٢٤٦ ، وقانون البلاغة، أبو طاهر البغدادي، ص٨٦،١٠٨، وبديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، ص٣٢،٣٤،١١٦، وكتابه تحرير التحبير، ج١/ص١١٤، ج٤/ص٥٩٣، ومنهاج البلغاء، حازم القرطاجني، ص٥٠.

١٦٣- بديع القرآن، ص١١٦.

١٦٤- كتاب الصناعتين، ص٤٥٦.

١٦٥- بديع القرآن، ص١١٦.

١٦٦- الطراز، ج٢/ص٣٧٩.

١٦٧- انظر على سبيل المثال لا الحصر، المترع البديع، السجلماسي، ص٣٣٥ ومعترك الأقران، السيوطي، ج١/ص٤١٤، وكتابه الإتقان، ج٣/ ص٢٨٤.

١٦٨- تحرير التحبير، ج١/ص١١٤.

١٦٩- البرهان في علوم القرآن، ج٣/ص٣٩٥.

١٧٠- ديوان البحتري، تحقيق، حسن كامل الصيرفي، دار المعارف بمصر، ط٢ دون تاريخ، ج٣/ص١٩٢٨، ويروى في الديوان، تقيض بدلاً من يقيض.

١٧١- التحريم، ٦/٦٦.

١٧٢- الإسراء، ٢٣/١٧.

١٧٣- النساء، ٣٦/٤.

١٧٤- الأعلى، ١٣/٨٧.

١٧٥- كتاب الصناعتين، ص٣٤٧.

١٧٦- العمدة، ج٢/ص١٠.

١٧٧- المثل السائر، ج٣/ص١٥١-١٥٣.

١٧٨- مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) ص٤٢٤.

١٧٩- الإشارات والتنبيهات، تحقيق: د.عبد القادر حسين، ص٢٦٧-٢٦٨.

١٨٠- التلخيص، ص٣٥٦-٣٥٨، وانظر أيضاً الإيضاح: ج٦/ص٢٦-٢٩، والإتقان، السيوطي، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، ج٣/ص٢٨١-٢٨٢.

١٨١- البقرة، ١٣٨/٢.

١٨٢- الكشاف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط١ (١٣٩٧هـ-١٩٧٧م) ج١/ص٣١٦.

١٨٣- البرهان في علوم القرآن، ج٣/ص٤٥٨.

١٨٤- المصدر السابق، ج٣/ص٤٥٨.

١٨٥- المصدر السابق، ج٣/ص٤٥٩.

١٨٦- المصدر السابق، ج٣/ص٤٥٩.

١٨٧- المصدر السابق، ج٣/ص٤٥٩.

١٨٨- المصدر السابق، ج٣/ص٤٦٠-٤٦١.

١٨٩- المصدر السابق، ج٣/ص٤٦٢-٤٦٣.

١٩٠- جوهر الكتر، ص٨٥.

١٩١- المصدر السابق، ص٨٧.

١٩٢- هود، ١١/٢٤.

١٩٣- جوهر الكنز، ص٨٥.

١٩٤- المصدر السابق، ص٨٧.

١٩٥- المصدر السابق، ص٨٨.

١٩٦- المثل السائر، ج٣/ص١٤٤.

١٩٧- المصدر السابق، ج٣/ص١٤٤،١٥١.

١٩٨- المثل السائر، ج٣/ص١٥١-١٥٣.

١٩٩- المثل السائر، ج٣/ص١٥٣-١٥٦.

٢٠٠- المثل السائر، ج٣/ص١٥٩.

٢٠١- المصدر السابق، ج٣/ص١٦٢.

٢٠٢- الطراز، ج٢/ص٣٧٧-٣٧٨.

٢٠٣- المصدر السابق، ج٢/ص٣٧٨.

٢٠٤- المصدر السابق، ج٢/ص٣٧٨-٣٧٩.

٢٠٥- المصدر السابق، ج٢/ص٣٨٣-٣٨٤.

٢٠٦- المصدر السابق، ج٢/ص٣٨٤-٣٨٦.

٢٠٧- المصدر السابق، ج٢/ص٣٨٦-٣٨٨.

الفصل الثاني

أنماط التقابل والتماثل في القرآن الكريم

بعد أن انتهيت من الحديث عن مفهوم التقابل والتماثل وطبيعتهما التركيبية عند المتقدمين من لغويين وفلاسفة وأصحاب دراسات بلاغية، وحددت الإطار العام لمفهومي الخاص بهما في الفصل الأول، آتي لأتحدث عن تشكيل التقابلات والتماثلات في الآيات القرآنية الكريمة؛ وذلك لأوضح الأبنية الأسلوبية التي تشكلت فيها، حتى تكون مهاداً للحديث عن الوظائف والدلالات التي تختزنها التقابلات والتماثلات في فصل آخر من هذه الدراسة. ولم أفصل بين وظائفها ودلالاتها عن أبنيتها التركيبية من إيماني بهذا الفصل، وإنما هو تسهيل للدرس والبحث، إذ "لا يمكن الوصول إلى المستوى الأول إلا بالتحرك داخل خيوط المستوى الثاني، حقيقة أن الفصل بين الأمرين أمر في غاية الصعوبة، إن لم نقل الإحالة، ولكنها عملية لابد منها خاصة عندما نعود إلى النص الأدبي بالدراسة والتحليل والكشف عن خواصه الدلالية، ففي هذه الحالة لابد من الإمساك بخيوط المستوى السطحي والتحرك بين جزئياته والكشف عن نظامها، ثم منها يمكن الكشف عن الدلالة في صورتها القريبة"[(١)]. ولذلك فإني وضعت إطاراً عاماً لأنماط التقابل والتماثل اللذين يمكن أن نتحرك من خلالهما للكشف عن جوانب كثيرة تتصل ببنائهما، فيكون حديثي عنهما من خلال السياق الذي يظهران فيه؛ لأن حقيقة بنائهما، كما أرى، لا تنتهي بالكشف عن التركيب القائم بين المتقابلين أو المتماثلين حسب، إنما في الكشف عن العلاقات اللغوية على مستوى العبارة، وذلك من خلال الجملة وما يتصل بها. وهذه الأنماط، كما رأينا في الفصل الأول، هي: النمط البسيط، والنمط المركب، والنمط المعقد، فأبدأ حديثي عن النمط البسيط.

النمط البسيط:

لقد توزعت تقابلات القرآن الكريم وتماثلاته في هذا النمط على أنواع التقابل والتماثل البسيطين التي شملت تقابل التضاد اللفظي الحقيقي والمجازي، والتقابل المعنوي، وتقابل التخالف، والتماثل، وقد بلغت التقابلات والتماثلات في هذا النمط سبع مائة وستة وستين تقابلاً وتماثلاً توزعت على أنواعه، فأبدأ حديثي عن النوع الأول.

أولاً- تقابل التضاد اللفظي:

إن تقابل التضاد اللفظي أول مبحث في هذا النمط، الذي يتكون من الكلمات المتقابلة بالتضاد من جهتي اللفظ والمعنى سواء كان اللفظ في الحقيقة أم في المجاز. وقد بلغت تقابلاته ثلاث مائة وأربعة عشر تقابلاً، توزعت على التضاد الحقيقي الذي تكرر مائتين واثنتين وتسعين مرة، وعلى التضاد المجازي الذي تكرر اثنتين وعشرين مرة.

وللكشف عن الطبيعة التركيبية لهذا التقابل، وعن الأبنية الأسلوبية التي تشكل فيها، لابد من الحديث عن كل تقابل منهما لنتلمس نقاط الالتقاء والافتراق التي تنشأ بين الطبيعتين.

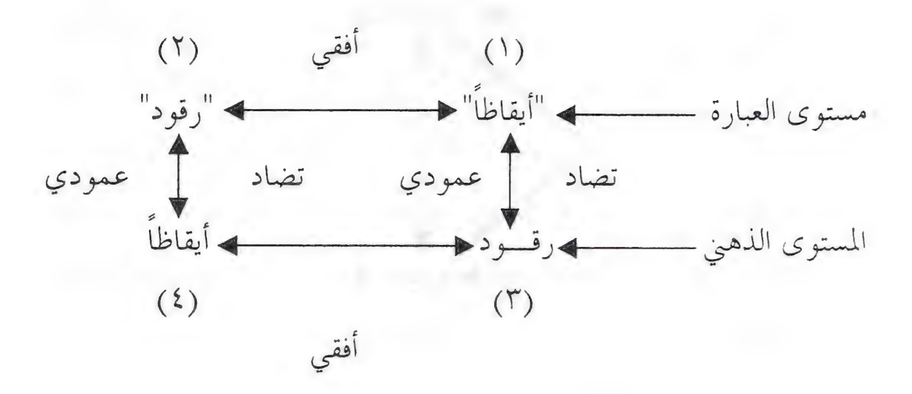
إن الطبيعة التركيبية التي حددناها لتقابل الألفاظ في التضاد الحقيقي في الفصل السابق هي طبيعة ثابتة إذا ما حصرنا نظرتنا في العلاقة القائمة بين المتقابلين حسب، وذلك أن المتقابلين في مستوى العبارة يشكلان نقطة الحضور بالنسبة للقارئ، وفي المقابل يتشكل تقابل جديد في الذهن يشكل نقطة الغياب، فقوله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾[1] يبين لنا الطبيعة التركيبية

التي أشرت إليها، فقوله (أيقاظاً) يتقابل بقوله (رقود) بحيث يشكلان تقابلاً أفقياً على مستوى العبارة في الصورة الآتية:

أفقي

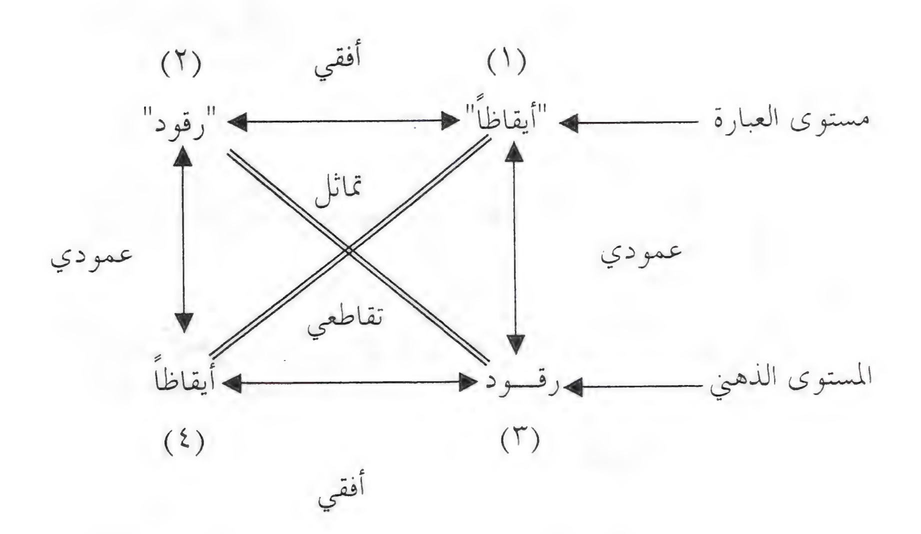
مستوى العبارة ←── "أيقاظاً" ↔ "رقود"

وعند إظهار التقابل الذهني لمستوى الغياب تظهر صورة أخرى لتقابل التضاد، بحيث يكون لكل طرف من المتقابلين ضد مختزن في الذاكرة، فيتشكل تقابل ذهني مماثل لما في العبارة، ويكون متضاداً باللفظ والمعنى، وذلك كما في الرسم التوضيحي الآتي:



إن ما أقصده بالتماثل هو نمط التركيب من حيث إحداث تقابل ضدي أفقي وفي الوقت نفسه إحداث عكس لصورة التقابل على مستوى العبارة، وما يحدث من جديد في هذا التركيب هو نشوء تقابل عمودي بين (أيقاظاً) و(رقود) في الرقمين (١، ٣) وتقابل عمودي آخر بين (رقود) و(أيقاظاً) في الرقمين (٢، ٤). إن هذه الطبيعة التركيبية، كما نلحظ، كانت قد ظهرت في الفصل

الأول مـــن هذه الدراسة و لم يكن بوسعنا، في ذلك الفصل، أن نتحرك في هذه الطبـــيعة أكثر من هذا، وذلك أن مفهوم أصحاب الدراسات البلاغية لم يكن يعطيـــنا مجـــالاً أرحب للحديث عن هذه الطبيعة التركيبية، وبالنظر إلى الرسم التوضـــيحي الـــسابق نلحـــظ نشوء علاقات جديدة تقع بين المستويين الذهني والمكـــتوب وهي تماثل بين (أيقاظاً) في العبارة و(أيقاظاً) في الذهن، وتماثل آخر بـــين (رقـــود) في العبارة، و(رقود) في الذهن، إن هذا البناء يكشف عن طبيعة مميـــزة تجمـــع بين التضاد والتماثل بحيث تحمل صفة البناء الأفقي والعمودي في التضاد والتقاطعي في التماثل كما في الرسم الآتي:



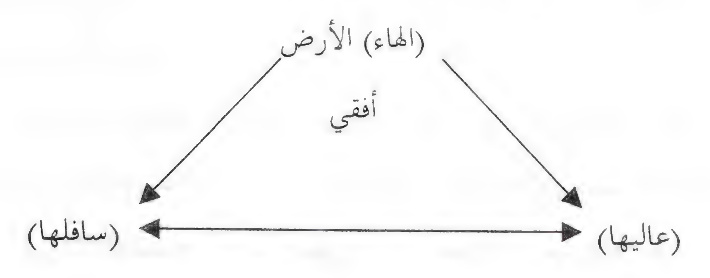
لا شـــك في أن هـــذا البناء يرصد لنا أربع زوايا متضادة، وفي الوقت نفـــسه، متماثلة في تقاطعها، وهذا يكشف عن إغلاق دائرة التضاد بين الألفاظ في سياق الآية الكريمة.

وأمـــا الكشف عن الطبيعة التركيبية لتقابل الألفاظ في التضاد المجازي، فيظهر في قولـــه تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [٣]. إن الـــتقابل المجازي في هذه الآية قائم بين (الظلمات) و(النور)، إذ إنهمـــا جاءتا على سبيل الاستعارة أي المجاز، وذلك أن الله سبحانه وتعالى أشار في الأولى إلى الـــضلالة وفي الثانية إلى الهداية، وفي هذا المجاز يحافظ التقابل على علاقة التضاد اللفظي.

ولا تقف الطبيعة التركيبية عند هذا الحد وإنما تنشأ علاقة تضاد أخرى بـــين (الظلمات) و(الهداية) وأخرى بين (النور) و(الضلالة) وهذه العلاقة، كما نلحظ، هي علاقة تقاطعية، وهنا ينتهي إحداث علاقات جديدة، وهذه الطبيعة التـــركيبية تتميز من سابقتها من التضاد اللفظي الحقيقي بأن الطرفين الجديدين ليسا على مستوى الذاكرة وإنما على مستوى المجاز الذي يفرزه السياق البنائي.

يبدو لي أن انتهاء الحديث عن الطبيعة التركيبية للتقابل هنا لا يكشف عـــن حقـــيقة هذا البناء، وذلك أن الاهتمام بالرابط الذي يجمع كل طرف من طـــرفي التقابل شيء في غاية الأهمية؛ لأن طبيعة تركيب التقابل تتحدد في هذا الـــرابط، عـــلاوة على الأصل الذي يخرج منه المتقابلان. ومن استقرائي لتقابل الألفاظ الحقيقية والمجازية في الآيات الكريمة وجدت أن ثمة صورتين لهذا التقابل، الصورة الأولى هي اجتماع الضدين في رابط واحد، والصورة الثانية هي توزيع الضدين على رابطين مختلفين.

أما الصورة الأولى، فقد كان إحداث التقابل بين الطرفين يتخذ معنيي المواجهة والضم. أما معنى المواجهة، فكما في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ [٤]. وذلك أن الخالق عندما ذكر الأرض، فإنما ذكره كان يتعلق بإيجاد المواجهة بين الضدين (عاليها) و(سافلها)، ونلحظ من الآية الكريمة أن الرابط الذي يجمع الضدين هو واحد، فـ (عاليها) و(سافلها) يجتمعان في الضمير (الهاء) العائد إلى الأرض كما في الصورة الآتية:



وكما أشرت سابقاً إلى الطبيعة التركيبية لمثل هذا التقابل فإنها تتصف بتقابل أفقي وعمودي بالتضاد وتماثل تقاطعي، وذلك على المستويين المكتوب والذهني. ولا شك في أن هذا الرسم لطبيعة تركيب المتقابلين يكشف لنا عن نقطة مهمة وهي مقولة كثير من أصحاب الدراسات البلاغية، وذلك في تعريفهم للتضاد، وهو أن الضدين هما اللذان لا يجتمعان في شيء واحد "ويبدو لي أن في تعريفهم هذا كثيراً في التعميم فالضدان في هذه الآية اجتمعا في شيء واحد وذلك على مستوى العبارة، وعلى المستوى البنائي للعبارة والذهن فقوله (جعلنا عاليها سافلها) يقتضي منا الفهم بأن الصياغة القرآنية وضعت الأعلى مكان الأسفل، وبالتالي فإنها وحدت الطرفين معاً من خلال حركة عكسية بحيث اتصف الطرف الأعلى بالأسفل، والطرف الأسفل بالأعلى وهذه

الحـــركة نتيجة الفعل (جعلنا)، وبالتالي فإن التكوين الجديد لهذا التقابل يحدث تقـــابلاً جديداً في طبيعة تركيبية مشابهة للطبيعة التركيبية الأولى في الآية. وتمدنا طبـيعة التــركيب في الرسم بهذا المعنى أيضاً، وذلك من خلال إحداث التماثل التقاطعـــي الذي ظهر في تقابل التضاد فهو يشير إلى توحد الطرفين معاً، وبناء على هذا التركيب وعلى هذه النتيجة يصبح بالإمكان اجتماع الضدين في شيء واحد ولعل أصحاب الدراسات البلاغية بحكمهم هذا كانوا ينطلقون من منطلق منطقي، فحكموا على المتقابلين من خارج السياق إذ قاسوهما في المعيار العقلي حـــسب. وإن كان هذا المعيار مهماً في إعطاء الدلالة والوظائف. وهكذا إذن كان إحداث المواجهة بين الضدين في رابط واحد شيئاً مهماً.

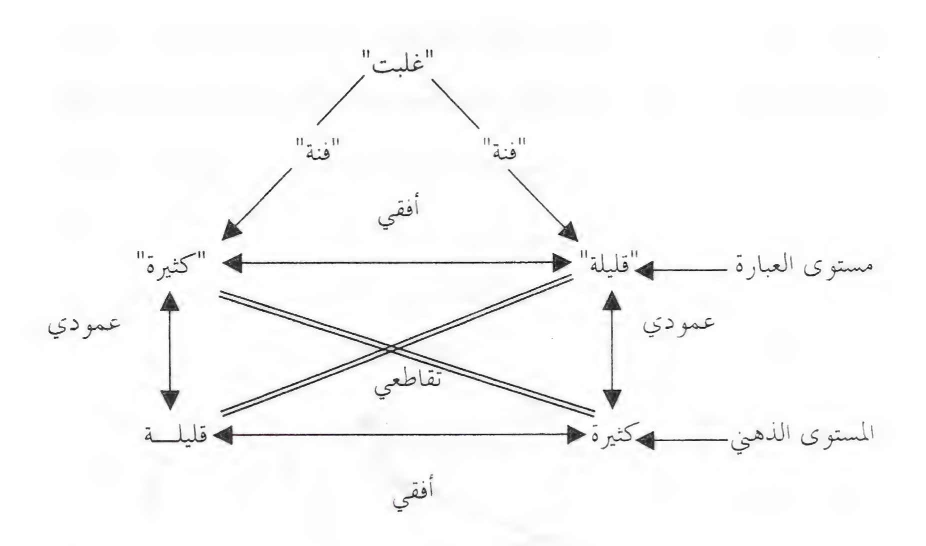
وأمـــا معـــنى الضم في رابط واحد، فكقولـــه تعالى: ﴿ **وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا** ﴾[٥]. إن هـــذه الآية الكريمة تشير إلى الأمر بتسبيح الله عز وجل، وقد ضـــمت طرفي التقابل الأول (بكرة) والثاني (أصيلاً). ونلحظ أن هذا التقابل لا يقوم على المواجهة في التضاد، وذلك أن المواجهة تشير إلى طرفين متناوبين كما لاحظنا من الآية السابقة (عاليها) و(سافلها)، فالضم هنا يشير إلى جميع الطرفين معاً في سياق الجملة مع المحافظة على معنى التضاد القائم في الشيء الواحد وهو (اليوم)، وأما طبيعته التركيبية، فهي لا تختلف عن سابقتها في المواجهة، فالرابط واحـــد وهو الضمير (الواو) في كلمة (وسبحوه) وليس الأمر كما يحسب المرء من أن الرابط هو الزمن الذي نلحظه من طرفي التقابل، إذ إن (بكرة) و(أصيلاً) تـــشيران إلى زمني اليوم (صباحاً ومساءً) وما أذهب إليه هنا معتمد على سياق الجملـــة فحـــسب. فالـــذي جمع الطرفين هو الضمير (الواو) وذلك أن فاعلية التسبيح تكون في إطار زمنين مختلفين مضمومين معاً. فالرابط هنا (الواو) يجمع

فعــل التــسبيح على زمني (بكرة) و(أصيلاً) ويحدث هذا التقابل في المستوى الأفقــي والعمودي في التضاد والمستوى التقاطعي في التماثل، ويشير في الوقت نفــسه، إلى اجــتماع الطــرفين في الرابط، وهذا الاجتماع من جهة الضم لا المواجهة.

وأما الصورة الثانية وهي توزيع المتقابلين على رابطين، فقد كان التقابل فــيهما مــن جهتي المواجهة والضم. ومن الملاحظ على أن البناء التقابلي لهذه الصورة لا يختلف عن سابقه في الصورة الأولى إلا من جهة توزيع الضدين على شيئين، ويمكننا أن ندرك معنى المواجهة ومعنى التوزيع في قولــه تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[٦]. إن موضــع التقابل في هذه الآية في قولــه (فئة قليلة) وقولــه (فــئة كثيرة)، وكما نلحظ في الآية أن نوع التقابل بينهما هو مواجهة (قليلة) بــ (كثيرة) على وجه التضاد. وأما توزيع الضدين، فقد كان على كلمة (فئة) الأولى وكلمة (فئة) الثانية. من هنا تصبح كلمة (فئة) متقابلة بالتضاد مع (فئة) أخــرى من خلال علاقتهما بالمتقابلين، ويمكننا أن نضيفهما إلى كلمة (قليلة) و(كثيرة) عند إظهار الطرفين في التقابل.

ولاشك في أن توزيع المتضادين على شيئين في هذه الصورة يختلف عنه في الــصورة الــسابقة، إذ إن التوزيع هنا بين (فئة) مختلفة عن (فئة) أخرى ولا صلة بينهما على مستوى العبارة سوى الفاعلة والمفعولية أعني أن (الفئة) الأولى أوقعت فعل الغلبة على الفئة الثانية مع اتصاف الأولى بالقلة ومواجهتها بالثانية الــتي تتصف بالكثرة في حين كان الضدان في الصورة السابقة في كلمتي (بكرة

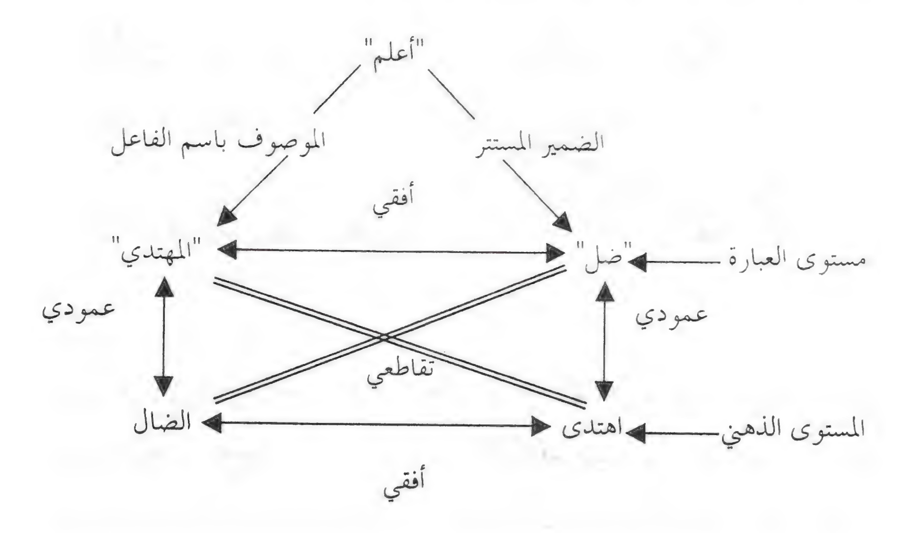
وأصـــيلاً) منتميين إلى شيء واحد هو اليوم. وقد وقعت الفاعلية على الطرفين، وتتـــشكل الطبـــيعة التـــركيبية لهذه الآية كما تشكلت سابقتها في المستويين المكتوب والذهني في الصورة الآتية:



ويبدو لي أن ظهور تقابل التماثل في هذا الأسلوب ما زال منسجماً مع المعـــنى الـــذي يظهره الرابط، وذلك أن الآية قد قلبت المألوف، وهو أن الفئة الكبيرة هي التي تغلب الفئة القليل في العادة. ولكن الآية بإيجادها الفعل (غلبت) أحدثت عكساً في المعنى، بحيث أصبحت الفئة القليلة تغلب الفئة الكثيرة، ولعل ظهـــور بنية التماثل التقاطعي في هذا التركيب يسهم في تثبيت هذا العكس، إذ إنه يمكن أن تغلب الفئة القليلة الفئة الكثيرة تماماً كما في الفئة الكثيرة التي تغلب الفئة القليلة.

وأمـــا تقابـــل الضم الذين يتوزع على رابطين فيمكننا أن ندرك طبيعة تـــركيبه من خلال البناء الأسلوبي في قولـــه تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَأَعْلَمُ مَن

﴿يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٧] إن التقابل في هذه الآية يقع بين (ضـــل) و(بالمهتدين). وأما الرابطان، فهما الضمير المستتر في الفعل العائد إلى (بمن) والموصوف باسم الفاعل (المهتدين). ويلتقي طرفا التقابل الرابطين بالفعل أعلم، بحيث تكون العلاقة بينهما علاقة المفعولية، وينشأ عن هذه البنية الأسلوبية عـــدد من التقابلات بالتضاد والتماثل، وذلك اعتماداً على التركيب الأسلوبي الخـــاص بـــنمط الألفاظ المتضادة الذي يعتمد على مستوى العبارة والمستوى الذهني، ويمكننا أن نوضح هذا البناء في الرسم الآتي:



لاشك في أن هذا البناء لا يختلف عن الأبنية السابقة، وإنما يؤكدها من خلال تقابلاته المتضادة الأفقية والعمودية وتماثلاته التقاطعية، ولاشك في أن هذا التـــركيب يدعم ما جاءت به الآية من شمولية علم الله عز وجل لكل ضال أو مهتد، لأن هذا البناء يغلق جميع جوانب التقابلات المختلفة لهذه الآية.

الأبنية الأسلوبية:

لا شـك في أن ظهـور التقابلات في العبارة أو الآية القرآنية يشكل ظاهرة بارزة تختلف في موقعها من الجملة عن بقية مكوناتها، بحيث يشكل بؤرة انفجار تجمع ضدين بارزين. فيظهر هذا التركيب في أي جزء من أجزاء الجملة، وقد أشار إلى طبيعة هذا الأسلوب (ريفاتير)، وذلك أنه عرف السياق الأسلوبي بأنه نموذج منكسر بعنصر لا يتوقعه القارئ وذلك أن الأسلوب، لديه، لا يكون في الصور المتوالية والمجازات بل إن البنية الأسلوبية للنص تتحدد بتوالي العناصر المرسومة في مقابل غير المرسومة في مجموعات ثنائية تمثل السياق والإجراء المضاد لـه، بحيث لا ينفصل الإجراء المضاد عن السياق، فكل بناء أسلوبي يشمل بالضرورة سياقاً وتضاداً"[٨]. ومن هنا فإن ربط التقابلات المتضادة بالسياق من الأهمية بمكان. ويضل العمل النقدي ناقصاً إذا تناول صاحبه تقابل التضاد دون ربطه بالسياق وقد أشار الدكتور صلاح فضل إلى هذا المعنى في قولـه: "لا يمكن أن نركز فحسب على العناصر المضادة ببساطة لأنها عناصر بارزة سهلة الالتقاط في التحليل الأسلوبي بل لابد من أن نولي نفس الاهتمام للعناصر غير المرسومة في مقابلها"[٩] ومن خلال استقرائي للتقابلات السابقة التي ترتبط برابط واحد أو برابطين على اختلاف نوعي التضاد الحقيقي والمجازي وجدت أنها تتشكل في أكثر من موقع في البناء السياقي المرافق لها. وحتى تكون طريقة الكشف عن أنماط الأسلوب هنا واضحة نأخذ قولـه تعالى: ﴿ **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ** ﴾[١٠]. إن التضاد في هذه الآية يقع في تقابل (للذكر) و(الأنثيين). وقد جاء التقابل هنا متوسطاً بين سياقين الأول يأتي قبل إحداث التقابل وهو (يوصيكم الله في

أولادكـــم) والثاني يأتي بعد التقابل وهو (فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما تـــرك) وشرط اكتمال السياق والتقابل، كما أرى، يتم في خلال استغراق الآية للمعنى، ومن هنا يتحدد الموقع البنائي للتقابل.

وقد تغيرت مواقع التقابلات في التضاد اللفظي الحقيقي والمجازي، وقد جاءت في ستة أبنية أسلوبية، أتحدث عن كل بناء منها على حدة.

أولاً- التقابل / السياق :

لقد بلغت التقابلات في هذا البناء ثلاثة وخمسين تقابلاً، بحيث ظهرت في هذا البناء مجردة في تركيبها المحصور عن السياق، إذ تشكل التقابل والسياق في نقطة التقاء المتقابلين، ولذلك رمزت لهذا البناء بـــ:

التقابل
____
السياق

أي أنـــه يعـــني تداخل التقابل في السياق، فمن أمثلته، قولـــه تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[1]. فهـــذه الآية الكريمة تشكل في تركيبها اسم إن المؤخـــر وخبرها المقدم. ويأتي المبتدأ اسم إن (يسراً) متقابلاً بالتواجه مع الخبر (مـــع العسر) وذلك أن (مع) في الآية الكريمة لا تشير إلى معنى المعية التي تشير بمعـــنى الـــضم، وإنمـــا هـــي تفيد التعاقب الذي يشي بالمواجهة، ولذلك يعلق الزمخشري عليها بقولـــه: فإن قلت: إن مع للصحبة فما معنى اصطحاب اليسر والعـــسر؟ قلـــت: أراد أن الله يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان

قريب، فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة في التسلية وتقوية القلوب[١٢]. فاليسر إذن لا يترافق مع العسر وإنما يواجهه ويتلوه، وتنقطع الآية الكريمة في هذا التقابل عن سياقات أخرى.

ثانياً- التقابل ←—— السياق:

بلغت تقابلات هذا البناء واحداً وثمانين تقابلاً، فمن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١٣]. إن التقابل في هذه الآية هو مواجهة (عسرة) بـ (ميسرة) وهو يشكل مدخل البناء وينتهي البناء بالسياق (وإن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون) ويمكن أن نبين هذا البناء في الرسم التوضيحي الآتي:

التقابل ←———— السياق

"وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة" ←—— "وإن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون"

ولا شك في أن أسلوب هذا البناء يواجه الملتقى بعنصر التضاد الذي يشكل لديه عنصر المفاجأة وبعد ذلك ينتهي من المفاجأة إلى عنصر السياق البسيط الذي يخرجه من لحظة التوتر إلى لحظة الارتياح.

ثالثاً- السياق ←—— التقابل:

إن هذا البناء هو بناء معكوس من صورة البناء السابق، إذ يبدأ بالسياق وينتهي بعنصر التضاد أو التقابل، وقد بلغت تقابلاته ستة وخمسين تقابلاً، فمن

أمثلـــته قولــــه تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (١٤). بدأت الآية الكريمة بالسياق البسيط الذي لا يثير لدى المتلقي أي توتر ولكنها فاجأته بالتقابل في نهايتها. وقد تشكلت الآية في البناء على الصورة الآتية:

السياق ← التقابل

"لا إكراه في الدين" ← "قد تبين الرشد من الغي"

رابعاً- السياق الأول ← التقابل ← السياق الثاني:

بلغـــت تقابلات هذا البناء تسعة وتسعين تقابلاً ومن الملاحظ أنه أكثر الأبنـــية تردداً بين تقابلات الألفاظ المتضادة. ومن أهم النقاط التي يجب أن نتنبه لها أن عنصر التقابل يتوسط سياقين، مما يجعل للتقابل خاصية جمع سياقين، فمن أمثلته قولــــه تعالى: ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾(١٥) فتركيب هذه الآية يتضح في الشكل الآتي:

السياق الأول ← التقابل ← السياق الثاني

"قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم ← هم للكفر أقرب منهم للإيمان ← يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم"

إن الـــسياق الأول ينص على أن هؤلاء المنافقين قالوا باشتراكهم في القتال مع الرســـول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ولكن عنصر التقابل قد بين حقيقتهم في طريقة مواجهة (للكفر) بـــ (للإيمان) إذ رجح صفة (الكفر) فيهم على صفة (الإيمـــان). ومـــن ثم انـــتهت الآية بإبراز الصفة الحقيقية لقولهم، وهي أنهم لا

يقولـــون مـــا استقر في قلوبهم. وهو حال مضادة لما ينطقون، وفي هذه الحالة يـــصبح السياق الأول متصلاً بالسياق الثاني اتصالاً وثيقاً بحيث يشكل في البناء أســـلوب التواصل الذي يقع في وسطه التقابل فـــ (السياق الأول) يتصل بـــ (الـــسياق الـــثاني) ويقيم معه علاقة التماثل والتوضيح بحيث يتماثل السياقان، ووضح السياق الثاني حقيقة السياق الأول. وفي الوقت نفسه بلور التقابل هذه الحقيقة التي يتصف بها المنافقون.

وقـــد يكـــشف لنا هذا البناء علاقة أخرى غير علاقة التماثل، ولنأخذ قولـــه تعالى: ﴿ **فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ** ﴾ (١٦). وبناء أسلوب الآية هنا يتشكل في الصورة الآتي:

السياق الأول ←——— التقابل ←——— السياق الثاني

"فإن استكبروا" ←— "فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار" ←— "وهم لا يسأمون"

إن الـــسياق الأول "فـــإن استكبروا" يتحدث عن صفة الكفار الذين ابـــتعدوا عن الإيمان بالله فامتنعا عن تسبيحه في حين أن السياق الثاني "وهم لا يـــسأمون" يتحدث عن صفة الذين آمنوا ويسبحون الله ولا يمتنعون عن ذكره. إن الـــسياقين يقـــيمان علاقة التخالف، ولذلك فهما يشكلان طرفين متناظرين مجـــتمعين علـــى الـــتخالف، ويقيمان علاقة مع التقابل، وهما في ذلك يحققان التواصـــل الذي رأيناه في الآية السابقة، فـــ (السياق الأول) يتصل بـــ (السياق الثاني) ويقيم معه علاقة التخالف والتوضيح؛ لأن في إحداث التخالف توضيحاً للـــصفتين في السياقين، وفي الوقت نفسه بلور التقابل صفة السياق الثاني، وأقام معه علاقة التماثل، وأبرز صفة السياق الأول، وأقام معه علاقة التخالف.

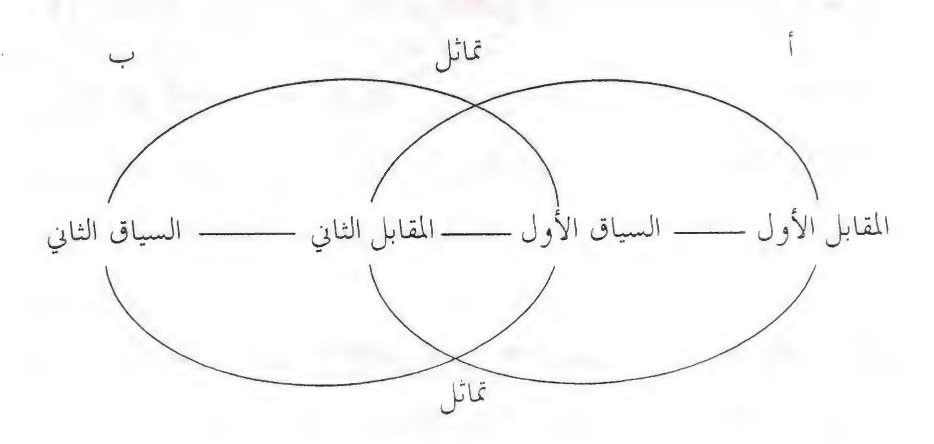
خامساً- المقابل الأول ← السياق الأول ← المقابل الثاني ← السياق الثاني:

بلغت تقابلات هذا الأسلوب تسعة تقابلات. ومن الملاحظ أنه يختلف في طبيعة تركيبه عن الأبنية السابقة. فهو كما نرى يتشكل من طرف أول في التقابل وسياق أول وطرف ثان في التقابل وسياق ثان، ويمكن أن ندرك هذا الأسلوب في قوله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [١٧]. إن الطرف الأول من التقابل يقع في كلمة (للفقراء) والطرف الثاني يقع في كلمة (أغنياء)، وهما طرفان متباعدان يقع بينهما السياق الأول، ويقع السياق الثاني بعد الطرف الثاني من التقابل، فيتشكل في الآية تقابل متداخل في السياقين، ويمكن أن نوضح هذا التداخل في الصورة الآتية:

المقابل الأول	السياق الأول
"للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله	لا يستطيعون ضرباً في الأرض"
المقابل الثاني	**السياق الثاني**
"يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف	تعرفهم بسيماهم لا يسئلون الناس إلحافاً"

فتقابل قوله (للفقراء) بقوله (أغنياء) هو تقابل بالتضاد، في حين إن علاقة السياق الأول الذي يشير إلى صلة الفقراء الذين لا يشاركون في القتال ولا يضربون في الأرض لسد حاجاهم في الحياة تتماثل مع السياق الثاني الذي يشير إلى تعفف الفقراء وإلى طريقتهم في الحياة التي تتشابه مع صفات الأغنياء، وذلك أهم كالأغنياء لا يسألون الناس الصدقات والعطاء، ومن هنا

يـتقاطع البناء في الحديث عن معنى التضاد والتماثل، وحتى نوضح هذا الشكل من العلاقات نرصدها في الرسم الآتي:



إن الدائرة (أ) تشير إلى طبيعة العلاقة الضدية بين طرفي التقابل (الأول والـثاني) في حـين الدائرة (ب) تشير إلى طبيعة العلاقة التماثلية بين السياقين (الأول والثاني)، وتقاطع الدائرتين يشكل قيام علاقة تماثل بينهما، والتماثل هنا يأتي في كون السياقين (الأول والثاني) يحققان صفة الفقراء الذين لا يضربون في الأرض، وبالـتالي لا يـسألون الناس الصدقات وهذه العلاقة ترتد إلى الطرف الأول مـن الـتقابل، وفي الـوقت نفسه ترتد إلى الطرف الثاني؛ لأن الأغنياء يتصفون أيضاً بهذه الصفات، من هنا يمكن لنا الحكم على أن بناء الأسلوب في هـذه الآية يسعى إلى توحيد الفقراء بالأغنياء مع الملاحظة أن هذا البناء قد بدأ بطرف التضاد الذي تسعى الآية الكريمة لتوحيد صفاته بصفات الطرف الثاني.

سادساً- السياق الأول ← المقابل الثاني ← السياق الثاني ← المقابل الثاني:

بلغت تقابلات هذا البناء ستة عشر تقابلاً، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١٨). لا شك في أننا نلحظ اختلاف هذا البناء عن البناء السابق، فهو يبدأ بالسياق (الأول) وينتهي بطرف التقابل (الثاني). ويمكننا أن نوضح هذا البناء في الرسم الآتي:

السياق الأول ← المقابل الثاني ← السياق الثاني ← المقابل الثاني

"وما أنت إلا بشر مثلنا" ← "وإن نظنك لمن الكاذبين" ← "فأسقط علينا كسفاً من السماء" ← "إن كنت من الصادقين"

إن هذا البناء بناء تداخلي بين السياقين (الأول/ الثاني) وبين طرفي التقابل (الأول/ الثاني). ولكن التداخل هنا يختلف عنه في البناء السابق، وذلك أن معطيات هذا البناء لا تتماثل مع المعطيات التي رأيناها في البناء السابق. ولعل السبب في ذلك هو تغيير مواقع المتقابلين والسياقين. إن العلاقة بين السياق الأول والسياق الثاني هي علاقة تنافرية، إذ كان السياق الأول يؤكد أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) من البشر الذي يتصفون بقدرات محددة في هذا الكون. وقد نظر الكفار إليه من هذه الناحية، ولذلك لم يعترفوا به رسولاً؛ لأن الرسول في نظرهم، على ما يبدو، تتحقق فيه صفات خارقة تفوق قدرة البشر. ولذلك وصلوا إلى أن الرسول الكريم كان من (الكاذبين) وهذه الصفة هي الطرف الأول من التقابل. وأما السياق الثاني، فهو يطرح تحدياً للرسول عليه السلام يفوق قدرته، كونه من البشر، بأن يُسقط كسفاً من السماء على الكفار، فإن

استطاع أن يحقق هذا المطلب فإنه يكون من (الصادقين)، وهذه الصفة تمثل الطرف الثاني من التقابل، من هنا كانت العلاقة بين السياقين (الأول والثاني) علاقة تنافرية تحقق صفتين الأولى تبين عدم القدرة الخارقة، والثانية تبين القدرة الخارقة، ومن هنا فإن البناء الأسلوبي يعطي التداخل بين عناصره في السياقين، وطرفي التقابل، والعلاقات قائمة على التضاد والتنافر فالسياق الأول يفرض معنى (اللاقدرة) التي يتصف بها البشر، وقد جاء هذا السياق في إطار مخالفة حقيقة الرسالة السماوية. وهي أن الرسول المبعوث يكون من البشر، ولذلك فإن العلاقة ما بين اعتراف الكفار أن الرسول من البشر وبين كلمة (الكاذبين) هي علاقة تنافر، لا يجتمع فيها السياق بالتقابل في الطرف الأول، وتتكرر علاقة التنافر بين السياق الثاني والطرف الثاني من التقابل، إذ يفترض السياق الأول أن الرسول ليس من البشر، ولذلك يجب أن يتصف بقدرة خارقة، وهذه الحال التي تنسجم مع الحقيقة السماوية تتنافر مع الطرف الثاني في كلمة (الصادقين)، وينشأ لدى ربط السياقين (الأول/ الثاني) بطرفي التقابل (الأول/ والثاني) تنافر جديد وهو بين (السياق الأول) و(المقابل الثاني) و(المقابل الأول) و(السياق الثاني). وذلك أن اللاقدرة البشرية لا تحقق الهدف في إسقاط (كسفاً من السماء) وأن القدرة الخارقة لا تتصف بكلمة (الكاذبين)؛ لأنها لو تحققت في الرسول لكانت قد اتصفت بالصدق، من هنا جاءت البنية التداخلية بين السياقين (الأول/ والثاني) وبين طرفي التقابل (الأول/ والثاني).

ثانياً- التقابل المعنوي:

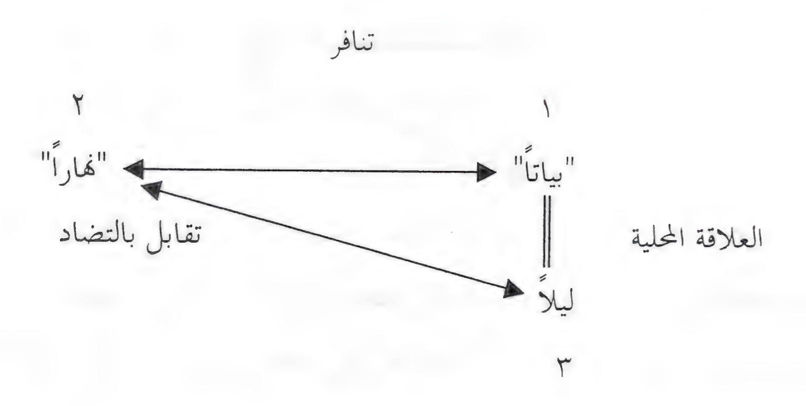
إن المبحث الثاني من مباحث الأنماط البسيطة للتقابل هو التقابل المعنوي البسيط الذي يتكون من المتقابلين في لفظتين وقد بلغت تقابلاته ثلاث مائة وثمانية وستين تقابلاً.

وقد جاءت التقابلات المعنوية هنا بأبنية تركيبية مختلفة، يعتمد كل بناء فيها على نوع خاص من إحداث معنى اللفظ ومقابلته باللفظ الآخر أو بمعناه، ولذلك فإن الاهتمام بكيفية إحداث المعنى في الطبيعة التركيبية لهذا التقابل من الأهمية بمكان، إذ بدونه- كما أرى- تبقى حقيقة التركيب غائبة عن التحليل الدقيق.

لقد سبق أن أبرزت بعض الخصائص التي أظهرتها الطبيعة التركيبية للتقابل المعنوي في الفصل الأول، إلا أن ما وجدته عند أصحاب الدراسات البلاغية من تصور لم يف هذه الطبيعة حقها وخصائصها. لقد أشرت سابقاً إلى أهمية المرادف في التقابل المعنوي، ولا شك في أنني هنا أهتم به؛ وذلك لأنه يحدد طبيعة اللفظ الذي يعطي المرادف في التقابل.

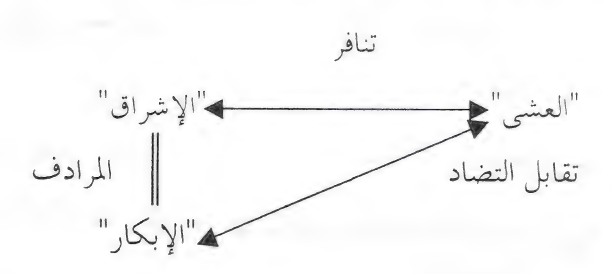
لقد وجدت لدى استقرائي للآيات القرآنية التي تعتمد المتقابلات المعنوية أن أبنيتها التركيبية قد تنوعت، إذ إن بعضها يعتمد على اللفظ الذي يعطي المعنى، واللفظ الآخر الذي يتضاد مع المعنى المعطى، وبعضها يعتمد على المعنيين الذين يبرزهما طرفا التقابل، فمثلاً قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [١٩]. يعتمد في تقابل اللفظين (بياتاً) و(نهاراً) على معنى الأول ومقابلته باللفظ الثاني (نهاراً)، فالمعنى الذي يقابل الطرف الأول من التقابل (بياتاً) هو (ليلاً)، ويمكننا أن نسمي هذا المعنى

العلاقة المحلية، وبتقابل الطرف المعنوي (ليلاً) بلفظ الطرف الثاني (نهاراً) تنتهي إحـداثات الـتقابلات، وتـتم الطبيعة التركيبية للآية. ويمكننا أن نوضح هذا التركيب في الرسم الآتي:



إن العلاقة بين الطرف الأول (بياتاً) من المتقابلين بالطرف الثاني (نهاراً) هي علاقة تنافر تختلف في طبيعتها عن العلاقة بين (ليلاً) و(نهاراً). إذ إن العلاقة في الأولى لا تـصل إلى نقطـة التـضاد بينما في الثانية تصل إلى نقطة التضاد، ولـذلك كـان من الممكن في الأولى إحداث علاقات جديدة متمثلة في ناتج العلاقـة المحلية ولفظ الطرف الثاني، في حين أن العلاقة الثانية وصلت إلى نقطة التـضاد، فمـا كان من الممكن إحداث علاقات جديدة، ومن الملاحظ على الرسـم أنه يشكل مثلثاً مقلوباً بحيث ظهر الطرف الأول والثالث في زاويتين في حـين كـان الطرف الثاني منفرداً في زاوية واحدة، وقد ورد في آيات القرآن الكريم بناء آخر معكوس لهذا الترتيب، فمثلاً قولـه تعالى: ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ [٢٠]. يمثل هذا البناء المعكوس، فالتقابل في الآية

الكـــريمة بـــين (العـــشى) ومعنى (الإشراق). فمرادف (الإشراق) المعنوي هو (الإبكار) ويمكن أن نوضح هذا التركيب في الرسم الآتي:



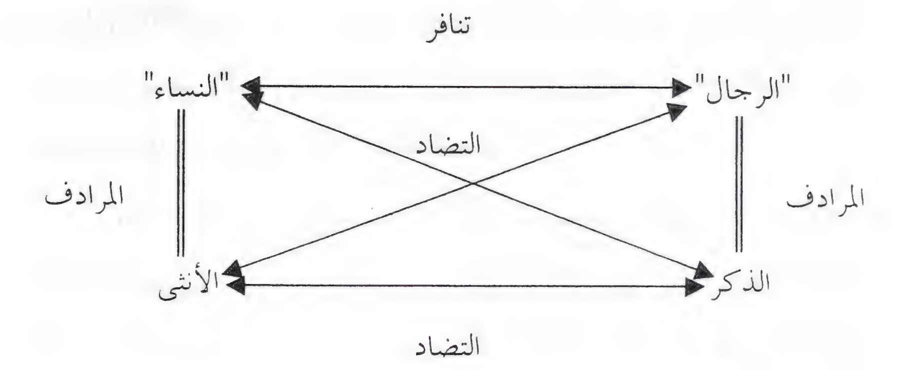
يـــبدو لي أن لهذا العكس البنائي أهمية خاصة في المعنى وهو الاهتمام في الـــتأثير علـــى المتلقـــي، فالمتلقي في الآية الأولى يواجه جزءاً من المعنى المرادف للطـــرف الأول وبعد ذلك ينتهي إلى الكل في الطرف الثاني (نهاراً)، فالخالق عز وجل يخرجه من الجزء إلى الكل وفقاً لطبيعة الحياة التي يدرك فيها الإنسان الجزء أولاً وبعـــد ذلك الكل؛ ولذلك قال عز وجل: ﴿ماذا يستعجل المجرمون﴾ فإنهم سيلاقون عذابهم، في حين نقلت الآية الثانية المتلقي من الكل إلى الجزء، فالطرف الأول يـــشي بمعنى الكلية (للعشي) فتسبيح (الجبال) يبدأ بالكل وينتهي بالجزء (الإشـــراق) والانـــتهاء بالجزء هنا لا يعني التقليل من التسبيح، وإنما يعني شمول التسبيح للزمن في جميع أجزائه.

وثمـــة تركيب آخر للمتقابلين يعتمد على المرادف المعنوي لكل طرف مـــن طرفي التقابل، كما في قولـــه تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (٢١). إن طرفي التقابل في هذه الآية الكريمة هما (الـــسموات) مـــن جهة و(الأرض) من جهة ثانية، والعلاقة بينهما هي علاقة التنافر، لأن (السموات) في الأصل لا تتضاد مع (الأرض) وإنما التضاد يقع بين

(فـــوق) و(تحـــت) ولكن التضاد ينشأ من المرادف المعنوي لكل طرف، إذ إن المــــرادف لـــــ (السموات) هو كلمة (فوق) ولـــ (الأرض) هو كلمة (تحت) فتصبح العلاقة بين المرادفين هي علاقة التضاد.

ولا شـــك في أن طبـــيعة التركيب تسمح بأن تنشئ علاقات جديدة تعـــتمد علـــى التـــضاد بين كل طرف وكل مرادف، إذ يتضاد الطرف الأول (الـــسموات) بمـــرادف الطرف الثاني (تحت) ويتضاد الطرف الثاني (الأرض) بمـــرادف الطـــرف الأول (فـــوق) هنا تحدث علاقة التقاطع بالتضاد، وتنتهي إحـــداثات التقابل، فيصبح التركيب قائماً على التقابل الأفقي بالتضاد والتنافر والـــتقاطع بالتضاد. أما العلاقة العمودية فهي بالتماثل، وهذه الطبيعة التركيبية تخـــتلف عنها في المثالين الأول والثاني من تقابل التضاد المعنوي، وإذا ما رجعنا إلى التـــضاد اللفظي لوجدناها تختلف عنه أيضاً، إذ كانت العلاقات هناك قائمة علـــى التضاد في التقابل الأفقي والعمودي وعلى التماثل في التقاطعي، ولا شك في أن هـــذا الاخـــتلاف بـــين التقابلين هو أحد النقاط الأساسية التي جعلتهما متباعدين لا يلتقيان.

والواقـــع أن التقابلات المعنوية لا تنتهي عند المرادف المعنوي في إنشاء العلاقات، وإنما ثمة مرادفات أخرى لا تعتمد على المعنى في حقيقتها، وإنما تعتمد على المرادف الذي يأتي من جهة المنشأة، كقولـــه تعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾ (٢٢). إن التقابل في هذه الآية الكريمة بين (الـــرجال) و(النـــساء)، والواقـــع أن العلاقة بين الطرفين هي علاقة التنافر لا التـــضاد، ولكـــن المرادف من جهة المنشأ هو جنس (الذكورة) للطرف الأول وجنس (الأنوثة) للطرف الثاني، ويمكن أن نوضح هذا التقابل في الرسم الآتي:



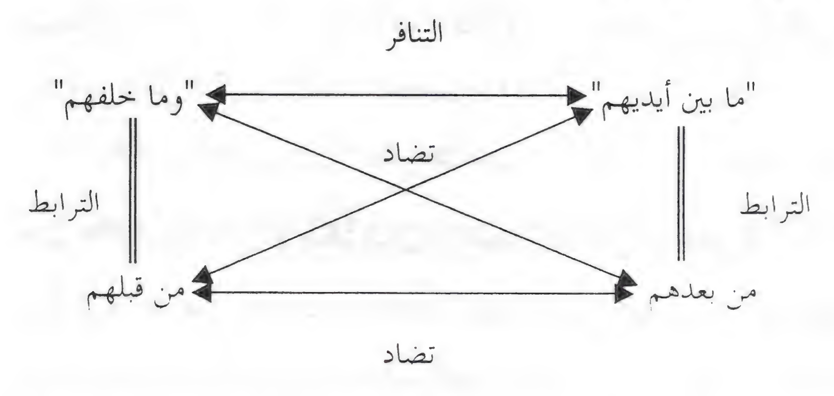
وطبيعة التركيب، كما نلحظ، لا تختلف عنها في الآية السابقة.

ولا يقتصر المرادف في المنشأ على الذكورة والأنوثة، فقد يأتي من جهة الطبيعة الكونية كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [٢٣]. إن طرفي التقابل هنا هما (البر) و(البحر) ومرادف (البر) هو (اليابسة)، وأما مرادف (البحر) فهو (الماء) وتتشكل الطبيعة التركيبية هنا كما تشكلت الآية السابقة مع المحافظة على خصائص التركيب نفسها.

وقد يأتي المعنى لكل لفظ من جهة أخرى غير المرادفين المعنوي والمنشئي. فهو يأتي من أحد الترابطات المعنوية للفظي، مثل قوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء﴾ [٢٤] إن التقابل هنا بين (ما بين أيديهم) و(وما خلفهم) ويمكننا أن نأتي بأكثر من معنى يرتبط بكل طرف من الطرفين إذا ما جردناهما من السياق، فالطرف الأول مثلاً يعطي معنى أمامهم؛ لأن ما بين الأيدي مقدمة الإنسان ومقدمة الإنسان أمامه، ويعطي معنى آخر هو الحاضر؛ لأن ما بين أيدي

الإنـــسان هو حاضره الذي يوجد فيه أيضاً، ويعطي معنى آخر هو المستقبل أي مـــا يأتي بعدهم. وأما الطرف الثاني فإنه يعطي معاني متعددة، منها معنى الخلف وهو ضد أمامهم ومعنى الغائب وهو ضد الحاضر، ومعنى الماضي الذي هو ضد المـــستقبل، كل هذه المعاني واردة للطرفين مجردين من السياق، ولكن بالرجوع إلى معنى السياق، فإن المعنى المرتبط بكل طرف يتحدد، وذلك أن الطرف الأول يـــشير إلى علم الخالق عز وجل بالأمم التي تأتي بعد المشار إليهم بالضمير (هم) في (أيـــديهم)، وأن الطرف الثاني يشير إلى علمه بالأمم التي كانت قبلهم. وقد أشـــار إلى هذا الزمخشري في تفسيره لهذه الآية في قولـــه: "ما كان قبلهم وما يكون بعدهم"[٢٥].

وأمـــا العلاقات التي تنشأ للأطراف وترابطاتها المعنوية فلا تختلف عن ســـابقتها من التراكيب من حيث التضاد والتماثل، ويمكن أن نوضح هذا البناء التركيبي في الرسم الآتي:



ولا شك في أن طبيعة العلاقة التماثلية هنا تختلف عن سابقاتها من هذا الـــنمط، إذ إنهـــا هنا اختيار من متعدد في المعاني المرتبطة بالمفرد من المتقابلين، ولعـــل هذا الاختيار يميز هذا البناء الأسلوبي من غيره من الأبنية التي تتشكل في التضاد المعنوي.

إن معطيات بناء الأسلوب في تقابل التضاد المعنوي بين المفردات تشمل الرابط من حيث اجتماع المتقابلين في رابط واحد وتوزيعهما على رابطين، ويظل معنى المواجهة والضم متخللاً هذا البناء، وثمة آيات كريمة جاءت على هذه الأبنية في تقابلاتها. فمن أمثلة المتقابلين اللذين يجتمعان في رابط واحد، ويظهران معنى المواجهة، قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾[٢٦]. إن التقابل في هذه الآية الكريمة وقع بين مفردتي (الحسنى) و(النار). إذ إن الحسنى هنا تشير إلى الجنة، فيصبح التقابل بالتضاد بين الجنة (المرادف) و(النار) في الطرف الثاني، وهذا التقابل هو مواجهة بين الطرفين، إذ إن الطرف الأول ينبع من قول الكفار، فواجههم الله عز وجل بحقيقتهم لديه يوم القيامة، فالمعنيان متواجهان.

لاشك في أن هذا التقابل في البناء الأسلوبي للآية يكشف عن حقيقة اجتماع الطرفين في رابط واحد وهو (الهاء) في شبه الجملة (لهم) التي تكررت مرتين، إذ شكل التكرار علاقة المساواة بين طرفيه.

وأما من أمثلة المتقابلين اللذين يجتمعان في رابط واحد، ويظهران معنى الضم، فكقوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٢٧]. إن التقابل في هذه الآية قائم بين كلمة (المهد) وكلمة (كهلاً) ومرادف الكلمة الأول (طفلاً أو صغيراً) ومرادف الكلمة الثانية (شيخاً أو كبيراً). فالعلاقة بينهما علاقة التنافر التي تفرز معنى الضم، إذ ضمت الآية خطاب الناس في حالي الصغر والكبر، ونلحظ هنا أن الطرفين يجتمعان في رابط واحد، وهو الضمير المستتر العائد إلى عيسى ابن مريم، عليه السلام في الفعل (يكلم).

وأمـــا من أمثلة المتقابلين اللذين يتوزعان على رابطين، ويظهران معنى المواجهة، فكقولـــه تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [٢٨]. إن التقابل في الآية الشريفة يقع بين كلمة (الدنـــيا) وكلمة (الآخرة). ولا شك في أن المرادف للكلمة الأولى هو (الأولى) الـــذي يـــتقابل بـــ (الآخرة) من جهة التضاد، ولعلنا ندرك أن المقابلة هنا في المـــواجهة، إذ أحدثت الآية الطرف الأول من المقابلة وواجهته بالطرف الثاني، وقـــد تـــوزع الطرفان على رابطين؛ لأن حقيقة الرابط الأول (من) تتضاد مع حقيقة الرابط الثاني (من) فالأول لمن أراد الحياة الدنيا ومتاعها وهذا ما يتصف بـــه الكفـــار، والثاني لمن أراد الآخرة وثوابها، وهذا ما يتصف به المؤمنون. ولا شـــك في أننا نلحظ في هذا البناء أن الرابطين يقيمان علاقة التنافر فيما بينهما؛ وذلـــك لأن السياق يقتضي هذه العلاقة، فالرابط الأول يتصف بالطرف الأول من المتقابلين وهو من أصحاب الكفر، والرابط الثاني يتصف بالطرف الثاني من المتقابلين وهو من أصحاب الإيمان.

وأمـــا مـــن أمثلة المتقابلين اللذين يتوزعان على رابطين ويظهران معنى الضم، فقولـــه تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾ [٢٩]. فالـــتقابل في هـــذه الآية الشريفة بين كلمة (خالصة) وكلمة (محرم)، وأما مرادف الكلمة الأولى فهو (حلالاً) ويتقابل هذا المرادف بالطرف الثاني في التضاد، ونلحظ أنهما انضما معاً في صفة الاسم الموصول (ما) وتوزعا علـــى رابطين، إذ كان الطرف الأول يرتبط بكلمة (لذكورنا) والطرف الثاني بكلمة (أزواجنا).

الأبنية الأسلوبية:

بعد أن تحدثنا عن الطبيعة التركيبية لتقابل التضاد المعنوي من حيث العلاقة بين المتقابلين، ومن حيث الرابط، نأتي لنتحدث عن البناء الأسلوبي للتقابلات داخل السياق، ولدى استقرائي للتقابلات المعنوية، وجدت أن ثمة أبنية مختلفة الأسلوب بعضها يلتقي الأبنية الأسلوبية التي وردت في تقابل التضاد اللفظي الحقيقي والمجازي وبعضها لم يرد فيها وهي:

أولاً- $\frac{\text{التقابل}}{\text{السياق}}$:

بلغت تقابلات هذا الأسلوب اثنين وستين تقابلاً، وردت بمعنى المواجهة والضم في هذا البناء، فمن أمثلة التقابل في المواجهة، قوله تعالى: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [٣٠]. إن الطرفين في التقابل هنا يتداخلان مع السياق، بحيث لا يمكن فصلهما عنه فـ (نمتعهم) مرتبطة بكلمة (قليلاً) و(نضطرهم) مرتبطة بشبه الجملة (إلى عذاب غليظ) من هنا جاء بناء هذا السياق متداخلاً في تركيب التقابل.

ثانياً- التقابل ←—— السياق:

لقد بلغت تقابلات هذا البناء مائة وأربعة عشر تقابلاً، فمن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [٣١]. لا شك في أننا نلحظ أن التقابل في هذه الآية قد جاء في بدايتها قبل السياق. فالطرفان (جامدة) و(تمرّ) يشكلان

علاقــة بنائية مع السياق (صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون).

لعلــنا نــدرك أن الــتقابل هنا يقع بين مرادف الطرف الأول (جامدة) وهو (ســاكنة) ومــرادف الطرف الثاني (تمرّ) وهو (تتحرك)، ولعل بناء التقابل في ســياقه التقابلي يشكل علاقة وطيدة بالسياق وذلك أن السياق يرتبط بالتقابل على أساس التأكيد والإثبات لما ورد في هذا التقابل. إذ جعلت الصياغة القرآنية تداخلاً بين الضدين (السكون/ جامدة) و(الحركة/ تمرّ) فوصل هذا التداخل إلى أن تحــل الحركة مكان السكون، فالحركة هي من صنع الخالق عز وجل وهي حقــيقة الجبال في حين أن السكون هو من رؤية الإنسان وتقديره، وحتى تثبت الــصياغة القــرآنية هــذا الإحلال بين المتقابلين جاءت الآية بالسياق المؤكد لمضمون التقابل.

ثالثاً- السياق ←—— التقابل:

بلغــت التقابلات في هذا البناء سبعة وستين تقابلاً، فمن أمثلته قولــه تعالى: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٣٢].

إن الــتقابل في هذه الآية بين كلمة (المؤمنون) ومرادف كلمة (الفاسقون) وهو الكافرون، وقد جاء هذا التقابل ليبين حقيقة مضمون السياق. وذلك أن معظم أهــل الكــتاب من الكافرين الذين تمردوا في كفرهم[٣٣]. والناقضين للعهد مع المؤمــنين[٣٤]. فجــاء التقابل ليقسم أهل الكتاب قسمين: الأول (المؤمنون)، والثاني (الكافرون) وقد غلب الثاني على الأول، ومن هنا وافق السياق المتضمن أســلوب الــشرط الذي امتنع فيه الخير لوجود عدم إيمانهم بالله تعالى، وهكذا يتشابه هذا البناء الأسلوبي مع البناء السابق من حيث إنه يشكل نقطة توحد بين التقابل والسياق.

رابعاً- السياق الأول ← التقابل ← السياق الثاني:

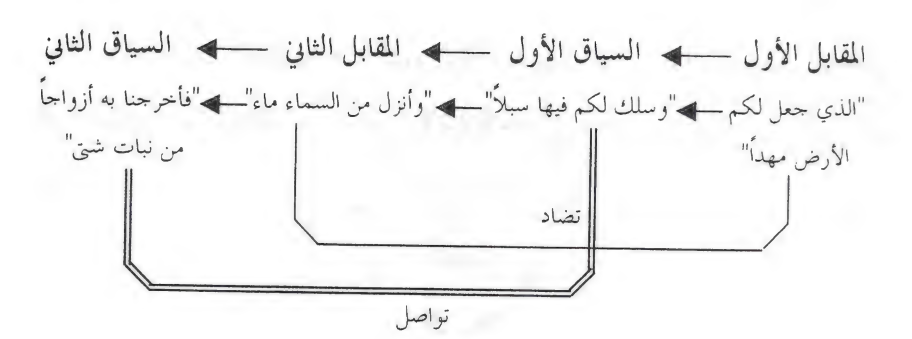
بلغت تقابلات هذا البناء سبعة وستين تقابلاً، وقد تشكل السياقان اللذان يتوسطهما التقابل بعلاقتين الأولى علاقة التواصل، والثانية علاقة التخالف، فمن أمثلة علاقة التواصل، قوله تعالى: ﴿ **قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ** ﴾ (٣٥). إن التقابل في هذه الآية قائم بين كلمتي (القواعد) و(السقف). ولا شك في أننا ندرك مرادف كل كلمة منهما، فمرادف الأولى (الأسفل) ومرادف الثانية (الأعلى). وهذا التقابل يتوسط السياقين (الأول والثاني) إن السياق الأول يتضمن معنى المكر. وهو خطيئة يقترفها الإنسان في الحياة الدنيا، والسياق الثاني يتضمن معنى العذاب من الله عز وجل، ولا شك في أن الصلة بين السياقين واضحة، وهي أن العمل الخاطئ يقابل بالجزاء الذي يساويه وهو العذاب، وتنشأ علاقة جديدة بين السياق الأول والتقابل وهي علاقة التواصل، وذلك أن سياق التقابل يتضمن جزاء المكر بالعذاب، وتنشأ أيضاً علاقة تماثل بين التقابل والسياق الثاني وهما يجتمعان على معنى العذاب.

ومن أمثلة علاقة التخالف قوله تعالى: ﴿ **فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾ (٣٦). إن التقابل في الآية يقع في كلمتين هما (يديها) و(خلفها) وهذا النمط من التقابل المعنوي يندرج تحت ترابطات المعنى لكل لفظة، فالكلمة الأولى تشير إلى ما كان قبل اليهود، والثانية تشير إلى ما كان بعدهم(٣٧). وقد توسط التقابل بين السياقين الأول والثاني. والسياق الأول يتضمن معنى العقوبة والعذاب. والسياق الثاني يتضمن معنى الموعظة والحكمة،

والعلاقـــة بـــين السياقين على هذا الأساس هي علاقة التخالف، وتنشأ علاقة التواصـــل بـــين السياق الأول والتقابل؛ لأن التنكيل والعذاب وقع على طرفي التقابل، وتنشأ علاقة التخالف بين التقابل وبين السياق الثاني؛ لأن صفة أصحاب التقابل هي الكفر في حين أن صفة أصحاب السياق الثاني التقوى والإيمان.

خامساً- المقابل الأول←السياق الأول←المقابل الثاني←السياق الثاني:

بلغـــت تقابلات هذا البناء ستة تقابلات، مثل قولـــه تعالى: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ**﴾ (٣٨). وقد جاء الطرفان متباعدين بينهما السياق الأول. ومن ثم انتهت الآية بالسياق الثاني. ويبدو لي أن هذا البناء يحافظ على طبيعته التركيبية الـــتي ظهـــرت في تقابـــل التضاد اللفظي الحقيقي والمجازي، إذ نلحظ علاقات التواصل والتماثل بين السياقين وطرفي التقابل، ويمكننا أن نبرز هذه العلاقات في الرسم الآتي:



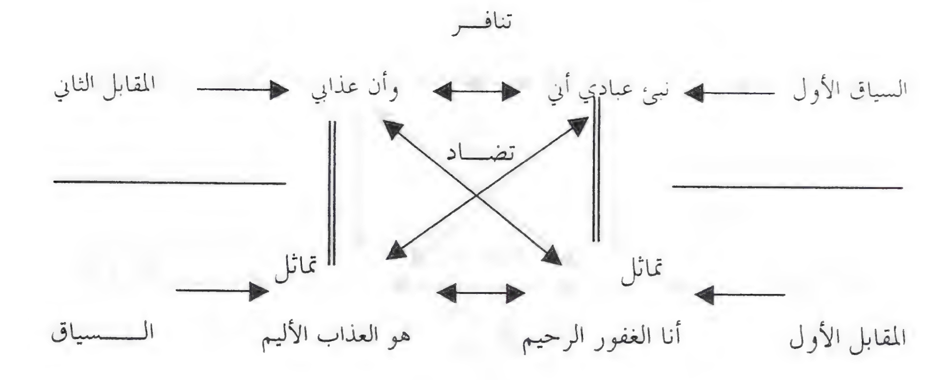
إن العلاقة المباشرة بين (الأرض) و(السماء) هي علاقة التنافر التي تفرز علاقـــة التضاد بين مرادف الطرفين وهما (تحت) و(فوق) على الترتيب. ولكن هـــذه العلاقـــة المتضادة تتغير إذا ما ربطنا كل طرف بسياقه التقابلي، فالطرف الأول يتضمن تسخير الأرض لفائدة الإنسان، ومن ثم الطرف الثاني يتضمن هذا المعـــنى نفسه، فـــ (الأرض) جعلت مهداً للإنسان، ومن (السماء) أنزل الماء إلى الأرض لـــصالح الإنسان أيضاً. ومن هنا يصبح الطرفان متوحدين على مستوى الـــسياق التقابلي، وهذا التوحد يمكننا أن ننعته بعلاقة التماثل والانسجام. وأما الـــسياقين الأول والثاني، فإننا نلحظ فيهما علاقة التواصل، إذ إن السياق الأول يتـــضمن معـــنى تسهيل التنقل في الأرض وكسب الرزق فيها، والسياق الثاني يتضمن معنى إغراق الأرض بالنبات الذي يشكل رزق الإنسان على هذه الأرض، ولكنه رزق مرتبط بماء السماء، وهذه المعاني ترتبط فيما بينهما بالتواصل.

سادساً– $\frac{\text{السياق الأول}}{\text{المقابل الأول}}$ ← $\frac{\text{المقابل الثاني}}{\text{السياق الثاني}}$ و $\frac{\text{السياق الأول}}{\text{المقابل الأول}}$ ← $\frac{\text{السياق الثاني}}{\text{المقابل الثاني}}$

بلغـــت تقابلات هذا البناء اثنين وخمسين تقابلاً، وقد اختلفت مواقعها في السياق كما نلحظ، ولابد من الإشارة هنا إلى أنه يلتقي البناء الأسلوبي ذي الرمز:

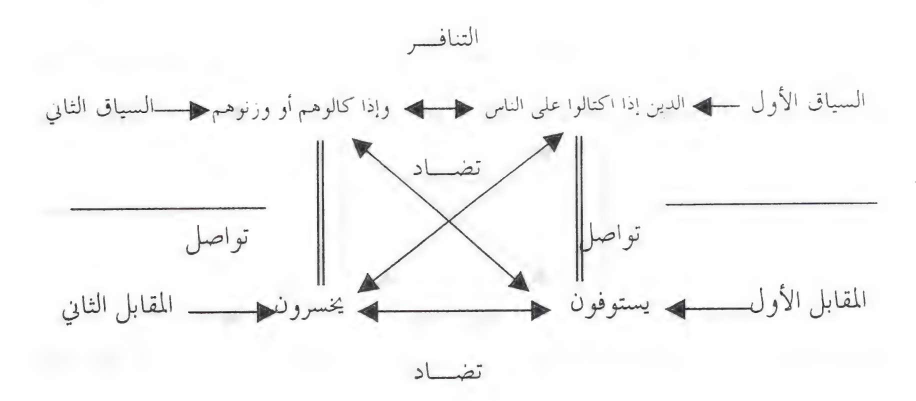
$$\frac{\text{التقابل}}{\text{السياق}}$$

ولكنه يختلف في طبيعة تركيبه السياقي، وذلك أن البناء الأخير لا يمتد في عبارتين طويلتين وإنما ينحصر في عبارة قصيرة، كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [٣٩]. وأما البناء الأسلوبي الذي نحن بصدد تحليله، فهو يمتد في سياق أطول نسبياً من الأول، كقوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمَ﴾ [٤٠]. إن التقابل في هاتين الآيتين قائم بين (الغفور) و(عذابي)، والعلاقة القائمة بينهما هي علاقة التنافر. في حين أن علاقة التضاد تظهر في مرادفيهما، وهما ستر الذنوب والامتناع عن الأخذ بها، والأخذ بالذنوب وإيقاع النكال والعذاب بها، ونلحظ هنا أن الطرف الأول من التقابل قد رافق سياقه، وجاء في آخره، في حين إن الطرف الثاني قد ظهر في بداية السياق الثاني للتقابل، ومن هنا فإن إبراز السياق الأول وإبراز الطرف الأول من التقابل في غاية الأهمية، وذلك لمقابلته بالطرف الثاني وبالسياق الثاني. ومن هنا تصبح العلاقة بين السياقين الأول والثاني والطرفين الأول والثاني علاقة تبادلية، تثبت معنى التضاد على مستوى البناء الأسلوبي، ويمكننا أن نوضح هذا البناء في الرسم الآتي:



فالـــسياق الأول يقـــيم علاقة التضاد مع الساق الثاني، وذلك أن صفة العـــباد هـــي صفة المؤمنين الذين يبتعدون عن عذاب الله الأليم، والعلاقة بين الطـــرفين الأول مـــن التقابل هي علاقة التضاد، وفي الوقت نفسه تظهر علاقة تـــضاد أخـــرى بـــين الطرف الأول والسياق الثاني؛ إذ يتضاد مضمون المغفرة والـــرحمة بمضمون العذاب الأليم، وتنشأ علاقة تماثل عمودية بين السياق الأول والمقابـــل الأول، وعلاقة تماثلية أخرى بين المقابل الثاني والسياق الثاني وعلاقة تنافر أفقية بين السياق الأول والمقابل الثاني.

وفي هذا البناء ينتقل التقابل مع المحافظة على تركيبه الأسلوبي، فبدل أن يأتي الطرف الثاني في أول السياق الثاني يأتي في آخره، كقولـــه تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾[٤١]. ولا شك في أننا نلحظ أن طرفي التقابل هما (يستوفون) و(يخسرون) وعلاقة التضاد بيـــنهما تقـــوم بين (يستوفون) ومرادف (يخسرون) وهو (ينقصون). وقد وقع الطـــرفان في نهاية كل سياق من السياقين ويمكننا أن نوضح هذا البناء في الرسم الآتي، لنكشف عن العلاقات القائمة بين السياق والتقابل:



إن الساق الأول يقيم علاقة تنافر مع السياق الثاني وذلك من مضمون كل سياق منهما، فالسياق الأول يتضمن الاكتيال في حال الشراء من الناس في حين يتضمن السياق الثاني الاكتيال والوزن في حال البيع للناس، وفي الوقت نفسه يقيم السياق الأول علاقة تضاد مع المقابل الثاني؛ لأن هؤلاء الذين يكتالون لا ينقصون الكيل لأنفسهم، ويقيم السياق الثاني علاقة تضاد أخرى مع المقابل الأول؛ لأن المكتالين والوازنين هنا لا يستوفون الكيل والوزن إذا ما باعوا الناس. ومن هنا تتقاطع العلاقة من جهة التضاد بين السياق الأول والمقابل الثاني وبين المقابل الأول والسياق الثاني. وبطبيعة الحال فإن العلاقة بين المقابل الأول والمقابل الثاني علاقة تضاد، وثمة علاقة جديدة تنشأ بين السياق الأول والمقابل الأول وبين السياق الثاني والمقابل الثاني وهي علاقة التواصل.

وهكذا تصبح العلاقات في هذا البناء قائمة على التضاد تقاطعياً وأفقياً، وقائمة على التواصل عمودياً، وكما نلحظ فإن هذا البناء يتشابه بعلاقاته مع البناء السابق.

يمتد هذا البناء الأسلوبي إلى تشكيل آخر في السياق، وذلك أن في نهايته يظهر سياق ثالث يرتبط ارتباطاً قوياً بالبناء. وهو في الصورة الآتية:

السياق الأول ——— ◄——— السياق الثاني ——— ◄——— السياق الثالث

المقابل الأول المقابل الثاني

من أمثلته قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ** ﴾ [٤٢]. إن التقابل هنا بين مرادف (الدنيا) وهو (الأولى) وبين الطرف الثاني (الآخرة). وكما نلحظ فإن السياق الذي يقع

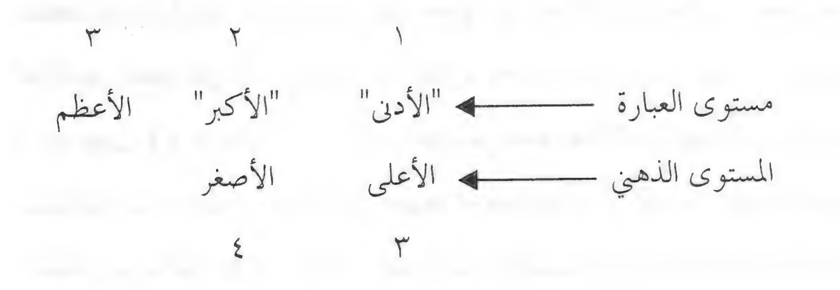
فـيه كـل طـرف سياق ممتد طويل إذ يكون الطرف الأول في السياق الأول والطـرف الـثاني في السياق الثاني، ويظهر سياق جديد ثالث وهو في عبارة (سنجزي الشاكرين).

ولا شـك في أننا ندرك هنا أن العلاقة بين السياقين الأول والثاني هي علاقـة تنافر، وذلك ينتج من خلال مضمون السياق بربطه مع طرفي التقابل، فالـثواب في الـسياق الأول هو متاع قليل وزائل في الحياة الدنيا في حين أن الـثواب في السياق الثاني متاع دائم في الحياة الآخرة، وفي الوقت نفسه تظهر علاقة التضاد بين السياق الأول المتضمن الحياة الأولى، وبين السياق الثاني الذي يـشير إلى الآخـرة، وفي الـوجه الآخر تظهر علاقة التضاد بين المقابل الأول المتـضمن الحياة الأولى بمتاعها الزائل وبين السياق الثاني المتضمن الحياة الآخرة بمـتاعها الـدائم. وفي طبيعة الحال فإن العلاقة بين طرفي التقابل علاقة التضاد. وتظهـر الصياغة القرآنية أيضاً علاقة التواصل بين السياق الأول والمقابل الأول والعلاقـة نفسها بين السياق الثاني والمقابل الثاني، ولكن وجود السياق الثالث يـبرز لنا علاقتين جديدتين هما علاقة التماثل بين السياق الثاني والثالث، وذلك من المضمون فالسياق الأول يتضمن من يعمل الخير والمعروف لأجل الثواب في الآخـرة، وهذا المتصف بالصلاح هو من الشاكرين الذين سيجازون بالجنة في الآخـرة، وفي الوقت نفسه فإن العلاقة بين المقابل الثاني والسياق الثالث تظهر علاقة التماثل من خلال مضمون السياق الثاني الذي ينعكس على المقابل الثاني، وهو الذي يتضمن الصلاح والمعروف والخير والجزاء بها في الحياة الآخرة.

ثالثاً– تقابل التخالف:

إن التقابل الثالث في النمط البسيط هو تقابل التخالف الذي بلغت تقابلاته ثمانية وخمسين تقابلاً، لقد كشفت كثير من آيات الكتاب عن هذا النمط ولكنها بالقياس إلى آيات التقابلين السابقين كانت قليلة نسبياً، ولكنها أظهرت كثيراً من العلاقات البنائية التي نتجت من تماس طرفي التقابل في البنية اللغوية، وذلك أن الكشف عن علاقات التخالف يتم من خلال البنية السياقية للمتقابلين، يقول الدكتور محمد عبد المطلب: "وعملية البحث عن علاقات التخالف، هي حركة على المستوى الداخلي للبنية، إذ تكشف عن حركة العقل في التحرك بين متقابلين هما: التخالف والتناسب، وانعكاس ذلك في صياغة تجمع الأمرين معاً، ولكن تجليهما لا يتم إلا برصد العلاقات الخفية"[٤٣]. فمعطيات تقابل التخالف التي نبحثها في هذا النمط ستكون منصبة على العلاقات الخفية التي تكمن في طرفي التقابل. وهذا ما كنا نسعى إليه في التقابلين السابقين. ولا شك في أن الكشف عن هذه العلاقات يتطلب رصد طرفي التقابل على مستوى العبارة من جهة، ورصد التكوين التقابلي على مستوى الذهن من جهة أخرى. وذلك حتى يكون الكشف عن العلاقات الخفية قريباً من حقيقة الطبيعة التركيبية للتخالف، وقد نعت الدكتور عبد المطلب هذا التكوين التقابلي بالعملية الذهنية من خلال الحضور والغياب، بحيث يؤدي الحاضر دوره التعبيري ثم يتبعه الغائب بهذا الأداء من خلال المستوى الذهني. وقد أشار إلى أن هذا التقابل يأخذ شكلاً خماسياً في مستوييه المكتوب والذهني[٤٤]. والواقع أن الطبيعة التركيبية لتقابل التخالف تفرز لنا هذا الشكل الخماسي، ولكنه شكل متداخل تتصل أطرافه الخمسة بعلاقات متداخلة، ويمكننا أن نكشف عن هذه الطبيعة من خلال قوله تعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ

﴿الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٤٥). إن طرفي التقابل في هذه الآيـــة هما (الأدنى) و(الأكبر) وحقيقة العلاقة بين الطرفين ليست علاقة التضاد وإنما ما يقاربها وذلك أن ضد (الأدنى) (الأعلى) وضد (الأكبر) (الأصغر). ومن هــذا الافتــراق جاء معنى التخالف بين الطرفين، ولكن من الملاحظ على هذه العلاقــة أن فــيها نوعاً من التناسب بين المتقابلين، فيجوز أن نقول: إن كلمة (الأدنى) ونقيــضها (الأعلى) تتصل (بالعائلة المعنوية) لكلمة (الأكبر) ونقيضها (الأصــغر)، وهذا هو التناسب بعينه. إن طرفي التقابل على مستوى العبارة هما (الأدنى) و(الأكــبر) حيث يظهر طرفان متضادان لذينك الطرفين على المستوى الــذهني وهمــا (الأعلى) للطرف الأول و(الأصغر) للطرف الثاني، ويمكن أن نوضح هذا التركيب في الرسم الآتي:



ويبدو لي أن دائرة التقابل في هذا الرسم لم تكتمل؛ وذلك إن إمكانية إحداث طرف خامس واردة من خلال التقابل على مستوى العبارة. إن الطرف الثاني من التقابل يثبت وجوده ليعطي طرفاً جديداً في التركيب، فكلمة (الأكبر) تعطــي معــنى آخر يتقابل مع الأطراف الأربعة في المستويين، ويمكن أن يكون الطرف الجديد كلمة (الأعظم) كما في الرسم، وفي هذا الطرف الجديد تكتمل الدائــرة التقابلية، ويصبح بالإمكان الكشف عن علاقات الأطراف المتداخلة. وذلك أن العلاقات الخفية لتقابلات العبارة والذهن مع الطرف الخامس تشكل

شبكة من العلاقات المتداخلة التي تتوزع على التناسب والتضاد والتخالف. فكلمة (الأدنى) تقيم علاقة التخالف مع (الأكبر) ومع (الأعظم)، وعلاقة التضاد مع (الأعلى)، وتقيم علاقة التناسب مع (الأصغر)، وتقيم كلمة (الأكبر) علاقة التناسب مع (الأعظم) و(الأعلى)، وعلاقة التخالف مع (الأدنى)، وعلاقة التضاد مع (الأصغر). وأما الطرف الجديد (الأعظم)، فيقيم علاقة التخالف مع (الأدنى) و(الأصغر)، وعلاقة التناسب مع (الأكبر) و(الأعلى)، وكلمة (الأعلى) الذهنية تقيم علاقة التناسب مع (الأعظم) و(الأكبر)، وعلاقة التخالف مع (الأصغر) والتضاد مع (الأدنى)، وكلمة (الأصغر) تقيم أيضاً علاقة التناسب مع (الأدنى)، وعلاقة التخالف مع (الأعلى) و(الأعظم) والتضاد مع (الأكبر). وهكذا تنشأ علاقات التناسب والتخالف والتضاد على جميع المستويات العمودية والتقاطعية والأفقية وفي هذه العلاقات تنتهي دائرة تقابل التخالف وتجدر الملاحظة هنا أن علاقتي التناسب والتخالف كانتا بارزتين في تقابل التخالف.

ولدى استقرائي لجميع آيات القرآن الكريم الواقعة في التخالف وجدت أن معظمها يكشف عن اجتماع المتقابلين في رابط واحد، كقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (٤٦). إذ إن الرابط هو متعلق الطرفين (الذين) في حين أن المتقابلين اللذين يتوزعان على رابطين كانا قليلي الورود في الآيات الشريفة، كقوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ (٤٧). فالطرف الأول (آمن) رابطه الضمير المستتر فيه، والطرف الثاني (استكبرتم) رابطه الضمير المتصل به (التاء). وقد جاءت المتقابلات في هذه الآيات من جهة معنى الضم كما في الآية الأولى

فـ (أشداء) تتقابل بالضم بـ (رحماء) وجاءت من جهة المواجهة كما في الآية الثانية. إذ إن (آمن) تتقابل بالمواجهة بـ (استكبرتم).

وأما **الأبنية الأسلوبية** لتقابلات التخالف فلم تخرج عن الأبنية الأسلوبية السابقة، إذ جاءت على الأبنية نفسها في التقابلات اللفظية والمعنوية، فبعضها جاء على البناء:

التقابل

السياق

وقد بلغت تقابلاتها ستة تقابلات كقوله تعالى: ﴿ **قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [٤٨]. فالمتقابلان يتشكلان في سياق واحد، وينتهي السياق بالمتقابلين. وجاء بعضهما على البناء:

التقابل ←—— السياق

إذ بلغت تقابلاته تسعة تقابلات، كقوله تعالى: ﴿ **أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [٤٩]. فالمتقابلان جاءا في بداية الآية، ومن ثم جاء السياق في آخر المتقابلين يتصل بهما وهو (أكثرهم لا يؤمنون). وهذا السياق يرتبط بالمتقابلين من حيث إظهار الصفة الحقيقية لهؤلاء الذين (عاهدوا) ثم نقض فريق منهم هذا العهد. ولذلك جاءت كلمة (أكثر) في السياق. وجاء بعض هذه الآيات على البناء الأسلوبي:

السياق ←—— التقابل

وقـد بلغت تقابلاته خمسة عشر تقابلاً كقولـه تعالى: ﴿ قَالُواْ تَاللَّه تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾ (٥٠)، وهذا البناء مقلوب البناء السـابق بحـيث جاء السياق أولاً وبعد ذلك جاء بناء المتقابلين. وجاءت أيضاً الآيات على البناء الأسلوبي:

السياق الأول ←—— التقابل ←—— السياق الثاني

إذ بلغـت تقابلاته تسعة عشر تقابلاً، كقولـه تعالى: ﴿ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٥١) إن التقابل هنا يتوسط سياقين، الأول (واتبع هواه فمـثله كمثل الكلب) والثاني (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) وقد جاءت أخيراً على البناء الأسلوبي:

المقابل الأول		المقابل الثاني
السياق الأول	←——	السياق الثاني

وقد بلغت تقابلاته تسعة تقابلات كقولـه تعالى: ﴿ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ (٥٢) فطرفا التقابل يمتدان في سياقين بحيث يقيمان علاقة تقاطعية على مستوى التخالف بين (الأفق) و(تدلى) و(الأعلى) و(دنا).

رابعاً- التماثـــل:

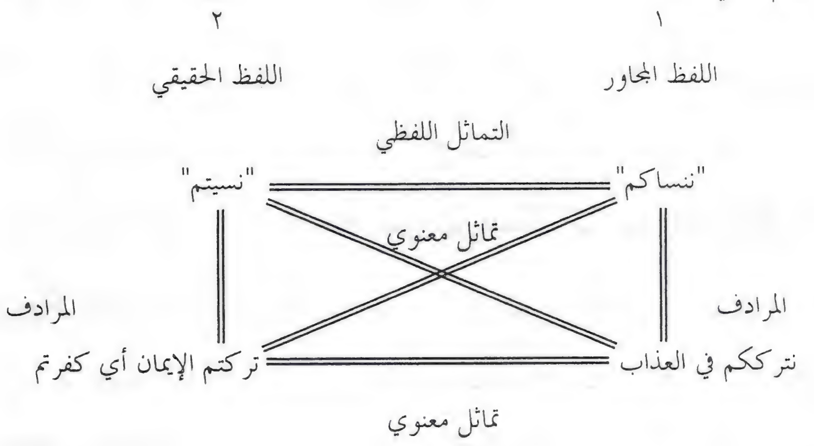
إن الجانـــب الأخـــير في الـــنمط البسيط هو التماثل الذي تتحرك فيه المتماثلات بالمفردات التي تتشكل من الكلام الذي يحتاج إلى جواب. وقد أشار العلـــوي إلى هـــذا النوع من التماثل في المفهوم الآتي: "فضابط المماثلة أن كل كـــلام كان مفتقراً إلى الجواب. فإن جوابه يكون مماثلاً"(٥٣). ولا شك في أن هـــذا التعـــريف يرصد لنا بدقة نمط التماثل البسيط. والواقع أن كثيراً من هذه الـــتماثلات قد وردت في آيات القرآن الكريم وقد بلغت ستة وعشرين تماثلاً. ولكـــن كيف تشكلت التماثلات في هذه الآيات؟ وما هي البنى الأسلوبية لمثل هذه التماثلات؟ وما طبيعتها التركيبية التي تشكلت فيها؟ لا شك في أن الإجابة عـــن هـــذه التساؤلات تحتاج من الباحث التعمق في بنية التماثل، وفي معطياتها الـــسياقية. يقول الدكتور محمد عبد المطلب: "والحقيقة أن إدراك التماثل عملية دهنـــية خفية لابد من أن يعينها حدس داخلي أيضاً. ذلك أن الدال يرد كعنصر في بنـــية الأســـلوب، ومن ثم يشغل الذهن فوراً بالارتداد إلى المدلول لإدراك المطابقـــة أو عدمها، وهذه مرحلة أولية تتبعها عملية (تخزين) في الذاكرة بحيث تتراكم الدوال ملازمة لدوالها تارة، ومنحرفة عنها تارة أخرى"(٥٤).

إن الـــتماثل في حقيقته الظاهرة هو تماثل مفردتين باللفظ على مستوى العـــبارة، ولكـــن بنيته هنا لا تقف عند حد التماثل الشكلي فحسب، وإنما قد تحمـــل في علاقاتها السياقية مضامين قد تكون متشابهة، وقد تكون مختلفة، وقد تـــصل إلى حـــد التـــضاد، ولدى استقرائي للتماثل البسيط في الآيات الكريمة وجـــدت أن ثمة أنماطاً لهذه التماثلات، فأول هذه الأنماط هو التماثل التام الذي يقع في اللفظ والمعنى، كقولـــه تعالى: ﴿ **وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي**

بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (٥٥). إن طرفي التماثل في هذه الآية هو الفعل المضارع (يؤمنون) والثاني (يؤمنون به) ولا شك في أننا نلحظ التماثل اللفظي بين الطرفين. وأما التماثل المعنوي فإنه يبرز من خلال إثبات الطرفين للإيمان باليوم الآخر وبالله عز وجل. من هنا جاء التماثل التام بين اللفظ والمعنى.

وأما ثاني هذه الأنماط، فهو التماثل المتداخل وهو الذي يتم فيه التماثل في اللفظ، وأما المعنى فهو يتراوح بين التماثل والتخالف وهما علاقتان متداخلتان، كقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ (٥٦). إن الطرف الأول في التقابل في هذه الآية هو (ننساكم) والطرف الثاني هو (نسيتم). ولا شك في أننا ندرك التماثل اللفظي بين الطرفين، فالطرفان أخذا من أصل واحد، ولكن العلاقات المعنوية التي تنتج من السياق لا تقع في التماثل التام، ففي الطرف الأول فاعلية تعود إلى الخالق عز وجل. والخالق يتعالى عن أن يتصف بالنسيان، ولذلك فإن المعنى المتضمن في هذا الطرف لا يشير إلى معنى النسيان أو عدم التذكر وقد فسره الزمخشري بمعنى "نترككم في العذاب"(٥٧) فالنسيان إذن، كطرف أول هو بمعنى الترك في العذاب لهؤلاء الذين نسوا لقاء الله سبحانه وتعالى يوم الآخرة، فهؤلاء قد تركوا عدة هذا اللقاء من إقامة الصلاة والعمل الصالح من معاني الإيمان(٥٨). وقد سمى البلاغيون هذا النوع من التماثل المشاكلة، إذ أشركوا تماثل اللفظين مع اختلاف في المعنى، إذ تأتي بالمجاورة(٥٩). وقد حققت هذه الآية هذا المعنى للمشاكلة.

إن ثمـــة نقطة جوهرية في هذا التماثل وهي أن الطرف الأول كان يمثل اللفـــظ المجـــاور في حين أن الطرف الثاني كان يمثل اللفظ الحقيقي. وذلك أن الطـــرف الأول يقع في المجاز لا في الحقيقة، وثمة ملاحظة أخرى وهي أن لكل طـــرف مـــرادفاً يكشف عن حقيقة مضمونه ويمكن أن نوضح هذا التماثل في الرسم الآتي:



فالعلاقـــة بين المرادفين هي علاقة تماثلين إذ يكون العذاب جزاء حتمياً للكفر، وينشأ تماثل بين اللفظ والمعنى من خلال الطرف الأول ومرادف الطرف الثاني، وتماثل آخر بين الطرف الثاني ومرادف الطرف الأول. والواقع أن الطبيعة التـــركيبية لهذا التماثل ما زالت تعطي علاقات جديدة؛ وذلك من خلال البعد الخفي لكل مرادف، فمرادف الطرف الأول (نترككم في العذاب) له بعد زمني وهـــو الواقـــع في يوم القيامة (الحياة الآخرة)، في حين أن البعد الزمني لمرادف الطرف الثاني (تركتم الإيمان) هو (الحياة الأولى) في الأرض، ومن هنا يمكن أن ندرك العلاقة الجديدة للبعدين وهي علاقة التضاد، وهذه البنية التركيبية للتماثل تنـــتج علاقـــات جديدة بين مرادف الطرف الأول وبعد مرادف الطرف الثاني وهـــي علاقة التضاد، وثمة علاقة تضاد أخرى بين مرادف الثاني وبعد المرادف

الأول، فتصبح علاقة التضاد هنا علاقة تقاطعية، وبإنتاج هذه العلاقة تنغلق دائرة التماثل بحيث يستحيل إحداث علاقات جديدة في هذا النمط. وهكذا يتبين أن التماثل في هذا النمط ليس من التماثل الذي يقوم على لفظين حقيقيين كما كان في الآية السابقة، ويكشف هذا النمط عن تداخل التضاد في التماثل. ولا شك في أن هذا التداخل يشير إلى العلاقة الحميمة بين تقابل التضاد والتماثل.

والواقع أن الآيات القرآنية تكشف عن تركيب آخر للتماثل في هذا النمط، وهو معكوس للتركيب السابق، إذ يأتي اللفظ على الحقيقة أولاً وبعد ذلك يأتي اللفظ المجاور (المجازي) كقوله تعالى: ﴿ **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا** ﴾ (٦٠). فالطرف الأول من التماثل (سيئة) الأولى تقع في اللفظ على الحقيقة، في حين أن الطرف الثاني (سيئة) الثانية تقع في المجاورة، وتنتج العلاقات المتداخلة كما في الآية السابقة.

وقد كانت معظم التماثلات تثير معنى المواجهة بين المتماثلين. كقوله تعالى: ﴿ **هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ** ﴾ (٦١) فالمتماثلان يظهران معنى المواجهة، إذ واجهت الآية الطرف الثاني (الإحسان) بالطرف الأول (الإحسان) وهذه المواجهة بين الطرفين كانت قد ظهرت في التماثلات اللفظية والمعنوية، كما رأينا، أما معنى الضم، فقد كان قليل الورود في آيات الكتاب العظيم، كقوله تعالى: ﴿ **مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ** ﴾ (٦٢). إن طرفي التماثل هنا (وهم يلعبون) يماثل (لاهية قلوبهم)، وهذان التماثلان حالان يبينان هيئة الفاعل في الفعل (استمعوه) ويتضامان معاً لتجسيد المعنى الذي يشير إلى ابتعاد الكفار عن ذكر ربهم بلهوهم في الحياة الدنيا.

وأما الأبنية الأسلوبية لهذا التماثل، فقد تشكلت في أبنية مماثلة للأبنية التي ظهرت في التقابلات السابقة، فقد جاء بعضها على البناء:

التماثل
السياق

الذي بلغت تماثلاته أربعة تماثلات، كقوله تعالى: ﴿ **هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ** ﴾ (٦٣)، وجاء بعضها على البناء

التماثل ←— السياق

الذي بلغت تماثلاته أربعة تماثلات أيضاً، كقوله تعالى: ﴿ **وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ** ﴾ (٦٤)، إذ جاء التماثل قبل السياق (ومأواكم النار) وتشكلت بعض التماثلات على البناء:

السياق ←— التماثل

التي بلغت خمسة تماثلات، كقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ** ﴾ (٦٥). فالسياق جاء قبل التماثل في الآية وهو (ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً). وأما التماثل فهو (للبسنا عليهم ما يلبسون). وجاءت التماثلات أخيراً على البناء:

السياق الأول ←— التماثل ←— السياق الثاني

وقد بلغت تماثلاته ثلاثة عشر تماثلاً، كقوله تعالى: ﴿ **وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ**

أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾ [٦٦]. فكما نلحظ فقد توسط التماثل سياقين والتماثل هنا هو (إن هدى الله هو الهدى).

النمط المركب:

إن تقابلات النمط المركب وتماثلاته بلغت مائة وتسعة وعشرين تقابلاً وتماثلاً توزعت على تقابل التضاد المعنوي المركب الذي تشكل طرفاه من المفرد والتركيب ومن التركيب والتركيب، وعلى التماثل بين طرفيه المفرد والتركيب وبين التركيب والتركيب، وأبدأ حديثي عن تقابل التضاد المعنوي.

أولاً- تقابل التضاد المعنوي:

بلغـــت تقابلات هذا التضاد ثمانية وأربعين تقابلاً، وتوزعت بين المفرد والتركيب وبين التركيب والتركيب، وأبدأ الحديث عن النمط الأول بين المفرد والتركيب.

لقد أبرز لنا هذا النمط بناءين تركيبيين في السياق، الأول يعتمد المفرد في الطـــرف الأول والتـــركيب في الطـــرف الثاني، وقد أظهر هذا البناء طبيعة تركيبية خاصة تعتمد على معطيات طرف التركيب، وتقابلها بطرف المفرد على علاقة التضاد، وحتى نفهم هذه الطبيعة التركيبية، نأخذ قولـــه تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [٦٧] إن طرفي التقابل في هذه الآية قائم في المفرد اللفظي (يضلله) وفي التـــركيب (يجعله على صراط مستقيم). ولاشك في أن العلاقة بين الطرفين هنا

هي علاقة تنافرية لا تسمح لهما بالالتقاء على مستوى التماثل، ولا تسمح لهما بالابتعاد لدرجة التضاد، ولكن مرادف التركيب يشكل علاقة التضاد مع ذلك الطـــرف، والمرادف هنا هو (يهديه) وذلك أن (الصراط المستقيم) في تقابله مع اللفظ (يضلله) يعني (الهداية). وعلى أساس هذه العلاقة تتحقق الطبيعة التركيبية لهـــذا البـــناء، وبمـــرادف الطرف الثاني تنغلق دائرة التقابل، من حيث إحداث العلاقات البنائية، وذلك أنها أحدثت علاقة متضادة بين اللفظ (الطرف الأول) وبين المعنى للطرف الثاني (المرادف).

وأمـــا البـــناء التركيبي الثاني، فهو يعتمد التركيب في الطرف الأول، والمفرد في الطرف الثاني، وهو بناء معكوس لبناء التقابل السابق ويمكننا أن نفهم الطبيعة التركيبية لهذا البناء من قولـــه تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا﴾[٦٨]. إن طرفي التقابل في هذه الآية بين التركيب (إني على بينة من ربي) والمفرد (وكذبتم). وقد فسر أبو البقاء هذه الآية بأن الضمير في (ربي) يأتي على معنى إني صدقت به وأنتم كذبتم به وأشركتم[٦٩]. فمرادف التركيب (الطـــرف الأول) إذن هـــو (صـــدقت)، وهذا المرادف يقيم علاقة التضاد مع الطـــرف الـــثاني (كذبتم)، وهنا تنغلق دائرة التقابل بإحداث علاقة التضاد بين مـــرادف الطرف الأول ولفظ الطرف الثاني، وكما يلاحظ فإن البناء التركيبي معكوس بالنسبة للتركيب السابق في الآية السابقة.

وقـــد اعـــتمدت الـــتقابلات المعنوية بين المفرد والتركيب على معنيي المواجهة والضم. فمن أمثلة المفرد والتركيب قولـــه تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ

﴿ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [٧٠]. فالطرف الأول (فنجي) يتقابل بالطرف الثاني (ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) الذي يرادفه (يهلك). ولا شك في أننا ندرك معنى المواجهة هنا، إذ جعل حالة النجاة لأصحاب الطرف الأول مواجهة لحالة الهلاك لأصحاب الطرف الثاني، ومن أمثلة التركيب والمفرد قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ [٧١]. إن الطرف الأول في مرادفه (فكذبنا) يتقابل في التواجه مع الطرف الثاني (صادقين)، إذ وضعت الآية التكذيب مواجهة التصديق.

وأما معنى الضم فكقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ [٧٢]. إن الطرف الأول هو (آمنا) وهو يتقابل بالطرف الثاني (قالوا إنا معكم) الذي يرادفه (كفرنا) وتبنى العلاقة بين الطرفين على معنى الضم، إذ ضم ادعاء الإيمان إلى حقيقة كفر هؤلاء المتكلمين.

وأما تقابلات التضاد المعنوي القائم بين التركيبين، فقد أظهرت طبيعة تركيبية مختلفة عن الطبيعة التركيبية للمفرد والتركيب، فاعتمد هذا النوع من التقابل على المرادفين، ولتوضيح هذا البناء نأخذ قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [٧٣]. إن الطرف الأول هو التقابل هو (تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول)، ومرادف هذا الطرف هو الإسلام، وأما الطرف الثاني، فهو التركيب (قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) ومرادفه هو الكفر، ولعلنا ندرك أن الطبيعة التركيبية في هذا التقابل تتم بالمرادفين، وإقامة العلاقات بينهما

وبين الطرفين التركيبيين، فالعلاقة بين المرادفين هي علاقة التضاد، وكذلك الأمر فـإن العلاقـة بـين كل طرف ومرادف الآخر تقوم على التضاد، وهنا تنتهي العلاقات الناتجة عن التقابل، وكما نلحظ فإن هذا البناء يختلف في معطياته عن تقابلات المفرد والتركيب.

وقـد كانت التقابلات في هذا التضاد قائمة على معنى المواجهة في كل الآيات القرآنية، كقولـه تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (٧٤). إن الطرف الأول في هذه الآية (أفمن كان على بيـنة مـن ربـه). والآية هنا تشير إلى صفة الإيمان التي تحلى بها الرسول عليه الـسلام. في حين أن الطرف الثاني (كمن زيّن له سوء عمله واتبعوا أهواءهم) يـشير إلى صفة الكفر التي يتصف بها أبو جهل(٧٥). وهذان المعنيان متواجهان بالتضاد.

الأبنية الأسلوبية:

إن هذا النمط التقابلي يفرز لنا أبنية أسلوبية بعضها يشترك مع سابقاتها مـــن أبنية التقابلات التي رأيناها في النمط البسيط وبعضها يختلف عنها. وذلك مـــتأت من الطبيعة التركيبية الخاصة التي يظهرها تقابل التضاد المعنوي المركب، وقـــد تشكلت التقابلات هنا في خمسة أبنية أسلوبية، أتحدث عن كل بناء على حدة.

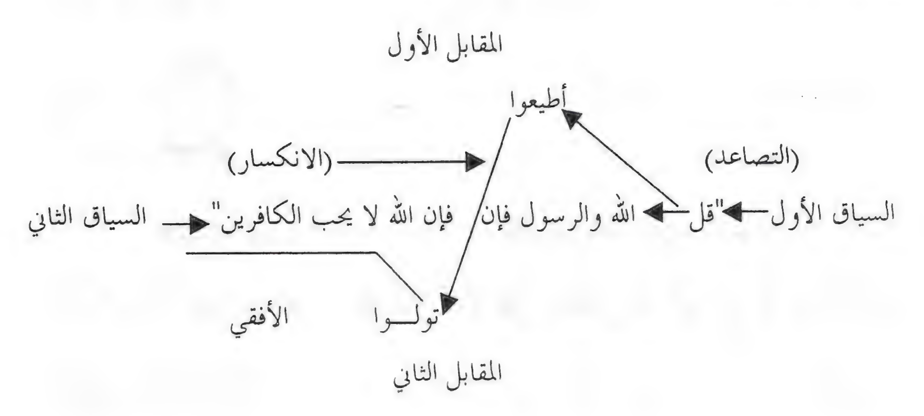
أولاً- $\frac{\text{التقابل}}{\text{السياق}}$:

بلغـــت تقـــابلات هـــذا البناء تقابلين وهو خاص بمتقابلي التركيب والتركيب، كقولـــه تعالى: ﴿ **أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ** ﴾ (٧٦). فطرفا التقابل هنا يندمجان في السياق ولا نستطيع أن نفـــصلهما عـــنه كمـــا نلحظ من التركيب. وقد ورد هذا البناء في التقابلات البسيطة.

ثانياً- $\frac{\text{المقابل الأول}}{\text{السياق الأول}}$ ———◄ التقابل الثاني ———◄ السياق الثاني:

اخـــتص هذا البناء بتقابلات المفرد والتركيب، والتركيب والمفرد، وقد بلغت تقابلاته عشرة تقابلات، وقد اتخذ هذا البناء طبيعة خاصة من جهة إبراز صفة المتقابلين، فمن أمثلة تقابل المفرد بالتركيب قولـــه تعالى: ﴿ **قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ** ﴾ (٧٧). إن الطرف الأول من التقابل

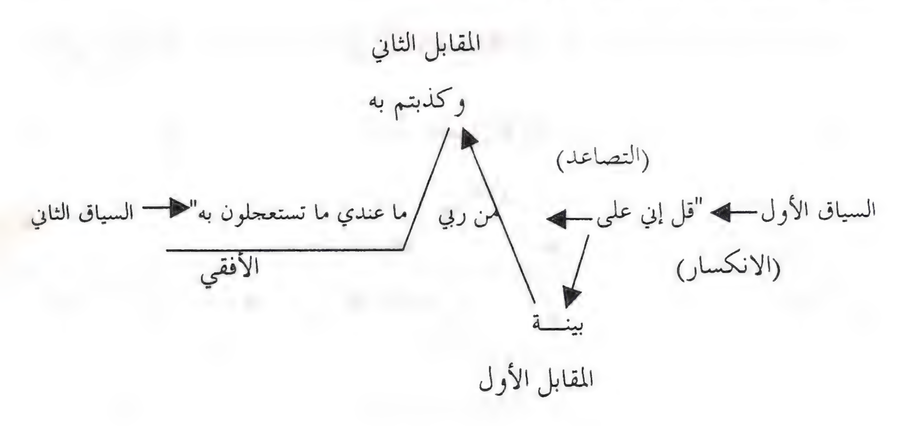
يـــتقاطع بالـــسياق الأول، وهما يشكلان الطرف المفرد (أطيعوا) الذي يتقابل بالطرف الثاني (فإن تولوا) الذي يرادفه (عصوا)، ويتبعه بعد ذلك السياق الثاني القائم في جواب الشرط (فإن الله لا يحب الكافرين). إن التقابل هنا يشكل بنية لغـــوية تأخـــذ ملامح الصعود والانكسار: الصعود من خلال بروز التقابل في مـــسارها الأفقـــي في السياق الثاني. ويمكن أن نبين هذه الحركة باتجاهاتها في الرسم الآتي:



فكمـــا نلحظ فإن حركة التقابل هنا حركة تصاعدية انكسارية. وبعد ذلـــك أفقية في السياق الثاني. وقد جاء السياق الثاني ليؤكد للمخاطبين بأن الله لا يحب من يعصيه. وفي المعصية كفر، وبالآتي فهو يثبت معنى الطاعة في نفوس المخاطـــبين، فكما نلحظ فإن السياق يقيم علاقة تواصل قائمة على نفي الحال المخالفة للتقابل.

وقـــد شكل تقابل التركيب بالمفرد حركة معكوسة لهذا البناء، وحتى نـــبين هذه الحركة نأخذ قولـــه تعالى: ﴿ **قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ** ﴾[٧٨]. إن الطرف الأول والسياق الأول يتقاطعان في

هـــذه الآية، وهما قولـــه (قل إني على بينة من ربي) الذي يرادفه (صدقت به)، وهـــو يشكل حركة انكسارية بالنسبة إلى الطرف الثاني من التقابل المفرد الذي يـــشكل حـــركة تصاعدية، ومن ثم تستمر الآية في مسارها الأفقي مع السياق الثاني وذلك كما في الرسم الآتي:



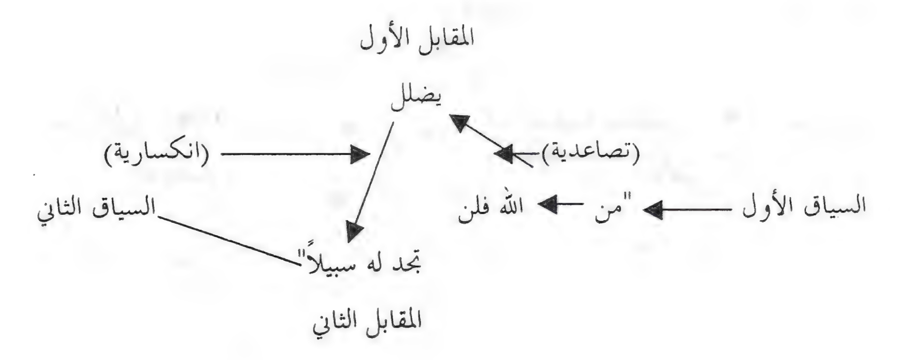
ويـــأتي السياق الثاني في هذه الآية ليبرز موقف الكفار الذين استعجلوا رؤية الخالق عز وجل، ولذلك كانت صفتهم بأنهم (كذبوا به) عز وجل.

ثالثاً– **المقابل الأول / السياق الأول** ◄—— **السياق الثاني / المقابل الثاني**

المقابل الأول / السياق الأول ◄—— **المقابل الثاني / المقابل الثاني** ◄—— **السياق الثالث**

بلغـــت تقابلات هذا البناء أربعة عشر تقابلاً، وقد اشترك تقابل المفرد بالتـــركيب، والتـــركيب بالتركيب في هذا البناء مع زيادة التقابل الأخير سياقاً ثالثاً. فمثال تقابل المفرد بالتركيب قولـــه تعالى: ﴿ **وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ**

سَبِيلاً﴾ (٧٩). إن هـــذه الآيـــة تبرز لنا تقابلاً (المقابل الأول) وسياقاً (السياق الأول) وهمـــا يتواجهان في تقابل (المقابل الثاني) وسياق (السياق الثاني) بحيث يشكلان حركة تصاعدية وانكسارية وينتهي البناء في هذه الحركة دون إحداث حركة أفقية كما كان في السابق. فالطرف الأول (يضلل) يتقابل مرادف الطرف الثاني، وهو (لن يهديه)، ويمكن أن نوضح هاتين الحركتين في الرسم الآتي:



وأما من أمثلة تقابل التركيب بالتركيب، فقولـــه تعالى: {ربنا وءاتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد}(٨٠). إن طرفي التقابل في هذه الآية يتقاطعان مع سياقين. فقولـــه: (وآتنا ما وعدتنا على رسلك) يشكل المقابل الأول والسياق الثاني وقولـــه (لا تخزنا يوم القيامة) يشكل المقابل الثاني، وأما قولـــه (إنك لا تخلف الميعاد)، فإنه يشكل السياق الثالث. إن طرفي التقابل هنا يشكلان حركة انكسارية في هذه الآية، في حين يشكل السياق الثالث حركة أفقية، ولعلنا نلحظ قيمة السياق الثالث في هذا البناء الذي يقيم علاقة التواصل بالتقابل بحيث توجه المتكلمون إلى خالقهم عز وجل بالطلب منه بأن يدخلهم الجنة وأن يبعدهم عن النار، وأكدوا بعد ذلك أن الله لا يخلف وعده الذي وعدهم به في الحياة الدنيا.

رابعاً- السياق الأول ← المقابل الأول ← السياق الثاني / المقابل الثاني :

بلغت تقابلات هذا البناء ستة تقابلات، وقد اقتصرت على تقابل المفرد بالتركيب، والتركيب بالمفرد. دون تقابل التركيب بالتركيب، فمن أمثلة تقابل المفرد بالتركيب قولـــه تعالى: ﴿ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ ﴿ ١٥ ﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ [٨١]. إن هذا البـــناء يبدأ بالسياق الأول وبطرف من التقابل وهو المفرد (تكذبون)، وينتهي بالمقابـــل الـــثاني وسياق متقاطع معه وهو السياق الثاني، بحيث تشكل حركة تصاعدية وانكسارية وأخرى أفقية. ويمكن أن نوضحه على الوجه الآتي:

السياق الأول - "قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء".

المقابل الأول - إن أنتم إلا تكذبون- قالوا.

السياق الثاني - "ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون".

المقابل الثاني - ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون.

نلحـــظ من هذا البناء أنه اتصف بصفة خلافية مع البناء السابق الذي انتهـــى بالسياق الثالث، وذلك أن هذا البناء بدأ بالسياق الأول وهو يتوافق مع طرف التقابل (الأول) من حيث نظرة الكفار بأن البشر لا يكونون من الأنبياء، ولـــذلك كل إنسان يدعي النبوة فهو من الكاذبين. وفي الوقت نفسه يتضاد مع الطرف الثاني وسياقه.

السياق الثاني

المقابل الثاني

وذلــك أن الرسل قد أكدوا صدق رسالاتهم بإرجاء الأمر إلى علم الله سبحانه وتعالى الذي يؤكد أن الرسالة تنزل على البشر.

خامساً- السياق الأول ← المقابل الأول ← المقابل الثاني ← السياق الثاني:

بلغــت تقــابلات هذا البناء ستة عشر تقابلاً، وقد شمل التقابلات بين المفــرد والتركيب، والتركيب والمفرد، وتقابل التركيب بالتركيب. فمن أمثلة تقابــل المفرد بالتركيب قولــه تعالى: ﴿ **كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ** ﴾ (٨٢). إن طــرفي التقابل هنا هما (تــسلمون) و(تولوا) وهما يشكلان حركة تصاعدية وانكسارية على الترتيب، ويقعان بين السياقين الأول والثاني ذوي الحركة الأفقية.

ولا شك في أن السياق الأول يقيم علاقة مع الطرف الأول من التقابل مــن خــلال مضمونهما، وذلك أن النعم التي أسبغها الله عز وجل على الناس تــوجب الإيمان به والاستسلام له، في حين أن السياق الثاني يقيم علاقة تواصل مــع الطــرف الــثاني من خلال المضمون أيضاً. وذلك أن إعراض الناس عن الإســلام، أي كفرهم بالله وبنعمه يوجب على الرسول أن يقف موقف المبلغ لرســالته للــناس حسب. وثمة صلة خفية بين السياقين الأول والثاني وهي أن إبــلا غ الناس بالرسالة السماوية ما هو إلا نعمة من نعم الله عز وجل، ولذلك فإن العلاقة بين السياقين علاقة تداخل تعطي معنى التماثل في المضمون.

وأما من أمثلة تقابل التركيب بالتركيب، فقولــه تعالى: ﴿ **قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ**

إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [٨٣]. إن طرفي التقابل هنا قولـــه (فلما كتب علـــيهم القتال) وقولـــه (ولوا إلا قليلاً منهم)، وهذان الطرفان يشكلان حركة انكسارية تتوسط حركة أفقية من السياقين الأول والثاني.

ولا شـــك في أن الـــسياقين الأول والثاني يرتبطان معاً بعلاقة تواصل، وذلك من خلال المضمون، فالسياق الأول يتضمن مطالبة الناس بقتال الكفار، والسياق الثاني يتضمن تقصير بعض أولئك الناس في القيام بتحقيق هذا المطلب وهـــو قتال الكفار، وبيّن التقابل هنا حقيقة هؤلاء الناس، فبعدما فرض الجهاد عليهم قعد بعضهم عن الخروج إليه.

ثانياً- التماثـــل:

إن الـــتماثل المـــركب يختلف في بنيته عن التماثل البسيط، وذلك أنه يعـــتمد هـــنا علـــى تماثل جملتين مكتملتي الإسناد. وهما إما أن تكونا في جملة شـــرطية أي جملـــة الشرط وجملة جواب الشرط، وإما أن تكونا خارج نطاق الجملـــة الـــشرطية، فالأساس في هذا التماثل أن طرفيه يعتمدان على التركيب. ومـــن استقرائي لآيات الكتاب الحكيم وجدت أن هذا التماثل قد بلغ مجموعه واحداً وثمانين تماثلاً، وقد أظهر لنا شكلين أساسين هما:

١- تركيبان يتماثلان في اللفظ والمعنى.

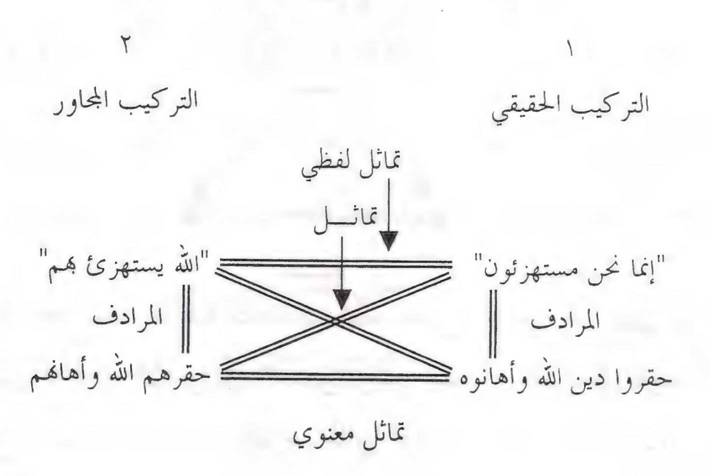
٢- تركيبان يتماثلان في المعنى حسب.

أما الشكل الأول، فإن التماثل يعتمد فيه إما على تركيبين يتماثلان في تكرير الجملتين لفظاً ومعنى، وإما على تركيبين يتماثلان في تكرير الجملتين لفظاً لا معـــنى. وقد ورد كثير من هذا التماثل في آيات الكتاب الكريم، ولكن كيف ظهر هذا التماثل؟ وما طبيعته التركيبية؟ إن الإجابة عن هذين التساؤلين يأتي من خلال طرح أمثلة على مختلف التراكيب.

فمـــن أمثلة التركيبين المتماثلين في تكرير الجملتين لفظاً ومعنى، قولـــه تعالى: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾[٨٤]. إن طرفي التماثل هنا يقعان في الجملة الشرطية التي بدأت بها الآية الكريمة، فالطرف الأول هـــو (يمسسكم قرح) والطرف الثاني (فقد مسّ القوم قرح مثله). ولا شك في أننا ندرك تمام المماثلة في اللفظ والمعنى بين التركيبين ويبدو لي أن هذا النوع من التماثل يأتي لتوحيد الطرفين من خلال اللفظ والمعنى، بحيث لا نستطيع أن نفرق بينهما في السياق.

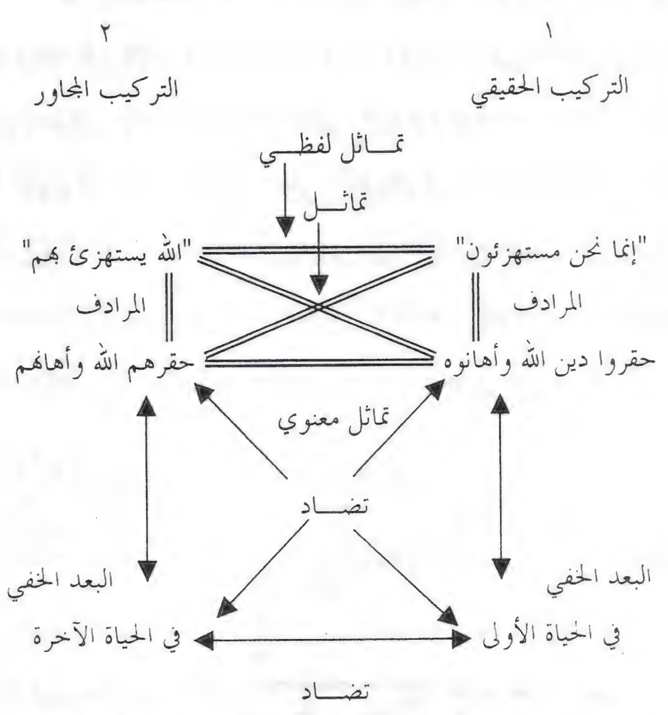
وثمـــة طبـــيعة تركيبية أخرى لهذا التماثل تعتمد على المجاز الذي يماثل مجازاً آخر في اللفظ والمعنى، كما في قولـــه تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾[٨٥]. إن طرفي التماثل هنا، الأول (في قلـــوبهم مرض) والثاني (فزادهم الله مرضاً) ولا شك في أن كل طرف يشير إلى معنى مجازي وهو أن المرض في القلب، كما في سياق هذه الآية، يشير إلى سوء الاعـــتقاد والغـــل والحسد والميل إلى المعاصي والكفر في قلوبهم[٨٦]. وعلى هذا الأســـاس تكـــون الطبـــيعة التركيبية هنا قائمة على معطيات المجاز، ولعل هذا الـــتماثل في الآية ينتج علاقات جديدة من خلال المجاز، وهي علاقات التماثل سواء على المستوى الأفقي بين المجازين، أو على المستوى التقاطعي بين الطرف الأول مـــن مجاز الطرف الثاني وبين الطرف الثاني ومجاز الطرف الأول، وبهذه العلاقات تنغلق دائرة التماثل.

فمن أمثلة التركيبين المتكررين في التماثل لفظاً لا معنى، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ ﴿١٤﴾ اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [٨٧]. إن طرفي التماثل هنا هما: الطرف الأول في قوله (إنما نحن مستهزئون) والطرف الثاني (الله يستزئ بهم)، ولا شك في أن التماثل في تكرار اللفظ بين الطرفين واضح لنا، وأما المعنى، فإن فيه نوعاً من الاختلاف؛ وذلك أن الطرف الأول قد جاء بالتركيب على الحقيقة، في حين أن الطرف الثاني جاء بالمجاورة، وذلك أن استهزاء الخالق عز وجل بهؤلاء المنافقين جاء بمعنى أن الله سيترل الحقارة والهوان بهم يوم القيامة[٨٨]؛ لأنهم استهزءوا بدينه وحقروه في الحياة الدنيا، ويمكن أن نفهم الطبيعة التركيبية لهذا التماثل من الرسم الآتي:



فالعلاقة الناشئة بين المترادفين هي تماثل معنوي، ومن ثم تنتج علاقة تماثلية أخرى بين الطرف الأول ومرادف الطرف الثاني وأخرى بين الطرف الثاني ومرادف الطرف الأول، ولا تنغلق دائرة التماثل هنا في هذه العلاقات وإنما لابد من إظهار البعد الخفي لكل مرادف، وهذا ما ذهبنا إلى العمل به في

التماثل البسيط؛ وذلك لأن طبيعة البناء هنا تسمح لنا بإظهار هذا البعد. فبعد مرادف الطرف الأول هو الحياة الأولى، وأما بعد مرادف الطرف الثاني، فهو الحياة الآخرة، ويمكن أن نوضح هذا البناء بعلاقاته الجديدة كما في الرسم الآتي:



إن العلاقة الجديدة الناتجة من البعد الخفي لكل مرادف تظهر في إطار التضاد على المستوى الأفقي بين البعدين. وعلى المستوى التقاطعي بين مرادف الطرف الأول وبعد مرادف الطرف الثاني، وبين مرادف الطرف الثاني وبعد مرادف الطرف الأول. ومن هنا تصبح العلاقات تماثلية ومتضادة في بنية التماثل المركب وهذه الطبيعة التركيبية مشتركة بين التماثل البسيط والمركب كما رأينا. ولابد من الإشارة هنا إلى أن جميع التماثلات في هذا الشكل تأتي بالتركيب الحقيقي أولاً والتركيب المجاور ثانياً، وهو يشترك مع التماثل البسيط ولكنه لم يأت بالتركيب المجاور أولاً ومن ثم بالتركيب الحقيقي كما كان في التماثل البسيط.

وأما الشكل الثاني الذي يتكون من متماثلين في المعنى دون اللفظ، فقد ورد في آيـــات كثيرة من آيات الكتاب الحكيم كقولـــه تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [٨٩]. إن طـــرفي الـــتماثل في هذه الآية هما: الأول (كنا نخوض ونلعب)، والثاني (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون). ولا شك في أن الطرفين يتواصلان على معنى واحـــد، فالخوض واللعب بآيات الله وبالرسول إنما هو استهزاء، ويبدو لي أن الطبيعة التركيبية لهذا الشكل لا تختلف عن الطبيعة التركيبية التي تم فيها التماثل المتكرر لتركيبين، كما مر سابقاً.

إن الـــتماثلات التـــركيبية أثـــارت معنيي المواجهة والضم، فمن أمثلة المـــواجهة قولـــه تعالى: ﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ [٩٠]. ولعـــل معنى المواجهة في هذه الآية يكمن في إحداث معنى الـــسخرية التي تتماثل بالمواجهة بمعنى الضحك، وقد جاءت معاني المواجهة في هذا التماثل بنسبة أعلى منها في معاني الضم، فمن معاني الضم قولـــه تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [٩١]. إن طـــرفي التماثل قولـــه (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها النهار) وقولـــه (إن الله يفعل ما يريد) فالفعل في كل طرف من الطرفين ينضم إلى الآخر ويصبح الطرفان متحدين.

الأبنية الأسلوبية:

أولاً- $\frac{\text{التقابل}}{\text{السياق}}$

بلغـــت تمـــاثلات هذا البناء أربعة وعشرين تماثلاً، فمن أمثلته قولـــه تعالى: ﴿ **وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ** ﴾[92]، إن المتماثلين هما: الأول (بطشتم) الأولى والـــثاني (بطـــشتم) الثانية. وهما يعطيان معنيي المواجهة، ويتقاطعان مع السياق.

ثانياً- التقابل ←——— السياق:

بلغـــت التماثلات في هذا البناء تسعة عشر تماثلاً، فمن أمثلتها قولـــه تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾[93]. لا شك في أننا ندرك المتماثلين وهما: الأول (إن تنصروا الله)، والثاني قولـــه (ينصركم). وقـــد جاءا قبل السياق الذي يرتبط بهما ارتباطاً وثيقاً، وذلك أن الله عز وجل يماثل نصر المؤمنين له بنصره وتثبيت أقدامهم أمام الكفار.

ثالثاً- السياق ←——— التماثل:

بلغت تماثلات هذا البناء عشرة تماثلات، فمن أمثلته قولـــه تعالى: **قَالَ** ﴿ **كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى** ﴾[94]. إن هـــذه الآية تبدأ بالسياق الذي يكون علاقة تخالفية مع التماثل فيها، وذلك أن (أتتك آياتنا) هو استحـــضار هذه الآيات للمخاطب بها، ولكن التماثل هنا يشير إلى (النسيان)، والمعنى هنا الكفر بهذه الآيات، ومن هنا جاء التخالف.

رابعاً- السياق الأول ←── التماثل ←── السياق الثاني:

بلغت تماثلات هذا البناء ستة وعشرين تماثلاً، فمن أمثلته قولـه تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا** ﴾ (٩٥). نلحظ من هذا البناء أن السياقين يقيمان علاقة تخالف بينهما بينما يقيم التماثل علاقة التواصل بالسياق الثاني، وفي الوقت نفسه يقيم علاقـة الـتخالف بالـسياق الأول، فالله سبحانه وتعالى قد جعل خليفة له في الأرض وهـذا المعـنى يفترض أن يتبع الإنسان شريعة الله تعالى، ولكن التماثل يـضع لـنا صفة الكفر التي تتخالف مع السياق الأول، وفي الوقت نفسه يبين السياق الثاني صفة الكفر التي اتصف بها الكفار، وهذا يشير إلى علاقة التخالف مـع الـسياق الأول في حين يتصل السياق الثاني بالتماثل في علاقة التواصل، وذلك من خلال تثبيت معنى الكفر وإيقاع العقاب المناسب لكفرهم.

خامساً- المماثل الأول ←السياق الأول ←المماثل الثاني ←السياق الثاني:

بلغـت تماثلات هذا البناء تماثلين اثنين. فمن مثاليه قولـه تعالى: ﴿ **بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ** ﴾ (٩٦). إن هـذه الآية تبدأ بالطرف الأول من التماثل وهو (بل كذبـوا بمـا لم يحيطوا بعلمه)، وبعد ذلك جاء السياق الأول وهو (ولما يأتهم تأويلـه)، ومن ثم ظهر الطرف الثاني من التماثل وهو (كذلك كذب الذين من قـبلهم) ومـن ثم اختتمت الآية بالسياق الثاني وهو (فانظر كيف كان عاقبة الظـالمين). إن العلاقة بين طرف المماثل الأول وبين السياق (الأول) هي علاقة

التواصل. وذلك أن هؤلاء قد كذبوا بالكتاب الكريم وكان تكذيبهم له غير قائم على العلم، وإنما قائم على الجهل بأموره، ومن ثم أقام الطرف الثاني من التماثل علاقة تواصل بالسياق الثاني، وذلك من خلال أن الذي سبق هؤلاء الكفار قد كذبوا بآيات الله البينات، فأحدثوا الظلم بتكذيبهم له وبكفرهم به.
من هنا يمكن أن تنشأ علاقات متداخلة بين الساقين وطرفي التماثل. وذلك أن الطرف الأول (المماثل الأول) يقيم علاقة التماثل اللفظي والمعنوي بالطرف الثاني، وكذلك يقيم السياق الأول علاقة التواصل بالسياق الثاني وذلك أن السياق الأول يصف أصحاب الطرف الأول بأنهم كذبوا بالكتاب من غير أن يأتيهم التأويل، وفي هذا الصنيع ظلم وكفر، وهذا المعنى هو ما يتضمنه بالسياق الثاني. ومن هنا تصبح العلاقات في هذا البناء متداخلة ومجتمعة على معنى التماثل.

النمط المعقد:

بعد أن تحدثنا عن النمطين البسيط والمركب، نأتي للحديث عن النمط المعقد الذي يجمع كل ما تقدم من الأنماط أو بعضها في تقابل واحد يشكل نمطاً معقداً. وقد بلغت التقابلات والتماثلات في هذا النمط ثلاث مائة وعشرين وقد أبرزت لنا شكلين مختلفين: الأول- يعتمد على نسق أفقي واحد، والثاني- يعتمد على نسقين أفقيين، وأعني بالنسق الأفقي إحداث التقابل والتماثل بين شيئين أو أكثر على مستوى العبارة.

إن شكل التداخل ذا **النسق الواحد** كان يكرر في جميع أشكاله ثلاثة أطراف متقابلة أو متماثلة، وقد بلغت تقابلاته وتماثلاته واحداً وثلاثين. ولا شك في أن الحديث عن الطبيعة التركيبية تأتي من نوعية العلاقة التي تنتج من

أطراف التقابل أو التماثل، ولدى استقرائي لتقابلات النسق الواحد، وتماثلاته في آيات القرآن الكريم وجدت ثمانية أشكال مختلفة في نوعية العلاقات البنائية، وهذه الأشكال هي:

١- تقابل التضاد اللفظي:

بلغت تقابلات هذا الشكل ثلاثة تقابلات، تحركت أطرافه من خلال علاقات التضاد اللفظي كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ﴾ [٩٧]. في هذه الآية ثلاثة أطراف متقابلة تجتمع على علاقة التضاد اللفظي الحقيقي. وذلك أن كلمة (أحياكم) تتضاد مع كلمة (يميتكم) وكلمة (يميتكم) تتضاد مع كلمة (يحييكم). وهكذا يحدث هذا التقابل في سلسلة من ثلاثة أطراف يتصل بعضها ببعض من خلال علاقة التضاد، ولابد هنا من الرجوع إلى التقابل الذهني الذي أشرنا إليه في التقابل البسيط في مثل علاقة التضاد اللفظي. إذ كان يظهر في التقابل الذي يعتمد على طرفين، بحيث يحدث طرفين متقابلين آخرين تكتمل بهما دائرة التقابل. أما في الشكل التقابلي، فإن الدائرة تتسع عنها في البسيط بحيث تتشابك العلاقات، وتتداخل في الطرف الثالث من التقابل على مستوى العبارة، إذ إننا نلحظ من خلال العلاقات بين المتقابلين في مستوى العبارة والمستوى الذهني أن ثمة علاقات تضاد بين الطرف الأول (أحياكم) وبين ضده الذهني (أماتكم) وبين الطرف الثاني (يميتكم) وضده الذهني (يحييكم) وعلاقة مماثلة بين الضدين الذهنيين. وثمة علاقة تقاطعية تشير إلى التماثل بين الأطراف الأربعة في المستويين. وهنا ينتهي دور الطرف الثالث (يحييكم) لينشئ علاقات جديدة مع المستوى الذهني، وذلك أنه يتضاد مع كلمة (أماتكم) ويتماثل مع كلمة (يحييكم)، فالعلاقات في هذا التقابل إذن هي علاقات التماثل والتضاد. وهي علاقات متشابكة.

٢- تقابل التضاد المعنوي:

بلغت تقابلات هذا الشكل أربعة تقابلات، كقولـــه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ (٩٨). إن أطراف التقابل في هاتين الآيتين هي:

(٣)	تنافر	(٢)	تنافر	(١)
"قبضناه"	◄────►	"ساكناً"	◄────►	"مد الظل"

والـــتقابل هنا يتم على مستوى العبارة في صورة التنافر إلا أن صورة التضاد المعنوي تتم بين مرادفات هذه الأطراف. فمرادف الطرف الأول (بسط وتحرك) وهذا المرادف يقيم علاقة التضاد مع الطرف الثاني نفسه، وأما الطرف الـــثاني فمـــرادفه (حـــركناه) وهي حركة معكوسة لحركة (مد الظل). إذ إن الطـــرف الثاني يقيم علاقة التضاد بين مرادفي الطرف الأول والثاني. والواقع أن دائـــرة الـــتقابل هنا لا تنتهي؛ لأن ثمة علاقة تنشأ بين الطرف الأول والطرف الـــثالث، وهي علاقة التضاد اللفظي فـــ (مد الظل) تتضاد لفظياً مع (قبضناه) وهـــنا تنتهي دائرة التقابل، وقد تتغير العلاقة الأخيرة في هذا الشكل من التضاد اللفظي إلى علاقة التماثل كما في قولـــه تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (٩٩). لا شك في أننا ندرك الأطراف الثلاثة في هذه الآية وهي (١- لدلوك الشمس) التي مرادفها (النهار) و(٢- إلى غـــسق الليل) و(٣- قرآن الفجر) الذي مرادفه (الغداة) فالعلاقة بين الطرف الأول والطرف الثالث هي علاقة التماثل (فالنهار) يتماثل مع (الفجر).

٣- التقابل اللفظي والمعنوي:

بلغت تقابلات هذا الشكل أربعة تقابلات، وقد نشأت في هذا التقابل علاقـــات التضاد اللفظي والمعنوي على المستوى الأفقي كما في قولـــه تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَـا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُـوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾[١٠٠]. إن أطراف التقابل هنا هي:

(١)	لفظي	(٢)	تنافر	(٣)
"هو الحق"	◄────►	"الباطل"	◄────►	"العلي الكبير"

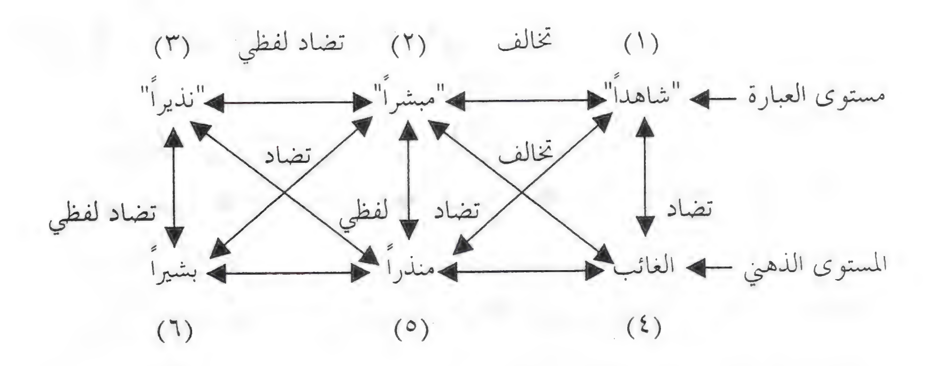
لا شـــك في أننا ندرك هنا أن العلاقة الأولى (التضاد اللفظي) تنشأ بين الطرفين: الأول (هو الحق) والثاني (الباطل). وأما علاقة التضاد المعنوي، فتنشأ بـــين الطرف الثاني (الباطل) ومرادف الطرف الثالث وهو (الحق)؛ لأن قولـــه (العلـــي الكـــبير) يـــشير إلى أن الله هو الحق؛ لأنه أعلى كل شيء وأكبر كل شـــيء[١٠١]. ويمكننا أن نلحظ علاقة جديدة بين الطرفين الأول ومرادف الثاني وهي علاقة التماثل.

٤- التقابل اللفظي والتخالفي:

بلغت تقابلات هذا الشكل تقابلاً واحداً، هو في قولـــه تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[١٠٢]. إن أطراف التقابل هنا هي:

(١)	تخالف	(٢)	تضاد لفظي	(٣)
"شاهداً"	◄────►	"مبشراً"	◄────►	"نذيراً"

ولا شك في أننا ندرك هنا تقابل التضاد اللفظي وهو بين الطرف الثاني (مبـــشراً) والطرف الثالث (نذيراً). ولكن تقابل التخالف هو الذي بين الطرف الأول (شاهداً) والطرف الثاني (مبشراً) من جهة، وبين الطرف الثالث من جهة أخرى، وذلك كما في الرسم الآتي:



إن الـــتقابل في هذا البناء يوضح العلاقة التخالفية الأفقية بين الأطراف (١، ٢) و(٤، ٥) و(١، ٣) و(٤، ٦) والعلاقة التخالفية-التقاطعية بين الأطراف (١، ٥) و(٢، ٤) والعلاقـــة الضدية العمودية بين الأطراف (١، ٤) و(٢، ٥) و(٣، ٦) والعلاقـــة الـــضدية الأفقـــية بين (٢، ٣) و(٥، ٦) والعلاقة الضدية التقاطعـــية بين الأطراف (٢، ٦) و(٣، ٥). وفي هذه العلاقات المتشابكة تنغلق دائرة التقابل في هذا الشكل. ومن الملاحظ على علاقة التخالف في هذا الشكل أنها جاءت من غير التناسب بين الأطراف.

٥- التماثل والتضاد اللفظي:

بلغـــت تقـــابلات هذا الشكل وتضاده اثنين حسب، كقولـــه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١٠٣]. إن أطراف التماثل والتضاد في هذه الآية هي:

(٣)	تضاد لفظي	(٢)	تماثل	(١)
"الموتى"	⟵⟶	"لمحيي"	⟵⟶	"أحياها"

لا شك في أننا ندرك أن العلاقة بين الطرف الأول والطرف الثاني هي علاقـــة التماثل المكرر للفظ الواحد (أحياها)، في حين أن العلاقة بين الطرفين الـــثاني والثالث هي علاقة التضاد. والواقع أن ثمة علاقة تنشأ هنا، وهي علاقة التـــضاد بين الطرف الأول (أحياها) والطرف الثالث (الموتى) وهنا تنتهي دائرة التماثل.

٦- التقابل اللفظي والتوافق:

بلغـــت تقابلات هذا الشكل ثلاثة تقابلات، ولابد من الإشارة هنا إلى أنـــني أعني بالتوافق أن العلاقة بين التقابل تنبع من معنى الموافقة، فمن أمثلة هذا الشكل قولـــه تعالى: ﴿ أُولَـٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (١٠٤). إن أطراف التقابل هنا هي:

(٣)	توافق	(٢)	لفظي	(١)
"الخاسرون"	⟵⟶	"يكفر"	⟵⟶	"يؤمنون"

لا شك في أن العلاقة بين الطرفين الأول (يؤمنون) والثاني (يكفر) هي علاقـــة التضاد اللفظي، في حين أن العلاقة بين (يكفر) و(الخاسرون) هي علاقة الـــتوافق، إذ إن كلمة (الخاسرون) تتصل بكلمة (يكفر) وتوافقها، وفي الوقت نفـــسه يقيم الطرف الثالث علاقة التضاد المعنوي مع الطرف الأول (يؤمنون).

وذلـــك أن (يؤمنون) بمقابلتها بكلمة (الخاسرون) تعني الرابحين ويمكن أن نعد لفظ الرابحين مرادفاً للطرف الأول ومن هنا جاء التقابل المعنوي.

٧- التقابل المعنوي والتوافق:

لقد بلغت تقابلات هذا الشكل أربعة تقابلات، كقولـــه تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٠٥). إن الأطراف المتقابلة في هذه الآية هي:

(١)	تنافر	(٢)	توافق	(٣)
"عملوا السوء"	⟷	"ثم تابوا"	⟷	"وأصلحوا"

إن الـــتقابل في هـــذه الآية يتم بين مرادفي الطرف الأول والثاني وهما (الفاسدون) و(المصلحون) على الترتيب. وهذا تضاد معنوي يمثل الصفة الأولى من شكل هذا التقابل. وأما التوافق، وهو الصفة الثانية لهذا الشكل، فهو واضح من خلال علاقة مرادف الطرف الثاني (المصلحون) بالطرف الثالث (أصلحوا) فالطـــرفان متوافقان، والعلاقة الجديدة في هذا التقابل هي علاقة التضاد المعنوي بـــين الطـــرف الثالث ومرادف الطرف الأول (الفاسدون) وبهذا تنتهي دائرة التضاد.

٨- التقابل المعنوي والتخالف:

لقد بلغت تقابلات هذا الشكل عشرة تقابلات، كقوله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾[١٠٦]. إن أطراف التقابل في هذه الآية هي:

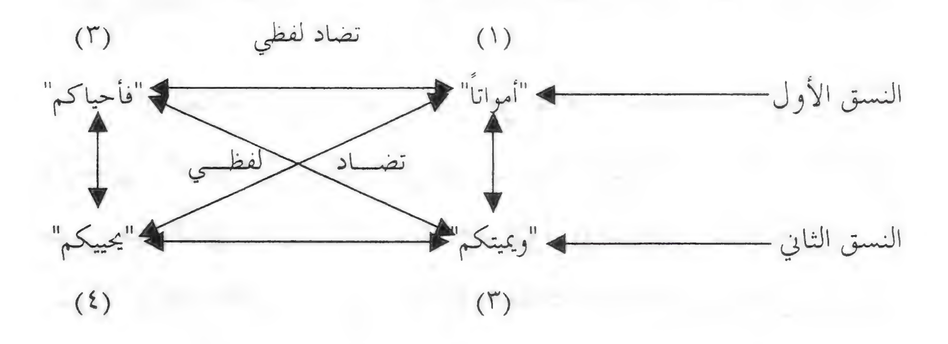
(٣)	تضاد معنوي	(٢)	تخالف	(١)
"يبعث حياً"	◄──────►	"يموت"	◄──────►	"مولد"

إن العلاقة الأولى في هذا التقابل هي علاقة التخالف بين الطرفين الأول والثاني وهما (ولد) و(يموت) على الترتيب. ولا شك في أن التخالف هنا يأتي من جهة التناسب، إذ إن الضد للطرف الأول (ولد) هو (حال العقم) أي لا يولد. والضد للطرف الثاني هو (يحيا) وإحداث هذا التقابل هو على المستوى الذهني، وذلك فإن العلاقة بين (العقم) و(يحيا) هي علاقة التخالف من جهة التناسب. وأما علاقة التضاد المعنوي، فتنتج من تقابل الطرف الثاني (يموت) ومرادف الطرف الثالث وهو التماثل، إذ إن في كلمة (ولد) حياة، ومرادف (يبعث حياً) أيضاً معنى الحياة بعد الموت وهنا تنتهي دائرة التقابل.

أما أشكال التداخل ذات **النسقين الأفقيين**، فكانت تكرر في نسق أكثر من طرفين، قد يصل كل طرف إلى خمسة عناصر بحيث تكون هذه الأطراف ذوات علاقات متشابهة قد تعتمد على تقابل هذا التضاد المعنوي مثلاً في كل سياق، ومن استقرائي للآيات الكريمة التي وردت فيها تقابلات هذا الشكل وتماثلاته وجدت أنها كانت تحتفظ في أغلبها بسمة الترتيب بين المتقابلات أو المتماثلات وقد بلغت مائتين وتسعة وثمانين تقابلاً وتماثلاً وقد أظهرت عدداً من الأشكال هي:

١- تقابل التضاد اللفظي:

لقد بلغت تقابلات هذا الشكل واحداً وثلاثين تقابلاً، ويلاحظ أنه يحدث علاقة التضاد بين الألفاظ على مستوى العبارة في النسقين، فمن أمثلته قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (١٠٧). إن النسقين المتقابلين في هذه الآية هما:



إن العلاقة بين طرفي كل نسق هي علاقة التضاد فـ (أمواتاً) تتضاد مع (فأحياكم) و(يميتكم) تتضاد مع (يحييكم). والواقع أن الطبيعة التركيبية لمثل هذا التقابل لا تنتهي بعلاقاتها عند هذا المستوى السطحي للعبارة، وإنما هناك علاقات متعددة يمكن أن تنشأ نتيجة هذه التقابلات، فهذه الآية مثلاً تنتج علاقات أخرى على مستوى عمودي تقاطعي فـ (أمواتاً) تتماثل عمودياً مع (يميتكم) و(فأحياكم) تتماثل عمودياً مع (يحييكم) وتتضاد (أمواتاً) مع (يحييكم) و(فأحياكم) مع (يميتكم) ويشكل هذا التضاد علاقة تقاطعية بين الأطراف الأربعة.

ويمكن أن ينتج هذا الشكل علاقات أخرى كعلاقة التضاد على المستوى العمودي وعلاقة التماثل على المستوى التقاطعي، ويكثر مثل هذا

الشكل في النسقين اللذين يكون في كل واحد منهما طرفا التقابل متعاكسين في التـــركيب مع الطرفين الآخرين، كقولـــه تعالى: ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ (١٠٨) فالنسق الأول يقدم (الليل) على (النهار)، والثاني يقدم (الـــنهار) علـــى (الليل)، ويمكن أن نلحظ علاقة التضاد في الصورة الآتية: بين (النهار) و(الليل) من النسق الأول، و(الليل) و(النهار) من النسق الثاني، وذلك على المستوى الأفقي، وبين (الليل) من النسق الأول، و(النهار) من النسق الثاني والـــنهار مـــن النـــسق الأول و(اللـــيل) من النسق الثاني وذلك على المستوى العمودي. وكذلك نلحظ علاقة التماثل على المستوى التقاطعي بين (الليل) من النسق الأول و(الليل) من النسق الثاني وبين (النهار) من النسق الأول و(النهار) من النسق الثاني. ويبرز هذا الشكل أيضاً علاقتي التخالف والتضاد اللفظي كما في قولـــه تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآؤُوكُمْ قَالُوَاْ آمَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴾ (١٠٩). وقبل أن نتحدث عن العلاقات هنا، لابد من الإشـــارة إلى أن هذا النوع من التقابلات هو تقابل متداخل من حيث علاقات النسقين، ولا يمكن أن نعده ترتيبياً، ويمكن أن نطلق عليه التقابل المدور، بحيث تتـــشكل علاقات متداخلة للتضاد اللفظي من خلال الحركة المتواصلة للأطراف الأربعة للنسقين، وذلك أن التضاد اللفظي يتم بين (ءامنا) من النسق الأول وبين (الكفر) من النسق الثاني، وبين (دخلوا) من النسق الأول و(خرجوا) من النسق الـــثاني إن هذه العلاقة الضدية نتجت من تداخل النسقين من جهة ومن اختفاء الترتيب من جهة أخرى، وتنشأ هنا علاقة جديدة تخالفين بين (ءامنا) و(خرجوا به) وبين (دخلوا) و(بالكفر).

ويظهـــر هـــذا الشكل أيضاً علاقة التوافق والتخالف، وذلك كما في قولـــه تعالى: ﴿ قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور ﴾ [١١٠]. ويتشكل التوافق في تقابل (الأعمى) من النسق الأول بـــ (الظلمات) من النسق الثاني لأن المتقابلين يشيران إلى الظلمة، ويتشكل التوافق أيضاً في تقابل (البصير) من النسق الأول بـــ (النور) من النسق الثاني، فالطرفان يشيران إلى معنى النور. وأمـــا علاقـــة التخالف، فتنشأ من العلاقة بين (الأعمى) و(النور) في النسقين و(البصير) و(الظلمات)، وهي تخالف تناسبي.

وقـــد تنشأ علاقة التوافق والتضاد المعنوي أيضاً كما في قولـــه تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ [١١١]. إن الطـــرف الأول من النسق الأول (قبل طلوع الشمس) يشكل علاقة توافق عمودية مع الطرف الأول من النسق الثاني (الليل) وذلـــك أن قولـــه (قبل طلوع الشمس) يشير إلى الليل. وكذلك تتشكل هذه العلاقـــة بـــين (قبل غروبها) في النسق الأول، و(النهار) في النسق الثاني، وهما يـــتوافقان في معنى النهار، ومن ثم تنشأ علاقة تقاطعية للتضاد المعنوي بين (قبل طلوع الشمس) في مرادفها (الليل) وبين (النهار)، وأخرى بين (قبل غروبها) في مرادفها (النهار) وبين (الليل).

٢- تقابل التضاد المعنوي:

لقد بلغت تقابلات هذا الشكل ثلاثة وثلاثين تقابلاً، ويلاحظ أنه يفرز علاقـــات مختلفة، فمن هذه العلاقات، علاقة التضاد اللفظي والمعنوي والتماثل، كقولـــه تعالى: ﴿ ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ [١١٢]. إن تقابل كل طرف من النسق الأول مع كل طرف

مــن النسق الثاني ينتج علاقات مختلفة، فعلاقة التضاد اللفظي تنشأ بين الطرف الــثاني من النسق الأول (كفرتم) والطرف الثاني من النسق الثاني (تؤمنوا). وأما علاقة التضاد المعنوي، فتنشأ من تقابل الطرف الأول من النسق الأول (وحده) الــذي مــرادفه (التوحيد) في الطرف الأول من النسق الثاني (يشرك به). وأما علاقة التماثل، فتنشأ من تقابل الطرفين الأول والثاني من النسقين الأول والثاني (وحده) و(تؤمنوا) على الترتيب. ولاشك في أن هذه الطبيعة التركيبية تتميز في علاقاتها من الشكل السابق.

ويفــرز هــذا الشكل علاقة التضاد المعنوي وعلاقة التخالف، كما في قــولــه تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ . . . كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾ [١١٣]. إن الآية الأولى تمثل النسق الأول، والآية الثانية تمثل النسق الثاني. ويتقابل طرفا كل نسق بالطرفين الآخرين. فتقابل (الفجار) بـــ (الأبرار) يعطي علاقــة التضاد المعنوي، لأن مرادف الطرف الأول (للكفار) ومرادف الطرف الــثاني (المؤمــنون) الذين صدقوا بإيمانهم، وتقابل (سجين) التي مرادفها (تحت الأرض) بـــــ (عليين) التي مرادفها (فوق السماء)، يعطي علاقة التضاد المعنوي أيــضاً. وأما تقابل الطرف الأول من النسق الأول (الفجار) بالطرف الثاني من النـــسق الثاني (عليين) وتقابل الطرف الثاني من النسق الأول (سجين) بالطرف الــثاني (أبــرار) من النسق الثاني، فإنه يعطي علاقة التخالف الذي يقوم على التناسب فــ (الفجار) كتابهم لا يتوافق مع كونه (فوق السماء) وكتاب الأبرار لا يتوافق مع كونه تحت الأرض.

وتنشأ علاقة أخرى وهي علاقة التوافق والتضاد المعنوي، كما في قوله تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ (١١٤). إن المتقابلات هنا هي:

النسق الأول : ١- "آمنوا". ٢- "كالمفسدين".

النسق الثاني : ٣- "المتقين". ٤- "الفجار".

إن العلاقة بين الأطراف (١/ ٣) و(٢/٤) هي علاقة التوافق إذ إن (آمنوا) تتوافق مع (المتقين)، و(كالمفسدين) تتوافق مع (الفجار)، وهذه العلاقة كما نلحظ جاءت على المستوى العمودي. وأما على المستوى التقاطعي، فنلحظ علاقة التضاد المعنوي، فمرادف (الفجار) هو (الكفار) يتضاد مع الطرف (آمنوا) كما أن مرادف (كالمفسدين) هو الذين لا يخافون الله بفسادهم يتضاد مع (المتقين).

ومن العلاقات الأخرى التي نشأت في هذا الشكل، علاقتا التوافق والتخالف، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (١١٥). إن التقابل هنا يتم بين النسقين في الطريقة الآتية:

النسق الأول : ١- "الأرض". ٢- "السماء".

النسق الثاني : ٣- "لا أصغر". ٤- "لا أكبر".

فعلاقة التوافق هنا عمودية بين الطرفين (٣/١)؛ لأنهما يتفقان على معنى الصغير، وبين الطرفين (٤/٢)؛ لأنهما يتفقان على معنى الكبير، وتنشأ علاقة تخالف تقاطعي بين (٤/١)؛ لأن الأرض في مرادفها (تحت) تتخالف مع

(الأكـــبر) الـــتي مرادفها (الأصغر) وبين (٣/٢)؛ لأن السماء بمرادفها (فوق) تتخالف مع (لا أصغر) التي مرادفها (لا أكبر)، وهذا التخالف جاء بغير تناسب بين كل طرف.

٣- تقابل التخالف:

بلغت تقابلات هذا الشكل ستة عشر تقابلاً، فمن أمثلته قولـــه تعالى: ﴿ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ (١١٦). إن التقابل في هذه الآية يتم بين أطراف النسقين في الطريقة الآتية:

النسق الأول	:	١- "الباطل".	٢- "يؤمنون".
النسق الثاني	:	٣- "بنعمة".	٤- "يكفرون".

إن العلاقـــة بـــين الطرفين (١، ٢) هي علاقة التخالف، وذلك أن ما يتـــضاد مع (الباطل) هو الحق، وما يتضاد مع (يؤمنون) هو يكفرون. وفي هذا التخالف تناسب. وكذلك الأمر بين الطرفين (٤/٣)، فإن ما يتضاد مع (نعمة) هـــو الكفـــر بالوحدانية، وما يتضاد مع (يكفرون) هو يؤمنون. وتنشأ علاقة تخالـــف أخرى على مستوى عمودي بين (٣/١) من خلال ما يتضاد مع كل طرف كما أشرنا. وتنشأ علاقة عمودية أخرى وهي علاقة التضاد اللفظي بين الطـــرفين (٤/٢)، وكـــذلك تنشأ علاقة التوافق التقاطعية بين (٤/١) و(٣/٢) فكـــل طرف يتوافق مع الآخر في معناه. ولا شك في أن هذه العلاقات في هذا التقابل متميزة من غيرها من الأبنية السابقة.

وثمـــة علاقـــتان جديـــدتان تنشآن في هذا الشكل وهما علاقتا التضاد اللفظي والتوافق، كما في قولـــه تعالى: ﴿ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ

﴿وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [١١٧]. لاشك في أننا ندرك هنا أن الطرف الأول من النسق الثاني (تكرهوا) يتضاد لفظياً مع مقابله في الطرف الأول من النسق الثاني (تحبوا). وكذلك الأمر يجري في تقابل النسقين بين طرفيهما (خير) و(شر) على الترتيب. وهذا التضاد هو على المستوى العمودي. أما على المستوى التقاطعي فتكون العلاقة توافقية، إذ إن (تكرهوا) تتوافق مع (شر) و(خير) تتوافق مع (تحبوا).

٤- التماثل:

بلغت تماثلات هذا الشكل خمسة عشر تماثلاً، ويلاحظ أن تماثلاته تتحرك كسابقاتها في التقابلات من خلال النسقين، ويعطي علاقات خفية مختلفة، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [١١٨]. إن التماثل في النسقين يتكون كما في الطريقة الآتية:

النسق الأول : ١- "اهتدى". ٢- "يهتدي لنفسه".

النسق الثاني : ٣- "ضل". ٤- "أنا من المنذرين".

إن النسق الأول يكرر جملتين متماثلتين في اللفظ والمعنى، في حين إن النسق الثاني يأتي بجملتين الأولى ترتبط بالثانية من جهة المعنى، فقوله (أنا من المنذرين) تعني أن المتكلم لا يستطيع أن يرد الضلال عن أصحاب الضلالة، وبذلك فإنهم من الضالين، وفي الوقت نفسه تعزز هذه البنية علاقات جديدة

غير التماثل، وهي علاقات التضاد اللفظي والمعنوي على مستوى عمودي وتقاطعي. وذلك كما يأتي: إن الطرفين (١/٣) يشكلان علاقة التضاد اللفظي، في حين إن الطرفين (٢/٤) يشكلان علاقة التضاد المعنوي، وأما العلاقات على المستوى التقاطعي، فإنها تحدث بين الطرفين (١/٤) وبين (٢/٣) وهي علاقة التضاد المعنوي. ولابد من الإشارة هنا إلى أن بنية التماثل ما زالت تفرز لنا علاقات متضادة شأنها شأن التماثل البسيط والمركب كما رأينا في هذا الفصل.

٥- تقابل التوافق:

لقد بلغت تقابلاته مائة وأربعة وتسعين تقابلاً، وأعني بعلاقة التوافق في هذا الشكل هي أن الكلمات التي تشكل أطراف التقابل تتواصل وتنسجم معاً، كقوله تعالى: ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ . . . وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ٢٠﴾ [١١٩]. إن النسق الأول في هاتين الآيتين يتكون من طرفين: الأول (السماء) والثاني (رفعت). فالطرف الأول يتوافق مع الطرف الثاني إذ إن الطرف الثاني (رفعت) حركة تشير إلى اتجاه الأعلى أي (فوق) تماماً كما هو مرادف (السماء) فوق. وهذا التوافق نفسه يتوافر في طرفي النسق الثاني و(الأرض) توافقها كلمة (سطحت)؛ لأنها تشير إلى حركة تحتية فـ (سطحت) تعني بسطت.

ولدى استقرائي لتقابلات التوافق وجدت أن ثمة أشكالاً كثيرة تفرز علاقات متعددة من التضاد اللفظي والمعنوي والتخالف والتماثل على كل المستويات العمودية والتقاطعية. ولابد من الإشارة إلى أن تقابل التوافق فاق بعدده جميع التقابلات السابقة واللاحقة، ولذلك سينتج علاقات كثيرة ومختلفة.

وقد قسمت تقابلات التوافق قسمين: الأول يعتمد على طرفين في كل نسق. والثاني يعتمد على أكثر من طرفين؛ ولذلك فإني أتحدث عن كل قسم ومعطياته البنائية على حدة.

فأما القسم الأول، فقد أفرز علاقات مختلفة منها علاقة التضاد اللفظي، كما في قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ [١٢٠]. إن النسقين الأول والثاني في طرفيهما يحدثان تقابل تضاد لفظي، وذلك بين الفعلين (اهتدى) من النسق الأول و(ضل) من النسق الثاني، وبين الحرفين اللام في (لنفسه) من النسق الأول و(عليها) من النسق الثاني. وقد كثرت العلاقات الضدية على المستوى العمودي في هذا الشكل في آيات القرآن الكريم[١٢١].

وقد جاء تقابل التضاد على المستويين العمودي والتقاطعي معاً كما في قوله تعالى: ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [١٢٢]. وتتكون هذه العلاقة كما في الطريقة الآتية:

النسق الأول	:	١- "يحق".	٢- "الحق".
النسق الثاني	:	٣- "يبطل".	٤- "الباطل".

إن الطرفين (٣/١) والطرفين (٤/٢) يتقابلان عمودياً بالتضاد، والأطراف (٤/١) و(٣/٢) تتقابل تقاطعياً بالتضاد.

ومن هذه العلاقات أيضاً علاقة التضاد المعنوي على المستويين العمودي والتقاطعي كما في قوله تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء ﴾ [(١٢٣)] وتنشأ العلاقات هنا كما في الطريقة الآتية:

النسق الأول : ١- "الأرض". ٢- "فراشاً".

النسق الثاني : ٣- "السماء". ٤- "بناء".

إن الطرفين (١/٣) يتقابلان بالتضاد من جهة مرادفيهما (تحت) و(فوق) على الترتيب (٢/٤) ويتقابلان بالتضاد من جهة مرادفيهما (بساطاً، وسقفاً) على الترتيب مع ملاحظة الحركة التحتية والفوقية لكل مرادف، وتنشأ علاقة تضاد معنوي بين الأطراف (١/٤) و(٢/٣) على المستوى التقاطعي، وذلك إذا ما نظرنا إلى مرادفاتها.

ومن العلاقات التي يفرزها هذا القسم أيضاً علاقة التضاد اللفظي والمعنوي، فتأتي مرة على المستوى العمودي، وأخرى على المستويين العمودي والتقاطعي. فمثال المستوى العمودي قوله تعالى: ﴿ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [(١٢٤)]. إن التقابل في هذه الآية يتم كما في الطريقة الآتية:

النسق الأول : ١- "يريد". ٢- "اليسر".

النسق الثاني : ٣- "لا يريد". ٤- "العسر".

إن الطرفين (١/٣) ينشئان علاقة التضاد المعنوي بين الإيجاب والسلب، والطرفين (٢/٤) ينشئان علاقة التضاد المعنوي. ومثال المستويين العمودي

والتقاطعي قولـــه تعالى: ﴿ فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (١٢٥). إن العلاقـــات في هـــذه الآية متداخلة، ويمكن أن نكشف عنها كما في الطريقة الآتية:

النسق الأول : ١- "يمح". ٢- "الباطل".

النسق الثاني : ٣- "يحق". ٤- "الحق".

إن الطـــرفين (٣/١) يقـــيمان علاقة التضاد المعنوي وذلك بين (يحق) ومـــرادف الطـــرف (يمح) وهو يبطل، والطرفين (٤/٢) يقيمان علاقة التضاد اللفظـــي، وهاتان العلاقتان هما على المستوى العمودي، وأما الطرفان (٤/١)، فهمـــا يقيمان علاقة التضاد المعنوي، وذلك بين مرادف الطرف (الأول) وهو يبطل، والطرف الرابع، وأما الطرفان (٣/٢) فهما يقيمان علاقة التضاد اللفظي التي تتقاطع مع علاقة التضاد المعنوي للطرفين (٤/١).

ومـــن العلاقات التي يفرزها هذا القسم علاقة التخالف مع مستويين: الأول العمودي، والثاني عمودي وتقاطعي، فمن أمثلة المستوى العمودي قولـــه تعالى: ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ (١٢٦). فعلاقـــة الـــتخالف هنا تتم عمودياً بين (رحمة) و(سيئة) من جهة، وبين (فرحوا بها) و(يقنطون) من جهة أخرى.

وأما مثال المستويين العمودي والتقاطعي، فقوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١٢٧). إن التقابل في هذه الآية يتم كما في الطريقة الآتية:

النسق الأول : ١- "يفسد". ٢- "يسفك".

النسق الثاني : ٣- "نسبّح". ٤- "نقدس".

إن علاقة التخالف هنا تظهر عمودياً بين الطرفين (٣/١) وذلك أن (يفسد) لا تتضاد مع (نسبح)، وإنما الذي يتضاد معها (يصلح)، ومن هنا تأتي المخالفة. وكذلك الأمر بالنسبة لتقابل الطرفين (٤/٢) فإن (يسفك) لا تتضاد مع (نقدس)، وإنما الذي يتضاد معها (يعدل)، وتنشأ علاقة تخالفية أخرى على المستوى التقاطعي بين يتضاد معها (يعدل)، وتنشأ علاقة تخالفية أخرى على المستوى التقاطعي بين الأطراف (٤/١) و(٣/٢). ولا شك في أن التخالف هنا قائم على التناسب؛ لأن ثمة تناسباً بين (يفسد) و(نسبح) وبين (يسفك) و(نقدس).

ومن علاقات هذا القسم أيضاً علاقة التضاد اللفظي والتخالف، وقد ظهرت هذه العلاقة على المستوى العمودي، كما في قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (١٢٨). إن التقابل هنا يظهر العلاقتين معاً على المستوى العمودي كما في الطريقة الآتية:

النسق الأول - ١- "صالحاً". ٢- "لنفسه".

النسق الثاني - ٣- "أساء". ٤- "فعليها".

فـ (صالحاً) لا تتضاد مع (أساء)، لأن لكل طرف منهما ضداً يختلف عن الآخر، فضد الأول (فاسداً) وضد الثاني (أحسن)، وهذه علاقة تخالفية على المستوى العمودي، وتظهر علاقة التضاد اللفظي بين الحرفين (اللام) في (لنفسه) و(على) في (عليها).

ومن علاقات هذا القسم علاقة التضاد المعنوي والتخالفي على المستوى العمودي وعلى المستوى التقاطعي، فمثال المستوى العمودي قوله تعالى: ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (١٢٩). فعلاقة التضاد المعنوي هنا تظهر بين مرادف كلمة (يجزي) وهو (يثيب) وكلمة (يعذب)، وأما علاقة التخالف فتظهر بين (الصادقين) و(المنافقين) وهو تخالف تناسبي، وهذا كما نلحظ يظهر على المستوى العمودي إذا ما قابلنا النسقين بعضهما ببعض.

ومثال المستوى التقاطعي قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ (١٣٠). إن أطراف التقابل في هذه الآية تنشئ العلاقتين كما في الطريقة الآتية:

النسق الأول - ١- "يعلمون". ٢- "الحياة الدنيا".

النسق الثاني - ٣- "الآخرة". ٤- "غافلون".

إن الطـرفين (٤/١) يقيمان علاقة التخالف، وتتقاطع هذه العلاقة مع علاقة التضاد المعنوي التي تتم بين الطرفين (٣/٢).

وأما القسم الثاني من تقابل التوافق الذي يعتمد على أكثر من طرفين لكل نسق من النسقين، فقد أفرز علاقات بنائية متعددة تعتمد في إفرازها على نوعية أطراف التقابل، فمن هذه العلاقات تقابل التضاد اللفظي، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (١٣١). إن أطراف التقابل في كل نسق لهذه الآيات بلغت ثلاثة أطراف، وتقابل بعضها ببعض، بحيث أفرزت علاقات لفظية متضادة، ويمكن أن نفهم هذا التضاد من الرسم الآتي:

النسق الأول - ١- "كفروا" ٢- "نار جهنم" ٣- "شر البرية"

النسق الثاني - ٤- "آمنوا" ٥- "خير البرية" ٦- "جنات عدن"

إن تقابل الطرفين (٤/١) أفرز علاقة التضاد على المستوى العمودي، وكذلك تقابل الطرفين (٦/٢) وتقابل الطرفين (٥/٣) أفرز علاقة التضاد اللفظي على المستوى التقاطعي، ولا شك في أن هذه العلاقة جاءت تقاطعية نتيجة التقديم والتأخير في النسقين بين الأطراف المتقابلة.

ومن علاقات هذا القسم علاقة التضاد المعنوي، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (١٣٢) إن أطراف كل

نسق هنا تتكون من ثلاثة أطراف، تفرز علاقة التضاد المعنوي على مستويات عدة، ويمكن أن ندركها في الرسم الآتي:

النسق الأول - ١- "تعاونوا" ٢- "البر" ٣- "التقوى"

النسق الثاني - ٤- "لا تعاونوا" ٥- "الإثم" ٦- "العدوان"

إن التقابل المعنوي هنا يتم على مستوى عمودي بين الطرفين (٤/١) الإيجابي والسلبي، وبين مرادفي الطرفين (٥/٢) وهما (الطاعة) و(المعصية) على الترتيب، ومرادفي الطرفين (٦/٣) وهما (ترك المعاصي) و(الظلم) على الترتيب. وأما التقابل المعنوي على المستوى التقاطعي، فقد ظهر في تقابل مرادف الطرفين (٥/٣) وهما (ترك المعاصي)، و(المعصية) على الترتيب.

ومن مثال العلاقات المتعددة التي تجمع التضاد اللفظي والمعنوي والتخالفي قوله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ** ﴿ ١٥ ﴾ **وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ** ﴾[١٣٣]. إن كل نسق في هاتين الآيتين يتكون من أربعة أطراف تتقابل بأطراف النسق الثاني لتفرز علاقات مختلفة وعلى مستويات مختلفة، ولتوضيح هذه العلاقات نرصد الأطراف في الرسم الآتي:

النسق الأول - ١- "آمنوا" ٢- "عملوا الصالحات" ٣- "روضة" ٤- "يحبرون"

النسق الثاني - ٤- "كفروا" ٥- "كذبوا" ٦- "العذاب" ٨- "محضرون"

إن العلاقات في هذا التركيب التقابلي تتشابك بحيث جاءت علاقة التضاد اللفظي بين (٥/١) على مستوى عمودي، وجاءت علاقة التضاد المعنوي بين (٦/٢) على مستوى عمودي، وعلى مستوى تقاطعي بين الطرفين

(٦/١) والطرفين (٥/٢). وتكونت علاقة التخالف على المستوى العمودي بين الطرفين (٧/٣) والطرفين (٨/٤). وعلى المستوى التقاطعي بين الطرفين(٨/٣) والطرفين (٧/٤).

وقــد ظهر في هذا القسم تركيب نسقي لا يعتمد على تماثل الأطراف بــين النسقين من حيث العدد بحيث يزيد أحد النسقين على الآخر في أطراف الــتقابل، ويمكن أن نسمي هذا الشكل بالنسق (المذيل)، كما في قولــه تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ [١٣٤]. إن النــسق الأول في تقابله بالنسق الثاني يزيد طرفين وهما (النوم) و(سباتاً) ولكن كيف ظهرت العلاقات في التركيب؟ يمكن أن نرصد الأطراف كالآتي ثم نجيب عن التساؤل:

النسق الأول - ١- "الليل" ٢- "لباساً" ٣- "النوم" ٤- "سباتاً"

النسق الثاني - ٤- "النهار" ٥- "نشوراً"

إن العلاقــات في هذه الطبيعة التركيبية معقدة غاية التعقيد، وذلك من حــركتها المتداخلة على المستويين العمودي والتقاطعي، وذلك أن هذه الطبيعة التــركيبية قد تميزت من غيرها من التقابلات السابقة، فالمستوى العمودي الذي يمــثل في الطرفين (٦/٢) قد تقاطع مع العلاقات التقاطعية الأخرى. ويمكننا أن نبين العلاقات المتشابكة هنا بفرزها إلى مجموعات وذلك كما يأتي:



هكـــذا إذن تتشابك العلاقات في هذا الشكل النسقي المذيل في آيات القرآن الكريم.

الأبنية الأسلوبية:

إن أشـــكال التداخل سواء أكانت من ذات النسق الواحد أو النسقين، أظهـــرت أبنـــية أســـلوبية تميزت بشكل واضح عنها في أبنية النمطين البسيط والمـــركب. وذلك من خلال تشكيل أطراف التقابل أو التماثل داخل السياق، ومـــن ثم من خلال إحداث العلاقات البنائية بين الأطراف والسياق، إلا أننا قد نجـــد بعـــض التـــشابه بين الأبنية الأسلوبية في النمط المعقد والنمطين البسيط والمركب. ولتوضيح هذا الاتفاق والاختلاف، أتحدث عن كل بناء على حدة.

أولاً- التقابل / السياق :

بلغـــت تقـــابلات هذا البناء سبعة وتسعين تقابلاً، وقد أظهرت آيات القـــرآن الكريم هذا البناء في التقابلات ذات النسق وذات النسقين، ويتفق هذا البـــناء مـــع الأبنـــية السابقة للنمطين البسيط والمركب مع اختلاف في الطبيعة التركيبية.

ولتوضيح هذا الاتفاق نأخذ قولـــه تعالى: ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴿١٣﴾ **وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ** ﴾[١٣٥]. إن هاتين الآيتين تكونان السياق البنائي والتقابل معاً؛ وذلك.أن أطراف التقابل تلتقي معاً لإحداث أنواع من العلاقات داخل السياق. ونستطيع أن نبرز التداخل بين السياق والأطراف كما في الطريقة الآتية:

التقابل ←١- يطع ٢- جنات تجري من تحتها ٣- الفوز العظيم
الأنهار خالدين فيها

السياق ←تلك حدود الله ومن... الله ورسوله يدخله... وذلك... وله

التقابل ←٤- يعص...... ويتعد حدوده ٥- ناراً ٦- عذاب مهين
خالداً فيها

إن السياق كما نلحظ يتداخل تداخلاً معقداً مع أطراف التقابل، ويفرز في كل نقطة طرفي تقابل كما في (٤/١) و(٥/٢) و(٦/٣) مع نشوء العلاقات البنائية المميزة لمثل هذا التقابل، كما أشرنا في مكانه من هذا الفصل.

ثانياً- التقابل ← السياق:

بلغت تقابلات هذا البناء تسعين تقابلاً، كما في قوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾[١٣٦]. إن التقابل في هذه الآية يظهر في بدايتها وينتهي بالسياق الذي يقيم علاقة التوافق والتخالف في آن واحد، وذلك أن أطراف التقابل تفرد صورتين متناقضتين بين الذين (آمنوا) والذين (كفروا) وبالتالي فإن السياق يظهر علاقة التوافق مع صفات الذين كفروا والاختلاف مع صفات الذين آمنوا ويمكن أن نوضح الاتفاق والاختلاف كما يأتي:

١- "الله" ٢- "الذين آمنوا" ٣- "الظلمات ٤- "النور"

التقابل ← "ولي" "أولياؤهم" يخرجهم من "إلى" أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ← السياق

٥- "الذين كفروا" ٦- "الطاغوت" ٧- "النور" ٨- "الظلمات"

إن التقابل كما نرى يشكل علاقات تضاد لفظي وتخالفي متداخلة، ومن ثم ينتهي بالسياق، إذ يتوافق السياق مع المجموعة الثانية من الأطراف وهي (٥، ٦، ٧، ٨) ويختلف مع المجموعة الأولى (١، ٢، ٣، ٤) وذلك أن المجموعة هي أصحاب النار الذين اتبعوا الطاغوت في حين إن المجموعة الأولى صفات للذين اتبعوا الله عز وجل.

ثالثاً- السياق ←—— التقابل:

لقد بلغت تقابلات هذا البناء سبعة وأربعين تقابلاً، ويلتقي هذا البناء ببعض خصائصه أبنيةَ التقابل البسيطة والمركبة، ويختلف في بعضها، كما في قوله تعالى: ﴿ **أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ** ﴾ [١٣٧]. إن هذه الآية تبدأ بالسياق وتنتهي بالتقابل دون أن يظهر السياق أي نوع من التقابلات الأخرى التي قد تظهر في مثل هذا البناء، وذلك أن بعض الأبنية قد أظهرت تقابلات في السياق لا تدخل ضمن التقابل المتداخل، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ** ﴿١٠٦﴾ **وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [١٣٨].

إن هاتين الآيتين تظهران في السياق تقابلا بسيطاً بين (تبيض وجوه) و(تسود وجوه) ومن ثم يبدأ التقابل المعقد بالتكوين، كما في التوزيع الآتي:

أ- "يوم تبيض وجوه" ب- "وتسود وجوه"

١- "اسودت" ٢- "أكفرتم بعد إيمانكم" ٣- العذاب بما كنتم تكفرون"

٤- "ابيضت" ٥- "رحمة الله هم فيها خالدون"

إن السياق يقيم علاقات التماثل والتضاد اللفظي والمعنوي، بين المتقابلات وذلك أن الطرف (أ) يقيم علاقة التماثل مع مجموعة الطرفين (٤/٥)، وعلاقة التضاد اللفظي مع مجموعة الأطراف (١، ٢، ٣) وعلاقة التضاد اللفظي مع مجموعة الطرفين (٤/٥). ونستطيع أن نقول: إن هذا البناء يشكل بنية سياقية تتواصل مع بنية التقابل في علاقات قوية لا نستطيع أن نفصلها عن بعضها بعضاً.

ولا شك في أننا نلحظ نشوء علاقات أخرى، فعلاقة التضاد اللفظي تنشأ بين الطرفين (١، ٤) والمتقابلين في رقم (٢) وعلاقة التضاد المعنوي بين الطرفين (٣/٥).

رابعاً- السياق الأول ←—— التقابل ←—— السياق الثاني :

لقد بلغت تقابلات هذا البناء ستة وثمانين تقابلاً، وقد تشابه التركيب هنا مع بناء التقابل البسيط والتقابل المركب، إلا أنها هنا تتميز في تراكيبها بإظهار تقابل السياقين الأول والثاني كما في قوله تعالى: ﴿ **أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ [١٣٩]. إن في هذه الآيات تقابلاً معقداً يتوسط سياقين يحتوي كل سياق على تقابل بسيط، أما السياق الأول، فيحتوي على المتقابلين (مؤمناً) و(فاسقا)، وأما السياق الثاني،

فيحتوي على متقابلين آخرين هما (الأدنى) و(الأكبر)، وحتى نفهم العلاقات القائمة في البناء الأسلوبي هنا نرصد أطراف التقابل كما يأتي:

أطراف التقابل- ١- "مؤمناً" ٢- "آمنوا وعملوا الصالحات" ٣- "جنات المأوى نزلاً" ٤- "الأدنى" ٥- "فاسقاً" ٦- "فسقوا"
٧- "النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون" ٨- "الأكبر"

السياق الأول- "أفمن كان" "كمن كان" "لا يستوون" "أما الذين" "فلهم"

السياق الثاني- "ولنذيقنهم من العذاب" "دون العذاب" "لعلهم يرجعون"

إن البناء الأسلوبي هنا يكشف عن مدى تشابك العلاقات بين السياقين الأول والثاني وبين التقابل المعقد، إذ إننا نلحظ أن العلاقة بين الطرف الأول في السياق الأول وبين الطرفين الثاني والثالث في التقابل قائمة على التماثل، وكذلك الأمر فإن العلاقة بين الطرف الخامس في السياق الأول وبين طرفي التقابل (٦، ٧) تقوم على التماثل، ولكن معطيات السياق الثاني تختلف عنها في السياق الأول، وذلك أن الساق الثاني يقيم علاقة تضاد مع الطرفين (٢، ٣) من التقابل، وعلاقة توافق مع الطرفين (٦، ٧) من التقابل أيضاً.

إن الأبنية الأسلوبية المتقدمة تمثل أبرز نقاط الاتفاق والاختلاف بين أبنية التقابل المعقد والتقابلين البسيط والمركب.

إن ما تقدم من هذا الفصل يقدم تصوراً دقيقاً عن حركة التقابلات والتماثلات في البناء اللغوي لآيات القرآن الكريم، وبين مختلف أساليبها التي تحركت فيها، وقد اعتمدت في كثير من جوانب هذا الفصل على إظهار العملية الإحصائية؛ وذلك لأن هذه العملية ذات فائدة في إعطاء صورة حقيقية عن

حـــركة التقابلات والتماثلات داخل القرآن العظيم، ولا شك في أن هذا المنهج الإحـــصائي لـــيس بـــدعاً في الدراسات العربية الحديثة، وذلك أن بعضها قد اعـــتمدته وأفاد أصحابها منه فائدة واضحة[١٤٠]. وقد أرجأت الحديث عن هذه الإحـــصاءات إلى آخـــر هـــذا الفصل حتى تكتمل الصورة الإحصائية لجميع الـــتقابلات والـــتماثلات وما يتعلق بها، وحتى تكون نظرتي شاملة لها في هذا الجانب.

أبـــدأ بالحـــديث عن ملاحظاتي للتقابلات والتماثلات وأعدادها التي تحركت من خلال كل نمط من أنماطها الكلية، فأرصد في الجدول الآتي تقابلات النمط البسيط وتماثلاته:

الرقم	أنواع التقابل والتماثل البسيطين	المجموع	النسبة المئوية
١	التضاد المعنوي .	٣٦٨	٤٨,٠٤%
٢	التضاد اللفظي	٣١٤	٤١,٠٠%
٣	التخالف	٠٥٨	٠٧,٥٧%
٤	التماثل	٠٢٦	٠٣,٣٩%
	المجمـــوع	**٧٦٦**	**١٠٠%**

تتحـــرك المتقابلات في هذا النمط من خلال مجموعات كبيرة ومتفاوتة في نـــسبتها، إذ نلحـــظ أن تقابلات التضاد المعنوي أخذت مجموعاً كبيراً من المجموع الكلي، إذ بلغت نسبة ٤٨,٠٤% وقد فاق غيره من التقابلات. ولعل الـــسبب في ذلك هي ميزة هذا التقابل الذي يسمح بإنشاء تقابلات مختلفة بين المفـــردات الـــتي لا يشترط فيها التقابل الحقيقي أو المجازي من جهة، ويسمح بإحـــداث معان نستطيع من خلالها الكشف عن مستويات كثيرة من ترابطاها

المعنوية، وذلك إذا ما نظرنا إلى المرادف الذي يلازم أطراف التقابلات، ولا شك في أن فائدة هذه المعاني جلية في إعطاء علاقات بنائية متعددة من خلال التقابل المعنوي.

ولعلنا نلحظ أيضاً أن نسبة التقابل اللفظي مرتفعة، إذا ما قورنت بغيرها من المتقابلات إذ بلغت ٤١% وذلك أن هذا التقابل لا يقل أهمية عن التقابل في حركة المعنى داخل البناء الأسلوبي من جهة، وفي إعطاء العلاقات البنائية من جهة أخرى. ولكن هذا التقابل يظل مقيداً بعلاقاته البنائية إذا ما قيس بتقابل التضاد المعنوي الذي كان يفوقه في هذه العلاقات كما رأينا في هذا الفصل. ولعل توجه آيات الكتاب الحكيم إلى التضاد المعنوي في هذا النمط كان نتيجة لهذا التفوق البنائي في العلاقات.

إن انخفاض نسبة تقابل التخالف التي بلغت ٧,٥٧% لا تعني التقليل من أهميته في آيات القرآن الكريم، فهو يتخذ أهمية خاصة من خلال تكوينه المعجمي الذي يعتمد على تقابل متباعد معتمد على التناسب أو على غير التناسب. ولعلنا إذا ما ربطنا هذا التقابل من التقابلين السابقين له بالمتلقي، ندرك أن التقابلين الأول والثاني أقوى في التأثير على المتلقي من تقابل التخالف لما يمتازان به من القرب من عقلية الإنسان ومن مخزونه اللغوي الذي يتعايش معه، فهذان التقابلان يقدمان مادة قريبة إلى عقلية تكاد تكون مباشرة مما ينتج لديه تأثيراً سريعاً ومباشراً بخدمة الهدف الموضوعي لآيات القرآن الكريم. وأما تقابل التخالف، فهو يحتاج إلى تأمل فكري من المتلقي حتى ينتج التأثير عليه، وبالتالي فإن هذا التأثير يأتي متأخراً.

ولا شك في أننا نلحظ أخيراً تدني نسبة التماثل في هذا النمط التي بلغت ٣,٣٩% ولعل السبب في هذا يكون في طبيعة التماثل التي تعتمد على

المفرد ومماثلته بالمفرد اللذين يظهران في جملة واحدة؛ وذلك لأن قيمة مثل هذا التماثل تكمن في إحداث حركة المعنى من جهة وحركة العلاقات البنائية من جهة أخرى، ولكن حركة المعنى والعلاقات البنائية ظلت محصورة بعدد قليل، ولم تكن واضحة كما هي الحال في التقابلات السابقة. ولا شك في أن هذا التماثل يسهم في موضوع الآيات القرآنية وهدفها بالنسبة للمتلقي، إذ إن التماثل نقطة مهمة في تنبيه المتلقي، لما يجري له في الحياة الدنيا من خلال المثل مقابل بالمثل، فالمعنى أحياناً يدرك من خلال معنى آخر يماثله. والواقع أن هذا النوع من التماثل يكون أقل إثارة ودهشة من التقابلات مع أهميتها هنا.

وأما تقابلات النمط المركب فنرصدها في الجدول الآتي:

الرقم	أنواع التقابلات والتماثلات	المجموع	النسبة
١	التماثل	٨١	%٦٢,٨
٢	التضاد المعنوي	٤٨	%٣٧,٢
	المجموع	**١٢٩**	**%١٠٠**

من الملاحظ على التماثل في هذا النمط أنه قد أخذ نسبة عالية من المجموع الكلي بلغت ٦٢,٨% في حين تدنت نسبة تقابلات التضاد المعنوي التي تزيد بعض الشيء عن نصف النسبة السابقة وقد بلغت ٣٧,٢% ولعل ارتفاع نسبة التماثل هنا يكشف عن أهمية هذا النوع في إظهار العلاقات البنائية في الآيات القرآنية، فقد كنا نلحظ أنه يعطي علاقات تضاد لفظي ومعنوي وتخالفي في مستوياته المختلفة كالمرادف والمجاز والبعد الخفي، ولا شك في أن هذا التماثل يلتقي في هذا الجانب التقابلات الأخرى من تقابل لفظي ومعنوي وتخالفي، ومن هنا جاءت نسبته عالية، فالآيات القرآنية تسعى لإيجاد هذه العلاقات دائماً كما رأينا سابقاً في الأنماط الأخرى.

وأمـــا انخفاض نسبة التضاد المعنوي هنا فإنه لا يعني التقليل من أهميته، وإنما جاء من طبيعته التركيبية التي تعتمد على المفرد والتركيب، وعلى التركيب والتركيب، إذ إن هذه البنية التقابلية لا تسمح بإيقاع التأثير القوي المباشر على المتلقي الذي كانت الآيات تسعى لإحداثه في التقابلات السابقة.

إن نظـــرة كلية لمجموعات التقابلات المختلفة والمتماثلات تكشف عن تـــوجه آيـــات القرآن الكريم نحو أي نوع من التقابلات أو التماثلات كانت تسعى إليه، وحتى ندرك هذا نرصدها في الجدول الآتي:

الرقم	التقابلات والتماثلات	المجموع	النسبة المئوية
١	تقابل التضاد المعنوي	٤١٦	%٣٤,٢٤
٢	أشكال التداخل (التقابلات والتماثلات)	٣٢٠	%٢٦,٣٤
٣	تقابل التضاد اللفظي	٣١٤	%٢٥,٨٤
٤	التماثل	١٠٧	%٠٨,٨١
٥	تقابل التخالف	٠٥٨	%٠٤,٧٧
	المجمـــوع	**١٢١٥**	**%١٠٠**

مـــن الملاحـــظ على الجدول أن تقابلات التضاد المعنوي أخذت نسبة عالـــية مـــن المجموع الكلي فقد بلغت ٣٤,٢٤% ولا شك في أن هذا التوجه يكـــشف عن أهمية التضاد المعنوي في معالجة الموضوعات القرآنية المختلفة من جهـــة، وعن قدرة هذا التقابل على الكشف عن هذه الموضوعات؛ لأن التقابل المعنوي يسمح بإعطاء حركة واسعة للمعنى داخل الآيات كما أشرت سابقاً.

ولعل ارتفاع نسبة التقابلات والتماثلات في أشكال التداخل المتنوعة التي تجمع أكثر من تقابل أو تماثل واحد التي بلغت ٢٦,٣٤% يكشف أيضاً عن توجه الآيات الكريمة إلى استخدام هذه التقابلات والتماثلات لتجلي موضوعاتها ومعانيها من خلال علاقات متشابكة ومعقدة مما يعطي أثراً قوياً لدى المتلقي بالتفاعل مع مضامينها ومرادفاتها.

ويأتي تقابل التضاد اللفظي بنسبة أخرى مرتفعة بالقياس إلى التقابلات السابقة وقد بلغت ٢٥,٨٤%، ولعل السبب في ذلك يكمن في قدرتها على توضيح المعنى مباشرة من خلال معجمية ألفاظها التي تعتمد على التداعي، بحيث إذا ذكرت المفردة يأتي ضدها، ولكن دون عناء من المتلقي فتصبح حركة المعنى هنا قادرة على الدهشة والإثارة في المتلقي في وقت قصير وسريع.

ونلحظ كذلك أن نسبتي التماثل والتخالف متدنيتان، ولعل السبب في ذلك هو أنهما يتصفان ببطء قدرتهما على التأثير في المتلقي، كما أشرت سابقاً.

مما تقدم نلحظ أن القرآن الكريم يتوجه بالمتلقي إلى التأثير والدهشة السريعة والمباشرة، وذلك منسجم مع العقلية الإنسانية التي يخاطبها ليخدم الهدف من تنزيله من عند رب رؤوف بعباده يهدف إلى هدايتهم للإيمان والحق بأقصر الطرق وأوضحها.

بعد أن رأينا التقابلات والتماثلات نأتي إلى الأبنية الأسلوبية لنلقي عليها نظرة من خلال مجموعاتها ونسبها لعلنا نستطيع أن نبين أهميتها في آيات الكتاب الكريم، ولذا نرصدها في الجدول الآتي:

الرقم	التقابل والتماثل البسيطان	المجموع	النسبة المئوية
١	التقابل ← السياق/ التماثل ← السياق	٣١٧	٢٦,٩%
٢	السياق الأول ← التقابل ← السياق الثاني/ السياق الأول ← التماثل ← السياق الثاني	٣١٠	٢٥,٥١%
٣	التقابل / السياق / التماثل / السياق	٢٤٨	٢٠,٤١%
٤	السياق ← التقابل/ السياق ← التماثل	٢٢٠	١٦,٦%
٥	السياق الأول / المقابل الأول ← المقابل الثاني / السياق الثاني / السياق الأول / المقابل الأول ← السياق الثاني / المقابل الثاني	٠٧٥	٦,١٧%
٦	المقابل الأول ← السياق الأول ← المقابل الثاني ← السياق الثاني / المماثل الأول ← السياق الأول ← المماثل الثاني ← السياق الثاني	٠١٧	١,٤١%
٧	السياق الأول ← المقابل الأول ← السياق الثاني ← المقابل الثاني	٠١٦	١,٣٢%
٨	السياق الأول ← المقابل الأول ← المقابل الثاني ← السياق الثاني	٠١٦	١,٣٢%
٩	المقابل الأول / السياق الأول ← المقابل الثاني ← السياق الثاني	٠١٠	٠,٨٣%
١٠	السياق الأول ← المقابل الأول ← المقابل الثاني / السياق الثاني	٠٠٦	٠,٤٩%
	المجمـــوع	**١٢١٥**	**١٠٠%**

إن البنـــاء الأسلوبي رقم (١) يأخذ أعلى نسبة من المجموع الكلي. فقد بلغـــت ٢٦,٠٩% ولا شك في أن أهمية هذا في القرآن الكريم أنه يؤدي وظيفة

متميزة؛ وذلك لأنه بناء فاعل في قيمة التأثير في المتلقي، فالمتلقي أول ما يواجهه التقابل أو التماثل الذي يخلق لديه الدهشة والانفعال. ومن ثم يأخذه البناء إلى السياق الذي يشكل نقطة تحول من الانفعال إلى حال أخرى التي قد تكون امتداداً للانفعال أو تخلصاً منه.

ولا شك في أن مجيء البناء الأسلوبي رقم (٢) من حيث نسبته المئوية المرتفعة التي بلغت ٢٥,٥١% بعد البناء الأول، يكشف عن أهميته؛ لأنها تبرز من خلال طبيعة التكوين الأسلوبي الذي يظهر التقابل أو التماثل متوسطاً بين سياقين يشكلان علاقات بنائية مع بعضهما بعضاً. من ناحية، وبين أطراف التقابل أو أطراف التماثل من ناحية أخرى. وارتفاع نسبته تبين اهتمام القرآن الكريم بمثل هذا البناء، إذ إنه ينشر العلاقات المختلفة في السياق القرآني مما يضفي على هذا السياق قدرة على توضيح القضايا الموضوعية التي يعالجها.

ثم يأتي البناء الأسلوبي رقم (٣) الذي يقتصر إما على التقابل، وإما على التماثل المتداخل في السياق. وقد بلغت نسبته ٢٠,٤١% ليسهم إسهاماً فاعلاً في وظيفة البناءين السابقين؛ وذلك لأنه يعتمد على التقابل والسياق معاً لخلق حال التأثر والانفعال لدى المتلقي ولا يسمح له بالتخلص من هذه الحال.

ومن ثم نلحظ ارتفاع نسبة البناء الأسلوبي رقم (٤) التي بلغت١٦,٤٦ % ولكن هذا البناء يختلف عن سابقاته من الأبنية؛ وذلك لأنه ينقل المتلقي من السياق إلى التماثل أو التقابل اللذين يؤديان الوظيفة الانفعالية والتأثير في المتلقي، ولكنه يترك المتلقي في حال الانفعال كما هي الحال في البناء رقم (٣).

ونلحظ أن البناء رقم (٥) قد تدنت نسبته المئوية إذ بلغت ٦,١٧% ولكن طبيعته التركيبية التي تكشف عن تقاطع أطراف التقابل أو التماثل بالسياق تبين أهمية هذا النوع من حيث الوظيفة التي يؤديها للمتلقي، وهو

يـــشترك مع البناءين (٢، ٣) فهو يترك المتلقي في حال الانفعال من غير أن يحل له هذا التأثر.

أما سائر الأبنية فهي متدنية النسبة بحيث لا تشكل ظاهرة أسلوبية مميزة في القـــرآن الكريم، ولكن تظل ذات أهمية خاصة بطبيعة تكوينها الأسلوبي من حيث تأثيرها على المتلقي.

هوامش الفصل الثاني

١- بناء الأسلوب في شعر الحداثة، ص١٠٦.

٢- الكهف: ١٨/ ١٨.

٣- إبراهيم: ١٤/٥.

٤- الحجر: ١٥/٧٤. وانظر في التقابل الحقيقي على سبيل المثال لا الحصر: الطلاق: ٦٥/٧، والنساء: ٤/١٤١، والضحى: ٩٣/٤، والفصل:٢٧/ ٤٦، وانظر في التقابل المجازي أيضاً: الإسراء: ١٧/٧٢، وفصلت: ١٣/١٩، والنساء: ٤/٧٤، والبقرة: ٢/٨٦.

٥- الأحزاب: ٣٣/٤٢. وانظر في التقابل الحقيقي: الأعراف: ٧/١٨٨، والليل: ٩٢/٣، ١٣، والتغابن: ٦٤/١٨، والأنبياء: ٢١/٣٣، وانظر في التقابل المجازي: الفرقان: ٢٥/٤٩، والأنعام: ٦/١٢٢-١٢٣.

٦- البقرة: ٢/٢٤٩. وانظر في التقابل الحقيقي: الحشر: ٥٩/٢٠، والزلزلة: ٩٩/٧-٨ ومحمد: ٤٧/٣٨، وفاطر: ٣٥/١٥، وانظر في التقابل المجازي: الكهف: ١٨/١١-١٢، والتوبة: ٩/٩، والنمل: ٢٧/ ٨٠-٨١.

٧- النحل: ١٦/١٢٥. وانظر في التقابل الحقيقي: يس: ٣٦/١٢، والحج: ٢٢/٦، والقلم: ٦٨/٧، والبقرة: ٢/٢٦٠، وانظر أيضاً في التقابل المجازي: يس: ٣٦/٣٣، وق: ٥٠/١١، والصف: ٦١/٨.

٨- نقلاً عن: علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، د.صلاح فضل، دار الآفاق الجديدة، ط١، (١٩٨٥م) ص١٩٤-١٩٥.

٩- المرجع السابق، ص١٩٥.

١٠- النساء: ٤/١١.

١١- الشرح: ٩٤/٥. وانظر: الضحى: ٩٣/٤، والطلاق: ٦٥/٧، والفجر: ٨٩/٣، وآل عمران: ٣/٢٩، والانفطار: ٨٢/٥.

١٢- الكشاف: ج٤/ص٢٦٧.

١٣- البقرة: ٢/٢٥٦، وانظر: الأنعام: ٦/١٢٠، والمائدة: ٥/١٠٠، والإسراء: ١٧/١١، ويس: ٣٦/٣٧.

١٤- البقرة: ٢/٢٥٦، وانظر أيضاً الواقعة: ٥٦/١-٣، وآل عمران: ٣/ ١٧٩، وسبأ: ٣٤/١٢، وقريش: ١٠٦/١-٢، والمائدة: ٥/١٨.

١٥- آل عمران: ٣/١٦٧، وانظر على سبيل المثال لا الحصر: يونس: ١٠/ ١١، والأنعام ٦/١٤٣، والنساء: ٤/١١، ١٤٤، وآل عمران: ٣/ ١٩٥، وإبراهيم: ١٤/٤، والبقرة: ٢/٨٥، والتوبة: ٩/٢٥.

١٦- فصلت: ٤١/٣٨، وانظر أيضاً: المزمل: ٧٣/٢٠، وفاطر: ٣٥/٢٩، والجمعة: ٦٢/٨، والحشر: ٥٩/٢٢، وهود: ١١/٥، والدخان: ٤٤/ ٨.

١٧- البقرة: ٢/٢٧٣، وانظر أيضاً: المزمل: ٧٣/٦-٧.

١٨- الشعراء: ٢٦/١٨٦-١٨٧. وانظر: الزمر: ٣٩/٢٠، والبقرة: ٢/٩٣، والأنفال: ٨/٤٣.

١٩- يونس: ١٠/٥٠.

٢٠- ص: ٣٨/١٨.

٢١- البقرة: ٢/٢٥٥.

٢٢- النساء: ٤/٣٤.

٢٣- الأنعام: ٩٧/٦.

٢٤- البقرة: ٢٥٥/٢.

٢٥- الكشاف: ج١/ص٣٨٥.

٢٦- النحل: ٦٢/١٦. وانظر أيضاً: النحل: ٤١/١٦، وطه: ٥٣/٢٠، والمائدة: ٦٦/٥، والنور: ١٢/٢٤.

٢٧- آل عمران: ٤٦/٣. وانظر: هود: ٧/١١، والبقرة: ١٠٧/٢، ٢١٧، ٢٥٥، وص: ١٨/٣٨، والعنكبوت: ٦٢/٢٩، والنمل: ٨٨/٢٧، والصافات: ١٥/٣٧، والمؤمنون: ٨٢/٢٣، والمائدة: ١٣/٥.

٢٨- آل عمران: ١٤٥/٣. وانظر: الأنفال: ١٠٩/٣، والأنعام: ١٣٦/٦، والنساء: ١٠٩/٤، ويوسف: ١٠٠/١٢، والأنبياء: ٧٦/٢١-٧٧. والشعراء: ٦٥/٢٦-٦٦، ١١٩-١٢٠، والبقرة: ١٦٦/٢.

٢٩- الأنعام: ١٣٩/٦، وانظر أيضاً: الأنفال: ٥٠/٨، والحج: ١٨/٢٢، ويونس: ٦٦/١٠،٦٨، والممتحنة: ١/٦٠.

٣٠- لقمان: ٢٤/٣١، وانظر أيضاً: الطور: ٣٩/٥٢، والأنعام: ١٥١/٦، والبقرة: ٢٠٠/٠، ومريم: ٦٢/١٩.

٣١- النمل. ٨٨/٢٧. وانظر مريم: ٩٣/١٩، وهود: ٤١/١١، والنحل: ٣/١٦، ويونس: ٦٤/١٠، والإسراء: ٧٢/١٧، وإبراهيم: ٤٨/١٤.

٣٢- آل عمران: ١١٠/٣، وانظر: البقرة: ٥٦/٢، والرعد: ٢٦/١٣، والكهف: ١١٠/١٨، ويوسف: ٨٦/١٢، ومريم: ١١/١٩، والنور: ١٩/٢٤.

٣٣- الكشاف: ج١/ص٤٥٤.

٣٤- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، دون تاريخ، ص٥٤.

٣٥- النحل: ٢٦/١٦. وانظر: البقرة: ٢١٧/٢، وآل عمران: ٢٢/٣، والنور: ٢٣/٢٤، والنحل: ٣٨/١٦، والطور: ١٦/٥٢.

٣٦- البقرة: ٦٦/٢، الأنعام: ١٣٦/٦.

٣٧- أنور التنزيل، وأسرار التأويل، (تفسير البيضاوي) مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، دون تاريخ: ج١/ص١٦٠.

٣٨- طه: ٥٣/٢٠.

٣٩- الشرح: ٥/٩٤.

٤٠- الحجر: ٤٩/١٥-٥٠. وانظر: النحل: ٤١/١٦.

٤١- المطففين: ٢/٨٣-٣، وانظر: النساء: ١٠٩/٤.

٤٢- آل عمران: ١٤٥/٣. وانظر: الشورى: ٢٠/٣٢،٣٦.

٤٣- بناء الأسلوب، في شعر الحداثة: ص٢٣٨.

٤٤- المرجع السابق ص٢٣٨.

٤٥- السجدة: ٢١/٣٢.

٤٦- الفتح: ٢٩/٤٨، وانظر: البقرة: ٦٣/٢، وآل عمران: ١٢٨/٣، والأعراف: ١٧٦/٧، والتكاثر: ٦/١٠٢-٨.

٤٧- الأحقاف: ١٠/٤٦. وانظر: البقرة: ٧٢/٢.

٤٨- النمل: ٤٤/٢٧. وانظر: البقرة: ٢٦٣/٢.

٤٩- البقرة: ٢/١٠٠. وانظر الأنعام: ٦/٤٧، والنحل: ١٦/٦٠، وإبراهيم: ١٤/٢٨.

٥٠- يوسف ١٢/٨٥. وانظر الصافات: ٣٧/١١٣. والأحزاب: ٣٣/٣٦، وآل عمران: ٣/١٢٨، والبقرة: ٢/٧٢.

٥١- الأعراف: ٧/١٧٦. وانظر: الأحزاب: ٣٣/١٧، والنحل: ١٦/٥٩، وآل عمران: ٣/٨٣.

٥٢- النجم: ٥٣/٧-٨. وانظر: الزمر: ٣٩/٤٥، والتكاثر: ١٠٢/٦-٨، والبقرة: ٢/٢٠٣.

٥٣- الطراز، ج٢/ص٣٨٧.

٥٤- بناء الأسلوب، ص٣٢٣.

٥٥- الأنعام: ٦/٩٢. وانظر: النحل: ١٦/١٢٦، والأنبياء: ٢١/٢-٣، والنساء: ٤/٣٤.

٥٦- الجاثية: ٤٥/٣٤.

٥٧- الكشاف، ج٣/ص٥١٤.

٥٨- المصدر السابق، ج٣/ص٥١٤.

٥٩- انظر: الوافي، التبريزي، ص٢٦١.

٦٠- الشورى: ٤٢/٤٠. وانظر: الرحمن: ٥٥/٦٠، ويونس: ١٠/٢٧.

٦١- الرحمن: ٥٥/٦٠. وانظر: الأنعام: ٦/٩، ويونس: ١٠/٢٧، والقصص: ٢٨/٧٧، والبقرة: ٢/١٢٠.

٦٢- الأنبياء: ٢١/٢-٣. وانظر: الأنعام: ٦/٩٢.

٦٣- الرحمن: ٦٥/٥٥. وانظر: يونس: ٢٧/١٠.

٦٤- الجاثية: ٣٤/٥٤، وانظر: الحج: ٤٠/٢٢، والشورى: ٤٠/٤٢، والنحل: ١٢٦/١٦.

٦٥- الأنعام: ٩/٦. وانظر: النساء: ٣٤/٤، والأنبياء: ٢١/٢-٣.

٦٦- البقرة: ١٢٠/٢. وانظر: آل عمران: ١٥٣/٣.

٦٧- الأنعام: ٣٩/٦.

٦٨- الأنعام: ٥٧/٦.

٦٩- انظر: روح المعاني، عني بنشره المرحوم محمود شاكر الألوسي، دار إحياء التراث العربي ببيروت، ط٤، (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ج٧/ص ١٦٨-١٦٩.

٧٠- يوسف: ١١٠/١٢. وانظر: البقرة: ٧٦/٢، والأنعام: ٣٩/٦، والحج: ٢٧/٢٢، وغافر: ٥١/٤٠.

٧١- يوسف: ١٧/١٢. وانظر: يوسف: ١٠٨/١٢، والأنعام: ٥٧/٦، والإسراء: ٤٩/١٧، وآل عمران: ١٣/٣.

٧٢- البقرة: ١٤/٢.

٧٣- المائدة: ١٠٤/٥. وانظر: مريم: ٢٠/١٩، ومحمد: ١٤/٤٧، والبقرة: ١٧٠/٢،٢٤٦.

٧٤- محمد: ١٤/٤٧. وانظر: مريم: ٢٠/١٩.

٧٥- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ص٤٢٨.

٧٦- محمد: ١٤/٤٧. وانظر: الشورى: ١٥/٤٢.

٧٧- آل عمران: ٣/٣٢. وانظر: المائدة: ٥/٩٢، والنور: ٢٤/٥٤.

٧٨- الأنعام: ٦/٥٧.

٧٩- النساء: ٤/١٤٣. وانظر: يوسف: ١٢/١٠٨.

٨٠- آل عمران: ٣/١٩٤. وانظر المائدة: ٥/١٠٤، والنحل: ١٦/٧.

٨١- يس: ٣٦/١٥-١٦. وانظر: فصلت: ٤١/٤٠، وغافر: ٤٠/٥١، والأنعام: ٦/٣٩، ويوسف: ١٢/١٧، والإسراء: ١٧/٤٩.

٨٢- النحل: ١٦/٨١-٨٢. وانظر: آل عمران: ٣/٢٠، وطه: ٢٠/١٦، والأنبياء: ٢١/١٠٨-١٠٩، والحج: ٢٢/٢٧، والقصص: ٢٨/٦٠.

٨٣- البقرة: ٢/٢٤٦. وانظر: المائدة: ٥/٤٨،٤٩، والنساء: ٤/٣، والبقرة: ٢/١٧٠.

٨٤- آل عمران: ٣/١٤٠. وانظر: البقرة: ٢/١٣٩،١٤١،١٦٧، والمائدة: ٥/٥٤، والأنعام: ٦/١٥٧.

٨٥- البقرة: ٢/١٠.

٨٦- الكشاف، ج١/ص١٧٥-١٧٦.

٨٧- البقرة: ٢/١٤-١٥. وانظر: النساء: ٤/١٤٢، والسجدة: ٣٢/١٤، والنمل: ٢٧/٥٠، والرعد: ١٣/٤٢.

٨٨- روح المعاني، ج١/ص١٥٨.

٨٩- التوبة: ٩/٦٥. وانظر: المؤمنون: ٢٣/١١٠، والطور: ٥٢/١١-١٢، والحج: ٢/١٤، والأنعام: ٦/٥٦.

٩٠- المؤمنون: ١١٠/٢٣. وانظر: غافر ٨١/٤٠، وطه: ٦٥/٢٠، والصافات: ١٧٢/٣٧، والزمر: ٣٠/٣٩.

٩١- الحج: ١٤/٢٢. وانظر: الطور: ١١/٥٢-١٢، والفرقان: ٤٤/٢٥، ويونس: ٥٣/١٠، ويوسف: ٦٧/١٢.

٩٢- الشعراء: ١٣٠/٢٦. وانظر: الشورى: ١٥/٤٢، والزمر: ٣٠/٣٩، والحج: ١٤/٢٢، والطور: ١١/٥٢-١٢، والأحقاف: ٢٦/٤٦.

٩٣- محمد: ٧/٤٧. وانظر: آل عمران: ١٤٠/٣، والأنعام: ١٣٥/٦، والحشر: ١٩/٥٩، والبقرة: ١٠/٢، ويونس: ٥٣/١٠.

٩٤- طه: ١٢٦/٢٠. وانظر: الأنعام: ١٥٧/٦، ويونس: ١٠٢،٢٠/١٠، وهود: ٣٨/١١، والمائدة: ٥٤/٥، والروم: ١٠/٣٠.

٩٥- فاطر: ٣٩/٣٥. وانظر: آل عمران: ١٩٣،٥٢/٣، والتوبة: ٩/ ١٢٧،٧٩، والبقرة: ١٩٤/٢، فاطر: ١٨/٣٥.

٩٦- يونس: ٣٩/١٠.

٩٧- الحج: ٦٦/٢٢، وانظر: الأنفال: ٣٧/٨، وفاطر: ٩/٣٥.

٩٨- الفرقان: ٤٥/٢٥-٤٦. وانظر الإسراء: ١١٠/١٧.

٩٩- الإسراء: ٧٨/١٧. وانظر: طه: ١٢٣/٢٠.

١٠٠- لقمان: ٣٠/٣١. وانظر: البقرة: ١١/٢-١٢، والجاثية: ٢٥،٢٤/٤٥، والأعراف: ٢٥/٧.

١٠١- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ص٣٤٦.

١٠٢- الأحزاب: ٤٥/٣٣.

١٠٣- فصلت: ٣٩/٤١. وانظر: الفرقان: ٣/٢٥.

١٠٤- البقرة: ١٢١/٢، وانظر: آل عمران: ١٥٩/٣، والأعراف: ٢٠٥/٧.

١٠٥- النحل: ١١٩/١٦. وانظر: الأعراف: ١٥٣/٧، وفصلت: ٣٠/٤١.

١٠٦- مريم: ١٥/١٩. وانظر يونس: ٣٧/١٠، والقصص: ٣٢/٢٨، ومريم: ٣٣/١٩، وفاطر: ٣٢/٣٥.

١٠٧- البقرة: ٢٨/٢. وانظر: البقرة: ٢٥٨/٢، والروم: ٥٠/٣٠.

١٠٨- فاطر: ١٣/٣٥. وانظر الروم: ٥٤/٣٠، والتوبة: ٣٧/٩، والحج: ٢٢/ ٦١.

١٠٩- المائدة: ٦١/٥.

١١٠- الرعد: ١٦/١٣. وانظر: فاطر: ١٩/٣٥-٢٢، وآل عمران: ٢٦/٣، والبقرة: ١٧٥/٢،٢٧٤.

١١١- طه: ١٣٠/٢٠.

١١٢- غافر: ١٢/٤٠. وانظر: الزمر: ٣٦/٣٩-٣٧.

١١٣- المطففين: ٨٣/٧،١٨، وانظر المنافقون: ٦/٦٣.

١١٤- ص: ٢٨/٣٩. وانظر: النساء: ٧٢/٤-٧٣، والزمر: ٨/٣٩، وغافر: ٤١/٤٠-٤٢.

١١٥- يونس: ٦١/١٠.

١١٦- العنكبوت: ٦٧/٢٩. وانظر: النحل: ٧٢/١٦.

١١٧- البقرة: ٢١٦/٢.

١١٨- النمل: ٩٢/٢٧. وانظر: لقمان: ١٢/٣١.

١١٩- الغاشية: ٨٨/١٨،٢٠.

١٢٠- الزمر: ٣٩/٤١.

١٢١- انظر على سبيل المثال: آل عمران: ٣/٥٠،١٠٤،١١٠، والتوبة: ٩/ ١١٢، ومحمد: ٤٧/١٢، والحديد: ٥٧/١٣.

١٢٢- الأنفال: ٨/٨. وانظر: فاطر: ٣٥/١٢.

١٢٣- البقرة: ٢/٢٢، وانظر: الذاريات: ٥١/٤٧-٤٨، وعبس: ٨٠/٣٩-٤٠.

١٢٤- البقرة:٢/١٨٥. وانظر: العنكبوت: ٢٩/٦٣، والقارعة: ١٠١/٦-٩، والبلد: ٩٠/١٧-١٩، ومريم: ١٩/٩٧.

١٢٥- الشورى: ٤٢/٢٤. وانظر: غافر: ٤٠/٦١، والنحل: ٢٧/٨٦.

١٢٦- الروم: ٣٠/٣٦. وانظر: آل عمران: ٣/١١٩.

١٢٧- البقرة: ٢/٣٠.

١٢٨- فصلت: ٤١/٤٦. وانظر: آل عمران: ٣/١٤١.

١٢٩- الأحزاب: ٣٣/٢٤.

١٣٠- الروم: ٣٠/٧، وانظر: العنكبوت: ٢٩/٦٤.

١٣١- البينة: ٩٨/٦-٨. وانظر: يونس: ١٠/١٠٨-١٠٩.

١٣٢- المائدة: ٥/٢. وانظر: الإسراء: ١٧/٦٧، والنحل: ١٦/٩٩-١٠٠.

١٣٣- الروم: ٣٠/١٥-١٦. وانظر: الحج: ٢٢/٥٦-٥٧، والنحل: ١٦/٩٠، ويونس: ١٠/٧-١٠.

١٣٤- الفرقان: ٤٧/٢٥. وانظر: هود: ٤٤/١١، وآل عمران: ١٠٦/٣-١٠٧، والبقرة: ٢٦١/٢.

١٣٥- النساء: ١٣/٤-١٤. وانظر: الشعراء: ٩٠/٢٦-٩١، والتوبة: ٥٠/٩، والروم: ٣٣/٣٠، ومريم: ١٥/١٩، ٣٢-٣٣، ويونس: ٣٧/١٠، والأحراب: ٤٥/٣٣.

١٣٦- البقرة: ٢٥٧/٢، وانظر: النساء: ٤٨/٤، وآل عمران: ١٢٠/٣، والبقرة: ٢٣١/٢، ومريم: ٨٥/١٩-٨٧، والأنفال: ٣٧/٨، والقصص: ٣٢/٢٨.

١٣٧- البقرة: ١٠٨/٢. انظر: المائدة: ١٩/٥، وإبراهيم: ٣٦/١٤، والتوبة: ١٢٤/٩-١٢٥، والحج: ٥٦/٢٢-٥٧، والأعراف: ٢٤/٧-٢٥، والإسراء: ١١٠/١٧.

١٣٨- آل عمران: ١٠٦/٣-١٠٧، وانظر: سبأ: ١/٣٤-٢، والبقرة: ٢/ ١٥١-١٥٢،٢١٦، والفرقان: ٣/٢٥، وفصلت: ٣٩/٤١.

١٣٩- السجدة: ١٨/٣٢-٢١. وانظر: الزمر: ٩/٣٩،٣٨-٣٩، والنحل: ٥٢/١٦-٥٤، والجاثية: ٢٤/٤٥-٢٥.

١٤٠- انظر على سبيل المثال لا الحصر: الموضوعية البنيوية، دراسة في شعر السياب، د. عبد الكريم حسن، المؤسسة العامة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط١ (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م). ودائرة التكرار في شعر مصطفى وهبي التل، الدكتور محمد عبد المطلب، بحث مقدم لمهرجان عرار الأول للإبداع، نيسان (١٩٨٩م) الأردن، إربد، جامعة اليرموك، والجملة الخبرية في ديوان جرير، د. عبد الجليل العاني، بغداد (١٩٨٢م).

الفصـــل الثالث

التقابل والتماثل في محاور القرآن الكريم

بعد أن تحدثت في الفصل السابق عن الطبيعة التركيبية لأنماط التقابل والتماثل المختلفة، وبينت المميزات الأسلوبية لها. أتحدث في هذا الفصل عن جانب آخر من جوانب موضوع التقابل والتماثل وهو تشكيل التقابلات والتماثلات في محاور القرآن الكريم الرئيسة؛ وذلك للكشف عن كيفية تشكيل مفرداتها في كل محور، بحيث أبرز حركة معناها وخصائصها في مختلف جوانب كل محور، ولذا فإني أعتمد الإحصاء مرة أخرى ليكون وسيلة توصلني إلى استخراج النتائج والملاحظات.

أما محاور القرآن الكريم التي أدرسها في هذا الفصل، فهي:

أولاً- محور الإيمان.

ثانياً- محور الكفر.

ثالثاً- محور النفاق.

يمكننا أن نتحدث عن كل محور منها حديثاً منفصلاً لتسهيل الدرس والبحث مع إيماني بأن هذه المحاور متصلة معاً بطريقة أو أخرى، ولذلك سأشير في مواضع من هذا الفصل إلى الالتقاء بينها. فأبدأ بالمحور الأول.

أولاً- محور الإيمان:

لقد أظهر القرآن الكريم في محور الإيمان عدداً من المباحث الموضوعية تتصل بمفهوم الإيمان اتصالاً قوياً، وذلك من خلال المفهوم العام للإيمان، إذ إنه الاعتقاد بأن الله رب كل شيء، ومالكه وخالقه، وأنه هو الذي يستحق من الإنسان العبادة من صلاة وصوم وزكاة وما إلى ذلك[1]. وحتى ندرك أبعاد كل مبحث منها لابد أن نتحدث عن كل منها على حدة.

١- العقيدة:

إن أول مبحث للإيمان هو العقيدة، وذلك أنها هي القاعدة الأساسية التي ينطلق منها مفهوم الإيمان بالله سبحانه وتعالى وبكل ما خلق، ولا شك في أن مفهوم العقيدة يأخذ معاني واسعة ومختلفة؛ ولذلك فإني سأتتبع التقابلات والتماثلات التي جاءت في مختلف أنواع العقيدة التي بلغت ستة أنواع. وقد وردت فيها بما مجموعه مائتان وستة وسبعون تقابلاً وتماثلاً وتوزعت على أنواعها وأما أنواع العقيدة، فهي:

أ- الإيمان بالله وحده:

أفرز مقام الاعتراف بوحدانية الله والابتعاد عن الإشراك به أربعة مجالات تحركت التقابلات والتماثلات فيها في صور مختلفة، وقد بلغت هذه التقابلات والتماثلات ثلاثة وخمسين تقابلاً وتماثلاً.

أما المجال الأول، فهي تأكيد وحدانية الله عز وجل، وقد تعددت المفردات التي تشكلت في هذا المجال إذ بلغت أربعة وثلاثين تقابلاً وتماثلاً. وقد أظهرت آيات الكتاب الحكيم معنى توحيد الله دون غيره، من خلال هذه التقابلات، كقوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهِ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ** ﴾ [٢]. ففي هذه الآية تصريح من الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنه يوحد الله ولا يجعل معه إلهاً آخر. وكما لاحظنا من الآية أنها أبرزت هذا المعنى من خلال تقابل الإيجاب بالسلب (لتشهدون) بـ (لا أشهد قل إنما هو إله واحد).

وقد تركزت التقابلات في هذا المجال على عدد من المعاني التي تتصل بتأكيد وحدانيته عز شأنه، وذلك بين عدم انصياع المؤمنين لدعوة الكفار للإشراك بالله عز وجل[٣]. وبين أمر الله بأن يتجه المؤمنون إلى عبادة الله دون غيره[٤]، وبين إقرار المؤمنين بإيمانهم بالله الواحد[٥].

ولا شك في أن الحديث عن ألفاظ التقابلات في هذا المجال يفيد بملاحظة تركيز آيات القرآن على موضوع المفردات، وبالتالي إدراك فاعليتها وتأثيرها في المتلقي، إن مفردات التقابلات والتماثلات هنا تنقسم مجموعات تنتهي كل مجموعة إلى معنى خاص بها. وقد انقسمت قسمين: الأول تقابل التضاد، والثاني التماثل، فأما مفردات تقابل التضاد، فقد جاءت بالتشكيل الآتي:

الرقم	مفردات التقابل	مجموعها
١	إثبات حقيقة إبراهيم ونفي الشرك.	٥
٢	إثبات خشية الله ونفي الخشية من الناس.	٥
٣	إثبات العبادة ونفي الشرك.	٢
٤	إثبات الدعوة إلى عبادة الله ونفي الشرك به.	٢
٥	إثبات الشكر والكفر.	٢
٦	إثبات العبادة ونفي التقوى.	١
٧	الإيمان والتولي عنه.	١

الرقم	مفردات التقابل	مجموعها
٨	إثبات الإيمان ونفي الشرك.	١
٩	إثبات الشهادة بالشرك ونفيها.	١
١٠	إثبات الإيمان ونفيه.	١
١١	الإيمان والكفر.	١
١٢	الإيمان والفسق.	١
١٣	الظلم والإسلام.	١
١٤	ذكر الله والنسيان.	١
١٥	نفي البر وإثبات البر.	١
١٦	اتبع وأعرض.	١
١٧	الإسلام والتولي عنه.	١
	المجمـــــوع	**٢٨**

إن مفــردات هــذه التقابلات كانت تسعى لإثبات وحدانية الله عز وجل، وإلى محاولة إبعاد الإشراك به، وقد كانت موجهة إلى المؤمنين، أو كانت واصــفة لمعــتقداتهم. وقد بلغت هذه التقابلات التي تقع في هذا الإطار أربعة وعــشرين تقــابلاً، وهــذا بطبيعة الحال يمثل نسبة عالية من مجموع المفردات المرصــودة هنا، وأما سائر التقابلات فكانت تسعى لإيجاد مفارقة بين الاعتقاد بوحدانية الله والاستسلام له، وبين ما يتضاد مع هذه الوحدانية.

وأما مفردات التماثل فقد جاءت في التشكيل الآتي:

الرقم	المفردات	العدد
١	الإيمان.	٣
٢	أنصار الله.	٢
٣	التوكل على الله.	١
٤	ذكر الله.	١
	المجمـــــــوع	**٧**

إن التماثل في هذا المجال كان يسعى لأن يثبت صفة التوحيد من خلال الإيمان بالله، ومن خلال التسليم بالتوكل عليه، ومن ثم من خلال الإقرار بنصرة الله عــز وجل. إن هذه التماثلات تلتقي تقابلات التضاد التي ظهرت في القسم الأول لتثبت معها اعتراف المؤمن بوحدانية الله عز وجل.

أما المجال الثاني للمتقابلات والمتماثلات، فهو الإقرار بأن حقيقة الهداية هــي هــدى الله ولا أحد سواه يهدي الإنسان. وقد جاءت سبعة منها هنا في مقام الإقرار بهذه الحقيقة، كقولــه تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ**﴾ [٦]. إن الخطاب في هذه الآية موجه إلى الرسول، صلى الله عليه وسل، إذ يأمره الله أن يقــر بــأن الهداية الحقة من الله سبحانه وتعالى. وقد تنوعت مفردات هذا المجــال، ولكــن مــضمونها يشير إلى إثبات معنى الهداية بالذات الإلهية. وقد انقــسمت قسمين: الأول التماثل وقد وردت فيه مفردة (الهدى) لتماثل مثيلتها (الهدى) في الطرف الثاني مرتين[٧]، وأما القسم الثاني فقد جاء في تقابل التضاد بــين (الــضلالة) و(الهــدى) [٨]. وقد تكررت ثلاث مرات، وبين (الظلمات) و(النور) [٩] التي تكررت مرتين.

وأمـــا المجال الثالث، فهو تأكيد ديمومة الله سبحانه وتعالى دون خلقه وقد جاء تقابلان يشيران إلى هذا المعنى، كما في قولـــه تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [١٠]. إن الآية الثانية حققـــت هذا المعنى من المفارقة بين المخلوقات الفانية على الأرض وبين الخالق الذي يبقى ولا يموت.

وأمـــا المجـــال الرابع، فهو يعطي معنى التوحيد بعداً أعم من المجالات السابقة، إذ يجعل الله سبحانه وتعالى جميع المخلوقات في السماء والأرض تسبح له وتوحده معترفة بوحدانيته. وقد جاءت التقابلات هنا مقتصرة على التضاد، ومحـــصورة بين لفظين هما (السماء) و(الأرض) [١١]. وقد تكررت سبع مرات، ولا شـــك في أن للتقابل بين السماء والأرض في هذا المجال أهمية خاصة لإظهار دائـــرة التـــسبيح والتوحيد الواسعة التي تشمل كل المخلوقات سواء أكانت في (السموات) أم في (الأرض) ومن فيهما، وقد خصت آية منها الجبال في التسبيح وأظهرت تقابل التضاد بين (العشي) و(الإشراق) [١٢].

ب- القدرة الإلهية:

إن القـــدرة الإلهية هي النوع الثاني من أنواع العقيدة، فالله الواحد هو القـــادر على خلق الكون وعلى التصرف به وبما فيه كيفما شاء، وبالتالي فهو المـــسيطر علـــيه وعلى كل ما فيه. ومن هذا المنطلق أظهرت التقابلات القرآنية وتماثلاتـــه خمس مجالات مختلفة تصب جميعاً في معنى القدرة الإلهية، ومنطلقة من معـــنى الإيمان بالله وحده. وقد أخذت التقابلات الضدية والتخالفية ما مجموعه مائة وتسعة وستون تقابلاً في حين لم يرد التماثل إلا مرة واحدة.

وقد تـوزعت على نوعين من الخلق يدخلان في العام والخاص. أما العـام، فهو خلق الكون وما فيه من (السموات) و(الأرض) وما بينهما، وأما الخـاص، فهو خلق الإنسان. وقد تشكلت مفردات التقابل في الجانب العام من خلال مفردتي (السموات) و(الأرض) وقد تكررت تسع عشرة مرة.

وجميع هذه التقابلات تشير إشارة صريحة إلى أن الله عز وجل هو الذي خلقها، كقولـه تعالى: ﴿**الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا**﴾[١٣]. فهذه الآية تتضمن معنى وحدانـية الله، وذلك أنها تؤكد وتقرر أن الخالق هو الذي خلق الكون وما فيه مـن (السموات) و(الأرض) وأحياء أخرى. وقد جاءت الآيات في هذا المجال لـتحدد بالدقـة معـنى التفرد الإلهي بخلق (السموات) و(الأرض)، كقولـه تعـالى: ﴿**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾[١٤]. فهذه الآية جاءت اعترافاً على لسان يوسف عليه السلام بأن الله مبدع (السموات) و(الأرض) وخالقهما على غير مثال[١٥].

وأمـا مفـردات التقابل في الجانب الخاص، وهو خلق الإنسان، فقد تكـررت تقابلاتها ثلاث مرات، إذ تراوحت بين كلمتي (تراب) و(نطفة)[١٦]، وبـين كلمتي (صلصل كالفخار) و(مارج من نار)[١٧]. و(رجالاً ونساء)[١٨]. وفي هـذه الـتقابلات تأكيد من الله سبحانه وتعالى على أن الإنسان خلق من (تراب) وبعد ذلك أصبح (نطفة) وهذه القدرة يتصف بها إله واحد قادر.

وأما المجال الثاني، فيكشف عن أن الخالق الواحد هو القادر على خلق الهدايـــة والـــضلالة دون غيره من مخلوقاته، وقد جاءت تقابلاته في خمسة عشر تقابلاً. اختلفت مفرداهما من حيث اللفظ والتركيب، ولكنها جاءت لتثبت معنى القدرة الإلهية على الهداية والضلالة من خلال تزيينه للهداية وتكريهه للضلالة.

ويمكننا أن نرصد مفردات التقابل في الجدول الآتي:

الرقم	مفردات التقابل	مجموعها
١	إثبات الضلالة وإثبات الهداية.	٦
٢	نفي الضلالة وإثبات الهدى.	٢
٣	إثبات الضلالة ونفي الهدى.	١
٤	نفي الهدى وإثباته.	١
٥	نفي قدرة الرسول على إيقاع الهداية للإنسان.	١
٦	نفي الهداية وإثبات الضلالة.	١
٧	اشرح لي صدري واحلل عقدة من لساني.	١
٨	إثبات الهداية وإثبات الشرك.	١
	المجمـــــــوع	**١٤**

إن هـــذه التقابلات في مجملها تتجه إلى إثبات أن الهداية والضلالة فعل مـــن أفعال الله عز وجل، ومن قدراته التي يتصل بها دون غيره. إذ جاءت آيات مـــشيرة إلى هذا المعنى، كقولـــه تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ

يَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[19]. فالخطاب في الآية موجه إلى الرســول صلى الله عليه وسلم، إذ جاءت لتبين له وللمؤمنين، بان الرسول لا يستطيع أن يدخل الكفار في الإسلام، وإنما الله هو الذي يدخلهم فيه[20]. وكما أثبــتت هذه الآية أن الهداية من الله عز وجل تثبت غيرها أن الضلالة أيضاً منه عــز شــأنه، كقولــه تعالى: ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء ﴾[21]. فالله عز وجل عندما تأتي محنته وابتلاؤه فإنما يضل بهما الجــاهلين غير الثابتين في معرفتهم له، ويهدي العالمين الثابتين بقولهم بوحدانيته، ولا شك في أن معنى القدرة على الهداية والضلالة جاء على التوسع في الكلام، وذلك أن المحنة والفتنة كانتا سببين لأن ضلوا واهتدوا فكأنه أضلهم بها وهداهم بهــا[22]. وقــد جاءت هذه الآية بإقرار المؤمنين بقدرته سبحانه وتعالى، كما نلحــظ، وقــد اختــلفت الآيات المتضمنة القدرة الإلهية والضلالة في اختيار الأسلوب، فمنها ما جاء بالإقرار[23]، ومنها ما جاء بالدعاء[24].

وأمــا المجال الثالث، فهو يشير إلى قدرة الخالق على الثواب والعقاب، وقد بلغت تقابلات هذا المجال خمسة وعشرين تقابلاً، وقد اعتمدت عشرة منها علــى تقابــل مفردتي (الدنيا) و(الآخرة) أو بما يشير إليهما في المعنى، وكانت آيــات هــذه الــتقابلات تركز على معنى الثواب والرحمة في الدارين الأولى والآخرة، وجاء بعضها في أسلوب الدعاء الذي يكشف عن الإيمان الحقيقي من المؤمن بقدرة الله عز وجل. كقولــه تعالى: ﴿ومِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾[25]. إن هذه الآية تــشير إلى توجه الناس إلى الله تعالى بطلب خيري الدنيا والآخرة، بحيث جمعت هــذه الدعــوة كل خير وصرفت كل شر[26]. وكقولــه تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ

أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾ [٢٧]. إن هــذه الآية تشير إلى دعاء الرسول عليه السلام بأن يدخله الله القبر مدخل صدق إدخالاً مرضياً على طهارة وطيب من السيئات، ويخرجه منه عند البعث إخراجاً مرضياً ملقى بالكرامة آمناً من السخط[٢٨].

وقد جاء بعضها بأسلوب التقرير كقولــه تعالى:

﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاء نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿ ٥٦ ﴾ وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [٢٩]. إن الــتقابل في هــذه الآية يشير إلى قدرة الله على إتيان الرحمة لمن يشاء في الحياة الدنيا، ويؤكد خير أجر الآخرة للمؤمنين.

وأمــا ســائر التقابلات التي بلغت أربعة عشر تقابلاً فقد ركزت على عدد من المفردات تتعلق بالثواب والعقاب[٣٠]، والمغفرة والعذاب[٣١]، والعذاب والرحمة[٣٢]، ومغفرة ما تقدم وما تأخر[٣٣]. وجاءت كذلك لتقرر بأن ما يفعله الإنــسان من خير أو شر فإنما من كسبه واكتسابه في حياته الدنيا فيحاسب به وعليه يوم القيامة، كقولــه تعالى: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [٣٤]. فالتقابل في هذه الآية وقع بين الحرفين (لها) و(عليها) وقــد تردد فعلان معهما هما (كسبت) و(اكتسبت)، وذلك أن الأول يشير إلى الجــنة والثاني إلى السيئة، وقد اختلفت الصيغة اللفظية لهما؛ وذلك لأن كسب الحــسنة بالإضافة إلى اكتساب السيئة أمر يسير ومستصغر، فالمسلم الذي يأتي بالحسنة الصغيرة له عشرة أمثالها في حين إن الذي يأتي بالسيئة لا يحاسب إلا بها ومن هنا جاءت زيادة (التاء) في الفعل الثاني على الفعل الأول الذي انتقص منه هذا الحرف[٣٥].

وأما المجال الرابع، فقد خص بالحديث قدرة الله عز وجل على تصريف الكـون ومـا فـيه من مخلوقات وما يلحق بها من أفعال يتفرد بها دون هذه المخلـوقات. وقـد شملـت مفردات التقابلات في هذا المجال عدداً كبيراً من الإشـارات الـتي تدل على قدرته بتصريف الكون، وقد بلغت تقابلاته خمسة وخمسين تقابلاً، فمن هذه التقابلات كانت (السموات) و(الأرض) وقد بلغت ثلاثـة: اثنين منها يشيران على قدرته على الحفاظ على (السموات) و(الأرض) مـن أن تزولا[٣٦]، أو من أن تسقط (السماء) على (الأرض)[٣٧]. وأما التقابل الـثالث فكـان يشير إلى قدرته على إتقان صنع الله للجبال التي يحسبها الرائي جامدة وهي في الحقيقة تمر مر السحاب[٣٨].

وثمـة تقابلات أخرى تتصل بالتقابلات الكونية (السموات والأرض) السابقة وهي تقابل الليل بالنهار إذ أشارت كثير من الآيات إلى هذه التقابلات وقد بلغ عددها تسعة تقابلات، وهي تكشف عن قدرته بالتصرف بـ (الليل) و(النهار) من حيث تعاقبهما[٣٩]، أو من حيث تداخلهما[٤٠]. أو من حيث إنه جعـل (النهار) وقتاً لانتشار الناس، و(الليل) وقتاً لسباتهم وراحتهم فسخرهما لهم[٤١].

وقـد تحـدث تقابل آخر عن قدرة الله على التحكم بـ (الظل) على الأرض وسـط أشعة الشمس وهو في قولـه تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾**[٤٢]. إن الـتقابل هـنا يقـع بـين المفردات (مد) و(ساكناً) و(قبـضناه) وهـي تشير إلى قدرة الله على نقل الظل من مكان إلى مكان ومن جهـة إلى جهـة، فتارة تكون جهة المشرق وأخرى جهة المغرب، ومن ثم فإنه يزيله شيئاً فشيئاً لئلا تختل المصالح في الحياة الدنيا[٤٣].

ولا تقــف مفــردات الــتقابلات القرآنية عند هذا الحد، وإنما تتناول قدرات عديدة تكشف عن قدرة الله على التصرف بالكون إذ أشار بعضها إلى قدرتــه علـــى إنزال الماء والتصرف به، فهو قد جعل الأرض مهداً وأنزل من السماء ماء ليخرج النبات له بمشيئته(٤٤)، وقد أشارت آيات أخرى إلى مشيئته وقدرتــه على أنه قسم الماء في الأرض (عذب فرات) و(ملح أجاج)(٤٥). وقد بلغت التقابلات هنا سبعة تقابلات.

وقــد أشارت كثير من التقابلات إلى قدرته على الإحياء والإماتة وقد تــوزعت هــذه التقابلات على قسمين؛ الأول يتعلق بموت الإنسان وإحيائه، وبلغت تقابلاته ثمانية عشر تقابلاً(٤٦)، وأما القسم الثاني، فيتعلق بإحياء الأرض بعد موتها، وقد بلغت تقابلاته عشرة تقابلات(٤٧).

وثمــة تقابل آخر أشار إلى قدرته على التحكم بحياة الإنسان وذلك أن المــوت إذا جـــاء فإن الإنسان لا يتأخر ولا يتقدم وإنما هو أمر من الله سبحانه وتعالى(٤٨). ويبين تقابل آخر أن مصير الإنسان بيد الله يتصرف به كيفما يشاء وذلك في آية يعترف بها إبراهيم عليه السلام بأنه إذا مرض فالله سبحانه وتعالى هو الذي يشفيه(٤٩).

وقد بينت الآيات أيضاً من خلال تقابلاتها أن لله مطلق التصرف بحال الإنـــسان في الحـــياة الدنيا إذ بلغت تقابلاتها ستة تقابلات، وهذا التصرف من حيث إيتاء الملك ونزعه(٥٠). أو من حيث النفع والضر من الله عز وجل(٥١).

وجـــاءت ثلاثة تقابلات تشير إلى أن الرزق بيد الله فهو الذي (يبسط الرزق) وهو الذي (يقدره)(٥٢).

وجاءت الآيات أخيراً بتقابلين يشيران إلى مطلق التصرف بالإنعام على البشر كما أنعم على قوم عيسى بأن يأتي لهم بمائدة تكون عيداً لأولهم وآخرهم(٥٣). وأنعم على قوم نوح بأن جعل مجرى سفينتهم ومرساها بيده(٥٤).

وأما المجال الخامس، فكان قدرة الله على العلم المحيط بجميع مخلوقاته. وقد تشكلت التقابلات في هذا المجال من خلال علاقات التضاد والتخالف، وانقسمت قسمين: الأول يتصل بالإنسان وأفعاله، وقد بلغت ثلاثين تقابلاً، والثاني يتصل بالكون بشكل عام وقد بلغت تقابلاته ثلاثة وعشرين تقابلاً. ويمكننا أن نرصد هذه التقابلات في جدول نبين فيه مجموعات المفردات المتقابلة التي تنتمي إلى معنى واحد. فأما مجموعة القسم الأول التي تتصل بالإنسان، فقد تشكل بالطريقة الآتية:

الرقم	المفردات	العدد
١	إثبات علم الله تعالى لما هو ظاهر وما هو باطن من أفعال الإنسان.	١٣
٢	نفي علم الإنسان وإثبات علم الله وحده عز وجل.	١١
٣	إثبات علم الله بضلال الإنسان وهدايته.	٣
٤	إثبات علمه بالمصلح والمفسد.	١
٥	إثبات علم الله بمصير الإنسان منقلبه ومثواه.	١
٦	إثبات علمه بالصادق والكاذب.	١
	المجموع	**٣٠**

لاشك في أننا نلحظ أن مفردات التقابل في هذا الجدول تبين، بصورة واضـــحة الاتجاه الذي تشير إليه، وهو أنها تؤكد وتبين للمؤمنين أن الله سبحانه وتعـــالى يتفرد بالعلم دون البشر، وأنه يعلم ما يفعلونه سراً وعلانية سواء أكان ذلك ضلالاً أم هداية، ففي قولـــه تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ** ﴾ (٥٥). اعتراف صريح من المؤمنين (الرسل) بـــأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يختص بعلم الغيب دون غيره. وتزيد الآيات توضـــيحاً وتأكـــيداً لهذا المعنى من خلال تقابلات السر والعلانية، ففي قولـــه تعالى: ﴿ **رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ** ﴾ (٥٦). إقـــرار من المؤمنين بعلم الله لما يخفي الإنسان وما يعلن من أفعال وأقوال لا يغيب عليه تعالى شيء في الكائنات(٥٧).

وأمـــا مفـــردات تقابل القسم الثاني المتصل بالكون، فهي تتوزع على أربعة حقول نرصدها في الجدول الآتي:

الرقم	المفردات	العدد
١	إثبات علم الله تعالى الذي يشمل السموات والأرض.	١٧
٢	إثبات علمه بالليل والنهار.	١
٣	إثبات علمه لما في البحر والبر.	١
٤	إثبات علمه للرطب واليابس.	١
	المجمـــــــوع	**٢٠**

إن هذه المتقابلات تشمل عدداً واضحاً من مفردتي (السموات والأرض) وقد جاءت لتبين للمؤمنين علم الله الشامل المحيط بالكون كله، ففي قولــه تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٥٨)، استفهام تقريري يخاطب الله به نبيه محمداً فيقر علمه الشامل لما في (السماء) و (الأرض) (٥٩). ويتبع هذا الإقرار بعلمه بـــ (الليل) و (النهار)(٦٠)، وبما في (البحر) و(البر)(٦١)، و(الرطب) و(اليابس)(٦٢). وهذا كله تبيان للمؤمنين وتطمين لهم بأن الله الذي يوحدونه عالم دون مخلوقاته.

وقـــد بينت التقابلات في هذا المجال أيضاً عمومية علم الله بكل شيء بـــاطن وظاهر، وقد جاءت ثلاثة تقابلات أخرى في هذا القسم تشير إلى هذا المعنى، كقولــه تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (٦٣). فالله سبحانه وتعالى عالم بما يجري في الغيب وعالم بما يجري في الظاهر.

جـــ- الربوبية:

إن الـــربوبية هي النوع الثالث من أنواع العقيدة، وذلك لأنها الاعتقاد الجـــازم بأن الله سبحانه وتعالى رب كل شيء. ولا رب غيره(٦٤). فالمؤمن بالله يـــنطلق بتوحيده سبحانه من الاعتراف بربوبيته، وقد جاءت تقابلاته التي بلغت أحـــد عشر تقابلاً تكشف عن هذه الربوبية المطلقة لله عز وجل، وقد انقسمت ألفاظها ثلاثة أقسام نرصدها في الجدول الآتي:

الرقم	المفردات	العدد
١	السموات والأرض.	٦
٢	المشرق والمغرب.	٤
٣	الجن والناس.	١
	المجمـــــوع	**١١**

لا شـــك في أن إشارات آيات الكتاب الحكيم إلى ثنائية (السموات) و(الأرض) بهـــذا العدد الكبير بالقياس إلى المجموع الكلي هذا تدل على وضع حقـــيقة الــــربوبية الإلهـــية التي لا يستحقها إلا الله خالق هذا الكون، وكانت إشـــارات هذه الآيات واضحة لهذه الربوبية، كما في قولـــه تعالى: ﴿**قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ**﴾[٦٥]. ففـــي هذه الآية إشارة صريحة على لسان الرسول صلى الله علـــيه وســـلم بخطابـــه لعبدة الأصنام بأن الله هو الذي خلقهن وأبدعهن[٦٦]. ولذلك فهو أحق بالربوبية من غيره، وقد زادت الآيات تأكيد هذا بأن أشارت إلى مـــتقابلين همـــا (المشرق) و(المغرب)[٦٧]. وهما جزءان من خلقه في الكون، وتحدثت أيضاً عن شمولية الربوبية للخلق من أناس وجن[٦٨].

د- المُلكية:

لقـــد تحـــدث ثمانية عشر تقابلاً عن ملكية الله عز وجل للكون. هذه الملكـــية الـــتي تـــشكل عنصراً مهماً من عناصر الإيمان الثابت به وحده، ولقد

تجمعت مفردات التقابل الدالة على الملكية في لفظتي (السموات) و(الأرض) بحيث ترددت ست عشرة مرة كما في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [٦٩]. إن هذه الآية تشير صراحة إلى ملكية الله لـ (السموات) و(الأرض)، وهو جدير بهذه الملكية؛ لأنه خلق هذا الكون؛ ولأنه المتصرف به. وجاء تقابل آخر يشير إلى تملك الله لأمر الناس جميعاً في قوله تعالى: ﴿ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [٧٠]. وقد جاءت هذه الآية بعد الإشارة إلى غلبة الروم الفرس بعد أن هزمهم الآخيرون، وتوضيح أن الأمر بيد الله قبل غلبتهم وبعدها[٧١].

هـ- الإيمان بالكتاب:

إن التقابلات التي وردت في حديث آيات القرآن عن الإيمان بالكتاب بلغت تسعة تقابلات ضدية وقد توزعت على أكثر من مقام ففي مقام حقيقة منزلة الكتاب وطبيعة هذا الكتاب، ورد تقابل هو ﴿ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [٧٢] وفي مقام الإيمان بالكتاب ورد تقابل آخر هو (يؤمنون/ يكفر به)[٧٣]، وفي مقام الأمر باتباع ما جاء به الكتاب والإيمان بما نزل فيه، فقد وردت خمسة تقابلات مثل: (اتبعوا ما أنزل إليكم/ ولا تتبعوا من دونه أولياء)[٧٤]، ومثل: (بلغ ما أنزل إليك/ وإن لم تفعل)[٧٥]، ومثل (فاحكم بينهم بما أنزل الله/ ولا تتبع أهواءهم)[٧٦].

وأما في مقام التصديق لما جاء به الكتاب، فجاء تقابل واحد هو (ما كان حديثاً يفترى/ ولكن تصديق الذي بين يديه)[٧٧].

وأخـــيراً في مقام ما جاء به القرآن من مثل الإعلام بما لم يكن معلوماً، وقد جاء تقابل واحد هو (وعلمك/ ما لم تكن تعلم)[٧٨].

فكمـــا نلحـــظ هنا أن التقابلات وجهت المؤمن نحو اتباع ما جاء به القرآن من خلال الأوامر والنواهي.

و- الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم:

إن الـــتقابلات في ســـياق الإيمان بالرسول عليه السلام ورسالته بلغت ثلاثـــة عشر تقابلاً، وقد توزعت على جوانب مختلفة. منها الإيمان بالنبوة، من مـــثل: (يكفـــر بها هؤلاء/ وكنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين)[٧٩]، ومثل: (أفمن يعلم أنما أنزل إليك/ كمن هو أعمى)[٨٠]. وقد جاء تقابلان كما نرى.

ومـــنها أيضاً إنزال الكتاب بوساطة الوحي، وقد ورد في تقابل واحد يصف الوحي عند تبليغه القرآن وهو (وهو بالأفق الأعلى/ ثم دنا فتدلى)[٨١].

ومـــنها كـــذلك تبيان حقيقة الرسول، وقد وردت سبعة تقابلات من مفردتي (بشيراً/ونذيراً)[٨٢]. كما بينت التقابلات جانب دعوة الله المؤمنين بإطاعة الرسول الذي جاء بالقرآن وقد ورد تقابلان في هذا المقام هما: (وأطيعوا الرسول/ فإن توليتم)[٨٣] و(ما آتاكم الرسول فخذوه/وما نهاكم عنه فانتهوا)[٨٤].

ومـــنها أخيراً الإيمان بالرسول بشكل عام من خلال ما جاء به القرآن من قصص، وقد ورد تقابل واحد هنا هو (قصصناهم عليك من قبل/ ورسلاً لم نقصصهم عليك)[٨٥]. لا شك في أننا نلحظ أن التقابلات التي وردت في تبيان حقيقة الرسول قد فاقت غيرها من حيث العدد ولعل ذلك متأت من أهمية تبيان وظيفة الرسول عليه السلام وهي التبشير بالجنة في الآخرة والتحذير من العذاب للناس جميعاً وللمؤمنين بالله بشكل خاص.

ز- الإيمان بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن الـــتقابلات في سياق هذا النوع من العقيدة قد تردد خمس مرات، وكانت تثير علاقة التضاد وقد جاءت بتقابل معقد بألفاظ متكررة هي (يأمرون بالمعروف/ وينهون عن المنكر)[٨٦].

ولا شـــك في أن تكريـــر مثل هذه المفردات في مختلف آيات الكتاب الحكيم مؤشر إلى اهتمام الكتاب بهذا الجانب العقدي عند المؤمن. ولأنه يرسخ معـــنى الإيمان عند الإنسان فالإنسان لا يكون مؤمناً حقاً إن لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر.

بعـــد أن تحدثنا عن تقابلات حقل العقيدة وتماثلاته حديثاً مفصلاً نأتي إلى الحـــديث عـــنها بـــصورة مجملة حتى ندرك أبعاد التشكيل الموضوعي لهذه التقابلات والتماثلات، ولذلك فإنني أعيد رصد الأنواع في الجدول الآتي مرتبة ترتيباً تنازلياً حسب المجموع الأكثر فالأقل:

الرقم	أنواع العقيدة	مجموع تقابلاتها	مجموع تماثلاتها
١	القدرة الإلهية.	١٦٩	١
٢	الإيمان بالله وحده.	٤٥	٩
٣	الملكية.	١٨	٠
٤	الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم.	١٣	٠
٥	الإيمان بالربوبية.	١١	٠
٦	الإيمان بالكتاب.	٩	٠
٧	الإيمان بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٥	٠
	المجموع	**٢٢٦**	**١٠**

إن القدرة الإلهية قد أخذت عدداً كبيراً من التقابلات والتماثلات في آيات القرآن الكريم بالنسبة لسائر التقابلات في أنواع العقيدة. ولعل السبب في ذلك أن القرآن الكريم بشكل عام كان يوجه أنظار المؤمنين نحو قدرة الله سبحانه وتعالى التي لا تماثلها قدرة. وقد تجلت هذه القدرة في كثير من آياته من خلال تقابل (السموات) بـ (الأرض) الذي يشكل الخلق العظيم أمام ناظري الإنسان المؤمن حتى تكون سبباً في تمسكه بوحدانيته عز وجل، ولا شك في أن آيات القدرة الإلهية في القرآن الكريم جاءت لتؤكد للمؤمن أنه على صواب في توحيد الخالق عز وجل، وذلك لأن من له القدرة العظيمة هو أهل للتوحيد، ولا

الرقم	أنواع العقيدة	مجموع تقابلاتها	مجموع تماثلاتها
١	القدرة الإلهية.	١٦٩	١
٢	الإيمان بالله وحده.	٤٥	٩
٣	الملكية.	١٨	٠
٤	الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم.	١٣	٠
٥	الإيمان بالربوبية.	١١	٠
٦	الإيمان بالكتاب.	٩	٠
٧	الإيمـان بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٥	٠
	المجمــــوع	**٢٢٦**	**١٠**

إن القــدرة الإلهية قد أخذت عدداً كبيراً من التقابلات والتماثلات في آيات القرآن الكريم بالنسبة لسائر التقابلات في أنواع العقيدة. ولعل السبب في ذلــك أن القــرآن الكــريم بشكل عام كان يوجه أنظار المؤمنين نحو قدرة الله سبحانه وتعالى التي لا تماثلها قدرة. وقد تجلت هذه القدرة في كثير من آياته من خــلال تقابل (السموات) بــ (الأرض) الذي يشكل الخلق العظيم أمام ناظري الإنسان المؤمن حتى تكون سبباً في تمسكه بوحدانيته عز وجل، ولا شك في أن آيات القدرة الإلهية في القرآن الكريم جاءت لتؤكد للمؤمن أنه على صواب في توحيد الخالق عز وجل، وذلك لأن من له القدرة العظيمة هو أهل للتوحيد، ولا

شك في أن التقابلات الأخرى في أنواع العقيدة، كالنوع الأول الذي يأتي في المرتبة الثانية من حيث العدد وسائر الأنواع تشارك جميعاً هذا التأكيد للمؤمنين الذين يوحدون الله عز وجل، ونلحظ أن التماثلات هنا لا تأخذ دوراً بارزاً كما أخذته التقابلات، ومن تركزها في النوعين الأول والثاني من أنواع العقيدة تكشف عن اهتمام الكتاب الكريم في دورها في القدرة الإلهية والإيمان بالله وحده.

٢- العبادات:

إن العبادات هي المبحث الثاني من محور الإيمان بعد مبحث العقيدة، وتأتي أهمية العبادات في محور الإيمان أنها رمز الإيمان، هذا الرمز الذي يجسد خضوع الإنسان، واستسلامه لله عز وجل، بجميع أفعاله وأقواله، وقد جاءت التقابلات والتماثلات في العبادات موزعة على أكثر من نوع من أنواعها، ولذلك فإني أتحدث عن كل نوع على حدة.

أما النوع الأول، فهو **الصلاة**، وقد أظهرت الآيات الكريمة التي تتحدث عن الصلاة معجماً لفظياً متميزاً في التقابلات التي بلغ عددها اثنين وثلاثين تقابلاً توزعت على التضاد والتخالف. إذ ركزت هذه التقابلات على أربعة مجالات: أولها ما يتعلق بالصلاة من حيث أداؤها وواجباتها، ومن حيث الوضوء، وقد اختلفت ألفاظ مفرداتها، ويمكن أن نبينها في الجدول الآتي:

الرقم	المفردات	العدد
١	الركوع والسجود.	٣
٢	سجداً وقياماً.	٢
٣	قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم.	٢
٤	ولا جنباً حتى تغتسلوا.	٢
٥	لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون.	١
٦	امسحوا برؤوسكم وأرجلكم.	١
٧	في صلاتهم خاشعون وعن اللهو معرضون.	١
٨	تضرعاً وخفية.	١
٩	لا تجهر ولا تخافت.	١
	المجمـــــوع	**١٤**

إن بعض التقابلات في هذا الجدول، كما نلحظ، تشير إلى ما يتعلق بأمر الوضوء قبل الصلاة، كالابتعاد عن شرب المسكر حتى يكون المؤمن على وعي بما يقول، وقد ورد هذا التقابل في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ**﴾ [٨٧]. إن هذه الآية قد نزلت قبل تحريم الخمرة على المسلمين، وذلك أن نفراً من المسلمين من أصحاب الرسول عليه السلام كانوا يحضرون إلى الصلاة وقد شربوها[٨٨]. وقد أشارت أيضاً إلى الاغتسال من الجنابة وذلك للطهارة[٨٩]، وغسل الأعضاء كالرؤوس والأرجل[٩٠]. وقد اتصل بعضها بأحكام حركاتها كالسجود والركوع[٩١]، والقيام والقعود[٩٢]، ومن ثم بتلاوة القرآن والدعاء بحيث يكون دون الجهر والخشوع[٩٣].

وتحدثت آيات القرآن الكريم عن مجال ثان للصلاة وهو وقتها وزمنها، وقد وزعت آيات الكتاب الحكيم الزمن على لفظين متقابلين هما (الليل) و(النهار)[٩٤]. وقد تشكل معجم من المفردات التي تنتمي إلى هذين المتقابلين بلغت خمسة عشر تقابلاً، وقد جاءت بالألفاظ الآتية: (بكرة/ وأصيلاً)[٩٥] و(بكرة/ وعشياً)[٩٦] و(عشياً/ وتظهرون)[٩٧] و(تمسون/ وتصبحون)[٩٨] و(بالغدو/ والآصال)[٩٩] و(دلوك الشمس/ وغسق النهار)[١٠٠] و(الليل/ وبالأسحار)[١٠١] و(قبل طلوع الشمس/ وقبل الغروب)[١٠٢]. ولاشك في أن هذا العدد من التقابلات الزمنية التي تمتد على طرفي (اليوم) من الليل إلى النهار أو من النهار إلى الليل يكشف عن تصوير يوم المؤمن الذي يمتلئ بالعبادة، ويكشف عن أهمية إقامة الصلاة في الإسلام، وذلك أنه شغل المؤمن من الشاغل هو الصلاة التي تقربه من الله عز وجل.

وأما المجال الثالث في آيات الكتاب العظيم التي تتصل بالصلاة، فهو قبلة المؤمن عند الصلاة، وقد جاء تقابلان يكشفان عن هذه القبلة تمثلا بمفردتي (المشرق) و(المغرب)[١٠٣] وذلك أن (المشرق) يشير إلى الكعبة والمغرب يشير إلى بيت المقدس[١٠٤].

وأما المجال الرابع فهو يبين أهمية الصلاة عند المؤمن، وذلك نابع من تقرب المؤمن إلى الله عز وجل ومن خوفه من العذاب وطمعاً في الثواب، وقد جاء تقابل واحد يشير إلى (الخوف) من العذاب، و(الطمع) في الثواب[١٠٥].

إن نظرة شاملة لمجالات الصلاة تكشف عن أن آيات الكتاب الحكيم بتقابلاتها أظهرت اهتماماً متميزاً بأحكام الصلاة وأدائها على الوجه الأكمل وبأوقاتها، ولعل هذا يشير إلى أهمية هذين المجالين عند المؤمنين.

وأما النوع الثاني من العبادات، فكان **الحج** إلى بيت الله عز وجل وقد كـــان مجمـــوع تقابلاته وتماثلاته أحد عشر تقابلاً في مختلف مجالات الحج التي بلغت ثلاثة. وقد أبرزت التقابلات علاقتي التضاد والتخالف بتكرار ثماني مرات للأولى ومرتين للثانية أما التماثل فقد تكرر مرة واحدة.

وأمـــا المجال الأول، فهو أن الحج فريضة على المؤمن الذي يستطيع أن يحـــج إلى بيت الله عز وجل، وقد جاء في تقابلين، كما في قولـــه تعالى ﴿ **فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ :[١٠٦]. فالحج، كما في الآية، فرض لازم على المستطيع، ومن تركه، فإن الله مستغن عن عباداته، وقد عبر عن هـــذا المعـــنى بالكفر[١٠٧]. وثمة تقابل آخر بين (رجالاً) و(على كل ضامر) في قولـــه تعالى: ﴿ **وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ** ﴾ [١٠٨]. يخاطـــب بـــه إبراهيم عليه السلام عندما فرغ من بناء البيت، وأصبح الحج فريضة على المؤمنين[١٠٩].

وأمـــا المجـــال الثاني في الحج، فكان مناسك الحج. وقد بلغت تقابلاته ســـبعة تقـــابلات وتماثلاتـــه تماثلاً واحداً، وقد كشفت عن الطواف والصلاة بمفـــردتين همـــا (الطائفين) و(العاكفين)[١١٠]. كما كشفت عن التلبية بمفردتي (حـــنفاء) و(غير مشركين)[١١١]، وكشفت كذلك عن يوم النفر من منى لرمي الحجـــارة بمفـــردتي (اعجل) و(تأخر)[١١٢] وعن ذبح الهدى بـــ (لن ينال الله لحومها) و(ولكن يناله التقوى)[١١٣] وبمفردتي (كلوا) و(أطعموا)[١١٤].

وأمـــا المجال الثالث، فهو يشير إلى ما بعد إتمام مناسك الحج، إذ طلب الله عـــز وجل من المؤمنين أن يذكروا فضله كما يذكرون فضل آبائهم وأشد ذكراً[١١٥]. وقد جاء بتقابل واحد.

لا شـــك في أننا أمام هذه التقابلات المتكررة في المجال الثاني الذي فاق المجـــالين الأول والثالث ندرك توجه الآيات الكريمة لتوضيح مناسك الحج التي تعـــتمد عليها أولاً وأخيراً، ولعل الكثرة في هذه التقابلات قد جاءت من أهمية إتقان مناسك الحج لدى المؤمن.

وأمـــا النوع الثالث من العبادات فهو **الصيام**، ويبدو أن التقابلات في هـــذا المجال قليلة نسبياً إذا ما قيست بتقابلات موضوعات العبادة السابقة، إذ وردت ثلاثة تقابلات حسب، في آية كريمة هي قولـــه تعالى: ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾[١١٦]. إن الـــتقابل الأول في الآيـــة بين (فليصمه) و(فعدة من أيام أخر)، وأما الثاني، فهو تقابـــل معقد بين (يريد الله بكم اليسر) و(يريد بكم العسر) وفي آية أخرى يرد التقابل الثالث، إذ يشير إلى وقت الصيام وقد تمثل في (الخيط الأبيض) و(الخيط الأسود)[١١٧].

وأمـــا الـــنوع الرابع من العبادات، فهو **الزكاة والصدقات**، وقد كان مجمـــوع التقابلات في هذا النوع عشرة تقابلات وجاء تماثل واحد وقد ركزت هـــذه الـــتقابلات على أوامر الله سبحانه وتعالى الموجهة إلى المؤمنين بالإنفاق،

كقولـــه تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (١١٨). فالله عز وجل يأمر المؤمنين بأن ينفقوا، ولكنه يحذرهم من التبذير في الإنفاق فالآية تشير إلى إبعاد البخل والإسراف في الصدقات(١١٩)، وقـد حـددت الآيـات الفئات التي يستلزم إخراج الصدقات والزكاة إليها كالسائل والمحروم(١٢٠). كما حددت طريقة الإنفاق بالسر والعلانية(١٢١). كما أشـارت الآيات إلى أن إنفاق المؤمن يكون في كل الأحوال كالسراء والضراء(١٢٢).

وأمـا الـتماثل فقد ورد في قولـه تعالى: ﴿ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (١٢٣) أي أحـسن إلى الفقراء والمساكـين كمـا أحسـن الله إليك بالمال(١٢٤).

بعد هذه النظرة التفصيلية للعبادات وأنواعها وتقابلاتها نعود لننظر إليها نظرة شمولية، لذا نرصد أنواعها في الجدول الآتي:

الرقم	أنواع العبادات	مجموع التقابلات	مجموع التماثلات
١	الصلاة	٣٢	٠
٢	الحج	١٠	١
٣	الزكاة والصدقات	١٠	١
٤	الصيام	٣	٠
	المجمـــوع	**٥٥**	**٢**

لا شك في أننا نلحظ أن تقابلات آيات الكتاب الكريم التي وردت في العبادات تتوجه بنسبة كبيرة إلى موضوع الصلاة، ولعل هذا نابع من أهمية الصلاة في الإسلام، وذلك أنها عمود الدين كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد"(١٢٥).

وأما الحج والزكاة والصدقات، فهي متماثلة من حيث مجموع التقابلات وهي قليلة نسبياً إذا ما قيست بسابقتها وكذلك الأمر بالنسبة للصيام فهو أقل عدداً من الجميع، ولكن هذا العدد لا يعني التقليل من أهميته، فهي مهمة في تحقيق معنى الإيمان، ولكن، كما يبدو، أن الصلاة تشكل نقطة حاسمة في حياة الأمة الإسلامية التي تستطيع أن تقيم من خلالها مفهوم الإيمان.

٣- المعاملات:

إن المعاملات هي المبحث الثالث الذي يحقق المعنى الكلي لمحور الإيمان، وقد جاءت أنواع متعددة من المعاملات في الآيات الكريمة التي تظهر التقابلات والتماثلات المختلفة.

أما النوع الأول من المعاملات، فهو **الجهاد**، وقد أخذ الجهاد حيزاً واضحاً وكبيراً في مجموع المفردات إذ بلغت ستة وأربعين تقابلاً وتماثلاً إذ أخذ التقابل سبعة وثلاثين تقابلاً وأخذ التماثل تسعة تماثلات. توزعت على أكثر من أمر يتعلق بالجهاد، كفريضة الجهاد والتحريض عليه، ونصر الله للمؤمنين، وتفضيل المجاهدين على غيرهم، وحال المجاهدين عند ربهم.

ففـــي مجـــال فريضة الجهاد جاء تقابل واحد مركب من المفردتين (إن تكرهوا/ وهو خير) بمفردتين هما (أن تحبوا/ وهو شر)[١٢٦]. وفي مقام التحريض على الجهاد في سبيل الله جاء أحد عشر تقابلاً وسبعة تماثلات، جاءت مفرداتها في ثنائـيات مختلفة كـ (انتهوا/ وتولوا)[١٢٧]. و(خفتم/ وأمنتم)[١٢٨] و(لقيتم/ وفـلا تولوهم)[١٢٩]، و(فانفروا ثبات/ أو انفروا جميعاً)[١٣٠]، وثنائية (آمنوا/ لا يؤمنون)[١٣١] و(الرجال/ والنساء)[١٣٢] و(أخرجهم/من حيث أخرجوكم)[١٣٣] و(فمن اعتدى عليكم/ فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)[١٣٤].

وأمـــا في مقام الحديث عن نصر الله للمؤمنين فقد جاءت أربعة عشر تقـابلاً تكـونت مفـرداها من ثنائيات مختلفة هي: (فريقاً تقتلون/ وتأسرون فـريقاً)[١٣٥]. و(فلم تقتلوهم/ ولكن الله قتلهم)[١٣٦] و(ما رميت/ ولكن الله رمـى)[١٣٧] و(فثبتوا الذين آمنوا/ سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب)[١٣٨]. و(قلـيلاً/ وكثيراً)[١٣٩] و(أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين/ وعذب الذين كفروا)[١٤٠]. و(يبسطوا أيديهم/ فكف أيديهم)[١٤١].

وفي مقـام الحديث عن تفضيل المجاهدين على غيرهم من القاعدين عن الجهـاد. فقـد جـاءت ثمانـية تقابلات اختلفت مفرداها، مثل (القاعدين/ المجاهدين)[١٤٢] و(يشترون الحياة الدنيا/ بالآخرة)[١٤٣] و(قتلوا/ وقتلوا)[١٤٤].

وفي مقـام الحديث عن حال المجاهدين عند الله فقد ورد تقابلان بثنائية (أمواتاً/ أحياء)[١٤٥]. وتبين أنهم لا يموتون وإنما هم أحياء عند الله يرزقون.

وفي مقـام الحديث عن حال الذين تخلفوا عن الجهاد ورد تقابل واحد بين مفردتي (ضاقت/ ورحبت)[١٤٦].

وأمـــا في مقام طلب السلم، ورد تماثل واحد هو (وإن جنحوا للسلم/ فاجنح لها)[١٤٧] وأخيراً في مقام سبب التحريض على القتال ورد تماثل واحد بين (شاقوا الله ورسوله) و(من يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب)[١٤٨].

لا شـــك في أنـــنا نلحـــظ أن مقام التحريض قد أخذ عدداً كبيراً من الـــتقابلات في موضوع الجهاد. بالنسبة لغيره من الموضوعات ولعل السبب في ذلك أن الجهاد من الأمور المهمة في قيام الدعوة الإسلامية وانتشارها بين الناس والـــشعوب، وكان لابد لهذا التحريض من تشجيع للمؤمن حتى يستجيب إلى خالقـــه، ولذلك نجد أن مفردات التقابل في مقام نصر الله للمؤمنين قد اقترب عددها من تقابلات موضوع التحريض. وهذا يدل على أن الله سبحانه وتعالى كفـــيل بنصر المؤمنين الذي استجابوا لأمره بالجهاد في سبيله، وتكاد تقابلات تفضيل المجاهدين على غيرهم من القاعدين تصل إلى نصف مجموع الموضوعين: التحريض والنصر، ولعل هذا العدد يشير إلى ترغيب المؤمن بالجهاد وباستجابته لدعوة الله.

وأمـــا الـــنوع الثاني من المعاملات، فهو **الزواج والطلاق**، وقد بلغت تقابلاتـــه أربعـــة وعشرين تقابلاً وتماثلاً واحداً، وقد توزعت على موضوعات مخـــتلفة مـــن مواضيع الزواج والطلاق كالتحريم والتحليل ومسؤولية الزوجين والمهور والجماع.

ففـــي مقـــام تحليل الزواج وردت ثنائيات مختلفة بلغت سبع ثنائيات، مثل: (ترجي/ وتؤي)[١٤٩]. و(تخفي/ما الله مبديه)[١٥٠] و(المحصنات المؤمنات/ما ملكت أيمانكم)[١٥٣] ومثل:(محصنين/غير مسافحين)[١٥٤] و(يكفر/بالإيمان)[١٥٥].

وفي مقــام تحــريم الزواج من الرجال والنساء، وردت ثلاثة تقابلات، مــثل: (الــزاني لا يــنكح إلا زانية أو مشركة/ والزانية لا ينكحها إلا زان أو مــشرك)[١٥٦] ومثل (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن/ ولأمة مؤمنة خير من مــشركة)[١٥٧] و(ولا تــنكحوا المــشركين حتى يؤمنوا/ ولعبد مؤمن خير من مشرك)[١٥٨].

وفي مقام التحليل والتحريم في الزواج، فقد ورد تقابلان هما: (حرمت عليكم أمهاتكم/ وأحل ما وراء ذلكم)[١٥٩] و(محصنين غير مسافحين)[١٦٠].

وفي مقــام الطلاق والتحريم بعد الطلاق. وردت سبعة تقابلات، مثل: (فأمسكوهن بمعروف/أو سرحوهن بمعروف/ ولا تمسكوهن ضراراً)[١٦١] ومثل: (الموســع/ والمقتــر)[١٦٢] و(لهن/ عليهن)[١٦٣] و(فإمساك بمعروف/ أو تسريح بإحــسان)[١٦٤] و(فأمــسكوهن بمعــروف/ أو فارقوهن بمعروف)[١٦٥]، ومن تقــابلات التحريم بعد الطلاق: (ولا يحل لكم أن تأخذوا/ مما آتيتموهن)[١٦٦] و(وآتيتم إحداهن قنطاراً/ فلا تأخذوا منه شيئاً)[١٦٧].

وفي مقــام مــسؤولية الزوجين وردت أربعة تقابلات مثل: (الرجال قوامــون/ على النساء)[١٦٨] و(حافظات للغيب) بما حفظ الله)[١٦٩] و(عسراً/ ويسراً)[١٧٠].

وفي مقــام المهور ورد تقابل واحد هو (محصنات/ غير مسافحات/ ولا متخذات أخدان)[١٧١].

وأخيراً في مقام الجماع ورد تقابل واحد هو (فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن/ فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله)[١٧٢].

نلحــظ مــن هذه المقامات أن مقامي تحليل الزواج والطلاق قد أخذا أكــبر مجمــوعة بالقياس إلى المقامات الأخرى إذ تساويا في العدد، ولعل هذا

المجمـوع الكـبير نسبياً يؤشر إلى أن آيات القرآن الكريم قد أبرزت أهم قضايا النـكاح. وذلك أن تحليل الزواج وتنظيم الطلاق وشروطه وتحريم الاعتداء على الـزوجة المطلقـة من الأهمية بمكان في المجتمع الإسلامي لما في ذلك من حفظ للأنـساب، واحتفاظ الأسرة بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، وبتماسك علاقاتها الأسرية.

ولعـل نظرة شاملة إلى مفردات الزواج والطلاق تعطينا انطباعاً عن أن الآيات الكريمة كثيراً ما كررت (محصنين) و(محصنات) و(غير مسافحين) و(غير مـسافحات) و(إمـساك بمعـروف) و(تـسريح بإحسان) و(الزاني) و(الزانية) و(المشرك) و(المشركة) ولعل هذا التكرار يكشف عن توجه الآيات إلى إحداث التأثير في المتلقي المؤمن حتى يدرك أهمية الزواج وخطورة الطلاق، ولا شك في أن المقامات الأخرى تسهم في تأكيد أهمية الزواج وخطورة الطلاق، إذ جاءت تنظم حياة المؤمن والمؤمنة وتحرص على العلاقات الزوجية.

وأمـا النوع الثالث من المعاملات، فهو **الجنايات**، وقد بلغت تقابلاته تقـابلين وثلاثة عشرة تماثلاً، وقد توزعت هذه التقابلات والتماثلات على عدة مواضيع كالقتل والجرح أو القطع والدية والتحريم. ولعل زيادة مجموع التماثل هنا على التقابل يشير إلى أن الشريعة الإسلامية تطبق الأحكام بمثل الجنايات أو الأفعال.

ففـي مقـام تحريم القتل جاء تقابل واحد هو (ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ/ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم)[١٧٣].

وأمـا في مقـام تنفـيذ الحكم في جناية القتل العمد، فقد ورد خمسة تماثلات، مثل: (الحر/ بالحر)[١٧٤] و(العبد/ بالعبد)[١٧٥] و(الأنثى/ بالأنثى)[١٧٦] و(النفس/ بالنفس)[١٧٧].

وفي مقـــام الجـــرح والقطـــع، فقد وردت ثلاثة تماثلات هي: (العين/ بالعين)[١٧٨] و(السن/ بالسن)[١٧٩] و(الأذن/ بالأذن)[١٨٠].

وفي مقام القبول بالدية، ورد تماثل واحد هو (فاتباع بالمعروف/ وأداء إليه بإحسان)[١٨١].

وأما النوع الرابع، فهو **الحدود**، وقد بلغت تقابلاته أربعة أثارت علاقة التضاد، دارت حول معنى حدود الزنا كتقابل (الزاني/ بالزانية)[١٨٢] وجلد كل واحـــد منهما مائة جلدة[١٨٣]. وكذلك في معنى حد القذف كتقابل (لم يأتوا بأربعـــة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة/ وأولئك هم الفاسقون) بـــ (إلا الذين تابوا/ فإن الله غفور رحيم)[١٨٤]، وكتقابل (لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء/ فإذ لم يأتـــوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون)[١٨٥]. وكذلك في حد الزوج الذي يأتي زوجته الزانية كتقابل (واللذان يأتيانها منكم/ فأذوهما) بـــ (فإن تابا وأصلحا/ فأعرضوا عنهما)[١٨٦].

وأمـــا الـــنوع الخامس، فهو **العقود**، وقد وردت أربعة تقابلات منها: (لا يستطيع أن يمل هو/ فليملل وليّه بالعدل)[١٨٧].

وفي مقـــام الشهادة ورد تقابل واحد هو (رجل/ وامرأتان)[١٨٨]. وفي مقام الاتفاق على العقد ورد تقابل (لا تسئموا أن تكتبوه صغيراً/ أو كبيراً)[١٨٩] وفي مقام الشهادة ورد تقابل واحد هو (ولا تكتموا الشهادة/ ومن يكتمها فإنه آثم قلبه)[١٩٠].

وأمـــا النوع السادس، فهو **المواريث**، وقد وردت خمسة تقابلات وقد توزعت على مقام حق الإرث، وعلى نسبة نصيب الوارث.

ففي مقام حق الإرث فقد ورد تقابلان هما: (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون/ وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون)(١٩١). و(مما قل/ أو كثر نصيباً)(١٩٢)، وأما في مقام نسبة نصيب الوارث، فقد وردت ثلاثة تقابلات هي: (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين)(١٩٣) و(رجالاً/ ونساء)(١٩٤)، و(للذكر مثل حظ/ الأنثيين)(١٩٥).

وأما النوع السابع، فهو **الطعام**، وقد ترددت فيه ستة تقابلات توزعت على معنى التحليل والتحريم بصورة عامة، مثل (أحلت لكم بهيمة الأنعام/ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير)(١٩٦)، ومثل (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه/ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه)(١٩٧). وقد جاء معنى التحليل والتحريم بصورة خاصة في الحج بتقابل هو (أحل لكم صيد البحر/ وحرم عليكم صيد البر)(١٩٨). وجاء تقابل آخر في معنى التوسط في النفقات وهو (لم يسرفوا/ لم يقتروا)(١٩٩).

وأما النوع الثامن، فهو **أموال اليتامى**، وردت فيه ثلاثة تقابلات هي (فادفعوا إليهم أموالهم/ ولا تأكلوها)(٢٠٠)، و(من كان غنياً فليستعفف/ ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف)(٢٠١)، (ولا تتبدلوا الخبيث/ بالطيب)(٢٠٢).

وأما النوع التاسع، فهو **اليمين**، وقد وردت ثلاثة تقابلات مثل (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم/ ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم)(٢٠٣)، و(أوفوا بعهد الله/ ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها)(٢٠٤).

في نهاية الحديث عن المعاملات لابد من نظرة شاملة لأنواعها بعد النظرة التفصيلية، ولرصد الملاحظات عليها نضع أنواع المعاملات بمجموعها في الجدول الآتي:

الرقم	أنواع العبادات	مجموع تقابلاتها	مجموع تماثلاتها
١	الجهاد	٣٧	٩
٢	الزواج والطلاق	٢٤	١
٣	الجنايات	٢	١٠
٤	الطعام	٦	٠
٥	المواريث	٥	٠
٦	الحدود	٤	٠
٧	العقود	٤	٠
٨	أموال اليتامى	٣	٠
٩	اليمين	٣	٠
	المجمــــــوع	**٨٨**	**٢٠**

إن مـــن الملاحـــظ أن الجهاد قد أخذ أكبر عدد من التقابلات، ولعل الـــسبب في ذلك متأت من أهمية الجهاد في الحياة الإسلامية، إذ به يحافظ على دعـــوتهم إلى الإسلام وعلى كيانهم الإسلامي بين أعدائهم، وقد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هذه الأهمية في قولـــه السابق الذي أشرت إليه في هذا الفصل(٢٠٥).

ويأتي الزواج والطلاق بعد الجهاد من حيث مجموع تقابلاتهما، وذلك انطلاقـــاً مـــن أهميـــته في المجتمع الإسلامي الذي يسعى دائماً إلى المحافظة على الأسرة واكتمال تنظيمها. ولاشك في أن الجنايات وتشريعاتها قد أخذت مكاناً

متميزاً بين سائر أنواع المعاملات للأهمية التي تحتلها التشريعات الجنائية التي يقوم على تطبيقها تمسك أفراد المجتمع الإسلامي من حيث أخذ الحقوق والمظالم، ولا شك في أن كثرة التقابلات والتماثلات في هذه الأنواع الثلاثة مؤشر إلى قدرة التقابلات على توضيح الموقف الإسلامي من القضايا المطروحة فيها حتى يوضحها للمسلمين، وأما سائر الأنواع فإننا نلحظ أنها تنخفض بنسبتها قياساً بسابقاتها، ولا يدل هذا على أن هذه الأنواع أقل أهمية من السابقات عليها، وإنما يدل على أن الآيات في القرآن الكريم كانت معنية بتوضيح الأنواع الثلاثة للمسلمين من خلال التقابلات أكثر من الأنواع الباقية.

٤- الآداب:

إن الآداب هي المبحث الرابع من مباحث محور الإيمان، وقد وردت فيه تسعة تقابلات وتماثلات وقد تراوحت مواضيع الآداب في القرآن الكريم بين التأدب مع الله سبحانه وتعالى، ومع الرسول عليه السلام، ومع النفس، ومع الوالدين، ومع الجار، وفي دخول البيوت، ومع المشركين.

ففي مقام التأدب مع الله عز وجل، ورد تقابلان تمثل الأول في الابتعاد عن التعرض للمشركين حتى لا يسبوا الله تعالى مثل تقابل (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله/ فيسبوا الله عدواً)[٢٠٦]. وتمثل الثاني في التوجه إليه بالدعاء بكل تأدب في طريقة دعائه، وذلك من خلال المتقابلين (ادعوا ربكم تضرعاً/ وخفية)[٢٠٧].

وفي مقام التأدب مع الرسول عليه السلام جاء تقابل واحد ينهى به الله عز وجل عن تقليد اليهود، وهو بين مفردتي (لا تقولوا رعانا/ وقولوا انظرنا)[٢٠٨].

وفي مقـــام التأدب مع النفس ورد تماثل واحد وذلك أن المؤمنين إذا ما سمعـــوا اللغـــو مـــن المشركين أعرضوا عنه وقالـــوا (لنا أعمـــالنا/ ولكـــم أعمالكم)[٢٠٩].

وفي مقـــام الـــتأدب مع الوالدين ورد تقابلان يتضمنان معنى الإحسان إليهما وذلك في قولـــه: (حملته أمه كرهاً/ ووضعته كرها)[٢١٠] و(فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما/ وقل لهما قولاً كريماً)[٢١١].

وفي مقـــام التأدب مع الجار، ورد تقابل واحد مقروناً بالإحسان وهو (والجار ذي القربى/ والجار الجنب)[٢١٢].

وفي مقـــام التأدب في دخول البيوت ورد تقابل واحد وهو (ليس البر بـــأن تأتـــوا البيوت من ظهورها/ولكـــن البر من اتقى وأتـــوا البيوت مـــن أبوابها)[٢١٣].

وفي مقـــام التأدب مع المشركين، فقد ورد تقابل واحد جاء في سياق الجهـــاد وهـــو (يأيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله/ ولا تقولوا بمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً)[٢١٤].

نلحظ أن التقابلات والتماثلات في الآداب قد شملت كثيراً من المقامات بنـــسب متقاربة ولعل هذا المؤشر إلى اهتمام الآيات بمختلف أنواع الآداب إذ أعطتها الاهتمام المتساوي.

٥- الأخلاق:

إن الأخلاق هي المبحث الخامس من مباحث محور الإيمان، وقد بلغت أربعـــة تقـــابلات، تحـــدثت في تقابلين عن خلق الرحمة وفي آخرين عن خلق والتواضع، فمن خلق الرحمة (أشداء على الكفار/ رحماء بينهم)[٢١٥].

وأمـــا تقابلاً خلق التواضع فهما (ولا تصعر خدك للناس/ ولا تمش في الأرض مرحاً)[٢١٦] و(أذلة على المؤمنين/ أعزة على الكافرين)[٢١٧].

لا شك في أن العدد المتساوي بين الرحمة والتواضع هنا مؤشر إلى تساوي أهميتها في خلق المسلم الذي لابد من أن يتحلى به.

٦- المؤمنون والإيمان:

بعد أن انتهيت من الحديث عن حقيقة الإيمان وحقوله آتي لأتحدث عن جانب آخر من مباحث الإيمان وهو صورة المؤمنين في آيات الكتاب الكريم من خلال التقابلات القرآنية في سياقها؛ وذلك لأكشف عن معجمية مفردات هذه الـــتقابلات، وعن كيفية تشكيل صورة المؤمن وتبيان موقفه من الإيمان بصورة خاصــــة، وقد وجدت أن ثمة موضوعين يتصلان بهذا الموضوع الأول هو المؤمن بين الترغيب والترهيب. والثاني أحوال المؤمن في الحياتين الدنيا والآخرة، فأبدأ بالموضوع الأول.

أولاً- المؤمنون بين الترغيب والترهيب:

لقـــد ورد سبعة وأربعون تقابلاً وتماثلاً توزعت على مقامي الترغيب والتـــرهيب بـــصورة منفصلة، وعلى مقام الترغيب والترهيب معاً، ولذا فإنني أتحدث عن كل مقام على حدة.

فأمــا الــتقابلات الواردة في مقام الترغيب فقد بلغت تسعة وعشرين تقــابلاً وأربعــة تمــاثلات توزعت على مواضيع مختلفة، كالترغيب بالمغفرة، وبالجنة، وبالعفو وبالتوبة، وبالعمل الصالح، والتمسك بالإيمان، وبمحبة الله.

وقــد وردت تقــابلات مــتعددة في مقام الترهيب بالمغفرة وتنوعت مفــرداتها الــتي بلغــت خمــسة عشر تقابلاً، وقد جاء بعضها بلفظ (تبعني/ وعــصاني)[218] و(عمل منكم سوءاً بجهالة/ ثم تاب)[219]. و(بدل حسناً/ بعد ســوء)[220]، وجاء بعضها يشير إلى مضمون تقابل (الذكورة/ بالأنوثة)[221]، وكانت جميع هذه التقابلات في صيغها ترتبط بعبارة تشير إلى أن الله غفور[222] أو لهم مغفرة[223].

وأمــا التقابلات في مقام الترغيب في الجنة، فقد بلغت اثني عشر تقابلاً واخــتلفت مفــرداتها، مثل (لهم غرف من فوقها غرف مبنية/ تجري من تحتها الأنهــار)[224]، ومــثل (فــيها سرر مرفوعة/ وأكواب موضوعة)[225] ومثل (أصــحاب الــنار/ وأصحاب الجنة/ أصحاب الجنة هم الفائزون)[226]. وكل الــتقابلات في هذا المقام توجه المؤمنين إلى عبادة الله سبحانه وتعالى، وترغبهم بالجزاء العظيم وهو الجنة.

وأما الترغيب بالعفو، فقد جاء بتقابل واحد وهو (لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم/ وإن تسألوا عنها حين يترل القرآن تبد لكم)[227].

وأمــا في مقــام الــتوبة، فقد ورد تماثل واحد هو (فمن تاب من بعد ظلمه/ وأصلح فإن الله يتوب عليه)[228].

وأمــا في مقام الترغيب بالعمل الصالح، فقد ورد تماثلان تكراريان في مفردتي (ومن تزكى/ فإنما يتزكى لنفسه)[229].

وفي مقــام التــرغيب بالتمسك بالإيمان، فقد ورد تقابل واحد كذلك وهو (فمن يكفر بالطاغوت/ ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى)(٢٣٠).

وأخــيراً في مقــام الترغيب بحصول المؤمن على محبة الله عز وجل فقد ورد تماثــل تكراري واحد هو (إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات/ ثم اتقوا وآمنوا/ ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين)(٢٣١).

لا شــك في أن جميع المقامات في الترغيب هنا مهمة تؤدي بالمؤمن إلى توحــيد خالقــه وعبادته إلا أن النسبة المرتفعة لمجموع التقابلات في الترغيب بالمغفرة وبالجنة مؤشر إلى أن القرآن الكريم كان يوجه المؤمن إلى العمل الصالح الذي ينتهي بالإنسان إلى مغفرة الله سبحانه وتعالى وبالتالي يجد الجنة هي الجزاء على هذا العمل.

وأمــا التقابلات الواردة في مقام الترهيب فكانت تقل بمجموعها عن التقابلات السابقة، إذ بلغت اثني عشر تقابلاً وتماثلين وقد توزعت على عدد من المقامات هي الترهيب من العذاب، وجهنم، والبخل، والغش، واتباع الهوى في الــشهادة، واتــباع خطوات الشيطان، والنظر إلى المحرمات واقترافها، واليمين الكاذبة، واتباع الكفار.

أما الترهيب من العذاب، فقد ورد فيه ثلاثة تقابلات وتماثل واحد منها (ما كان لنبي أن يغل/ومن يغلل يأتي بما غل)(٢٣٢). و(تعاونوا على البر والتقوى/ ولا تعاونوا على الإثم والعدوان)(٢٣٣).

وأمــا في الترهيب من جهنم، فقد ورد تقابلان هما (أفمن اتبع رضوان الله/ كمــن باء بسخط من الله ومأواه جهنم)(٢٣٤). و(واتقوا النار التي أعدت للكافرين/ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون)(٢٣٥).

وأمـــا في مقـــام الترهيب من البخل، فقد ورد تقابل واحد هو (والله الغني/ وأنتم الفقراء)(٢٣٦).

وفي مقـــام التـــرهيب مـــن الفسق، ورد تماثل واحد هو (ولا تكونوا كالذين نسوا الله/ فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون)(٢٣٧).

وأمـــا في مقـــام الترهيب من اتباع الهوى في الشهادة، فقد ورد تقابل واحـــد هـــو (كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً/ أو فقيراً)(٢٣٨).

وفي مقام الترهيب من اتباع خطوات الشيطان فقد ورد تقابل واحد هو (لا تتـــبعوا خطوات الشيطان/ ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر)(٢٣٩).

وفي مقـــام الترهيب من النظر إلى المحرمات واقترافها، فقد ورد تقابل واحـــد أيضاً وهو (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم/ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن)(٢٤٠).

وفي مقام الترهيب من اليمين الكاذبة ورد تقابل واحد هو (فتزل قدم/ بعد ثبوها)(٢٤١).

وأخـــيراً في مقـــام الترهيب من اتباع الكفار ورد تقابل واحد هو (إن استحبوا الكفر/ على الإيمان)(٢٤٢).

لاشـــك في أن التقابلات في مقام الترهيب كانت موزعة على مقامات مـــتعددة بنـــسب متشابهة، ولعل هذا مؤشر إلى ابتعاد المؤمنين عن إتيان هذه المحـــذورات، وإن كانـــت مقامات الترهيب من العذاب ومن جهنم قد أخذت نـــسبة عالـــية بين سائر المقامات. ويبدو أن ذلك متأت من الله سبحانه وتعالى بحـــيث ينـــبه المؤمنين ويحذرهم من اقترافهم الذنوب حتى لا يقعوا في العذاب ويكون جزاؤهم جهنم.

وقد ورد تقابلان يجمعان بين الترغيب بالمغفرة والأجر، والترهيب من العذاب والفواحش، وذلك في التقابل الآتي: (نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم/ وأن عذابي هو العذاب الأليم)[٢٤٣]. ويبدو أي أن قلة اجتماع الترغيب بالترهيب، متأت من أن المؤمنين قد أخذوا بعنصر الإيمان بما فيه من العقائد والمعاملات وغير ذلك مما جاء في محور الإيمان، ولذلك فإنهم يتجهون دائماً إلى العمل الصالح مما يقتضي عدم مخاطبتهم بالترغيب والترهيب معاً؛ لأن اقترافهما يشير إلى تحذير الله الذين لم يؤمنوا من الكفر ويرغبهم بعد ذلك بالإيمان عن طريق الجزاء الحسن.

ثانياً- أحوال المؤمنين:

إن أحوال المؤمنين في آيات الكتاب الحكيم تنقسم قسمين، القسم الأول يتصل بالرسل. والقسم الثاني يتصل بالمؤمنين عامة.

فأما القسم الأول، فقد ورد فيه ثلاثة وأربعون تقابلاً وثلاثة تماثلات توزعت على ستة رسل هم محمد وعيسى ابن مريم، وموسى، ويوسف، وإبراهيم، وسليمان، عليهم أفضل الصلاة والسلام.

أما التقابلات الواردة في مقام الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) فقد بلغت ثلاثة عشر تقابلاً توزعت على أكثر من جانب يتصل به كمواجهة الكفار، وحاله عليه السلام في الدنيا والآخرة، والتحليل والتحريم، والعقيدة.

أما في مواجهة الكفار فقد تكرر تقابل وتماثل، أما التماثل فهو (وإذ يمكر بك الذين كفروا، ويمكرون/ ويمكر الله والله خير الماكرين)[٢٤٤]، وأما التقابل فهو (ما كان للنبي والذين آمنوا/ أن يستغفروا للمشركين)[٢٤٥]. إن التماثل الأول جاء يظهر أن الله سبحانه وتعالى يحمي الرسول من مكر الكافر، والثاني جاء ينبه الرسول الكريم والمؤمنين أنه لا يجوز الاستغفار للمشركين.

وأمـــا في حالـــه في الدنيا والآخرة، فقد تكررت تقابلاته ست مرات، وتـــناول بعـــضها شخص الرسول مثل: (ألم يجدك يتيماً فآوى/ ووجدك عائلاً فأغنى)[٢٤٦]. و(أما من استغنى فأنت له تصدى/ وأما من جاءك يسعى فأنت عنه تلهى)[٢٤٧]. و(لأذقناك ضعف الحياة/ وضعف الممات)[٢٤٨]. وقد جاءت هذه الـــتقابلات في ســـياق العتاب من الله عز وجل، وجاءت كذلك في هذا المقام تقابلات تتعلق بحديث الإفك مثل (لا تحسبوه شراً لكم/بل هو خير لكم)[٢٤٩]. و(المؤمنون/ والمؤمنات)[٢٥٠].

وأمـــا في مقام التحليل والتحريم، فقد جاء تقابل واحد يتعلق بزوجاته وهو (لِمَ تحرم/ ما أحل الله لك)[٢٥١].

وفي مقـــام العقـــيدة جـــاء تماثلان هما: (الله ربنا/ وربكم)[٢٥٢] و(لنا أعمالنا/ ولكم أعمالكم)[٢٥٣].

وأمـــا في مجال الحديث عن عيسى ابن مريم عليه السلام، فقد جاءت أربعة تقابلات توزعت على مقامين الأول عن عيسى في الحياة الدنيا والآخرة وهما (وجيهاً في الدنيا/ والآخرة)[٢٥٤]، والثاني (يكلم الناس في المهد/ وكهلاً)[٢٥٥]. والمقـــام الـــثاني يـــتعلق بأمر مريم عليها السلام وقد تكرر تقابلان، مثل (ليس الذكر/ كالأنثى)[٢٥٦].

وأما في مجال الحديث عن موسى عليه السلام، فقد جاء اثنا عشر تقابلاً تـــوزعت على ثلاثة مقامات، الأول ما يتعلق بشخص موسى. والثاني ما يتعلق بأمه عليهما السلام. والثالث يتعلق بابنتيه.

إن المقـــام الأول بلغت تقابلاته ثمانية تحدثت عنه في الحياة الدنيا، مثل (يضيق صدري/ ولا ينطلق لساني)[٢٥٧]، ومثل (فأوجس في نفسه خيفة موسى/ قلنا لا تخف)[٢٥٨]، وفي قصته مع الرجل الذي رافقه في سفره جاء تقابلان هما

(أقتلت نفساً زكية/ بغير نفس)[٢٥٩] و(من شيعته/ وهذا من عدوه)[٢٦٠]. وقد جـاء تقـابلان يتعلقان بمعجزة الله فيه، ومنهما (اسلك يدك في جيبك/ تخرج بيضاء من غير سوء/ وأضمم إليك جناحك)[٢٦١].

وأما المقام الثاني، فجاء بثلاثة تقابلات منها (خفت/ لا تخافي)[٢٦٢].

وأمـا المقام الثالث، فقد جاء بتقابل واحد هو (لا نسقي/ حتى يصدر الرعاء)[٢٦٣].

وأمـا في مقـام الحديث عن يوسف عليه السلام، فقد جاء اثنا عشر تقابلاً توزعت على مقامين: الأول قصته مع إخوته مثل: (قال ائتوني بأخ لكم مـن أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل/ أنا خير المترلين/ فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون)[٢٦٤]. و(فدخلوا عليه فعرفهم/ وهم له منكرون)[٢٦٥]. والـثاني يتعلق بأبيه مثل (إني أعلم من الله/ ما لا تعلمون)[٢٦٦] و(هل علمتم ما فعلتم بيوسف/ إذ أنتم جاهلون)[٢٦٧].

وقـد ركـزت التقابلات على جانب العلم والجهل، وذلك أن قضية يوسـف تدور حول معرفة يوسف وأبيه لما فعله إخوته وقد ألهم الله هذا العلم لهما.

وأمـا في مقـام الحديث عن إبراهيم عليه السلام، فقد جاءت أربعة تقـابلات توزعت على مقامين: الأول في الدنيا والآخرة، وقد تكررت تقابلاته ثلاث مرات هي (فأوجس منهم خيفة/قالوا لا تخف)[٢٦٨]. و(اصطفيناه في الدنيا/ وإنه في الآخرة لمن الصالحين)[٢٦٩]. و(وجلون/ قالوا لا توجل)[٢٧٠]. وأما المقام الـثاني، فإنـه يـتعلق بالعقيدة، وقد جاء بتقابل واحد وهو (كيف أخاف ما أشركتم/ ولا تخافون أنكم أشركتم)[٢٧١].

وأمـــا في مقام الحديث عن سليمان، فقد جاء تقابل واحد يدور حول تسخير الله عز وجل الريح له عليه السلام، وهو (ولسليمان الريح غدوها شهر/ ورواحها شهر)(٢٧٢).

وأما القسم الثاني، فيتحدث عن المؤمنين وأحوالهم، وقد بلغت تقابلاته ثلاثة وثلاثين تقابلاً، توزعت على أربعة مقامات هي: حالهم في الدنيا والآخرة، وفي الجنة على وجه الخصوص، ومقام العقيدة، ومقام العمل الصالح.

ففي مقام الحياة الدنيا والآخرة، وردت ثمانية عشر تقابلاً بعضها يتصل بمعـــنى رفع الله سبحانه وتعالى شأن المؤمن في الدنيا، مثل: (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض/ ونجعلهم أئمة)(٢٧٣). ومثل (كنتم أعداء/ فألف بين قلوبكم)(٢٧٤). و(كنتم على شفا حفرة من النار/ فأنقذكم منها)(٢٧٥)، وبعضها يتصل بتحذيرهم من مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم مثل (أنزل عليكم من بعـــد الغم أمنة)(٢٧٦)، وبعضها يتصل بالآخرة كحالهم عند قيام الساعة، مثل: (فصعق من في السموات، ومن في الأرض)(٢٧٧).

وفي مقـــام الجـــنة فقـــد وردت ثلاثة تقابلات تصف حالهم مثل: (لا يسمعون فيها لغواً/ إلاّ سلاماً)(٢٧٨) و(لهم رزقهم فيها بكرة/ وعشياً)(٢٧٩).

وفي مقـــام العقيدة فقد ورد أحد عشر تقابلاً، جميعها يشير إلى أفضلية المؤمنين بعقيدتهم على غيرهم من الكفار مثل (ما يستوي الأعمى/والبصير)(٢٨٠)، و(ولا الظلمات/ ولا النور)(٢٨١)، و(ولا الظل/ ولا الحرور)(٢٨٢)، و(ما يستوي الأحياء/ ولا الأموات)(٢٨٣).

وفي مقـــام العمـــل الـــصالح ورد تقابل واحد هو (يدرءون بالحسنة/ الـــسيئة)(٢٨٤). لا شك في أننا نلحظ أن مقامي الدنيا والآخرة والعقيدة قد فاقا بمجمـــوع تقابلاتهما المقامات الأخرى ولعل ذلك متأت من ارتباطهما معاً في تكوين صورة المؤمن الذي صدق بعقيدته فرفعه الله في حياته الدنيا.

بعـــد أن انتهينا من الحديث عن تقابلات محور الإيمان لابد من العودة ثانـــية لرصـــد مجموعاتها من جانبين- الأول: التقابلات وتوزيع مجموعاتها على أنـــواع محور الإيمان ومباحثه، والثاني: طبيعة المفردات المتكررة فيها من حيث معجميتها، وذلك حتى نستطيع أن نكمل تصورنا عن تشكيلها النهائي في محور الإيمان.

فأمـــا الجانب الأول، فهو مجموع تقابلات مباحث المحور نرصدها في الجدول الآتي:

رقم المبحث	المبحث	مجموع تقابلات المبحث وتماثلاته	النسبة المئوية
١	العقيدة	٣٧٦	٤٧,٤٢%
٢	المؤمنون والإيمان	١٢٨	٢١,٩٩%
٣	المعاملات	١٠٨	١٨,٥٥%
٤	العبادات	٥٧	٩,٧٩%
٥	الآداب	٩	١,٥٥%
٦	الأخلاق	٤	٠,٧٠%
	المجمـــــــوع	**٥٨٢**	**١٠٠%**

ولا شك في أننا نلحظ من حيث المجموعات العددية أن ثمة تفاوتاً بين عـــدد تقابلات كل مبحث وتماثلاته من مباحث محور الإيمان، إذ كان مبحث العقيدة قد أخذ أكبر عدد من المجموع الكلي، فبلغت نسبته ٤٧,٤٢%، ويكاد يـــصل إلى نصف المجموع الكلي. ويأتي بعده مبحث المؤمنين الذي يأخذ نسبة ٢١,٩٩% وهـــو يشكل ما يقارب نصف النسبة السابقة، ومن ثم يأتي مبحث

المعاملات ليأخذ نسبة ١٨,٥٥% وهذه نسبة تقترب من نسبة مبحث المؤمنين والإيمـــان، ومن ثم تتدنى النسب فيأخذ مبحث العبادات نسبة ٩,٧٩% ويتلوه مبحث الآداب الذي يقل أكثر من سابقه فنسبته ١,٥٥% ويقل أخيراً مبحث الأخلاق إذ أخذ نسبة ٠,٧٠%.

ولعـــل السبب في ارتفاع نسبة العقيدة في محور الإيمان متأت من طبيعة المحـــور نفـــسه، وذلك أنه تحدث، كما لاحظنا في الصفحات السابقة من هذا الفـــصل، عـــن تجلية مفهوم الإيمان بالنسبة للمؤمنين جميعاً، وعن كيفية نظرة المسلمين إلى قضية الإيمان في الحياة الدنيا، ولهذا كان من الطبيعي أن ترتفع نسبة تقابلات العقيدة وتماثلاتها التي ترتبط بأهم جزء في حياة الإنسان، وأقصد بالجزء هـــو العقـــل الإنساني، فالعقل الإنساني هو محور العمل في الحياة الدنيا، فإذا ما اســـتطاعت الآيـــات أن توضح له مسوغات الإيمان ومعانيه، فإنه بالتالي يتقبل فكرة الإيمان.

والعقـــيدة هي المهمة في طرح قضية الإيمان أمام العقل الإنساني، ومن هنا جاءت التقابلات والتماثلات بنسبة عالية لترسخ معنى العقيدة ومجالاتها أمام عقل المؤمنين.

ولا شـــك في أن الجانـــب الـــثاني الفعال من محور الإيمان هو العنصر الإنساني الذي يتمثل في المؤمنين على اختلافهم، سواء أكانوا من الرسل أم من سائر المؤمنين، وذلك أن آيات القرآن الكريم تخاطب، على وجه الخصوص من هذه الشريحة من الناس، فكان من الطبيعي أن ترتفع نسبة التقابلات التي تخاطب المؤمنين.

ومـــن المدهش أن تقترب نسبة تقابلات مبحث المعاملات وتماثلاته من مبحث المؤمنين والإيمان، ولكن هذه الدهشة تزول إذا ما نظرنا من زاوية خاصة إلى المعاملة القائمة في الأساس على مفهوم العقيدة من حيث الإيمان بالله وحده وبرســـله وبكتبه، وذلك أن المعاملات ركن أساسي من أركان الحياة الدنيا التي تنتظم بها حياة المجتمع الإسلامي سواء من حيث الكيان السياسي والعسكري أو مـــن حـــيث تنظـــيم العلاقـــات الأسرية والعلاقات الفردية بين أفراد المجتمع فالمعـــاملات تقـــوم أساساً على هذه الجوانب، فهي جوانب عملية تلازم حياة الإنسان المؤمن فتنظم علاقاته وتجعل له شخصية اجتماعية ودينية مميزة من غيره مـــن أصـــحاب الديانات الوثنية أو من أهل الكتاب الذين لم يتمسكوا بأصول ديـــنهم وابـــتعدوا عـــن الإسلام، من هذه الزاوية ننظر إلى المعاملات على أنها أساســـية في تمييـــز المؤمنين من غيرهم. وترتبط ارتباطاً وثيقاً بمضمون العقيدة، وذلـــك أنه إذا خبا دور العقيدة في المجتمع الإسلامي تنحل جوانب المعاملات فيخـــتل المجتمع بأكمله، فمن هنا، كما يبدو، جاءت التقابلات بنسبة قريبة من مبحث المؤمنين والإيمان.

والواقع أن مبحث العبادات الذي جاء بنسبة تقابلات وتماثلات متدنية بالقـــياس لنسبة تقابلات المباحث السابقة وتماثلاتها لا يعني أنه أقل أهمية منها، ولكن نظرة شمولية للموضوع تكشف عن مؤشر مهم في هذا الشأن، وذلك أن المـــباحث السابقة أساسية في موضوع الإيمان من حيث إن العقيدة تعد أساس الـــتكوين الـــديني والاعتـــراف بوجود الله ووحدانيته، ومن حيث إن المجتمع الإســـلامي يحتضن مفهوم العقيدة ويعمل به، ولعلنا ندرك أن هذه الجوانب هي شـــؤون عامـــة وأساسية تمهد لأمور فردية خاصة يمارسها الفرد المؤمن بنفسه كالعـــبادات الـــتي هـــي مكمـــل مهم للمباحث السابقة، فمن جهة العموم

والخصوص جاءت نسبة العبادات متدنية بالنسبة للمباحث الأولى، فالعبادات تتصف بالخصوصية الفردية وكذلك الأمر بالنسبة للآداب والأخلاق. وأما المباحث الأولى فهي تتصف بالعمومية التي تدور في فلكها العبادات والآداب والأخلاق.

وأما الجانب الثاني، وهو معجمية مفردات التقابلات والتماثلات الواردة في آيات القرآن الكريم الخاصة بمحور الإيمان، فقد نظرت فيه إلى التقابلات والتماثلات نظرة مختلفة عما فعلته فيما سبق في محور الإيمان. إذ كنت دائماً أتحدث عن المفردتين المتقابلتين أو المتماثلتين معاً في كل مبحث، أما هنا، فإنني سأفصل بين المفردات وأجعل كل مفردة قائمة بذاتها، وبالتالي أجمع كل مجموعة من المفردات وأضعها تحت كلمة أو مفردة عامة بحيث تشمل عدداً كبيراً من المفردات. وما صنعت هذا الصنيع إلا لأبحث عن توجهات مفردات تقابلات محور الإيمان وتماثلاته ولرؤية حركة المعنى التي تدور في محور الإيمان؛ وذلك لأن الخواص المعجمية للمفردات تعطي مؤشرات حقيقية للمعاني، يقول الدكتور محمد عبد المطلب: "إن التدقيق في خواص المعجم اللغوي عند الشاعر يكشف عن كثير من اتجاه حركة المعنى داخل الأبيات، كما يكشف عنها داخل المحور الذي تدور فيه، وفي نفس الوقت إلى اتصال المعنى بالعناصر التي تحيط بالشاعر على اختلافها"(٢٨٥).

وقد قمت برصد المفردات التي تجمعت تحت مفردة واحدة، ولم أرصد البقية التي لا تنتمي بنفسها إلى مجموعة معينة، ولذلك فإني أرصد هذه المجموعات في الجدول الآتي مبيناً عددها ونسبتها المئوية بالنسبة للمجموع الكلي:

الرقم	معجم المفردات	عددها	نسبتها المئوية
١	ألفاظ تنتمي إلى معنى الإيمان	٢٦٤	%٢٥,٤١
٢	ألفاظ تنتمي إلى معنى الكفر	١٢٢	%١١,٧٤
٣	ألفاظ الأرض	٨٥	%٨,١٨
٤	ألفاظ السماء	٨٥	%٨,١٨
٥	ألفاظ الحياة	٥٥	%٥,٢٩
٦	ألفاظ الموت	٤٩	%٤,٧٢
٧	ألفاظ تنتمي إلى الحياة الدنيا	٤٥	%٤,٣٣
٨	ألفاظ تنتمي إلى الأنوثة	٤٣	%٤,١٤
٩	ألفاظ تنتمي إلى الذكورة	٤٠	%٣,٨٥
١٠	ألفاظ تنتمي إلى النهار	٣١	%٢,٩٨
١١	ألفاظ تنتمي إلى الليل	٣١	%٢,٩٨
١٢	ألفاظ تنتمي إلى العلم والمعرفة	٢٧	%٢,٦١
١٣	ألفاظ تنتمي إلى الإظهار	٢٤	%٢,٣١
١٤	ألفاظ تنتمي إلى الإخفاء	٢٤	%٢,٣١
١٥	ألفاظ تنتمي إلى الحياة الآخرة	٢١	%٢,٠٢
١٦	ألفاظ تنتمي إلى الجنة	١٧	%١,٦٤
١٧	ألفاظ تنتمي إلى الجهل	١٧	%١,٦٤
١٨	ألفاظ تنتمي إلى العذاب	١٦	%١,٥٤
١٩	ألفاظ تنتمي إلى المغفرة	١٦	%١,٥٤
٢٠	ألفاظ تنتمي إلى الطهارة	١٥	%١,٤٤
٢١	ألفاظ تنتمي إلى النجاسة	٩	%٠,٨٧
٢٢	ألفاظ تنتمي إلى النار	٤	%٠,٣٨
	المجمــــــوع	**١٠٣٩**	**%١٠٠**

لعلــنا نلحظ أن ألفاظ الإيمان قد أخذت ما نسبته ربع المجموع الكلي للألفــاظ علــى اختلاف (مفردات معجمها) ويبدو لي أن ارتفاع هذه النسبة جعلها منسجمة والموضوع الذي وردت فيه وهو محور الإيمان؛ وذلك لأن هذا المحــور اعتمد بشكل رئيس على محاولة التأثير بالمتلقي (المؤمن) من خلال طرح ألفاظ كثيرة تكشف عن معاني الإيمان المختلفة، كما رأينا في مباحثه، ولذا كان مــن الطبيعي أن تنخفض نسبة الألفاظ التي تنتمي إلى الكفر بما مقداره نصف النــسبة الــسابقة. إلا أن ألفاظ الكفر تشكل نسبة عالية بالقياس إلى غيرها من الألفــاظ، ولعل السبب في تردد ألفاظ الكفر بهذه النسبة في محور الإيمان متأت مــن سببين: الأول- طبيعة التكوين الأسلوبي للتقابلات والتماثلات التي كانت تقــوم في معظم علاقاته على علاقة التضاد بإيراد كلمة من الإيمان وأخرى من الكفــر وأما السبب الثاني فإن ألفاظ الكفر تؤدي دور الإثارة بالنسبة للمتلقي المؤمن إذ تبدي هذه الكلمة مشاعر الخوف والرفض في الوقت نفسه، فالمؤمن الــذي يعــتقد بوحدانية الله سبحانه وتعالى يطمئن إلى ألفاظ الإيمان ومعانيها، وينفر من ألفاظ الكفر ومعانيها خوفاً من الدخول في الكفر، وبالتالي فإن فكرة الإيمان هي التي تثبت وتترسخ في قلبه، ومن هنا جاء ارتفاع نسبة ألفاظ الكفر بالقياس إلى الألفاظ الأخرى.

ولا شك في أن الملاحظة الثانية على معجم مفردات التقابل هي النسبة المــئوية المتــساوية بين ألفاظ السماء وألفاظ الأرض، ولعل السبب في ذلك أن هــذه المفردات لا تدخل في صميم حركة المعنى بمحور الإيمان، ولذلك جاءت متوازية، ولكن دورها كان فعالاً في تجلية معنى الإيمان في كثير من مباحثه، وما ذلــك إلا لأنها تشكل جزءاً من الدليل القاطع الذي يعتمد عليه المؤمن بإثبات حقيقة الوجود الإلهي، وبالتالي القدرة الإلهية التي خلقت هذا الكون، مما يؤدي إلى أن تكون السماء والأرض أداتين لإثبات أنهم على حق في عبادتهم ومعتقدهم.

وتكاد ألفاظ الموت وألفاظ الحياة تقترب من بعضها بعضاً من حيث النسبة المئوية وهي، كما أرى تشترك مع ألفاظ السماء والأرض من حيث الوظيفة التي تؤديها في حركة المعنى لمحور الإيمان، وما ذلك إلا لأن فعل الموت وفعل الحياة ينتميان إلى قدرة الخالق الذي يؤمن به المؤمنون، وبالتالي تصبح أداة أخرى بأيدي المؤمنين لتدل على أنهم على حق في توحيدهم الله عز وجل.

وكما نلحظ من الجدول أيضاً تقارب النسبة المئوية بين ألفاظ الذكورة وألفاظ الأنوثة التي تشكل بعداً أساسياً في محور الإيمان، وذلك من خلال البعد الإنساني للمجتمع الإسلامي الذي يقوم على ثنائية الذكر والأنثى، إذ إن هذا التقارب في النسب بين الطرفين يشير إلى الاهتمام المتساوي بالذكر تماماً كما هو بالأنثى، ولا شك في أن هذا يجسد عمق معنى الإيمان في الجانب الإنساني.

ونلحظ أيضاً تساوي النسبة المئوية بين ألفاظ الليل وألفاظ النهار، ولعل هذا يدخل في صميم الوظيفة التي أدتها ألفاظ السماء والأرض والحياة والموت، كما رأينا، فالليل والنهار هما ثنائية كونية لا يستطيع الإنسان أن يتحكم بهما، ولذلك فهما أداتان بيد المؤمن لتبرير إيمانه وتوحيده الله، وعلاوة على ذلك فهما مسرحاً لممارسة المسلم عباداته ودعواته إلى الله تعالى.

والواقع أن النسب المئوية بعد ذلك تأخذ بالتدني، في المجموعات المتماثلة في النسب وهي ألفاظ العلم والمعرفة، والإظهار، والإخفاء والحياة الآخرة، ويبدو لي أن تقارب هذه الألفاظ مؤشر إلى الدور الذي تأخذه هذه الألفاظ، وهو أنها تشكل بعداً مؤثراً في حركة المؤمن في الحياة الدنيا بحيث يظل مرتبطاً بالإيمان ومجالاته وخصوصاً إذا ما عرفنا أن معظم هذه الألفاظ تعود إلى حصر العلم بالله عز وجل، سواء أكان هذا العلم عاماً، كأن تكون (إن الله يعلم كل شيء) وإما خاصاً كأن تشير إلى علم الله الظاهر والباطن، وارتباط الآخرة بقدرة الله وعذابه وثوابه، فهذه الألفاظ تشكل رادعاً للإنسان المؤمن حتى لا يتجاوز الإيمان بمعانيه وممارساته.

وإذا مـا رحنا نوازن بين الألفاظ المتقابلة معجمياً في سائر المجموعات فإننا نجد ثمة تساوياً بين ألفاظ العذاب وألفاظ المغفرة لدى المتلقي المؤمن، وذلك لأنهـا تـشكل الحافز على محافظة المؤمن على عقيدته وإيمانه بالله الواحد الذي يحاسب الإنسان على كل شيء يفعله في الحياة الدنيا.

ويبدو أن ألفاظ الطهارة قد زادت في نسبتها على ألفاظ نقيضتها وهي النجاسـة، ولعل ذلك متأت من أن حياة المؤمن تقوم أساساً على الطهارة ونبذ النجاسـة بجميع أشكالها، ولكن وجود ألفاظ النجاسة مؤشر إلى توضيح ماهية الطهارة التي يتطلبها الإيمان.

ومن المدهش في هذا الجدول أننا نلحظ الفارق الكبير بين نسبة ألفاظ الجنة التي بلغت ١,٦٤% وبين نسبة ألفاظ النار التي بلغت ٠,٣٨% ولعل هذا يدل على أن الآيات قد توجهت نحو الجنة التي يمنحها الله عباده المخلصين، ويبدو لي أن هذا متأت من زاوية الترغيب بالإيمان، ولو رجعنا قليلاً إلى ألفاظ المغفرة وألفاظ العذاب التي تساوت في النسبة المئوية، لوجدنا ثمة فرقاً بين الجنة والنار، ولعـل هـذه الفكرة تدور في الذهن بسبب أن العذاب ينتمي إلى فئة النار وأن المغفرة تنتمي إلى فئة الجنة والواقع أن الأمر يختلف هنا في هذا المقام. وذلك أن ألفـاظ العـذاب وألفاظ المغفرة يعتمد إيقاعها على المؤمن بوصفها العمل في الحـياة الدنيا الذي عمله المؤمن في الماضي والذي قد يعمله في المستقبل في حين إن ألفـاظ الجنة وألفاظ النار هي وصف لمصير الإنسان بعد الموت، أي بعد أن يكون قد عمل الأعمال الصالحة منها والفاسدة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى إن تصوير الآيات الكريمة للجنة كان للتأثير في المتلقي بحيث تكون حافزاً للعمل الصالح، وتصويرها للنار كان للتأثير عليه بحيث يكون رادعاً عن العمل الفاسد والفاسق، فالجنة نتيجة للأعمال التي تترتب عليها المغفرة، والنار نتيجة للأعمال التي يترتب عليها العذاب.

ثانياً- محور الكفـــر:

إن محــور الكفـــر هو المحور الثاني من محاور القرآن الكريم التي عنيت ببحـــثها ودرسها، وقد جاءت تقابلات وتماثلات كثيرة في آياته تتصل اتصالاً مباشـــراً بمعاني الكفر وأقسامه، وقد قسمت هذا المحور ثلاثة أقسام هي: عناصر الكفـــر، ووسائل دعوة الكافرين إلى الإيمان، والكافرون والكفر. وحتى ندرك أبعاد كل قسم منها، وتشكيل تقابلاته وتماثلاته فيها، نتحدث عن كل قسم على حدة.

١- عناصر الكفر:

لقـــد تعـــددت الـــتقابلات والتماثلات في هذا القسم، إذ بلغت مائة وواحـــداً وثلاثين تقابلاً وتماثلاً، وتوزعت على عدد من العناصر وهي: إثبات كفر الكفار. وتكذيبهم الرسل وتكذيبهم الكتب، وإنكارهم البعث والحساب، وأخيراً ادعاؤهم بما لم يأت به الله سبحانه وتعالى.

فأما عنصر إثبات كفر الكفار فقد بلغت تقابلاته ثمانية وخمسين تقابلاً وتماثلاته ثلاثة، وقد توزعت على مجالين: الأول يصور الكفار بأنهم يقبلون على عـــبادة غير الله، كقولـــه تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (٢٨٦). إن التقابل في هذه الآية بين الاستبشار والاشمئزاز، إذ كل واحد منهما غاية في بابه لأن الأول يعـــني أن يمتلـــئ قلب الكافر سروراً حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل، وأما الثاني، فهو أن يمتلئ قلبه غماً وغيظاً حتى يظهر الانقباض في أديم وجهه (٢٨٧). وقد وردت تقـــابلات أخـــرى في هذا المجال، مثل: (إذا ذكروا/ لا يذكرون) (٢٨٨) و(يستمعون/ ولا يعقلون) (٢٨٩) و(من ينظر/ لا يبصرون) (٢٩٠).

وأمـــا المجال الثاني، فهو يشير إلى أن الكفار قد اختاروا الكفر بمحض إرادتهم، وأصروا على ذلك فزادهم الله ضلالة وكفراً. وتشير تقابلاته إلى معنى الاختيار، كقولـــه تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [٢٩١]. وإلى معنى زيادة ضلالتهم، كقولـــه تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ ﴾ [٢٩٢]. وتتوجه تقابلات هـــذا المجـــال إلى إثبات أن الكفر والشرك أمران باختيار الإنسان وليسا أمرين توقيفيين.

وأمـــا عنـــصر **التكذيب بالرسل**، فقد بلغت تقابلاته ستة عشر تقابلاً وتماثلاته أربعة، وتوجهت إلى توضيح أبعاد تكذيب الكفار بالرسل، وبرسالاتهم سواء بالاستهزاء منهم كقولـــه تعالى: ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ ﴾ [٢٩٣] أم بالعداء لهم كقولـــه تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ [٢٩٤] أم بالتكذيب المباشر، كقولـــه تعالى: ﴿ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ ﴿ ١٥ ﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ [٢٩٥]، ونتيجة هذا التكذيب كان الكافرون يطلبون من الرسل المعجزات إثباتاً على صدقهم، كقولـــه تعالى: ﴿ وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿ ١٨٦ ﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِّنَ السَّمَاء إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [٢٩٦]. أو يطلبون منهم أن تتترل الملائكة[٢٩٧].

فكمـــا نلحـــظ كانت تقابلات المقام الأول تكذيب الرسل أكثر من تقـــابلات المقام الثاني، ولعل ذلك متأت من حقيقة كفر المشركين بالرسالات الـــسماوية التي تتضمن إعراضهم عنها في الأصل إذ لا يريدون أن يعترفوا بها، وبالـــتالي يؤمنون برسل الله ولذلك من الطبيعي أن يطلبوا المعجزات والملائكة حتى لا يبقى مجال لهم ولأتباعهم للإيمان بهؤلاء الرسل.

والواقـــع أن تقـــابلات هذا العنصر قد جاءت بألفاظ مختلفة تنتمي إلى أكثر من مجال أرصدها في الجدول الآتي:

الرقم	المفـــــردات	مجموعها
١	إثبات الكذب ونفي الصدق	٣
٢	إثبات الكفر ونفي الحق	٣
٣	المعجزات بشكل عام/ والملائكة	٣
٤	إثبات الكذب وإثبات الصدق	٢
٥	العداء: إخراج الأنبياء/ أو عودهم للكفر	٢
٦	الاستهزاء بالرسل	٢
٧	الدعوة إلى العبادة/ إعراضهم عنها وتكذيبهم	١
٨	الجن والإنس	١
٩	منذر/ هاد	١
١٠	بين أيديهم/ من خلفهم	١
	المجمـــــوع	**١٩**

لاشـــك في أنـــنا نلحظ من الجدول أو ألفاظ الكذب ونفي الصدق، وإثبات الكفر ونفي الحق، وألفاظ المعجزات والملائكة تتساوى في المجموع وهذا

يـــأتي منسجماً مع الموضوع، إذ إنه يثبت تكذيب المشركين الرسل من خلال أقـــوالهم وأفعالهم ومن ثم من خلال ما يطلبونه من معجزات وملائكة، ولا تقل الألفـــاظ التي جاءت بعد ألفاظ التكذيب والكفر أهمية عن هذه الألفاظ، إذ إن ألفـــاظ إثبـــات الكـــذب وإثبات الصدق المنافي لألفاظ الأولى وألفاظ العداء والاســـتهزاء جميعاً تؤدي الدور الذي أخذته المجموعة الأولى، وذلك أنها تجلي موقف الكفار من الرسل فهم يستهزئون بهم ويكذبونهم.

وأما العنصر الثالث وهو **التكذيب بالكتاب**، فقد بلغت تقابلاته تسعة عـــشر تقابلاً وتماثلاته ستة، وقد تحدثت عن جانبين مهمين في هذا العنصر أما الأول فهو صورة تكذيب الكفار بالكتاب، إذ بلغت تقابلاته ثمانية عشر تقابلاً، جـــاء بعـــضها يكشف عن تكذيبهم وعدم إيمانهم به وبآياته، كقولـــه تعالى: **﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾**(٢٩٨). فالكفـــار في حقيقتهم يكذّبون القرآن تكذيباً نابعاً من هواهم، ومخالفـــة الحقائق التي يدركونها، سواء كان ذلك بعلمهم بحقيقته كما في الآية السابقة أم بغير علم بها كقولـــه تعالى: **﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾**(٢٩٩). وثمة صـــورة أخرى لتكذيبهم والافتراء على الكتب السماوية كما في قولـــه تعالى: **﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾**(٣٠٠). فالكفر بالكـــتاب هـــو بإظهار بعض ما جاء فيها وإخفاء بعضها الآخر، وذلك إخفاء

للحقائـــق الإلهـــية، ومن صـــور التكذيب أيضاً الاستهزاء بالكتب كما في قـــولـــه تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُون﴾ (٣٠١).

وقد اختلفت ألفاظ المفردات في هذا المقام كما في الجدول الآتي:

الرقم	المفـــــردات	مجموعها
١	إثبات التكذيب	٣
٢	إثبات الإيمان ونفيه	٢
٣	تبدون/ تخفون	٢
٤	آتيناهم بآياتنا/ أعرضوا عنها	٢
٥	إثبات الكذب/ إثبات الحق	١
٦	ائت بقرآن أو بدله	١
٧	إثبات النار/ وإثبات الجنة	١
٨	أعجمي/ وعربي	١
٩	نفي التكذيب وإثباته	١
١٠	بكرة/ وأصيلاً	١
١١	إثبات الكفر	١
١٢	إثبات الإيمان/ ونفي الشرك	١
١٣	إثبات القرآن/ إثبات الكفر	١
	المجمـــــوع	**١٨**

نلحـــظ أن مفردات التقابلات والتماثلات قد توجهت إلى إثبات معنى تكذيب الكفار بآيات القرآن الكريم، وذلك من خلال ألفاظ التكذيب والكفر التي بلغت اثني عشر تقابلاً من المجموع الكلي البالغ ثمانية عشر، وهذا مؤشر إلى موقف الكفار من القرآن.

وأمـــا الجانب الثاني من تكذيب الكفار بالقرآن، فهو متعلق بالجانب الأول من حيث نقضه وإثبات صدق ما جاء به الرسول في كتابه، وقد جاءت ســبعة تقابلات هنا تشير إلى صحة القرآن وأنه مترل من الخالق عز وجل، وقد أشارت آياتها إلى أن القرآن لا يدخله الباطل، كقولـــه تعالى: ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٣٠٢)، وقد جاءت ألفاظ التقابل هنا لتثبيت هذه الصحة، ويمكننا أن ندركها في الجدول الآتي:

الرقم	المفـــــردات	مجموعها
١	نفي الكذب/ وإثبات الصدق	٢
٢	إثبات الإيمان ونفيه	١
٣	أن يأتوا/ لا يأتون	١
٤	من بين يديه/ ولا من خلفه	١
٥	لم تفعلوا/ لن تفعلوا	١
٦	قول فصل/ ما هو بالهزل	١
	المجمـــــــوع	**٧**

إن هذه المفردات جميعاً تشير إلى تأييد ما جاء بالقرآن من جهة، وجاءت تتحدى المشركين بأن يأتوا بمثله فأشارت إلى أنهم لن يستطيعوا أن يفعلوا ذلك.

وأما العنصر الرابع وهو **إنكار يوم الآخرة** وما فيه من البعث والحساب، فقد بلغت تقابلاته ثمانية عشر تقابلاً، جاءت لتؤكد أن الكفار ينكرون البعث بعد الموت في الحياة الدنيا، وقد جاءت التقابلات في هذا المعنى بما مجموعه اثنا عشر تقابلاً، كقوله تعالى: **﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾** (٣٠٣). وقد عبرت هذه الآيات عن مضمون كثير من الآيات القرآنية الواردة في هذا الجانب فجميعها يثبت أن الكفار قد أنكروا يوم الآخرة والبعث والحساب. ولكن ثمة آيات أخرى جاءت لتؤكد لهم البعث والحساب والعذاب يوم القيامة، وقد بلغت تقابلاتها خمسة، كما في قوله تعالى: **﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾** (٣٠٤).

لا شك في أن كثرة التقابلات في مقام إنكار البعث مؤشر إلى إصرار الكفار على إنكار البعث يوم القيامة، وهذا نابع من مواقفهم السابقة من إثبات كفرهم وتكذيب الرسل وتكذيب الكتب، ويبدو أن آيات الكتاب العظيم لم تلح على إقناع هؤلاء بالبعث نتيجة موقفهم الذي اتخذوه من إنكار مطلق للبعث، وذلك أنهم ينطلقون من موقف المعرض عن الإيمان ولو ثبتت صحته، وتشير الآية الكريمة الآتية إلى هذا المضمون، قال تعالى: **﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾** (٣٠٥)، فتأكيد البعث وإثباته لهم لن يجد منهم سوى نعته بالسحر كما نعتوا الكتاب

السماوي بين أيديهم بأنه سحر لا حقيقة، ومعظم ألفاظ التقابلات هنا تشير إلى ثنائية (الموت/ والبعث)، وقد ترددت أربع عشرة مرة في حين ترددت تقابلات أخرى مثل الإيمان والكفر مرة واحدة. والوعظ وعدم الوعظ مرة واحدة. ولاشك في أن تفوق ثنائية (الموت/ والبعث) ينسجم مع إنكار البعث هنا.

وأما العنصر الأخير وهو **الكذب على الله بأقوالهم**، فقد بلغت تقابلاته سبعة تقابلات، تحدثت عن افتراءاتهم في التحليل والتحريم، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـذَا حَلاَلٌ وَهَـذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ**﴾ (٣٠٦)، أو في تحريف القول وتبديله، كما في قوله تعالى: ﴿**مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ (٣٠٧). أو ادعاء النبوة، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ**﴾ (٣٠٨).

بعد هذه النظرة التفصيلية لتقابلات عناصر الكفر وتماثلاته فلننظر إليها نظرة عامة وشاملة من خلال الجدول الآتي:

الرقم	عناصر الكفر	مجموع تقابلاتها	مجموع تماثلاتها
١	إثبات الكفر	٥٨	٣
٢	تكذيب الكتاب	١٩	٦
٣	إنكار الآخرة والبعث والحساب	١٨	-
٤	تكذيب الرسل	١٦	٤
٥	الافتراء على الله بالأقوال	٧	-
	المجمـــــوع	**١١٨**	**١٣**

لا شـــك في أنـــنا نلحظ ارتفاع عدد تقابلات العنصر الأول والعنصر الثاني بالقياس لبقية العناصر، إذ زادت نسبتها عن النصف من مجموع التقابلات الكلــي، ولعــل ذلك متأت من أن طبيعة الكفر عند الإنسان تعتمد أولاً على اســتعداده وميوله في التوجه نحو الكفر. وهذا ينعكس بالتالي على إصراره على تكذيب الكتب السماوية، وتدعم التماثلات التي ارتفعت نسبتها مقابل التقابلات في هــذا المعــنى؛ ولذلك دارت آيات القرآن الكريم وتقابلاتها في الحديث عن هــذين الجانبين المتصلين بالكفار اتصالاً قوياً من حيث سلوكهم العقلي الذي يتصف بالتكذيب والإنكار لكل كتاب يحاول أن يثنيهم عن كفرهم.

ولا شك في أن العناصر الباقية تتصل بالعنصرين الأول والثاني، فما جاء من تكذيب الرسل وعدائهم، وإنكار الآخرة والبعث، ومن ثم الافتراء على الله بأقــوالهم ينــبع مـــن الموقف الأساسي وهو إثبات الكفر بتكذيبهم بحقيقة الله وبكــتابه، وذلك أن هذا الموقف ينتج عن أنواع التكذيب والإنكار في العناصر الأخرى.

٢- وسائل دعوة الكفار إلى الإيمان:

تنوعت الوسائل التي جاء بها القرآن الكريم يدعو بها الكفار إلى الإيمان بـالله وحده دون الإشراك به، وقد بلغت تقابلاتها وتماثلاتها مائة وسبعة وستين تقابلاً. أتحدث فيما يأتي عن كل وسيلة على حدة.

الوسيلة الأولى:

إن هـذه الوسيلة نابعة من دور الرسل في تبليغ الرسالة، وذلك بدعوة الكفار إلى الإيمان، وقد بلغت التقابلات في هذا المقام ستة عشر تقابلاً، انطلقت من طبيعة المهمة الدينية للرسل وهو تبليغ الكفار، كما في قولـه تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا** ﴾ (٣٠٩). وفي قولـه تعالى: ﴿ **ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا** ﴾ (٣١٠). ولا شك في أن هـذه الآيـات بتقابلاتها تشير صراحة إلى طريقة الدعوة إلى الإيمان، وذلك من خـلال قسمي اليوم النهار والليل، ومن خلال طريق الدعوة جهراً وسراً، وما هذا إلا محاولة لإقناع الكفار بالعدول عن كفرهم وباتباع ما جاء به الرسل من الإيمـان بـالله. وقد تنوعت مضامين دعوهم لهؤلاء الكفار، إذ كانت تدعوهم الآيات إلى عبادة الله وحده والابتعاد عن الشرك، كما في قولـه تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** ﴾ (٣١١) وتدعـوهم إلى إطاعة الرسول والتوبة عما يفعلـون، كما في قولـه تعالى: ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ** ﴾ (٣١٢) ولكـن كان للكفار موقف إزاء هذه الدعوة بأنهم لم

يتـــبعوا الرســـل، وإنمـــا أصروا على عبادة الأوثان التي عبدها آباؤهم، كما في قولـــه تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [(٣١٣)].

وقـــد تـــشكلت ألفاظ التقابلات هنا بمجموعات متقابلة من الألفاظ نرصدها في الجدول الآتي:

الرقم	المفـــــــردات	عددها
١	إثبات الإيمان/ ونفي الشرك	١١
٢	ليلاً/ ونهاراً	١
٣	أعلن/ أسر	١
٤	أحل/ حرم	١
٥	ما ظهر/ ما بطن	١
٦	بين أيديكم/ من خلفكم	١
	المجمـــــــوع	**١٦**

لا شك في أن هذه النسبة المرتفعة لثنائية (الإيمان/ والشرك) تدل دلالة قاطعـــة علـــى اهتمام آيات القرآن الكريم بدعوة الكفار إلى الإيمان بالله وحده ونبذ عبادة الأوثان والشرك به سبحانه وتعالى.

الوسيلة الثانية–

إن الوســـيلة الثانـــية هـــي دلالة وجود الله ووحدانيته والبرهان عليها بالقدرة الإلهية، وقد بلغت تقابلاتها مائتين وتماثلاتها خمسة. وقد جاءت موزعة على أربعة مجالات، هي:

المجال الأول- هو **القدرة الإلهية المطلقة**، وقد بلغت تقابلاته ثلاثة تقابلات تشير إلى القدرة الإلهية بشكل عام، هذه القدرة التي يتصف بها الخالق دون خلقه، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ (٣١٤) فمشيئة الله صفة خاصة به يتفرد بها ولا يتصف بها الكافرون والخلق الآخرون بالتالي. وكذلك تشير إلى أنه قادر على كل شيء لا يعجزه شيء، كما في قوله تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا** ﴾ (٣١٥) وأما هذه القدرة فإن الله إن أراد سوءاً فإنه لا يرد من غيره، كما في قوله تعالى: ﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ**﴾ (٣١٦).

والمجال الثاني- هو **دلائل القدرة الإلهية على الخلق**، وقد بلغت تقابلاته اثنين وسبعين تقابلاً وتماثلاته تماثلاً واحداً وتوزعت على مقامين: الأول القدرة الإلهية على خلق الكون ومظاهره، وقد بلغت تقابلاته اثنين وأربعين تقابلاً انحصرت في تبيان قدرة الله على خلق (السموات) و(الأرض) (٣١٧)، وذلك أنهما دليلان يدلان على وجوده وعلى قدرته وعلى خلقه لـ(الليل) و(النهار) (٣١٨)، وتعاقبهما وتداخلهما، وعلى خلق (الظلمات) و(النور) (٣١٩)، وذلك أن هذه آيات تدل على وجوده وقدرته على الخلق وبالتالي تدلان على توحيده.

وأمـا المقـام الـثاني، فيتعلق بخلق الإنسان من حيث تكوينه وإماتته وإحـياؤه، وقد بلغت تقابلاته واحداً وثلاثين تقابلاً توزعت على أصل تكوين خلقه مـن التـراب، كما في قولـه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ (٣٢٠) أو كخلقه ضـعيفاً ومن ثم وضع فيها القوة بمشيئته، كما في قولـه تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (٣٢١) وتـوزعت الـتقابلات أيضاً على قدرته على إماتة الإنسان وإحيائه، وقد بلغت التقابلات هنا ستة وعشرين تقابلاً، كما في قولـه تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٢٢).

وقد جاءت ألفاظ التقابلات هنا تدور حول هذه الثنائية بحيث أخذت ثنائـية (المـوت/ والحـياة) اثـنين وعشرين تقابلاً في حين أخذت ثنائية (لا تستأخرون/ ولا يستقدمون) أربعة تقابلات. ولا شك في أن هذا العدد المرتفع للـتقابلات بالقـياس لتقابلات أصل الإنسان وتكوينه يشير إلى اهتمام الآيات الكـريمة بإقـناع الكفار بالحدث الذي يرونه أمام أعينهم، وهو حدث الموت والحـياة. فـالله هـو الذي يحيي ويميت، وهو كذلك الذي يضع أجلاً لموت الإنسان لا يتأخر ولا يتقدم.

والمجـال الـثالث- هـو **مظاهر القدرة الإلهية**، وما أعنيه بالمظاهر هو الجوانب التي تدل على قدرة الله عز وجل مما يتصل بالإنسان ويحيط به، وذلك

مثل قدرته على التفضل بنعمته على الخلق، وقدرته على خلق الهداية والضلالة، وقدرتـــه علـــى العذاب، ومن ثم قدرته على إحقاق الحق وإبطال الباطل. وقد بلغت تقابلات هذا المجال اثنين وتسعين تقابلاً، وتماثلاته ثلاثة.

وأبـــدأ حديثي عن تقابلات المظهر الأول وهو قدرة الله على التفضل بنعمه على خلقه، وقد بلغت تقابلاته اثنين وستين تقابلاً. وقد تنوعت النعم في هـــذا المجال، فمنها نعمه على الإنسان من حيث شكله الحسن كما في قولـــه تعالى:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [٣٢٣].

ومنها أيضاً تفضل الله سبحانه وتعالى بإرزاق الناس في الأرض من حيث المأكل والـــتجارة، والرزق بصورة عامة، وقد بلغت التقابلات هنا ثلاثة عشر تقابلاً، وقد اختلفت مفرداها[٣٢٤]، وحتى ندركها نرصدها في الجدول الآتي:

الرقم	المفـــــردات	عددها
١	يبسط الرزق/ ويقدر	٥
٢	الطعام	٣
٣	يرزقكم من السماء والأرض	٢
٤	أطعم/ وآمن	١
٥	رحلة الشتاء والصيف	١
٦	يهب ذكوراً وإناثاً	١
	المجمـــــوع	**١٣**

إنـــنا نلحظ هنا أن الآيات كانت تركز على مطلق معنى كلمة القدرة الإلهية على الرزق، سواء أكان كثيراً أم قليلاً ثم اهتمت بعد ذلك بالطعام وبعدها

بالـــرزق من السماء والأرض. ولعل هذا نابع من طبيعة الدعوة إلى التوحيد التي أرادت أن تقـــنع الكفار بأن الرزق بشكل عام من الله فبيده كل مفاتيح الرزق للناس جميعاً.

ومـــن دلائل فضله كذلك نعمة التنقل في الأرض، وقد جاءت في هذا المقام أربعة تقابلات تشير إلى وسيلة النقل وهي الحيوان(٣٢٥) الذي يسهل على الإنـــسان الوصـــول إلى أمـــاكن لم يكـــن بمستطاعه أن يصل إليها إلا بشق الأنفس(٣٢٦).

ومن أنواع النعم كذلك الماء والنبات، وقد جاء هنا ثلاثة عشر تقابلاً تشير إلى هذه النعمة ابتداء من إنعام الله على الإنسان بالماء الذي أحيا به الأرض بعد موتها(٣٢٧)، وخلق المزروعات به(٣٢٨)، وانتهاء بجعله للناس شراباً(٣٢٩)، وقد اختلفت مفردات التقابل هنا، ونبين هذا الاختلاف في الجدول الآتي:

الرقم	المفـــردات	عددها
١	أحيا بالماء النوى الميت	٤
٢	أحيا بالماء الأرض بعد موتها	٤
٣	ألفاظ الزروع والنبات	٣
٤	يريكم البرق خوفاً وطمعاً	١
٥	أصبح ماؤكم غوراً/ من يأتيكم بماء معين	١
	المجمـــوع	١٣

لا شـــك في أننا نلحظ أن التقابلات هنا تركز على الإحياء بعد الموت فـــيما يتعلق بالنبات والأرض، وذلك أن إحياء الأرض هو إحياء للنبات، وفي هذه التقابلات دلائل قاطعة للكفار على وحدانية الله وقدرته على تفضله عليهم.

ومن أنواع نعمه أيضاً هو خلق الليل والنهار، وجعلهما متصلين بسعيه لكـــسب الـــرزق وراحـــته[٣٣٠]، وقد بلغت التقابلات هنا أربعة عشر تقابلاً تضمنت مفردتي (الليل/ والنهار).

ومـــن أنواعها أخيراً فضل الله على الإنسان بخلقه السماء والأرض وما يتـــصل بهما من عناصر كونية مثل النجوم[٣٣١]، والظلال[٣٣٢]، وقد جاء ثلاثة عـــشر تقـــابلاً. وقـــد كان معظم مفردات التقابل هنا بين مفردتي (السماء) و(الأرض) التي تبين أنهما سخرتا للإنسان نزلاً ومأوى ومسعى للرزق[٣٣٣].

وأمـــام هـــذه النعم الكثيرة التي تفضل الله بها على الناس جميعاً يقف الكفار منكرين لها ومعرضين عن الإيمان بخالقها. كما تشير الآية الكريمة: {والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم مـــن الطيبان أفبالباطل يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون}[٣٣٤]، فهؤلاء بعد ما تـــبين لهم نعم الله عليهم كفروا به، وآمنوا بأصنامهم وأوثانهم، وقد زادوا على ذلـــك أنهم حرمـــوا ما حـــلل الله وحللوا ما حـــرم الله، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ [٣٣٥]. ويبين الله عز وجل أن هذه النعم جاءت لتقنع الكفار بوجود الله وبوحدانيـــته يقول: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿ ٨١ ﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [٣٣٦].

وأما المظهر الثاني، فهو قدرة الله على خلق الهداية والضلالة، وقد بلغت التقابلات هنا أحد عشر تقابلاً، وتتناول آيات الكتاب العظيم موضوع الهداية والضلالة هنا من ثلاثة جوانب: الأول- أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الضلالة والهداية وجعلهما في الحياة الدنيا لمن يريد أن يختار إحداهما ويترك الأخرى. وقد جاء هذا التخيير في سياق الآيات التي تصف عناد الكافرين وإصرارهم على كفرهم، كما في قوله تعالى: ﴿ **أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** ﴾[٣٣٧]. وأما الجانب الثاني، فهو يشير إلى اختيار الكفار الضلالة على الهدى، وبالتالي تخبرهم الآيات بأنه من يضلل الله فلن يجد من يهديه[٣٣٨]. وأما الجانب الثالث، فيشير إلى أن ضلالة الكفار كانت نتيجة اتباعهم الشياطين الذين زينوا الضلالة[٣٣٩].

والواقع أن مفردات هذا المقام كانت تدور حول كلمتي الضلالة والهداية، ولكن باختلاف مواقعها، ويمكن أن نبينها في الجدول الآتي:

الرقم	المفـــردات	عددها
١	إثبات الضلالة وإثبات الهداية	٤
٢	إثبات الضلالة ونفي الهداية	٤
٣	إثبات الهدى ونفي الضلالة	١
٤	إثبات الهداية	١
٥	فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم	١
	المجمـــوع	١١

لو نظرنا إلى هذا الجدول من زاوية غير زاوية مجموع التقابلات أي من خلال تردد كل لفظة في موقعها من حيث الإثبات والنفي، لوجدنا أن الضلالة ترددت ثلاث عشرة مرة وهي تتحقق من خلال (إثبات الضلالة) و(نفي الهداية)؛ لأن معناها (الضلالة)، ولوجدنا أن الهداية ترددت سبع مرات وهي تتحقق من خلال (إثبات الهداية) و(نفي الضلالة؛ لأن معناها الهداية في هذه الحال) ولا شك في أن هذا مؤشر إلى المضمون الكلي للتقابلات في آياتها وهي أنها تتجه نحو إثبات صفة الضلالة في هؤلاء الكفار.

وأما المظهر الثالث، فهو قدرة الله على إحداث العذاب والمغفرة، وقد بلغت التقابلات هنا ثمانية عشر تقابلات، وقد تناولت آيات الكتاب الكريمة في هذا المقام جانبين: الأول يوضح أن عذاب الله قد وقع على الكفار لكفرهم ولا يفتح باب المغفرة لهم، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ (٣٤٠). وأما الجانب الثاني، فيوضح أن العذاب والرحمة يقعان على الإنسان بمشيئة الله، وذلك منوط بكفره أو إيمانه، كما في قوله تعالى: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَيَرْحَمُ مَن يَشَاء وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاء وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٣٤١).

وأما المظهر الرابع، فهو إظهار قدرة الله تعالى على إحقاق الحق وإبطال الباطل، وقد بلغت تقابلاته أربعة تقابلات، وقد جاءت في سياق التحدي للكافرين، كما في قوله تعالى: ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ

﴿ الْمُجْرِمُونَ ﴾[٣٤٢]. وقـد جاءت آية أخرى تشير إلى إتمام دينه عز وجل وهو الحـق في قولـه تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[٣٤٣].

وأمـا المجال الرابع، فهو **نفي القدرة عما عبده الكافرون**، ولقد بلغت تقابلاته ثلاثة وثلاثين تقابلاً وتماثلاته تماثلاً واحداً، جاءت موزعة على جانبين: الأول تـشير فيه التقابلات إلى إثبات قدرة الله في كثير من أمور الخلق ونفيها عما كان يعبده الكفار. وأما في الجانب الثاني، فقد كانت تشير إلى نفي القدرة عن هذه الأشياء التي يعبدها الكفار.

الجانـب الأول بلغت تقابلاته اثنين وعشرين تقابلاً، تنوعت القدرات الإلهية فيه، فبعضها يتصل بخلق (الليل/ والنهار)[٣٤٤] وبعضها يتصل بفعل الخلق الـذي يتصف به الله عز وجل، ولا يتصف به ما يعبد من دونه بل هذا الذي يعبد هو الذي يخلق[٣٤٥]. وبعضها يتصل بالقدرة الإلهية على إحداث فعل الموت والحياة ونفيه عما يعبد[٣٤٦]. بل ما يعبد هو ميت[٣٤٧]، وبعضها يتصل بعدم قدرة الآلهـة التي تعبد على الرزق في حين إن الله هو الرازق القادر على ذلك[٣٤٨]. وبعضها يتصل بالهداية التي هي فعل من أفعال الله دون غيره[٣٤٩]. وقد جاءت آيـات أخرى تثبت بأن الله هو الحق؛ لأنه يتصف بالقدرة التي فقدتها مخلوقاته التي تعبد، ولذلك فهي في جانب الباطل[٣٥٠].

والواقـع أن مفـردات التقابل في هذا الجانب قد اختلفت، ويمكننا أن نرصدها في الجدول الآتي:

الرقم	المفـــــردات	عددها
١	إثبات الخلق ونفيه	٤
٢	إثبات الموت/ وإثبات الحياة	٤
٣	الليل/ والنهار	٤
٤	الحق/ والباطل	٢
٥	أبكم/ يأمر بالعدل	١
٦	إثبات الموت/ ونفي الحياة	١
٧	الله يقضي بالحق/ لا يقضون بشيء	١
٨	إثبات الهداية	١
٩	إثبات الهداية ونفيها	١
١٠	يرجون رحمته/ ويخافون عذابه	١
١١	لا يسأل/ وهم يسألون	١
١٢	عبداً مملوكاً لا يقدر/ ومن رزقناه	١
	المجمـــــــوع	**٢٢**

لا شك أن في هذه التقابلات مؤشراً إلى توجه الآيات الكريمة في وضع الفوارق الأساسية بين الله عز وجل وما يعبد من دونه من حيث القدرة، وذلك أنها رددت معاني الخلق والموت والحياة والليل والنهار بنسبة كبيرة إذا ما قيست أعـــدادها بأعداد المعاني الأخرى، ولعل هذا نابع من هذه المعاني التي هي دلائل دامغة أمام الكفار لإثبات وجود الله وأحقيته بالعبادة دون مخلوقاته، ويمكننا إذا مـــا رجعنا قليلاً إلى دلائل القدرة أن نجد الآيات قد اهتمت بهذه المفردات أكثر من غيرها.

ولا شك في أن هذا مؤشر إلى انسجام آيات الكتاب الكريم في مضمونها الذي يتحرك داخل محور الكفر.

وأمـــا الجانـــب الثاني الذي بلغت تقابلاته اثني عشر تقابلاً، فقد كان يتمـــثل بـــسلب القدرة عماد يعبد الكفار، وقد عبرت الآيات الكريمة عن هذا الجانـــب بعـــدد من المعاني أبرزها نفي النفع والضر عن الأوثان، فهي لا تنفع عابـــديها، ولا تستطيع أن توقع عليهم فعل (الضر)[٣٥١]. وكما أشارت الآيات إلى أن هـــذه المعبودات لا تستطيع أن تدفع الضر، أو تجلب النفع لنفسها[٣٥٢].

وقد زادت الآيات توضيحاً للكفار بعدم قدرة معبوداتهم، بأن جعلتها غير قادرة علـــى أن تدافـــع عن نفسها كما في قولـــه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾[٣٥٣]. لقد صورت هذه الآيـــة معـــنى الجهالة التي يعيشها الكفار بعبادتهم للأصنام التي هي أضعف مما تستطيع أن تنقذ ما سلبه الذباب الضعيف منها، وكما أنها "تصور أقل ما تصور هـــذا الـــضعف في الإنسان، أو التناهي في الضعف والتمادي في الخور. فأنى له الإشراك، وعدم الإيمان بالوحدانية، والآلهة المدعاة بمنتهى العجز والهوان"[٣٥٤].

وحـــتى نـــدرك تـــشكيل مفردات التقابل في هذا الجانب نرصدها في الجدول الآتي:

الرقم	المفـــــردات	عددها
١	نفي المنفعة/ ونفي الضر	٨
٢	السموات والأرض	٢
٣	يسلبهم الذباب/ لا يستنقذوه	١
٤	الطالب/ والمطلوب	١
	المجمـــــوع	**١٢**

لا شـك في أن غلـبة المفردات المنفية للمنفعة والضر تثبت للكفار أن هـذه المعـبودات التي يعبدونها لا تستطيع أن تجلب المنفعة أو الضر لهم، وذلك حتى تفتح عقولهم وتنبههم إلى هذا الجهل الذي يعيشون فيه.

الوسيلة الثالثة-

إن الوسيلة الثالثة لإقناع الكفار بالإيمان هي إثبات علم الله عز وجل، وقـد بلغـت تقابلاتها ستة وعشرين تقابلاً، وقد تنوعت وسائل الإقناع هنا، فشملت علمه بكل أقوال الكفار سواء أكان منها ما هو مكتوب في صدورهم، أو معلـن[٣٥٥]، وشملـت العلم بالكون والمخلوقات[٣٥٦]، وعلمه أيضاً بأفعال هـؤلاء الكفـار في الأرض[٣٥٧]، وقد جاءت الآيات أيضاً لتثبت المعنى المطلق بعلمـه مـن خلال مفردتين هما (الغيب/ والشهادة)[٣٥٨]. وأخيراً شملت إثبات علمـه بالأشياء جميعاً ونفي علمهم بأي شيء[٣٥٩]. ويمكننا أن نتتبع مفردات تقابل هذه الوسيلة في الجدول الآتي:

الرقم	المفـــردات	عددها
١	أسر/ أعلن	١٠
٢	السموات/ الأرض	٦
٣	الغيب/ والشهادة	٤
٤	إثبات علم الله/ ونفيه عن الكفار	٢
٥	ما بين أيديهم/ وما خلفهم	١
٦	اليمين/ والشمال	١
٧	ما يغيض في الأرحام/ وما تزداد	١
٨	مستخف بالليل/ سارب في النهار	١
	المجمـــوع	**٢٦**

لا شك في أننا نلحظ أن المفردات التي تنتمي إلى (أسر/ وأعلن) قد أخذت مجموعاً كبيراً من بين المفردات الأخرى، ولعل ذلك نابع من أن الأساس في قضية الكفر تنبع مما يدور داخل الإنسان، وما يظهر على لسانه، فالقول دليل أولي على الكفر والإيمان، ولذلك كثرت الآيات التي جاءت تنبه الكفار إلى أن الله يعلم سرهم وجهرهم، فإذا أخفوا كفرهم فالله له القدرة على علمه تماماً كما له القدرة على علم ما يجهرون به.

ونلحظ أيضاً ارتفاع مجموع تقابلات السماء والأرض والغيب والشهادة، ولعل هذه النسبة العالية أيضاً جاءت من زاوية أن الإنسان يدرك أنه جزء صغير من الكون الكبير، فإذا كان الله يعلم ما في هذا الكون الكبير فكيف بالإنسان الجزء الصغير منه فالله يعلم كل ما يقوم به، ومن ثم مجيء التعبير عن العلم المطلق بلفظتي (الغيب والشهادة) بنسبة مرتفعة يدعم ما تقدم من دليل على ارتفاع نسبة علمه بالسموات والأرض، ولا شك في أن هاتين اللفظتين تشكلان وسيلة قاطعة أمام الكفار حتى لا يسروا كفرهم في صدورهم.

ومن ثم نلحظ أن المفردات الباقية بشكل عام جاءت متواصلة، لإثبات قدرة الله على العلم في كل مجالات خلقه.

الوسيلة الرابعة-

إن الوسيلة الرابعة تسعى لأن تثبت أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يتفرد بقدرته على الملكية دون غيره من المعبودات التي يعبدها الكفار، وقد بلغت تقابلاتها ستة عشر تقابلاً، وقد جاءت بعدد من المفردات هي: (السموات/ والأرض)(٣٦٠) التي تكررت خمس عشرة مرة، وجاء تقابل واحد بمفردتي (الليل/ والنهار)(٣٦١).

ولا شك في أن هذا المجموع الكبير لمفردتي (السموات/ والأرض) يشير إلى تعميم ملكية الله على الكون كله بما فيه الإنسان وغيره من المخلوقات وهذه حجة قوية أمام الكفار ليرتدعوا عن عبادة غيره سبحانه وتعالى.

الوسيلة الخامسة-

إن الوسيلة الخامسة تسعى لأن تثبت معنى الربوبية في الله عز وجل وحده دون غيره، وقد جاءت من خلال ثلاثة تقابلات تركزت على مفردتي (السموات) و(الأرض)[٣٦٢]. ولا شك أن هذه الوسيلة تشترك مع الوسيلة الثانية بمفرداقما، ولعل هذا متأت من الدور الذي تأخذه عناصر الكون لإثبات قدرة الله، والتدليل على وجوده ووحدانيته أمام الكفار.

بعد هذه النظرة التفصيلية لوسائل دعوة القرآن الكريم الكافرين إلى الإيمان، لابد أن نتحدث عنها بصورة شاملة. ولذلك نرصد مجموع تقابلات كل وسيلة في الجدول الآتي:

الرقم	الوسائل	مجموع تقابلات كل وسيلة	مجموع تماثلاتها
١	دلائل وجود الله ووحدانيته	٢٠٠	٥
٢	إثبات علم الله	٢٦	-
٣	دعوة الرسل الكفار إلى الإيمان	١٦	-
٤	إثبات ملكية الله	١٦	-
٥	إثبات ربوبية الله	٣	-
	المجموع	**٢٦١**	**٥**

إن وسيلة دلائل وجود الله ووحدانيته قد أخذت مجموعاً كبيراً في التقابلات وهي الوحيدة التي استخدمت التماثل إذا ما قيست إلى غيرها من الوسائل كما نلحظ. ولعل ذلك متأت من طبيعة الدعوة الإسلامية، وذلك أن العامل الأساسي الفعال فيها أن تظهر للناس جميعاً ما يمكن أن يكون عوناً لها على تصديقها، ويكون ذلك بأن تتحدث عن عظيم خلقه في مجالات مختلفة، في الكون، وفي الناس، وغير ذلك. وهي وسيلة ناجعة لإقناع الناس بوجود الله وبوحدانيته، وبالتالي الإيمان به، ولذلك جاءت التقابلات التي تشير إلى وجوده عز وجل كثيرة العدد لتخاطب الكفار علهم يرجعون عن كفرهم. ولا شك في أن عنصر مظاهر القدرة الإلهية قد أسهم بدور فاعل في هذا الإقناع فأخذت مجموعة كبيرة أيضاً من التقابلات في هذه الوسيلة إذ إن هذه المظاهر تجعل الكفار يؤمنون بوجود الله وبوحدانيته.

وتأتي الوسائل الأخرى بنسب مختلفة إذا ما قيست تقابلاتها بما سبق، ولعل السبب يكمن في الوسيلة الأولى؛ لأنها غطت كثيراً من الدلائل والبراهين على وجوده، ولكن لا يمكن إغفال دور هذه الوسائل، فهي تساعد في تيقن الإنسان من وجود الله ووحدانيته، بالتالي تدفعه إلى أن يعبده دون سواه، ومن هنا نجد هذه الوسائل مناسبة لأن تدعو الكفار إلى الإيمان بالله وحده.

٣- الكافرون والكفر:

بعد أن تحدثنا عن عناصر الكفر ووسائل دعوة الكفار إلى الإيمان، نأتي لنتحدث عن الكفار وصورهم في الحياتين الدنيا والآخرة، ونحاول أن نكشف من خلال هذا الحديث عن التقابلات والتماثلات وتشكيل مفرداتها، وقد وجدت أن ثمة مبحثين في هذا الجانب، هما: الأول- الكفار بين الترهيب والترغيب، والثاني- أحوال الكفار في الحياتين الدنيا والآخرة، فأبدأ بالمبحث الأول.

المبحث الأول:

إن التقابلات في هذا المبحث بلغت أربعة وخمسين تقابلاً وتماثلاته تسعة توزعت على كثير من الجوانب التي تتصل بالترهيب والترغيب. ومن الملاحظ في هذا المبحث أن التقابلات والتماثلات كانت تتصل بالترهيب وحده في معظم مواقعها إذ ترددت تقابلاته ستاً وثلاثين مرة وتماثلاته مرتين، في حين نجد أن تقابلاً واحداً جاء بالترغيب وحده. ونجد تقابلين وخمسة تماثلات في مقام التهديد والوعيد، ومن ثم جاءت تقابلات وتماثلات تجمع بين الترهيب والترغيب معاً، إذ بلغت تسعة عشر تقابلاً، أبدأ حديثي عن مجالات الترهيب وحده.

تعددت مجالات الترهيب في آيات القرآن الكريم، فأما المجال الأول، فهو يتعلق بترهيب الكفار من الكفر[٣٦٣]. وقد تكررت تقابلاته اثنتي عشرة مرة، وكل هذه التقابلات تضع الكفار في مقام الخوف والرهبة من الكفر والإشراك بالله، وقد اختلفت مفرداتها، وحتى ندرك هذه المفردات نشير إليها في الجدول الآتي:

الرقم	المفردات	عددها
١	إثبات الكفر/ وإثبات الإيمان	٥
٢	الموت/ والحياة	٢
٣	الشفع/ والوتر	١
٤	إثبات الكفر	١
٥	السماء/ والأرض	١
٦	نفي المغفرة/ إثبات المغفرة	١
	المجموع	**١١**

نلحظ هنا أن التقابلات قد توجهت إلى مساواة الكفر بالإيمان، وذلك من أجل حمل المشركين على الإيمان بالله وحده وعبادته، ومن ثم تأتي التقابلات الأخرى إسناداً لفاعلية الترهيب من الكفر من خلال (الموت والحياة) و(المغفرة وعدمها) ويبدو لي أن هذه التقابلات مجتمعة تؤدي دور الترهيب من الكفر.

وأمـــا المجال الثاني، فهو يتعلق بالترهيب من ممارسات الكفار في الحياة الدنـــيا كرمـــي المحـــصنات[٣٦٤]، ومخالفة الكتب السماوية[٣٦٥]، ومن اتباع الـــشيطان[٣٦٦]، ومـــن البطر بالنعمة[٣٦٧]، ومن عقاب الله عز وجل بإماتتهم والإتـــيان بقـــوم آخـــرين[٣٦٨]، ومن عذابه في الليل والنهار[٣٦٩]. وقد بلغت التقابلات في هذا المجال ستة تقابلات.

وأمـــا المجال الثالث، فهو الترهيب من يوم القيامة الذي بلغت تقابلاته خمـــسة تقابلات، تتعلق هذه التقابلات بعلامات يوم القيامة التي تشكل تأكيداً علـــى مجـــيء ذلك اليوم. وبالتالي ترهب الذين كفروا من مجيئه، وقد كررت مفردتي (السموات/ والأرض)[٣٧٠]. ووصفت حال النساء المرضعات والحوامل اللـــواتي يذهلن عن أطفالهن، ويضعن حملهن[٣٧١]. وأكدت أيضاً انبعاث الموتى من قبورهم[٣٧٢].

أمـــا المجـــال الرابع، فهو يتصل بالمجال السابق، إذ يتعلق بالعذاب يوم القـــيامة في جهنم، وقد بلغت تقابلاته ستة عشر تقابلاً أظهرت ألوان العذاب وأصـــنافه[٣٧٣]. وقـــد اختلفت مفردات هذه التقابلات، وحتى ندرك تشكيلها نضعها في الجدول الآتي:

الرقم	المفـــــردات	عددها
١	إثبات كذبهم واستهزائهم	٢
٢	الجحيم/ والنعيم	٢
٣	متاع الدنيا/ والعذاب	٢
٤	إثبات الإيمان ونفيه	٢
٥	الكفر/ والعذاب	١
٦	إثبات الكفر/ ونفي الإيمان	١
٧	تبصرون/ ما لا تبصرون	١
٨	من بين يديه/ ومن خلفه	١
٩	عالم الغيب/ والشهادة	١
١٠	إثبات الكفر	١
١١	وفيت كل نفس/ ولا يظلمون	١
١٢	الدنيا/ والآخرة	١
	المجمـــــوع	**١٦**

نلحظ من الجدول أن التقابلات التي تشير إلى أنواع الكفر وأنواع العذاب قد أخذت مجموعاً أكثر من غيرها، ولا شك في أن هذه الكثرة منسجمة مع مقام العذاب، ولعل الإكثار منه متأت من الربط بين الكفر والنتيجة الحتمية يوم القيامة، وهذا يشكل عاملاً قوياً لإبعاد الكفار عن كفرهم حتى لا يتعرض للعذاب يوم القيامة.

وأما التقابلات التي وردت في مقام التهديد والوعيد الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالترهيب، فقد بلغت تقابلين وخمسة تماثلات كان بعضها يهدد

الكفـــار بيوم القيامة إن ظلوا على كفرهم[٣٧٤]، وبعضها يهددهم بكفرهم في الحياة الدنيا[٣٧٥]، وبعضها يتوعدهم بخذلانهم في الحياة الدنيا[٣٧٦]. وقد تشكلت التقابلات والتماثلات هنا في مفردات مختلفة أرصدها في الجدول الآتي:

الرقم	المفـــــردات	عددها
١	فانتظروا/ إني معكم من المنتظرين	٣
٢	اعملوا على مكانتكم/ إني عامل فسوف تعلمون	٢
٣	فما استطاعوا مضياً/ ولا يرجعون	١
٤	من ينصره في الدنيا/ والآخرة	١
	المجمـــــــوع	**٧**

لا شك في أننا نلحظ أن تماثلات التهديد والوعيد بالعذاب يوم الآخرة المتمثلة في تماثل (انتظروا/ إني معكم من المنتظرين) والتماثلات التي جاءت تشير إلى الحـــياة الدنيا المتمثلة في (اعملوا على مكانتكم/ إني عامل) قد جاءت بنسبة عالية إذا ما قيست بغيرها، وما ذلك إلا لأن التهديد واقع عليهم نتيجة كفرهم في الحياة الدنيا الذي يجدون بسببه العذاب في الآخرة.

وأما الترغيب، فقد جاء بتقابل واحد وهو في قولـــه: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ** ﴿١٥﴾ **يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[٣٧٧]. فهذا ترغيب لهم بأن يتبعوا ما جاء في القرآن العظيم.

وأما التقابلات التي جمعت بين الترهيب والترغيب، فقد توزعت على أكثر من مجال. الأول- مجال الترغيب بالإيمان والترهيب من الكفر، وقد بلغت عشرة تقابلات وتماثلاً واحداً، إذ كانت تبين أهمية الإيمان الذي ينجي من عذابه عز وجل، وقبح الكفر الذي يوقع في عقابه وعذابه[٣٧٨]، والواقع أن مفردات هذه التقابلات والتماثلات قد اختلفت في تشكيلها، وحتى ندرك هذه المفردات نرصدها في الجدول الآتي:

الرقم	المفـــــردات	عددها
١	إثبات الإيمان/ وإثبات الكفر	١٠
٢	فإنما عليه ما حمل/ وعليكم ما حملتم	١
	المجمـــــوع	**١١**

نلحــظ أن مفردات الكفر والإيمان قد أخذت معظم مجموع المفردات، ولعــل هذا لإظهار الموازنة بين الكفر والإيمان، وبالتالي ترغيب الكفار بالإيمان بالله وحده، وبالابتعاد عن شركهم وكفرهم.

وأمـا المجـال الثاني، فهو الترهيب من الحياة الدنيا والترغيب في الحياة الآخرة، وقد بلغت تقابلاته أربعة كشفت عن أن الحياة الدنيا متاع قليل وزائل، وأما الحياة الآخرة، فهي متاع دائم وأبدي[٣٧٩].

وأمـا المجـال الـثالث، فهـو الترغيب بالمغفرة والترهيب من العذاب والعقـاب، وقـد تـرددت تقابلاته أربع مرات، دارت مفرداتها حول المغفرة والعذاب[٣٨٠]، أو الجنة والنار[٣٨١].

المبحث الثاني:

كشفت آيات القرآن الكريم في هذا المبحث صوراً متعددة لأحوال الكفار من خلال عدد من التقابلات التي بلغت مائة وواحداً وأربعين تقابلاً ومن خلال ستة تماثلات، وينقسم هذا المبحث ثلاثة أقسام.

القسم الأول- يتعلق بأحوال الكفار في إطار الحياة الدنيا وحدها، وقد تعددت تقابلاته فبلغت تسعين تقابلاً وثلاثة تماثلات توزعت على أربعة مجالات عامة.

أما المجال الأول، فهو إنكار الكفار لفضل الله عليهم بعدما يتحقق الفضل، وذلك أن الكافر إذا ما أصابه سوء يدعو الله لأن يكشفه عنه، فإذا ما أجاب دعاءه، فإنه يعرض عنه عز وجل ويكفر به، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُورًا ﴾(٣٨٢). والكافر أيضاً إذا مسته رحمة أو نعيم بعد ضر أو كرب فإنه يتنكر لله عز وجل، وينسب الفضل لنفسه(٣٨٣).

وأما المجال الثاني، فهو إهلاك الكفار في الأرض، وقد اختلفت صور إهلاك الناس وتعذيبهم في الآيات الكريمة، إذ أشار بعضها إلى صورة إهلاك قوم لوط الذين قلب ديارهم فجعل (عاليها/ سافلها)(٣٨٤)، ومنها صورة إهلاك قوم نوح الذين أغرقهم بالطوفان(٣٨٥). ومن هذه الصور كذلك غضب الله على اليهود الذين اعتدوا في السبت فقلبهم الله قردة(٣٨٦). ومنها أيضاً غضب الله على الكفار في الأرض إذ يبدل النعيم الذي يعيشون فيه إلى نقمة وعذاب(٣٨٧)، ومنها كذلك صور جاءت في إطار التهديد بإهلاكهم كما كانوا ينتظرون إهلاك الرسول والمؤمنين(٣٨٨).

وأمـــا المجـــال الثالث، فهو يظهر في حب الكفار للحياة الدنيا والتعلق بهـــا[٣٨٩]، فهـــم يقبلون عليها، ويتركون اليوم الآخر الذي هو المتاع الحقيقي الدائم[٣٩٠].

وأمـــا المجـــال الرابع، فهو صفات الكفار، إذ أفردت بعض التقابلات صـــفات الكفـــار في الحياة الدنيا، فمنها أن الكافر يستعجل السيئة وإتيانها قبل الحـــسنة[٣٩١]، وأنـــه يدعو بالشر تماماً كمن يدعو بالخير[٣٩٢]، وبينت كذلك صـــفة اليهود الذين يحسبهم الناظر مجتمعين ولكن في الحقيقة قلوبهم شتى[٣٩٣]. ومـــنها الاســـتكبار والخيلاء[٣٩٤]، وأنهم إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم ينقصون[٣٩٥].

والواقـــع أن مفـــردات التقابلات في هذا القسم مختلفة وكثيرة التنوع، ولذلك فإنني سأشير إلى أكثرها تردداً في الآيات الكريمة حتى نكشف عن توجه هذه التقابلات، وذلك في الجدول الآتي:

الرقم	المفـــــردات	عددها
١	الضر/ والمنفعة	١٤
٢	أنعم/ وكفر	٤
٣	الشر/ والخير	٤
٤	النجاة/ والهلاك	٤
٥	إثبات المكر	٤
٦	السيئة/ والحسنة	٣
	المجمـــــوع	٣٣

لا شك في أننا نلحظ أن المفردات المتكررة هنا تتوجه نحو إثبات وقوع الـضر ومـا جاء بمعناه كالكفر والشر والسيئة والهلاك والمكر، وإثبات وقوع المـنفعة ومـا جاء بمعناها كالإنعام والخير والنجاة والحسنة، ولعل هذا التوجه بالعـدد الكبير من المجموع الكلي الذي بلغ أربعة وتسعين تقابلاً كما ذكرت سـابقاً، مؤشر إلى أحوال الكفار في الحياة الدنيا إذ يقفون بجانب ألفاظ الضر الـتي تشير إلى مسلكهم في حياتهم وأما ما يتعلق بألفاظ الخير فقد كانت تدل علـى معظم آياتها، إما على إظهار فضل الله الذي كفر به المشركون، أو على استبدال الهلاك والضر بها.

وأمـا القسم الثاني، فهو يتعلق بأحوال الكفار في الحياة الآخرة، وقد بلغـت تقابلاته ثمانية وثلاثين تقابلاً وتماثلاته ثلاثة وقد توزعت على كثير من الجوانب التي تتصل بالكفار يوم القيامة، إذ كشفت عن حالهم عند قيام الساعة، فوصـفتهم بأن قلوبهم تضطرب وأبصارهم خاشعة[٣٩٦]، ووصفت فزعهم من الـنفخ في الصور[٣٩٧]، ومن ثم فإنهم عندما يبعثون يرون أنهم لم يلبثوا في الموت عشية أو ضحاها[٣٩٨].

كمـا كشفت التقابلات والتماثلات أيضاً عن جانب آخر وهو تأكيد الله عز وجل قيام الساعة، وإدخال هؤلاء الكفار في جهنم ليعذبوا بما عملوا في حياتهم الدنيا[٣٩٩]، وقد تعددت المفردات في هذا الجانب نرصدها فيما يأتي:

الرقم	المفـــردات	عددها
١	ننساكم كما نسيتم	٣
٢	أبصرهم/ يبصرون	٢
٣	الجن/ والإنس	٢
٤	قلوب لا يفقهون بها/ أعين لا يبصرون	٢

الرقم	المفـــردات	عددها
٥	إلينا إيابهم/ ثم إن علينا حسابهم	١
٦	بما أتوا/ بما لم يفعلوا	١
٧	كذبوا بآياتنا/ عليهم العذاب	١
٨	القسط/ لا يظلمون	١
	المجمـــــوع	١٣

لا شـــك في أن المفـــردات جاءت في المجموعة الأولى والثانية تشير إلى أكـــيد عذاب الله عليهم، فهو سينساهم في جهنم كما كفروا في الحياة الدنيا به عز وجل، وسوف يبصرون في العذاب بإذنه يوم القيامة، ونلحظ تردد مفردتي (الجـــن/ والإنس) مرتين، وذلك إشارة إلى أن العذاب سيقع على كل من كفر مـــنهما، وتشارك المفردات الأخرى بتأكيد العذاب أيضاً، وإن جاءت مكررة مرة واحدة.

كما كشفت التقابلات جانباً آخر وهو وصف حال الكفار عند عذابهم في جهنم، وذلك أن العذاب سيقع على أجسادهم وعلى كل عضو منها[٤٠٠]. وقـــد وصفت حالهم كذلك هاربين من العذاب، ولكن أنّى لهم ذلك فالملائكة يصدونهم ويضربونهم حتى يرجعوا إلى جهنم[٤٠١]. وقد جاءت التقابلات تشير إلى شـــدة العذاب عليهم سواء أصبروا أم لم يصبروا[٤٠٢]. والواقع أن مفردات التقابل هـــنا قـــد كشفت بدقة عن صور تعذيبهم في جهنم، وحتى ندرك هذه الصور نرصد المفردات في الجدول الآتي:

الرقم	المفـــــردات	عددها
١	وجوههم/ وظهورهم	٣
٢	من فوقهم/ ومن تحتهم	٣
٣	لا يموت/ ولا يحيا	١
٤	أمتنا/ ولا يحيا	١
٥	لا برداً ولا شراباً/ حميماً وغساقاً	١
٦	لا تركضوا/ وارجعوا	١
٧	أغرقوا/ فادخلوا ناراً	١
٨	غدواً/ وعشياً	١
٩	اصبروا/ أو لا تصبروا	١
١٠	يأتيه الموت/ وما هو بميت	١
	المجمـــــــوع	**١٤**

نلحظ من المفردات في الجدول أن العذاب الذي يتصل بالمفردات رقم (١، ٢) أخـــذت مجموعاً أكبر من غيرها، ويمكن أن نلحظ أيضاً أن المفردات الـــتي تتـــصل بالمـــوت والحياة ونفيهما تأخذ عدداً كبيراً أيضاً إذ بلغت ثلاثة تقابلات، ومن ثم تتفرق المفردات إلى جهات مختلفة، ولكنها جميعاً تكشف عن ألـــوان العذاب في جهنم، ولا شك في أن تجمع المفردات رقم (١، ٢) والموت والحياة يسهم إسهاماً كبيراً في التأثير على الكافر في حياته الدنيا؛ لأنها تتصل به مباشرة مما تهيئ له تصوراً للعذاب في جهنم، إذ قد تكون وسيلة ناجعة لرجوعه إلى الإسلام.

كمــا تكــشف التقابلات أيضاً عن جانب مهم في أحوال الكفار في الآخرة، وهو ما يتعلق بتخلي من اتبعوهم في الدنيا عنهم يوم القيامة قال تعالى: ﴿ وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاء عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾[٤٠٣]. فالكفار يتوجهون إلى الإنسان الذي دعاهم إلى عبادة غير الله في الدنــيا لينقذهم من عذابه عز وجل فيتبرؤون منهم[٤٠٤]، ويأتي الشيطان في هذا المقام ليشهد على الكفار بأنهم ضلوا، وقد وعدهم فأخلفهم ويلقي بعد ذلــك اللــوم علــيهم[٤٠٥]. وتصور التقابلات أيضاً خذلان ما عبدوه لهم يوم القيامة، إذ لا يملكون لهم ضراً ولا نفعاً أمام عذاب الله عز وجل[٤٠٦].

وأمــا القسم الثالث، فهو يتعلق باعتراف الكفار بالله عز وجل، سواء أكــان ذلك في الحياة الدنيا أم في الآخرة، وقد بلغت تقابلاته اثني عشر تقابلاً، وقــد تــوزعت علــى اعترافهم به في الحياة الدنيا من خلال سؤالهم عن خلق (الــسموات والأرض)[٤٠٧]، أو إحياء الأرض بعد موتها[٤٠٨]. أما اعترافهم به والإيمــان في الحــياة الآخرة، فقد جاء بعدما تبين لهم أن الله هو الحق، وأن ما كانــوا يعبدونه باطل، وذلك من خلال تقابل (الإيمان، والكفر)[٤٠٩] إذ كانت المفــردة الأولى تــشير إلى إيمانهم به يوم القيامة، والثانية تشير إلى كفرهم به في الحياة الدنيا.

بعد أن تحدثنا عن تقابلات محور الكفر، وأقسامه بشكل تفصيلي، لابد مــن العودة إلى الحديث عنها بشكل مجمل، وذلك من خلال جانبين: الأول- النظــر في مجمــوع تقابلات كل قسم. والثاني- ننظر فيه إلى طبيعة المفردات المتكــررة في التقابلات من حيث معجميتها، وذلك لنكشف عن حركة المعنى داخل محور الكفر من خلال هذه المفردات.

فأمـــا الجانب الأول، فإننا نرصد مجموع تقابلاته وتماثلاته في الجدول الآتي:

الرقم	القسم	مجموع تقابلاته وتماثلاته	نسبته المئوية
١	وسائل دعوة الكفار إلى الإيمان	٢٦٦	٤٣,٦٨٪
٢	الكافرون والكفر	٢١٢	٣٤,٨١٪
٣	عناصر الكفر	١٣١	٢١,٥١٪
	المجمـــــوع	**٥٦٩**	**١٠٠٪**

نلحـــظ مـــن الجـــدول أن مجموع تقابلات وسائل الكفار إلى الإيمان وتماثلاته قد فاقت القسمين الآخرين، إذ أخذت نسبة ٤٣,٦٨٪ أي ما يقارب النـــصف، في حين أن نسبة قسم الكافرين والكفر انخفضت بنسبة واضحة عن القـــسم الأول، إذ بلغـــت ٢١,٥١٪، ولا شك في أن لهذه النسب مؤشرات كـــثيرة إذا مـــا نظرنا إليها من داخل محور الكفر، وفي آيات الكتاب الكريم، وذلك أن النسبة المرتفعة لقسم وسائل الدعوة تكشف عن شيئين: الأول توجه القـــرآن الكـــريم إلى الاهـــتمام بالإنسان بشكل عام، وذلك أنه كثيراً ما يأتي بالوســـائل القاطعـــة والدلائل الدامغة للإنسان حتى يتخلى عن كفره، ويعتنق الدين، ويمارس من خلال حياته معنى الإيمان. وأما الثاني، فيكشف عن أن الكفر صفة عامة، يتمسك بها هذا الإنسان. ولذلك كثرت الوسائل، واختلفت طرقها ودلائلـــها، ولا شك في أن وسائل الدعوة إلى الإيمان تحتل أهمية خاصة بمحور الكفـــر، وذلك أنها الطريق الوحيد الذي يمكن أن يغير بها مبدأ الكفر إلى مبدأ الإيمان.

ولا شـــك في أن ارتفـــاع مجموع قسم الكافرين والكفر بعد وسائل الدعوة يكشف عن أن طبيعة الكافر التي تتجه نحو الابتعاد عن التوحيد والعبادة والممارسات الخاطئة في حياته هي طبيعة متأصلة في نفسه، ومن هنا، كما أرى، ألحـــت التقابلات والتماثلات بشكل كبير على الحديث عن الكفار وتبيان ما يقعون فيه من أخطاء على مستويين: الأول- الأخطاء في الحياة الدنيا. والثاني- ما تؤدي إليه هذه الأخطاء في الحياة الآخرة من عذاب وجزاء سيئ.

وأما انخفاض مجموع تقابلات عناصر الكفر وتماثلاته فإنه يكشف عن توجه آيات القرآن الكريم إلى أنه أعطى اهتماماً لما يمكن أن يكون الأصل فيما ينقض معاني الإيمان كتكذيب الرسل وعدم الإيمان بالله، وبكتبه، وغير ذلك مما ذكـــر في هذا الفصل، ولكن هذا الاهتمام لم يكن واسعاً كما كان في القسمين الأول والـــثاني، ولعـــل ذلـــك متأت من طبيعة القرآن الكريم الذي يتوجه إلى الإنـــسان بالدعوة، وتعريفه بحاله، ليخلصه من كفره، وبالتالي من عذاب الله، فالقـــرآن إذن قد عالج مسألة الكفر من خلال وضع أسباب الكفر أمام عقول الكفـــار، ومن ثم حاول إرشاد الناس إلى الطريق المعاكس لكفرهم ولحالتهم في الكفر وهو طريق الإيمان والمؤمنين، وهو لا يتوجه إلى النقد المجرد حسب، وإنما يـــضع الحل والعلاج للخلل في حياة الإنسان، ونلحظ أنه يكثر من الحلول حتى يخلص الإنسان من الكفر في حياته.

وأمـــا الجانب الثاني، فهو تشكيل مفردات التقابل والتماثل من خلال المعجم الجامع لهذه المفردات، نرصد مفرداته في الجدول الآتي:

الرقم	معجم المفردات	عددها	نسبتها المئوية
١	ألفاظ تنتمي إلى الكفر	١٦٦	%١٧,٣٥
٢	ألفاظ السماء	٩٠	%٩,٤٠
٣	ألفاظ الأرض	٩٠	%٩,٤٠
٤	ألفاظ تنتمي إلى الإيمان	٧٧	%٨,٠٥
٥	ألفاظ تنتمي إلى الحياة	٦٣	%٦,٥٨
٦	ألفاظ تنتمي إلى الموت	٥٥	%٥,٧٥
٧	ألفاظ تنتمي إلى الجهات الستة	٤٢	%٤,٣٩
٨	ألفاظ تنتمي إلى الليل	٣٩	%٤,٠٨
٩	ألفاظ تنتمي إلى النهار	٣٩	%٤,٠٨
١٠	ألفاظ تنتمي إلى العذاب	٣٦	%٣,٧٦
١١	ألفاظ تنتمي إلى النفع	٢٩	%٣,٠٣
١٢	ألفاظ تنتمي إلى الضر	٢٨	%٢,٩٣
١٣	ألفاظ تنتمي إلى الإظهار	١٨	%١,٨٨
١٤	ألفاظ تنتمي إلى الإخفاء	١٨	%١,٨٨
١٥	ألفاظ الدنيا	١٨	%١,٨٨
١٦	ألفاظ الآخرة	١٨	%١,٨٨
١٧	ألفاظ تنتمي إلى الكذب	١٨	%١,٨٨
١٨	ألفاظ تنتمي إلى الحق	١٤	%١,٤٦
١٩	ألفاظ تنتمي إلى المغفرة	١١	%١,١٥
٢٠	ألفاظ تنتمي إلى الصدق	٩	%٠,٩٤
٢١	ألفاظ تنتمي إلى نفي الضر ونفي النفع	٩	%٠,٩٤

الرقم	معجم المفردات	عددها	نسبتها المئوية
٢٢	ألفاظ تنتمي إلى النار	٨	٠,٨٤%
٢٣	ألفاظ تنتمي إلى الجنة	٨	٠,٨٤%
٢٤	ألفاظ تنتمي إلى الرزق القليل	٨	٠,٨٤%
٢٥	ألفاظ تنتمي إلى الباطل	٨	٠,٨٤%
٢٦	ألفاظ تنتمي إلى العدل	٧	٠,٧٣%
٢٧	ألفاظ تنتمي إلى الرزق الكثير	٧	٠,٧٣%
٢٨	ألفاظ التحريم	٥	٠,٥٢%
٢٩	ألفاظ تنتمي إلى الاستهزاء	٥	٠,٥٢%
٣٠	ألفاظ الغيب	٥	٠,٥٢%
٣١	ألفاظ الشهادة	٥	٠,٥٢%
٣٢	الألفاظ المحايدة	٤	٠,٤٢%
	المجمـــــوع	**٩٥٧**	**١٠٠%**

لا شك في أن أولى الملاحظات على معجم الألفاظ هنا أن الألفاظ التي تنتمـــي إلى الكفر قد أخذت نسبة عالية بالقياس إلى الألفاظ الأخرى، إذ بلغت ١٧,٣٥% ولعـــل هذه النسبة المرتفعة تكشف عن أن الكفار يتوجهون بشكل عام إلى تحقيق معنى الكفر في حياتهم، وهي نسبة منسجمة مع محور الكفر.

ونلحـــظ أيـــضاً أن نسبتي ألفاظ السماء والأرض متساويتان في محور الكفـــر، ولعل السبب هنا أن هذه الألفاظ لا تكمن في معنى الكفر إذ كثيراً ما جـــاءت في سياق الدلائل على وجود الله ووحدانيته وقدرته على إتيان الفضل

وغيره، إلا أن هذا لا يعني عدم فاعليتها في محور الكفر، فهي ذات فاعلية تتجه إلى تحويل الكفار إلى الإيمان من خلال الدلائل الدامغة على وجود خالق السماء والأرض.

ولعل الألفاظ التي تنتمي إلى الإيمان والتي بلغت نسبتها ٨,٠٥% تشكل أهمية خاصة بربطها بألفاظ الكفر، فهي تقل عن ألفاظ الكفر بما يقارب النصف، وهذا مؤشر إلى عدم توجه الكفار إلى الإيمان من جهة، وإلى أن آيات القرآن الكريم حاولت أن تتوجه بالكافر نحو الإيمان من خلال اقتران ألفاظ الإيمان بألفاظ الكفر حتى تكون حافزاً له على الإيمان من جهة أخرى.

وإذا ما نظرنا إلى ألفاظ الحياة التي شكلت نسبة ٦,٥٨% وألفاظ الموت التي شكلت نسبة ٥,٧٥% فإننا نلحظ ارتفاع نسبة ألفاظ الحياة، وانخفاض نسبة ألفاظ الموت، ولعل هذا يكشف عن طبيعة الكافر الذي يتوجه في ممارساته إلى أن يتعلق بالحياة ومتاعها دونما اهتمام بما يتعلق بالموت، وما يحدث من بعده؛ لأنه في الأصل ينكر البعث والحساب بعده.

ومن ثم نلحظ تساوي نسبة ألفاظ الليل والنهار التي بلغت ٤,٠٨% لكل واحد منهما، ولعل ذلك متأت من السبب نفسه في ألفاظ السماء والأرض، وذلك أن الليل والنهار عنصران مساعدان لإبراز صفة قدرة الله على الخلق وبالتوجه بالكافر إلى التمعن في خلق الليل والنهار.

ومن الملاحظ أيضاً أن ألفاظ العذاب قد بلغت نسبة عالية ٣,٧٦% إذا ما قيست بنسبة ألفاظ المغفرة، ويبدو لي أن هذا الارتفاع في ألفاظه منسجم مع طبيعة عمل الكفار في الحياة الدنيا، وبالتالي فإن عمله الفاسد المبتعد عن الإيمان وعن معانيه يؤدي به إلى العذاب في الدنيا والآخرة، ولكن ورود ألفاظ المغفرة بنسبتها البالغة ١,١٥% مؤشر إلى أن الله سبحانه وتعالى يفتح باب المغفرة

للكفار، إذا ما رجعوا عن كفرهم إلى الإيمان. فالمغفرة مرتبطة بالإيمان، والعذاب مرتبط بالكفر، وهذا ما يفسر ارتفاع نسبتي الكفر والعذاب إذا ما قيستا بنسبتي الإيمان والمغفرة.

ومـــن المدهش حقاً أن نجد نسبة ألفاظ النفع في محور الكفر مرتفعة إذ بلغـــت ٣,٠٣% إذا ما قيست بنسبة ألفاظ الضر التي بلغت ٢,٩٣%، ولعل السبب في ذلك أن الكافر في حياته الدنيا يتجه دائماً نحو المنفعة. ويمكن هنا أن نرجع قليلاً إلى ألفاظ الحياة والموت ونقارن بينها وبين ألفاظ المنفعة والضر، إذ إنـــنا نجـــد أن نسبتي ألفاظ الحياة والمنفعة مرتفعتان، بالقياس إلى ألفاظ الموت والضر، وهذا يكشف عن حقيقة الكافر الذي يتوجه إلى التمتع في الحياة الدنيا.

ثم إنـــنا إذا نظـــرنا إلى ألفاظ الدنيا والآخرة، فإننا نجدها متساوية في النـــسبة الـــتي بلغـــت ١,٨٨% لكل منهما، ولعل السبب في ذلك أن الآيات الكـــريمة قـــد صـــنعت توازناً بينهما من أجل تخليص الكافر من الحياة الدنيا ومـــتاعها، وترهيبه منها. وبالتالي ترغيبه في الحياة الآخرة من خلال تحويله من الكفر إلى الإيمان.

ولعلنا نلحظ أيضاً ارتفاع نسبة ألفاظ الكذب التي بلغت ١,٨٨% إذا مـــا قيـــست بألفاظ الصدق التي تدنت نسبتها إلى ٠,٩٤% ويبدو لي أن هذا يكشف عن حقيقة الكافر في حياته بأنه يتوجه دائماً إلى صفة الكذب.

ولا شك في أن المفارقة التي وقعت بين نسبة ألفاظ الحق البالغة ١,٤٦% ونـــسبة ألفـــاظ الباطل البالغة ٠,٨٤% تكشف عن شيء مهم في محور الكفر وهـــو أن الله ســـبحانه وتعـــالى قد جعل نصرته للحق فوق الباطل الذي يأتيه الكافرون.

ومن المدهش أيضاً أننا نجد أن نسبة ألفاظ نفي الضر ونفي النفع بلغت ٠,٩٤% وهي نسبة متساوية إذا ما قسمت على طرفي التقابل (نفي الضر/ نفي النفع)، ولعل ذلك مؤشر إلى أن الآيات الكريمة تتوجه إلى إبطال المنفعة والضر اللذين يتعلقان بما عبده الكفار، إذ إنه لو حدث تفاوت في النسبتين هنا، لأعطى مؤشراً آخر وهو تغلب أحدهما على الآخر، وبالتالي فقد يشير إلى إعطاء بعض الأوثان القدرة على الضر أو النفع.

وإذا ما ذهبنا إلى ألفاظ الإظهار والإخفاء بألفاظ الغيب والشهادة، فإننا نجد أن نسبتي الألفاظ الأولى متساوية إذ بلغت نسبة كل واحدة منهما ١,٨٨%، ونسبتي الألفاظ الثانية متساوية إذ بلغت نسبة كل واحدة منهما ٠,٥٢% ولعل هذا التساوي يشير إلى أن اجتماع الإظهار والشهادة واجتماع الإخفاء والغيب، ومن ثم جمع الطرفين معاً، هو مؤشر إلى أن الذي يتصف بهما قادر على خلق التوازن وخصوصاً إذا ما أدركنا أنها تتعلق بالله عز وجل وخاصة بعلمه.

وإذا ما نظرنا إلى نسبتي ألفاظ الجنة وألفاظ النار، فإننا نجد أنهما متساويتان، إذ بلغت نسبة كل واحدة منهما ٠,٨٤% ولعل السبب في ذلك هو أنها وقعت في الحديث عن الترغيب بالجنة والترهيب من النار، وبالتالي فهي متوازنة، وذلك أنها كانت تتوجه إلى إظهار ما يدور في الجنة، وإظهار ما يقابله مما يدور في النار.

ويمكننا أخيراً أن ننظر إلى نسبة ألفاظ الرزق القليل البالغة ٠,٨٤% وإلى نسبة ألفاظ الرزق الكثير البالغة ٠,٧٣% إذ إننا نجد أن ثمة فارقاً ولو كان قليلاً، ولعل السبب في ذلك متأت من عدم اعتراف الكفار بمقدرة الله عز وجل على إرزاقهم منطلقين في ذلك من مبدأ الإنكار لوجوده ووحدانيته.

تقابلات بين محوري الإيمان والكفر:

بعد أن تحدثنا عن تقابلات محور الإيمان ومحور الكفر نأتي لنتحدث عن تقابلات مشتركة بين المحورين، وذلك أن هذه التقابلات وقعت في الآيات الكريمة التي تجمع المحورين معاً، ولدى استعراضي لهذه الآيات وجدت أنها تنقسم ثلاثة أقسام، هي:

القسم الأول، يتعلق بتقابل معاني العقيدة بين المؤمنين والكفار. إذ توجهت الآيات الكريمة في هذا القسم من خلال تقابلاته إلى المعتقد الديني للمؤمنين وما يناقضه مما يعتقد به الكفار، وقد بلغت التقابلات هنا ستة وعشرين تقابلاً تحدث معظمها عن معنى الإيمان والكفر، كما في قوله تعالى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[٤١٠]. ولا شك في أن هذه الآيات تبين الفوارق الخاصة بين المؤمن المتمثل بالرسول صلى الله عليه وسلم الذي يعبد الله دون غيره، وبين الكافر الذي توجه بعبادته إلى غير الله عز وجل، وتكشف الآيات أيضاً عن تقسيم الناس من حيث العقيدة إلى مؤمن وإلى عابد للأصنام كافر[٤١١]. ووضحت الآيات أيضاً أن من يتبع الله، فإنه يخرج من الظلمات إلى النور، وأن من يتبع غيره، فإنه يخرج من النور إلى الظلمات[٤١٢]، وتبين الآيات أيضاً أهمية العقيدة في الآخرة، كما في قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾[٤١٣].

وكما توجهت الآيات الكريمة إلى الحديث عن الإيمان بالكتاب ونقضه[٤١٤]، ووضحت كذلك الفرق بين المؤمن والكافر فيما يتعلق بشأن الحياة الآخرة، فالكفار يستعجلون هذا اليوم. وأما المؤمنون، فإنهم مشفقون على أنفسهم منه[٤١٥].

وقد صنعت الآيات مفارقة بين المؤمنين الذين ينفقون وبين الكفار الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم وابتعدوا عن الصدقات[٤١٦].

وقد جاءت التقابلات هنا بمفردات مختلفة تدور حول محورين هما محور الإيمان، ومحور الكفر، ومن استقرائي لألفاظ الإيمان وجدت أنها بلغت ستاً وأربعين مفردة، في حين بلغت ألفاظ الكفر ثلاثاً وأربعين مفردة، ولا شك في أن هذا الفارق بين مفردات المحورين، وإن كان بسيطاً، يشير إلى توجه الآيات الكريمة نحو معاني الإيمان، ويؤيد هذا التوجه ما رأيناه في محور الإيمان من أن ألفاظه قد فاقت ألفاظ الكفر.

وأما القسم الثاني، فإنه يتعلق بتقابل حال المؤمنين بحال الكفار في الحياة الدنيا، وقد بلغت تقابلاته سبعة وعشرين تقابلاً. وقد استغرقت كثيراً من أحوالهم في الدنيا، إذ بينت أن الله سبحانه وتعالى ينصر عباده المؤمنين، ويخذل الكافرين[٤١٧]، كما بينت أن المؤمنين يقاتلون في سبيل الله في حين إن الكفار يقاتلون في سبيل الطاغوت[٤١٨].

وأشارت أيضاً إلى أن المؤمنين لا سلطان عليهم من الشيطان وإنما سلطانه على الكفار[٤١٩]، فمن يتبع الشيطان فهو الخاسر، ومن يتبع الله فهو المفلح[٤٢٠].

وبينت أن المؤمنين يتبعون الحق في حياتهم الدنيا بينما الكفار يتبعون الباطل[٤٢١]، وأن قلوب المؤمنين خاشعة لذكر الله وقلوب الذين كفروا قست وهم فاسقون[٤٢٢].

والواقع أن مفردات التقابلات هنا قد أظهرت تجمعاً كبيراً في جهة المؤمنين، إذ بلغت مفرداتها ثمانياً وستين مفردة، في حين تدنت مفردات الكفار إذ بلغت تسعاً وأربعين مفردة، ولعل السبب في ذلك يكمن في أن الآيات تتوجه إلى ترجيح كفة الإيمان على الكفر في الحياة الدنيا، وهذا ما لاحظناه في القسم السابق.

وأما القسم الثالث، فهو يتعلق بحال المؤمنين وحال الكفار في الآخرة، وقد بلغت تقابلاته مائة وواحداً، وقد جاءت تصور حال المؤمنين في الجنة، وحال الكفار في النار. وقد تحدثت آيات القرآن الكريم في هذا القسم عن جانبين: الأول هو أن الله سبحانه وتعالى قد وعد المؤمنين بالجنة والكافرين بالنار[٤٢٣]، وقد كان هذا الوعد بالجزاء مؤدياً إلى الجانب الثاني الذي هو مشاهد الجنة والنار يوم القيامة، إذ جاءت آيات كثيرة تكشف عن هذه المشاهد، ويمكننا أن ندرك طبيعة هذه المشاهد من إحدى السور القرآنية الكريمة التي ترصد لنا تقابلات كثيرة، تصور من خلالها حال المؤمنين وحال الكفار، ولنأخذ **سورة الواقعة**، إذ تحدثت آياتها من الآية الثامنة إلى الآية السادسة والخمسين عن هذا المشهد[٤٢٤]. وجاءت الآيات في هذا المشهد بمفردات متقابلة وصفت في طرفها الأول أصحاب الجنة وفي طرفها الثاني أصحاب النار، وقد بدأت التقابلات بإحداث وصف للطرفين، إذ وصفت المؤمنين بأصحاب (الميمنة) والكفار بأصحاب (المشئمة) ثم وصفت المؤمنين بأصحاب (اليمين) والكفار بأصحاب (الشمال)، ولا شك في أن هذا الوصف مدخل أساسي لوصف حاليهما يوم القيامة، فالكفار أصحاب النار والمؤمنون أصحاب الجنة، وكل يأخذ كتابه. ولكن المؤمنين يأخذونه باليمين والكفار يأخذونه بالشمال. ثم أخذت الآيات تصف حاليهما بطريقة التقابلات، فأصحاب الجنة ﴿**على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين**﴾ في حين أن الكفار أصحاب النار في ﴿**سموم وحميم**﴾ وشتان ما بين الوضعين إذ إن الوضع الأول عيش رغد مريح، فهم يشربون الماء البارد من كأس لا تنضب، في حين إن الكفار في وضع العذاب من ريح السموم والماء الحار

المهلك، وأمام هذا الشراب الحميم الحار للكفار يشرب المؤمنون الخمرة التي لا تنصدع لها الرؤوس ولا تسكرهم فتذهب بعقولهم. ومن ثم تزيد التقابلات وصفاً جديداً لحال المؤمنين وهو أنهم يأكلون من ﴿ **فاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون** ﴾ في حين إن الكفار يأكلون من ﴿ **شجر من زقوم فمالؤون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم** ﴾ والواقع أن ثمة فرقاً بين الحالين، وهما حال النعيم وحال العذاب، ومن ثم تزيد الآيات مفردات للتقابل في طرف المؤمنين تبين ما لهم من نعم في الجنة تتعلق بمأكلهم، مثل: ﴿ **سدر مخضود** ﴾ و ﴿ **فاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة** ﴾ وهذه المفردات جميعاً تتقابل بـ ﴿ **شجر من زقوم** ﴾ ومن ثم تكرر الآيات المفردات التي تتعلق بأصحاب الجنة، مثل: ﴿ **ماء مسكوب** ﴾ التي تتقابل بالماء الحميم عند أصحاب النار، ومثل: ﴿ **فرش مرفوعة** ﴾ و ﴿ **حور عين** ﴾ و ﴿ **لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قيلاً سلاماً سلاماً** ﴾.

لا شك في أننا أمام هذا المشهد نلحظ غلبة مفردات التقابل التي تتعلق بالمؤمنين على مفردات التقابل التي تتعلق بالكفار، وما هذا إلا لإظهار نعيم المؤمن في الجنة، وبالتالي فإن هذا المشهد وأمثاله يؤدي وظيفة مهمة في إقناع الكفار بالعدول عن كفرهم وتوجههم نحو الإيمان بالله عز وجل، ومن هنا يمكننا أن نفهم طبيعة الآيات الكريمة التي تتعلق بحال المؤمنين والكفار يوم القيامة، إذ إننا عند إحصائنا للمفردات التي ترددت في التقابلات هنا، وجدنا أن المفردات التي تتصل بالمؤمنين تفوقت على المفردات التي اتصلت بالكفار، إذ كان مجموع المفردات في الجانب الأول ثلاث مائة وتسعاً وثمانين مفردة في حين كانت مجموع المفردات في الجانب الثاني ثلاث مائة وأربع عشرة مفردة.

ثالثاً: محور النفـــاق:

إن محـــور الـــنفاق هـــو المحور الثالث من محاور القرآن الكريم في هذا الفـــصل، والواقع أنه قد جاء بتقابلات متعددة شملت عدداً من الأقسام بلغت ستة أقسام.

أمـــا القـــسم الأول فهو المنافقون والعقيدة، وقد بلغت تقابلاته ثلاثين تقابلاً وتماثلاته تماثلين، وقد توزعت على أكثر من مجال من مجالات العقيدة، إذ كـــان أهمهـــا إثبات كفرهم، وقد أظهرت حال المنافقين من حيث إظهارهم للإيمـــان وإخفاؤهم للكفر، فالمنافقون كانوا يدعون الإيمان بألسنتهم، ويخفون الكفـــر في صـــدورهم(٤٢٥) ومـــن ثم بينت أن هؤلاء المنافقين قد كفروا بعد إيمـــانهم(٤٢٦). وأشـــارت إلى حقـــيقة كفرهم بأنهم يخفون في صدورهم ما لا يعلـــنون(٤٢٧)، ولا شـــك في أن المـــنافقين بأعمالهم هذه وبصدهم عن الإيمان يكونـــون قـــد استبدلوا المتاع الدائم(٤٢٨)، واشتروا بذلك الكفر بالإيمان(٤٢٩)، والضلالة بالهدى(٤٣٠).

كمـــا بيـــنت الآيات إعراض المنافقين عن العقيدة تكبراً منهم إذ إنهم اتبعوا ما جاء به محمد عليه السلام؛ لأن الضعفاء من الناس قد اتبعوه(٤٣١).

وكما أظهرت الآيات كفر هؤلاء المنافقين بما جاء في الكتاب، إذ إنهم أظهـــروا إيمـــانهم بـــه وأخفوا كفرهم بآياته(٤٣٢). وثمة صورة أخرى لكفرهم بالكتاب، وهي أنهم أنكروا بعض آياته وآمنوا ببعضها الآخر(٤٣٣).

والواقـــع أن مفردات التقابل في هذا القسم تنوعت واختلفت، وحتى ندرك هذا الاختلاف نرصدها في الجدول الآتي:

الرقم	المفــــردات	العدد
١	إثبات الإيمان/ وإثبات الكفر	١٤
٢	إثبات الإيمان ونفيه	٣
٣	الضلالة/ والهداية	٣
٤	يسرون/ ويعلنون	٣
٥	يتحاكمون إلى الطاغوت/ أن يكفروا به	١
٦	انصرفوا/ صرف الله قلوبهم	١
٧	تهدون/ أضل الله	١
٨	نخوض ونلعب/ تستهزئون	١
٩	أعطوا ورضوا/ لم يعطوا ويسخطون	١
١٠	الخبيث/ والطيب	١
١١	الدنيا/ والآخرة	١
١٢	فتمنوا الموت/ لن يتمنوه	١
١٣	يقولون طاعة/ غير الذي قيل	١
	المجمـــــوع	**٣٢**

إن من الملاحظ على مفردات هذه التقابلات والتماثلات أن المفردات الــتي تنتمي إلى ثنائية (الكفر/ والإيمان) سواء بالإثبات أم بالنفي، وسواء بمعنى الضلالة أو الهداية قد غلب على التقابلات في هذا القسم، ولعل السبب في ذلك أن الآيــات الكريمة بمتقابلاتها قد توجهت إلى إظهار حقيقة المنافقين في عقيدتهم التي أخذت معنى مناقضاً للإيمان.

وأمـا القـسم الثاني، فهو المنافقون ومواقفهم من المؤمنين، وقد بلغت تقابلاتـه سبعة عشر تقابلاً، وقد أظهر بعضها موقف المنافقين الذين يتربصون بالمـسلمين، فهم ينتظرون إما أن يشركوهم بالغنائم التي يحصل عليها المسلمون من المعارك والغزوات أن ينتظروا هلاك المسلمين واستشهادهم في الغزوات[٤٣٤]. ومـن مواقفهم أيضاً أنه إذا ما أصاب المؤمنين أمر من الأمور السيئة أو أحرزوا أمـراً حـسناً، فـإنهم يذيعونه ويفشون سره بين الناس[٤٣٥]. وقد وقفوا منهم كـذلك موقـف العداء إذ عدوا المؤمنين أذلة وعدوا الكفار أعزة[٤٣٦]. ومن المواقـف الـتي تكـشف عن كفرهم الحقيقي إزاء المسلمين أنه إذا ما أصابت المـسلمين حسنة، فإنهم يستاؤون، وإذا ما أصابهم سوء، يفرحون لذلك[٤٣٧]، وكذلك بينت موقفهم الحقيقي الذي ينبع من معتقدهم الفاسد بأنه إذا أصابتهم حسنة، قالوا من عند الله، وإذا أصابتهم سيئة، قالوا هذه من عند الرسول عليه السلام[٤٣٨].

وكمـا بيـنت الآيات الفارق بين موقف المؤمنين الذين يحبون هؤلاء المنافقين على أساس أنهم مؤمنون، وموقف المنافقين الذين لا يحبون المؤمنين[٤٣٩]. وقـد غلـبت المخادعة على مواقف المنافقين تجاه المؤمنين، إذ صورتهم الآيات الكريمة بأنهم يخادعون المؤمنين، ويخادعون الله عز وجل، ولكنها ردت لهم هذه المخادعـة؛ لأنهـم إنما يخدعون أنفسهم[٤٤٠]، والمخادعة هنا تظهر في مظاهر مخـتلفة كإبـرام العهـود ونبذها[٤٤١]، وكالإنفاق رياء[٤٤٢]، وكالقسم بأنهم مؤمنون وهم ليسوا كذلك[٤٤٣]. ولم تقتصر المخادعة لديهم على المؤمنين، وإنما امـتدت إلى أهل الكتاب الذين كفروا بأنهم يعدونهم بالمدافعة عنهم، ونصرتهم، ولكنهم كذبوا في وعدهم[٤٤٤].

وأما القسم الثالث فهو موقفهم من الجهاد في سبيل الله، وقد بلغت تقابلاته سبعة تقابلات، كشفت عن تباطؤ المنافقين عن الخروج إلى القتال في سبيل الله، وقد عبرت الآيات بصور مختلفة عن هذا الجانب، إذ كان المنافقون يختلقون الأعذار لئلا يخرجوا[٤٤٥]، كأن يدعون بأن بيوتهم عورة فلا يستطيعون أن يخرجوا، وما هي كذلك[٤٤٦]. وكانوا يقولون لو أخر القتال إلى أجل قريب، وذلك عندما كتب القتال على المسلمين[٤٤٧]. وقد أكدت الآيات الكريمة أن هؤلاء المنافقين لا يخرجون في سبيل الله للجهاد، وإنما الذي يخرج هو من آمن بالله واليوم الآخر[٤٤٨]. ولذلك فإن الله عز وجل طلب من الرسول الكريم أن لا يأذن لهم بالخروج لقتال الأعداء لما لهم من مواقف تشير إلى تخاذلهم وامتناعهم عن القتال معه صلى الله عليه وسلم[٤٤٩].

وأما القسم الرابع فهو حال المنافقين في الحياة الدنيا، وقد بلغت تقابلاته تقابلين كشفا عن أنهم قوم مفسدون في الأرض لا يصلحون وإن كانوا يدعون الإصلاح[٤٥٠].وأنهم أيضاً قد خلطوا العمل الصالح بالعمل الفاسد[٤٥١].

وأما القسم الخامس فهو المنافقون والعذاب، وقد بلغت تقابلاته سبعة تقابلات، كشفت عن أن الله سبحانه وتعالى لن يغفر لهؤلاء المنافقين ما صنعوا في حياتهم الدنيا[٤٥٢]. وتؤكد بأن الله لن يظلم هؤلاء المنافقين في الحساب، وإنما سيلقون جزاء ما كانوا يفعلون[٤٥٣]. وسيكون جزاؤهم العذاب في جهنم يضربون فيها على وجوههم وأدبارهم؛ وذلك لأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه[٤٥٤].

وأما القسم السادس، فهو المنافقون بين الترهيب والترغيب، وقد بلغت تقابلاته خمسة عشر تقابلاً، وتوزعت على مجالين: الأول- الترهيب وحده، وقد بلغت تقابلاته خمسة تقابلات، والثاني- الترهيب والترغيب معاً، وقد بلغت

تقابلاتـــه عـــشرة تقابلات. وقد جاءت التقابلات في المجال الأول تكشف عن ترهيبهم من عذاب الله سبحانه وتعالى(٤٥٥)، وأنه يعلم كل شيء سواء أكان في الحاضـــر أم في الغيب(٤٥٦)، وترهبهم أيضاً مما يبطنون ويخفون من كفر؛ وذلك لأنه يعلم حقيقتهم(٤٥٧)، كما ذهبت الآيات إلى ترهيبهم من إنفاقهم رياء أمام النـــاس(٤٥٨)، وأنهم لن يجدوا غير الله ولياً ونصيراً، إذ إنه إذا أراد بهم سوءاً أو رحمة أوقعهما عليهم(٤٥٩).

وأما الآيات في المجال الثاني وهو الترهيب والترغيب، فقد كشفت عن ترهيبهم من الإعراض عن الإيمان وترغيبهم بالإيمان، والجهاد في سبيل الله(٤٦٠). وقد رغبتهم الآيات بالأعمال الحسنة ورهبتهم من الأعمال السيئة(٤٦١).

بعد أن تحدثنا عن أقسام محور النفاق حديثاً مفصلاً نأتي لنتحدث عنها حديثاً عاماً من خلال ملاحظاتنا على مجموع تقابلاتها وتماثلاتها ولذلك نرصدها في الجدول الآتي:

الرقم	القســـم	مجموع تقابلاتها وتماثلاتها	نسبتها المئوية
١	المنافقون والعقيدة	٣٢	٤٠٪
٢	المنافقون ومواقفهم من المؤمنين	١٧	٢١,٢٥٪
٣	المنافقون بين الترهيب والترغيب	١٥	١٨,٧٥٪
٤	المنافقون والجهاد في سبيل الله	٧	٨,٧٥٪
٥	المنافقون والعذاب	٧	٨,٧٥٪
٦	المنافقون في الحياة الدنيا	٢	٢,٥٠٪
	المجمـــــوع	٨٠	١٠٠٪

لا شــك في أننا نلحظ أن تقابلات قسم المنافقين والعقيدة وتماثلاته قد أخذت مجموعاً كبيراً يكاد يقارب نصف النسبة المئوية من المجموع الكلي إذ بلغ ٤٠%، ولعــل السبب في ذلك متأت من أهمية العقيدة في تحديد حقيقة المنافق، إذ إن المنافق إذا ما أظهر تماسكاً بمعاني العقيدة وأخفى ما ينقضها، فإن ذلك هو الذي يحدد حقيقته وصفاته. ومن ثم نلحظ أن تقابلات قسم المنافقين ومواقفهم من المؤمنين تأخذ مجموعاً عالياً بالقياس إلى الأقسام الأخرى إذ بلغت ٢١,٢٥ % ولعــل هذا متأت من طبيعة سلوك المنافق في الحياة الدنيا، هذه الطبيعة التي تتوجه نحو العداء للمسلمين إذ يحاول المنافقون أن يتظاهروا لهم بإيمانهم خوفاً أو طمعــاً في الحياة الدنيا، ولذلك من الطبيعي أن تظهر في سلوكهم مواقف سلبية من المسلمين.

ولعل ارتفاع تقابلات الترهيب والترغيب أيضاً بالنسبة لسائر الأقسام يــشير إلى أن الله ســبحانه وتعالى، بعد أن كشف ابتعاد المنافقين عن العقيدة، وأظهر ممارساتهم ضد المسلمين، أراد أن يثنيهم عن كفرهم بترهيبهم من عذابه، وتــرغيبهم في العمــل الصالح والإيمان علهم يرجعون إليه عز وجل. ومن هنا كانــت الــتقابلات مرتفعة نسبياً، ولا شك في أن الأقسام الأخرى تسهم في إظهــار حقــيقة المنافقين في آيات القرآن الكريم. فهي تشكل أبعاداً مهمة في الأقــسام السابقة وذلك أن نفاقهم هو الذي أوصلهم إلى الامتناع عن الجهاد، وبالتالي أوصلهم إلى العذاب وممارسة الفساد في الأرض.

وأمــا عن طبيعة تشكيل المعجم اللفظي لتقابلات محور النفاق وتماثلاته فيمكن أن ندركها من الجدول الآتي:

الرقم	المفردات	مجموعها	نسبتها المئوية
١	ألفاظ تنتمي إلى الكفر	٤٤	٣١,٤٣%
٢	ألفاظ تنتمي إلى الإيمان	١٨	١٢,٨٦%
٣	ألفاظ تنتمي إلى العذاب	١٤	١٠%
٤	ألفاظ تنتمي إلى السيئات	١٢	٨,٥٧%
٥	ألفاظ تنتمي إلى الحسنات	١١	٧,٨٦%
٦	ألفاظ تنتمي إلى الظاهر	٧	٥%
٧	ألفاظ تنتمي إلى الباطن	٧	٥%
٨	ألفاظ الدنيا	٧	٥%
٩	ألفاظ الآخرة	٧	٥%
١٠	ألفاظ تنتمي إلى الفرح	٤	٢,٨٦%
١١	ألفاظ تنتمي إلى المغفرة	٣	٢,١٤%
١٢	ألفاظ تنتمي إلى الكره	٣	٢,١٤%
١٣	ألفاظ تنتمي إلى الصلاح	٣	٢,١٤%
	المجمـــــوع	**١٤٠**	**١٠٠%**

إن أولى الملاحظـات على هذا المعجم أن الألفاظ التي تنتمي إلى الكفر قـد أخذت نسبة عالية بالقياس إلى سائر الألفاظ، وإذا ما قسناها بالألفاظ التي تنتمـي إلى الإيمان فإننا نجدها تزيد عنها كثيراً، ولعل السبب في ذلك يكمن في أن آيـات القـرآن الكـريم أرادت أن تكشف عن حقيقة المنافقين، وهي أنهم كافـرون في عقـيدتهم ويتصفون بكل ما يتصف به الكفار. ولا شك في أن ارتفـاع هـذه النسبة جاءت منسجمة مع محور النفاق الذي قد يعد جزءاً من محور الكفر.

ثم إننا إذا ما ذهبنا لنقارن بين نسبة ألفاظ العذاب وألفاظ المغفرة، فإننا نجـد أن ثمة فارقاً كبيراً بينهما، إذ بلغت نسبة ألفاظ العذاب ١٠% في حين لم تبلغ نسبة ألفاظ المغفرة سوى ٢,١٤%. وهذا مؤشر إلى حقيقة مصير المنافقين التي تؤول بالتالي إلى النار يوم القيامة، وهذه نسبة منسجمة مع محور النفاق.

ومن المدهش أيضاً أن نجد أن الألفاظ التي تنتمي إلى السيئات تزيد ولو قليلاً عن نسبة الألفاظ التي تنتمي إلى الحسنات وهذا أيضاً مؤشر إلى وصف حالتهم في الدنيا والآخرة.

ومـن الملاحظـات الأخرى على هذا الجدول أن نسبة ألفاظ الظاهر والباطن قد تساوت، كما هي الحال في ألفاظ الدنيا والآخرة، ولعل هذا متأت مـن أن الألفـاظ الأولى (الظاهـر والباطن) تتعلق بعلم الله عز وجل بسرهم وجهرهم وبالغيب والشهادة. أما ألفاظ الدنيا والآخرة، فتساويها متأت من أنها لا تتـصل مباشرة بمعنى النفاق، وإنما هي ألفاظ عامة تحتوي على أحوالهم، وإن كانت تشير إلى تشابه حالهم في الحياتين الدنيا والآخرة.

ولا شـك في أن سائر الألفاظ تشكل عاملاً مساعداً في الكشف عن محور النفاق فألفاظ الفرح التي جاءت بنسبة متدنية بلغت ٢,٨٦% تكشف عن حـالهم في الحياة الدنيا إذ إنهم يلهون، ويلعبون، ولكنه لهو ولعب قصير المدى يتساوى مع متاع الدنيا نفسها.

وقـد ظهرت ألفاظ الكره أيضاً بنسبة منخفضة بلغت ٢,١٤% ولعل هذا يشير إلى أنهم تمتعوا بصفة الكره في حياتهم الدنيا التي تشير إلى الحياة الزائلة القـصيرة، وأما الألفاظ التي تنتمي إلى الصلاح، فقد جاءت منخفضة أيضاً إذ تكـشف عـن أن صـلاح المنافقين ليس له أثر في الحياة الدنيا مقابلاً لسيئاتهم ولكفرهم ولممارساتهم في الدنيا.

تقابلات بين محوري الإيمان والنفاق:

بعد أن تحدثنا عن تقابلات محور النفاق وتماثلاته نتحدث عن التقابلات التي وقعت بين الآيات الكريمة التي تجمع محور النفاق إلى محور الإيمان. وقد بلغت هذه التقابلات أربعة عشر تقابلاً، توزعت على أربعة مجالات:

المجال الأول- العقيدة:

كشفت التقابلات في هذا المجال عقيدة المؤمنين الصالحة وعقيدة المنافقين الفاسدة، فالمنافقون يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف في حين أن المؤمنين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر(٤٦٢). والمؤمنون تزيدهم سور القرآن الكريم إيماناً، في حين تزيد المنافقين رجساً؛ ويموتون وهم كفار(٤٦٣). وتأتي آية تكشف عن علم الله بحقيقة حال المؤمنين وحال المنافقين في العقيدة، فالله يعلم من آمن به ويعلم من هو منافق(٤٦٤).

المجال الثاني- الجهاد:

وقد كشفت تقابلاته عن أن المؤمنين لا يتباطؤون عن القتال، في حين أن المنافقين لا يخرجون إليه وإنما يختلفون مع القاعدين(٤٦٥). وكشفت كذلك عن أن المنافقين لا يخرجون إلى الجهاد خوفاً من أن يصيبهم سوء منه(٤٦٦).

المجال الثالث- حال المؤمنين وحال المنافقين في الآخرة:

فالله عز وجل يعذب المنافقين والمنافقات ويغفر للمؤمنين والمؤمنات(٤٦٧).

المجال الرابع:

جـــاء بآيـــة يحذر الله فيها المؤمنين من المنافقين حتى لا يتخذ المؤمنون المـــنافقين بطانـــة، وذلـــك للبغضاء الـــتي تبدو مـــن أفـــواههم، وتخفـــى في صدورهم[٤٦٨].

ولو أحصينا المفردات التي تتصل بمحور الإيمان لوجدناها تسعاً وأربعين مفـــردة، في حـــين أن المفردات التي تتصل بمحور النفقات لم تبلغ سوى أربع وأربعـــين مفردة، ولعل السبب في هذا يكمن في محاولة الآيات الكريمة بالتوجه بالمنافقين نحو الإيمان، وذلك من خلال مقارنة أحوال المؤمنين في الدنيا والآخرة بأحوالهم.

لا شك في أن ما تقدم في هذا الفصل من رصد مفردات المعجم اللفظي للتقابل والتماثل في القرآن الكريم ومحاوره قد أسهم في كشف حركة المعنى في هـــذه المحاور الثلاثة، ولابد في نهاية هذا الفصل من أن نخطو خطوة أخرى نحو الكشف عن حركة المعنى لمفردات التقابل والتماثل من خلال تقسيم آخر موزع على السور المكية والسور المدنية، لأن لهذين التقسيمين في القرآن توجهاً خاصاً في معالجة **الموضوعات التي تحدثت عنها المحاور**: محور الإيمان من ناحية، ومحور الكفـــر والـــنفاق من ناحية أخرى[٤٦٩]. ورأيت أن أنظر إلى هذا المعجم نظرة كلية من حيث المجموع العام لمفردات التقابل والتماثل التي تمثل مفردات القرآن بـــشكل كلي في تقابلاته وتماثلاته، وذلك لإيجاد حركة المعنى التي يسعى القرآن الكريم لإيجادها بتقابلاته وتماثلاته.

وحـــتى نقوم بهذه الخطوة رصدت المفردات في معجم لفظي بينت فيه الألفـــاظ المشتركة بين السور المكية والسور المدنية، والتي كانت أكثر تردداً في كـــلا القسمين، والتي تلقي ظلالاً على حركة المعنى في المحاور الثلاثة في الوقت

نفسه، ورصدت كذلك المجموع الكلي لكل مفردة وردت في التقابلات والتماثلات. (أنظر الجدول الملحق في نهاية هذا الفصل).

إن أولى الملاحظات على هذا المعجم هو توجه تقابلات السور المكية وتماثلاتها إلى ألفاظ الكفر التي بلغت نسبتها ١٢,٠٦٪ وهي تشكل نسبة عالية إذا ما قورنت بسائر ألفاظ السور المكية في هذا المعجم، ولعل هذا التميز في النسبة المرتفعة في هذه الألفاظ يكشف عن توجه تقابلات السور المكية وتماثلاتها في الكشف عن حركة المعنى التي تتخلل النص القرآني، فالسور المكية بطبيعة الحال كانت تمثل مرحلة أولى من مرحلتي الرسالة المحمدية، إذ كانت تعالج موضوع الكفر، وانتقال الإنسان إلى الإيمان وترك عبادة الأوثان[٤٧٠]. ومن هنا جاءت التقابلات والتماثلات منسجمة بمفرداتها مع طبيعة التوجه القرآني في المرحلة المكية. ولعل الانخفاض الملحوظ على نسبة ألفاظ الإيمان التي كانت ١٠,٣٣٪ في السور المكية يشارك في إبراز مساهمة التقابلات والتماثلات لرصد حركة المعنى التي تعالج موضوع الكفر، فغلبة مفردات الكفر إذن هنا على مفردات الإيمان من ناحية وعلى المفردات الأخرى من ناحية ثانية ظاهرة طبيعية تنسجم والمرحلة الإسلامية في الدعوة إلى الإيمان، ولعل هذه الغلبة تشير إلى معنى حقيقة حال الإنسان أمام الدعوة الإلهية، وهي أن صفة الكفر في الإنسان في بداية الدعوة كانت أعم من صفة الإيمان.

وأما الحال في هذه الألفاظ، فإنها تنعكس في السور المدنية. إذ إننا نلحظ تفوق ألفاظ الإيمان على ألفاظ الكفر، إذ بلغت نسبة ألفاظ الإيمان ١٨,٦٧٪ في حين تدنت نسبة ألفاظ الكفر حتى وصلت إلى ١١,٨٥٪، ولا شك في أن هذا الفارق الواضح بين المجموعتين يكشف عن طبيعة الدعوة الإسلامية في المرحلة الثانية من القرآن الكريم (المرحلة المدنية). إذ إن مؤشر

ارتفـــاع نـــسبة ألفـــاظ الإيمان يؤكد أن جانب الإيمان هو السمة الغالبة على الإنـــسان المخاطب بتقابلات السور المدنية وتماثلاتها. وثمة ملاحظة أخرى لابد مـــن الإشـــارة إليها؛ لأنها تؤكد ما تقدم، وهي أنه مع تفوق ألفاظ الكفر في الـــسور المكـــية وتدني ألفاظ الإيمان بالنسبة لها، وتفوق ألفاظ الإيمان في السور المدنـــية وتـــدني ألفـــاظ الكفر بالنسبة لها إلا أننا نجد الفارق العددي أيضاً في الألفـــاظ المتماثلة في المرحلتين المدنية والمكية. وذلك أن ألفاظ الكفر التي بلغت مائـــة وثماني وثمانين لفظة في السور المكية قلت عنها بصورة واضحة في السور المدنية إذ لم تبلغ سوى مائة واثنتين وثلاثين لفظة. وأما ألفاظ الإيمان في السور المكية التي بلغت مائة وإحدى وستين لفظة فقد زادت عنها بصورة واضحة في الـــسور المدنية التي وصلت إلى مائتين وثماني لفظات. وهذا يؤكد توجه السور المدنية إلى تصعيد معنى الإيمان وترسيخه لدى المخاطبين بهذه السور.

إن الملاحظة الأخرى التي يمكن أن نلحظها على هذا المعجم أن نسبتي ألفـــاظ السماء والأرض قد كانت مرتفعة في السور المكية، إذ بلغت نسبة كل واحدة من المجموعتين ٩,٥٦% وهذا الارتفاع بطبيعة الحال يظهر إذا ما قيست بنسب سائر الألفاظ. ويبدو لي أن هذا الارتفاع يكشف عن حقيقة التوجهات الـــتي اتخذتها السور المكية في القضية الرئيسة في الدعوة الإسلامية، وهي قضية (الإيمـــان والكفـــر). وذلك أن مثل هذه الألفاظ يسهم إسهاماً كبيراً في وضع الدلائل والبراهين القاطعة لوجود الله سبحانه وتعالى، وبالتالي الإيمان برسالة نبيه الكريم (عليه السلام) أمام الناس المخاطبين في هذه المرحلة، ولذلك فهي جاءت مرتفعة لتشارك الألفاظ السابقة مشاركة فاعلة في توجيه الإنسان من الكفر إلى الإيمان.

وفي المقابل نجد أن السور المدنية لم تكن مهتمة الاهتمام نفسه في تقابلاتها وتماثلاتها بألفاظ السماء والأرض كما كانت الحال في السور المكية، إذ أن العدد جاء متدنياً جداً يكاد يزيد عن النصف بالقياس إلى الألفاظ الواردة في السور المكية كما نلحظ، ولعل ذلك متأت من أن طبيعة المرحلة المدنية لا تحتاج إلى هذه الألفاظ لتكون دلائل وبراهين على وجود الخالق، عز شأنه، وقدرته؛ وذلك لأنها كانت قد انتهت من هذه القضية بعد رسوخ الإيمان في قلوب المخاطبين. وهذا أيضاً يكشف عن أن الدعوة الإسلامية قد أصبحت تتخذ مساراً جديداً في نشر الرسالة المحمدية على نطاق واسع.

ويشكل ارتفاع نسبة ألفاظ الموت التي بلغت ٥,٦٤% قياساً إلى نسبة ألفاظ الحياة التي بلغت ٤,٨٧% مؤشراً إلى تحرك التقابلات والتماثلات في قضية الدعوة إلى الإيمان وترك الكفر، وذلك أنها تكشف عن محاولة ربط الإنسان المخاطب بآيات الكتاب العظيم بالموت أكثر من مخاطبته بالحياة الدنيا؛ وذلك لأن الموت هو الجانب الفاعل في تحويل الإنسان من الكفر إلى الإيمان بعد إدراكه لما سيجري له في هذا الموت.

ويبقى ارتفاع نسبة ألفاظ الموت البالغة ٣,٤١% قياساً إلى نسبة ألفاظ الحياة البالغة ٢,٨٧% في السور المدنية مؤشراً إلى تحرك التقابلات في قضية الدعوة إلى الإيمان وترك الكفر، وذلك حتى تظل تربط المؤمن بالموت وما يجري فيه، فيحافظ بذلك على إيمانه، ويبتعد عن العودة إلى الكفر، وهي عملية تكريس وتأكيد لاستقرار الإيمان في القلوب. وهذه الألفاظ تتشارك مع الألفاظ الواردة في السور المكية في حركة المعنى في توجيه الإنسان، ولكنها بطبيعة الحال تفترق عنها من حيث العدد الذي يكشف عن حقيقة إلحاح السور على هذه الألفاظ. فارتفاع عدد ألفاظ الموت البالغة ثماني وثمانين لفظة، وألفاظ الحياة

البالغة ستاً وسبعين لفظة في السور المكية دليل على حرص هذه السور على أن تتحرك بالمخاطب من خلال هذا العدد الكبير. وبالتالي فهي تكشف عن حاجة المرحلة المكية إلى استخدام هذا العدد بوصفه أداة فاعلة في تحويل الإنسان من الكفر إلى الإيمان، ولكن هذه الحاجة الملحة التي ظهرت في السور المكية لم تكن مشابهة لها في السور المدنية؛ ولذلك قلت الأعداد التي جاءت بألفاظ الموت والحياة في تقابلاتها وتماثلاتها.

وتكشف ألفاظ الليل والنهار من حيث ارتفاع نسبتها قياساً إلى سائر مفردات المعجم إذ بلغ كل منها ٤,١٧٪ عن مشاركتها لألفاظ السماء والأرض التي توجه الإنسان من الكفر إلى الإيمان، بوصفها من المظاهر الطبيعية التي تدل وتبرهن على قدرة الخالق تبارك وتعالى.

ونلحظ أن هذه الألفاظ في السور المدنية قد انخفضت من حيث عددها قياساً إلى مثيلاتها في المكية. ولعل السبب في ذلك متأت من أنها تشكل اتصالاً بألفاظ السماء والأرض التي جاءت منخفضة في السور المدنية إذ إن دورها في قضية الإيمان أصبح محصوراً لا يمتد كما امتد في السور المكية.

ونلحظ أن ثمة تفاوتاً بين نسبة ألفاظ السيئات البالغة ٢,٣٧٪ ونسبة ألفاظ الحسنات البالغة ٢,٠٥٪. وهذا التفاوت، وإن كان قليلاً، إلا أنه مؤشر إلى محاولة السور المكية الخروج بالمخاطب من السيئات إلى الحسنات، وبالتالي تصبح عملية شد نحو الإيمان.

وفي المقابل نستطيع أن نلحظ الفارق النسبي بين ألفاظ السيئات في السور المدنية البالغة نسبتها ٠,٩٨٪ وألفاظ الحسنات البالغة نسبتها ٠,٧٢٪ ولعل هذا الفارق مؤشر إلى محاولة السور المدنية تأكيد التخلص من صفات السوء في الإنسان إلى صفات الحسن حتى تتوافق وأحواله مع حال الإيمان في هذه المرحلة.

وتـــأتي ألفاظ الدنيا والآخرة لتشكل محوراً أساسياً في تقابلات السور المكـــية وتماثلاتها لمحاولة ربط الإنسان بالفكرة الأساسية للإيمان والكفر، وذلك أنـــنا نلحـــظ أن نسبة ألفاظ الدنيا بلغت ١,٩٢% ونسبة ألفاظ الآخرة بلغت ١,٩٢% وهما نسبتان متساويتان، ولكن هذا التساوي في النسبتين يزول إذا ما أدركنا أنه من الممكن أن تنضاف مجموعتان لفظيتان إلى مجموعة ألفاظ الآخرة، وهما: ألفاظ البعث التي بلغت نسبتها ١,٥٤% وألفاظ القيامة التي بلغت نسبتها ٠,١٩% وذلك للصلة الحميمة بينها وبين ألفاظ الآخرة؛ لأن كل هذه الألفاظ تـــشير إلى معـــنى الحياة في الآخرة ابتداء من قيام الساعة ومروراً بالبعث. وبهذا تكـــون النسبة الكلية لهذه الألفاظ هي ٣,٦٥% ولعل هذا الارتفاع في مجموع النـــسب بمقارنته بنسبة ألفاظ الدنيا يؤشر إلى أن السور المكية تحاول أن تربط الإنسان بما يجري بعد الموت بحيث تجعل اهتمامه بالبعث اهتماماً كبيراً، وبالتالي تقلل من قيمة الدنيا لديه وتشده نحو الإيمان الذي يحقق حسن المآل. ولعل هذه الألفاظ تشترك مع ألفاظ الموت والحياة التي رأينا بينها التفاوت نفسه، إذ يصبح مـــن الممكن أن تتصل ألفاظ الحياة بألفاظ الدنيا، وألفاظ الموت بألفاظ الآخرة، والبعث والقيامة من حيث تدني نسبة المجموعة الأولى بالقياس إلى المجموعة الثانية.

وهـــذه الألفـــاظ في السور المدنية تكشف عن فارق النسبة المئوية، إذ نلحظ أن ألفاظ الدنيا قد زادت نسبتها البالغة ٣,١٤% عن نسبة ألفاظ الآخرة الـــتي انخفضت حتى وصلت إلى ٢,٧٨ ولكن الحال التي كانت في السور المكية تعيد نفسها، إذ إن مجموعتين لفظيتين تنضافان إلى مجموعة ألفاظ الآخرة، وهي ألفـــاظ البعث التي بلغت نسبتها ٠,٦٣% وألفاظ الآخرة ٣,٦٨% وهي نسبة متفوقة على الألفاظ الأولى (الدنيا). ويبدو أن هذا الارتفاع الذي سجلته ألفاظ الآخرة في السور المدنية مؤشر إلى محاولة هذه السور أن تربط المخاطبين فيها بما

يجـــري بعد الموت وفي هذا تأكيد الإيمان وترسيخه في قلب المؤمن. ولكن من الملاحظ أن عدد ألفاظ البعث في السور المكية يزيد كثيراً عنها في السور المدنية، إذ بلغت الأولى أربعاً وعشرين لفظة والثانية سبع لفظات، ولعل ذلك متأت من طبيعة المرحلة وهي أن السور المكية كانت تحتاج لإثبات معنى البعث بعد الموت للكفـــار، في حين إن السور المدنية ليست لها حاجة لإثبات ذلك بعد أن توطن الإيمـــان نفوس المؤمنين، ولكن الحاجة إلى إثارة هذه الألفاظ في تقابلات السور المدنـــية وتماثلاتهـــا تبقى ضرورية، حتى تذكر المؤمنين بهذا البعث فتؤكد معنى الإيمان لديهم.

ونلحـــظ أن ألفاظ الجنة والنار كانت متساوية في النسبة إذ بلغت كل مجمـــوعة منها ١,٩٢% ولعل هذا ينسجم مع ارتفاع نسبة ألفاظ الآخرة وما ينضاف إليها إذ تجعل توازناً بين الجنة والنار في الآخرة، فتخلق بالتالي ما ينطبق في نفس الإنسان من خوفه من النار وتوجهه إلى الجنة باتباعه طريق الإيمان.

ويمكنـــنا أن ننظـــر إلى هذه الألفاظ في السور المدنية من زاوية ربطها بالسور المكية فنلحظ انخفاض العدد في المدنية، ولعل ذلك متأت من عدم حاجة السور المدنية إلى الإلحاح على الجنة والنار لجعلها بمثابة تأكيد القضية الأساسية (الإيمـــان والكفـــر) في القرآن الكريم، وذلك أننا أدركنا في هذه المرحلة سيادة جانـــب الإيمان على جانب الكفر، وإنما يبقى ذكر هذه الألفاظ لقضايا إخبارية تخـــبر المخاطـــبين بما يمكن أن يجري لهم في الآخرة، وتظل بالتالي تذكرهم بهذه الثنائية التي توجههم دائماً إلى الإيمان وتعميقه في أنفسهم.

وتـــشارك ألفـــاظ العذاب التي بلغت نسبتها ١,٩٢% وألفاظ الرحمة والمغفرة البالغة نسبتها ١,٦٧% المحور الأساسي للسور المكية (الإيمان والكفر) إذ نجـــد أن ألفـــاظ العذاب تنشد إلى ألفاظ الكفر، وأن ألفاظ الرحمة والمغفرة

تنـــشد إلى ألفاظ الإيمان إذ إنها تتوافق وحال الإنسان المخاطب في هذه السور الذي فاقت صفة الكفر فيه صفة الإيمان.

ونـــستطيع أن ننظـــر إلى ألفاظ العذاب والمغفرة والرحمة من الجانب السابق، وإن كانت النسب في السور المدنية متقاربة على خلاف السور المكية، إذ بلغـــت نـــسبة ألفاظ الرحمة والمغفرة هنا ٣,٠٥% في حين نجد نسبة ألفاظ العذاب ٢,٩٦% وهي تقل عنها قليلاً. ولكن الزيادة في الألفاظ الأولى تعطي المخاطب في السور المدنية معنى الراحة النفسية لكونه مؤمناً، فيجد معاني الرحمة أمامـــه، ولكـــنها في الوقت نفسه تظل تنبهه بألفاظ العذاب حتى يتحول عن الإيمان إلى الكفر.

وتمـــتد الألفـــاظ التي تنتمي إلى معنى الكذب ومعنى الصدق إلى ألفاظ الكفـــر والإيمان، بحيث تأخذ توجهاً مشابهاً لها، وذلك أن ألفاظ الكذب فاقت بنسبتها البالغة ٠,٩٦% نسبة ألفاظ الصدق البالغة ٠,٧٥% بفرق واضح كما يتـــبين لـــنا. فيبدو أن إلحاح التقابلات والتماثلات في السور المكية على ألفاظ الكذب يتوافق مع إلحاحها على ألفاظ الكفر. وذلك أنها تصور طبيعة الإنسان في المـــرحلة المكية الذي يميل إلى الاتصاف بالكذب، وهو أساس جانب الكفر لديه.

وأمـــا هذه الألفاظ في السور المدنية فإنها تتجه اتجاهاً آخر، وذلك أن النسبة المئوية التي بلغتها كل مجموعة منهما كانت متقاربة إذ بلغت نسبة ألفاظ الكـــذب ٠,٧٢% وبلغت نسبة ألفاظ الصدق ٠,٦٣% وهذا التقارب بطبيعة الحال يختلف عنه في السور المكية التي كان الفارق فيها واضحاً بين المجموعتين. فهـــذه الألفـــاظ في السور المدنية تحاول أن تقترب من بعضها، وتشكل بالتالي محـــوراً يـــربط المؤمن بجدية حتى يظل محافظاً على جانب الصدق الذي يتصل

بالإيمــان ويحــارب الكذب الذي يتصل بالكفر، ولا شك في أن هذا التوجه يختلف عنه في السور المكية.

وتــأتي ألفــاظ العــدل والظلم لتشارك في الكشف عن حركة المعنى للتقابلات والتماثلات بصورة واضحة في مرحلتي القرآن الكريم. وذلك أننا نجد أن ألفــاظ العــدل قد فاقت بنسبتها البالغة ١,٠٣% ألفاظ الظلم التي كانت نــسبتها ٠,٥١% في السور المكية، ولعل ذلك متأت من محاولة السور المكية تأكــيد صفة العدل في الإنسان وتوجهه إليه ليخرج من حال كفره إلى الإيمان الــذي يــرتبط بالعدل ارتباطاً وثيقاً، والحال نفسها نجدها في السور المدنية، إذ فاقــت ألفــاظ العدل بنسبتها البالغة ٠,٧٢% ألفاظ الظلم التي كانت نسبتها ٠,٢٧%، فهي تحاول أن تربط الإنسان المؤمن بصفة العدل، وتعمق هذه الصفة لتبعده عن صفة الظلم، ونلحظ هذه الحركة متماثلة في السور المكية والمدنية.

وفي جانــب ألفاظ الحق والباطل، نلحظ إلحاح السور المكية على هذه الألفاظ المتساوية عددياً والتي فاقت مثيلاتها في السور المدنية، ولعل ذلك متأت مــن حاجــة السور المكية إلى إثبات ما هو حق، وإثبات ما هو باطل، ليعرف الكافــر أي الجهــتين يتبع بعبادته. ولكن هذه الحاجة في السور المدنية لم تكن ملحة، ومن هنا انخفض العدد فيها، ولكن إبقاءها يشير إلى تنبيه المؤمن للتفريق بــين الجانبين، وبالتالي تغليب ألفاظ الحق على ألفاظ الباطل، وهذا ينسجم مع تغليب ألفاظ الإيمان على ألفاظ الكفر في هذه المرحلة.

وفي جانــب ألفــاظ الفرح والحزن، نلحظ أن السور المكية قد ألحت علــيها بــصورة أكبر من السور المدنية، إذ بلغ مجموع ألفاظ الطرفين في المكية إحــدى وعشرين لفظة في حين كانت في المدنية إحدى عشرة لفظة، ولعل هذا الفــرق الواضح متأت من أن طبيعة المرحلة المكية كانت تستدعي ربط مشاعر

الإنسان المخاطب بمواقف الإيمان والكفر، وما ينتج عنها من حال فرح أو حزن حسب مصير المسلم أو الكافر، وذلك حتى تهيئ قبول الكافر للإيمان حتى يتحقق لـــه جانب الفرح، ومن هنا نلحظ ارتفاع نسبة ألفاظ الفرح عن ألفاظ الحزن، وإن كانـــت كما تبدو متدنية بين الفرح والحزن، ولعل ذلك متأت من محاولة إبقـــاء المـــؤمن مرتبطاً بالإيمان حتى يحقق الجانب المفرح من مصيره في الحياتين الدنيا والآخرة.

ويمكنـــنا أن ننظـــر إلى ألفاظ الرزق في السور المكية التي تفوقت على مثيلاتها في السور المدنية. ولعل ذلك متأت من المرحلة المكية التي كانت تسعى لإثبات قدرة الله عز وجل على إرزاق الناس جميعاً، وبالتالي تكشف عن وجوده وعـــن أحقيـــته بالعبادة، وبطبيعة الحال هذا يتوافق مع حال من ينكر وجوده وقدرته، فهي وسيلة ناجعة لتحويل الكافر إلى الإيمان.

ويبدو أن ألفاظ الأنوثة والذكورة تشكل نقطة مهمة في السور المدنية وذلـــك أننا نلحظ تفوق هذه الألفاظ هنا على مثيلاتها في السور المكية، إذ لم يكن مجموعها في السور المكية سوى اثنتي عشرة لفظة في حين كانت في السور المدنـــية قد بلغ مجموعها اثنتين وثمانين لفظة، ولعل هذا الفارق الكبير متأت من جهـــة اهتمام السور المدنية بالإنسان وعلاقاتها بالإنسان الآخر في الحياة الدنيا، مـــن حيث تنظيم المعاملات والتشريعات أكثر منها اهتماماً في العلاقات الدينية الـــتي تربط بين الخالق والإنسان، ولعل هذا ينسجم وطبيعة المرحلة القرآنية إذ كانـــت تتحدث كثيراً عن الجهاد والزواج وغير ذلك مما يقتضي التركيز على الإنسان بجنسه الذكر والأنثى في الحياة الدنيا.

ويمكنـــنا هـــنا أن نلتفت إلى ألفاظ الجن والإنس في المرحلتين. إذ إننا نلحظ ارتفاع عددها في السور المكية الذي بلغ اثنتي عشرة لفظة في حين كان

في الـــسور المدنية قد بلغ ست لفظات، ولعل السبب في ذلك متأت من قضية عملية الخلق والمخلوقات، وقصة إبليس، إذ كانت تشغل حيزاً من الموضوعات القـــرآنية لإثـــبات قـــدرة الله عز وجل على الخلق، في حين أن السور المدنية تجاوزت هذه القضية بعدما تيقن منها الإنسان المؤمن.

ويمكنـــنا أن ننظر أخيراً إلى ألفاظ التحليل والتحريم في السور وتنضاف إليها ألفاظ الخبائث والطيبات لتجانسها في أصل المعنى معها، وذلك أننا نلحظ أن الـــسور المدنـــية تفوقت بعدد هذه الألفاظ بأنواعها على مثيلاتها في السور المكية، ولعل ذلك متأت من طبيعة المرحلة القرآنية التي اتجهت إلى سن التشريعات والمعاملات بعد أن تأكد معنى الإيمان في النفوس في حين لم تكن المرحلة المكية مهيأة لهذا الجانب وإن كانت قد تضمنت بعض هذه التشريعات.

أمـــا سائر الألفاظ فلا شك في أنها تشارك في التوجهات العامة للقضية الرئيـــسة في الـــسور المكية والمدنية وهي قضية الإيمان والكفر، ولكنها لم تكن واضحة المعالم كما كانت في الألفاظ السابقة.

بعـــد أن انتهيت من الملاحظات على معجم المفردات في السور المكية والمدنـــية آتي لأضع أهم الملاحظات على هذه المفردات التي تبرز المجموع الكلي لألفاظ التقابلات والتماثلات في النصوص القرآنية.

إن أولى الملاحظات هي أن ألفاظ الإيمان التي بلغت نسبتها ١٣,٨٠% قـــد أخـــذت أكبر نسبة مئوية بين سائر الألفاظ من جهة، وتفوقت على نسبة ألفـــاظ الكفر التي بلغت ١١,٩٧% من جهة أخرى. ولعل هذه النسبة العالية تكشف عن التوجه الحقيقي للقرآن الكريم، وهي أنه يحاول دائماً أن يبث معاني الإيمـــان في تقابلاته وتماثلاته إلى جوار معاني الكفر، ولكنه يجعل الإيمان متفوقاً حتى يثبت هذا الجانب في الإنسان المخاطب بآياته وسوره.

ونلحظ أيضاً أن القرآن الكريم بتقابلاته وتماثلاته يتوجه نحو استخدام ألفاظ الموت التي بلغت نسبتها ٤,٧١% أكثر من استخدامه لألفاظ الحياة التي بلغت نسبتها ٤,٠٤% ولعل مثل هذا التوجه يسهم بإبراز الدور الفاعل لمثل ألفاظ الموت التي تؤكد استقرار معنى الإيمان في قلوب المؤمنين من ناحية والتي تردع الكفار عن كفرهم من ناحية أخرى.

وتأتي ألفاظ السيئات المتفوقة نوعاً ما في نسبتها البالغة ١,٧٩% على نسبة ألفاظ الحسنات التي تقل عنها والبالغة ١,٤٩% لتؤكد توجه القرآن الكريم إلى الحذر من الجانب السيئ الذي يرتبط بمعاني الكفر لدى الإنسان.

وتظل ألفاظ الآخرة مسيطرة على ألفاظ الدنيا في تقابلات القرآن وتماثلاتها بشكل عام تماماً كما كانت الحال في توزيعها على السور المكية والسور المدنية، وذلك إذا انضافت ألفاظ البعث والقيامة إليها، وتقوم بالدور نفسه الذي قامت به في مرحلتيه المكية والمدنية.

ويضع القرآن الكريم موازنة بين ألفاظ الجنة وألفاظ النار من حيث النسبة المئوية، ولعل هذا مؤشر إلى محاولة القرآن الكريم خلق التوازن لدى الإنسان بهذا الموضوع، بحيث يتصور دائماً الجنة والنار بالمقدار نفسه، وبالتالي يكون ذلك رادعاً له عن التحول إلى الكفر.

ونلحظ أن ألفاظ العذاب في تقابلات القرآن العظيم وتماثلاته قد فاقت قليلاً بنسبتها البالغة ٢,٣٥% ألفاظ الرحمة والمغفرة التي كانت نسبتها٢,٢٢% وهي بهذا التفوق تبقي عملية شد المؤمن نحو الإيمان وتمسكه به وذلك حتى يتبقى العذاب من الله سبحانه وتعالى.

وكما نلحظ أن ألفاظ العدل التي بلغت نسبتها ٠,٩٠% قد فاقت ألفاظ الظلم التي بلغت نسبتها ٠,٤١% ولعل هذا متأت من توجه القرآن

الكريم لإثبات معنى العدل في المنهج الإسلامي المتمثل بالإيمان ومن توجهه أيضاً في تثبيت سيادة العدل في الحياة الإسلامية.

ولعـل تفوق ألفاظ الخير التي بلغت نسبتها ٠,٨٦% على ألفاظ الشر الـتي بلغت نسبتها ٠,٥٦% مؤشر آخر إلى توجه القرآن الكريم، لإثبات معنى الخير الذي يتوفر في الدعوة الإسلامية، وفي انعكاسها على الإنسان، وهي محاولة تغليب الخير على الشر.

وتـأتي ألفاظ الكذب التي بلغت نسبتها ٠,٨٦% بتفوقها على ألفاظ الـصدق التي بلغت ٠,٦٠% لتلتقي ألفاظ العذاب والرحمة، وذلك من حيث الدور الفاعل في حركة المعنى، فهي تظل تشد المؤمن نحو الصدق وترك الكذب، ويبدو أن نزعة الكذب عند الإنسان قد تسيطر على نزعة الصدق إن ابتعد عن الإيمان، ولهذا جاءت هذه الألفاظ كثيرة نسبياً مقابل ألفاظ الصدق.

ويمكـن أن نلحظ ملاحظة أخيرة لها قيمتها في مجموع ألفاظ التحليل الـتي بلغت نسبتها ٠,٦٠% في حين تقابلها ألفاظ التحريم التي تدنت نسبتها حـتى وصـلت إلى ٠,٤٩% ولعل ذلك يلتقي ألفاظ العدل والظلم من حيث الدور الفاعل لهذه الألفاظ، فالقرآن الكريم يفتح مجال التحليل أمام المؤمن أكثر من إغلاق أبواب الأمور الحياتية بالتحريم أمامه.

جدول إحصائي بمفردات تقابلات وتماثلات السور المكية والمدنية

الرقم	معجم المفـــردات	السور المكية		السور المدنية		المجموع الكلي	نسبتها المئوية
		مجموعها	نسبتها	مجموعها	نسبتها		
١	ألفاظ تنتمي إلى معنى الكفر	١٨٨	%١٢,٠٦	١٣٢	%١١,٨٥	٣٢٠	%١١,٩٧
٢	ألفاظ تنتمي إلى معنى الإيمان	١٦١	%١٠,٣٣	٢٠٨	%١٨,٦٧	٣٦٩	%١٣,٨٠
٣	ألفاظ السماء	١٤٩	%٩,٥٦	٦٩	%٦,١٩	٢١٨	%٨,١٥
٤	ألفاظ الأرض	١٤٩	%٩,٥٦	٦٩	%٦,١٩	٢١٨	%٨,١٥
٥	ألفاظ تنتمي إلى معنى الموت	٨٨	%٥,٦٤	٣٨	%٣,٤١	١٢٦	%٤,٧١
٦	ألفاظ تنتمي إلى معنى الحياة	٧٦	%٤,٨٧	٣٢	%٢,٨٧	١٠٨	%٤,٠٤
٧	ألفـــاظ تنتمـــي إلى معنى الجهات الستة	٦٦	%٤,٢٣	٢٢	%١,٩٧	٨٨	%٣,٢٩

الرقم	معجم المفــردات	السور المكية		السور المدنية		المجموع الكلي	نسبتها المئوية
		مجموعها	نسبتها	مجموعها	نسبتها		
٨	ألفاظ تنتمي إلى معنى النهار	٦٥	%٤,١٧	١٩	%١,٧١	٨٤	%٣,١٤
٩	ألفاظ تنتمي إلى معنى الليل	٦٥	%٤,١٧	١٩	%١,٧١	٨٤	%٣,١٤
١٠	ألفاظ تنتمي إلى معنى السيئات	٣٧	%٢,٣٧	١١	%٠,٩٨	٤٨	%١,٧٩
١١	ألفاظ تنتمي إلى معنى الحسنات	٣٢	%٢,٠٥	٨	%٠,٧٢	٤٠	%١,٤٩
١٢	ألفاظ الدنيا	٣٠	%١,٩٢	٣٥	%٣,١٤	٦٥	%٢,٤٣
١٣	ألفاظ الآخرة	٣٠	%١,٩٢	٣١	%١,٧٨	٦١	%٢,٢٨
١٤	ألفاظ تنتمي إلى الجنة	٣٠	%١,٩٢	١١	%٠,٩٨	٤١	%١,٥٣
١٥	ألفاظ تنتمي إلى معنى العذاب	٣٠	%١,٩٢	٣٣	%٢,٩٦	٦٣	%٢,٣٥
١٦	ألفاظ تنتمي إلى النار	٣٠	%١,٩٢	١١	%٠,٩٨	٤١	%١,٥٣

الرقم	معجم المفـــردات	السور المكية		السور المدنية		المجموع الكلي	نسبتها المئوية
		مجموعها	نسبتها	مجموعها	نسبتها		
١٧	ألفــاظ تنتمي إلى معنى الرحمة والمغفرة	٢٦	%١,٦٧	٣٤	%٣,٠٥	٦٠	%٢,٢٤
١٨	ألفاظ تنتمي إلى معنى البعث	٢٤	%١,٥٤	٧	%٠,٦٣	٣١	%١,١٦
١٩	ألفاظ تنتمي إلى معنى الإظهار	٢٤	%١,٥٤	٢٦	%٢,٣٣	٥٠	%١,٨٧
٢٠	ألفاظ تنتمي إلى معنى الإخفاء	٢٤	%١,٥٤	٣٠	%٢,٦٩	٥٤	%٢,٠٢
٢١	ألفاظ تنتمي إلى معنى العدل	١٦	%١,٠٣	٨	%٠,٧٢	٢٤	%٠,٩٠
٢٢	ألفاظ تنتمي إلى الكذب	١٥	%٠,٩٦	٨	%٠,٧٢	٢٣	%٠,٨٦
٢٣	ألفاظ الحق	١٣	%٠,٨٣	٥	%٠,٤٥	١٨	%٠,٦٧

الرقم	معجم المفــردات	السور المكية		السور المدنية		المجموع الكلي	نسبتها المئوية
		مجموعها	نسبتها	مجموعها	نسبتها		
٢٤	ألفاظ الباطل	١٣	%٠,٨٣	٤	%٠,٤٠	١٧	%٠,٦٤
٢٥	ألفاظ تنتمي إلى معنى الخير	١١	%٠,٧١	١٢	%١,٠٧	٢٣	%٠,٨٦
٢٦	ألفاظ تنتمي إلى معنى الفرح	١١	%٠,٧١	٦	%٠,٥٤	١٧	%٠,٦٤
٢٧	ألفاظ تنتمي إلى معنى الحزن	١٠	%٠,٦٤	٥	%٠,٤٥	١٥	%٠,٥٦
٢٨	ألفاظ تنتمي إلى الصدق	٩	%٠,٥٧	٧	%٠,٦٣	١٦	%٠,٦٠
٢٩	ألفاظ تنتمي إلى الشر	٩	%٠,٥٧	٦	%٠,٥٤	١٥	%٠,٥٦
٣٠	ألفاظ النذير	٨	%٠,٥١	٧	%٠,٦٣	١٥	%٠,٥٦
٣١	ألفاظ البشير	٨	%٠,٥١	٧	%٠,٦٣	١٥	%٠,٥٦

الرقم	معجم المفـــردات	السور المكية		السور المدنية		المجموع الكلي	نسبتها المئوية
		مجموعها	نسبتها	مجموعها	نسبتها		
٣٢	ألفاظ تنتمي إلى معنى الظلم	٨	%٠,٥١	٣	%٠,٢٧	١١	%٠,٤١
٣٣	ألفاظ تنتمي إلى معنى الرزق	١٤	%٠,٨٩	٥	%٠,٤٥	١٩	%٠,٧١
٣٤	ألفاظ تنتمي إلى معنى الأنوثة	٦	%٠,٣٨	٤١	%٣,٦٨	٤٧	%١,٧٦
٣٥	ألفاظ تنتمي إلى معنى الذكورة	٦	%٠,٣٨	٤١	%٣,٦٨	٤٧	%١,٧٦
٣٦	ألفاظ الجن	٦	%٠,٣٨	٣	%٠,٢٧	٩	%٠,٣٤
٣٧	ألفاظ الإنس	٦	%٠,٣٨	٣	%٠,٢٧	٩	%٠,٣٤
٣٨	ألفاظ تنتمي إلى معنى الكبير	٥	%٠,٣٢	١	%٠,٠٨	٦	%٠,٢٢
٣٩	ألفاظ البر	٥	%٠,٣٢	٣	%٠,٢٧	٨	%٠,٣٠

الرقم	معجم المفــردات	السور المكية		السور المدنية		المجموع الكلي	نسبتها المئوية
		مجموعها	نسبتها	مجموعها	نسبتها		
٤٠	ألفاظ البحر	٥	%٠,٣٢	٣	%٠,٢٧	٨	%٠,٣٠
٤١	ألفاظ تنتمي إلى معنى التحليل	٥	%٠,٣٢	١١	%٠,٩٨	١٦	%٠,٦٠
٤٢	ألفاظ تنتمي إلى معنى التحريم	٥	%٠,٣٢	٨	%٠,٧٢	١٣	%٠,٤٩
٤٣	ألفاظ تنتمي إلى معنى النفع	٥	%٠,٣٢	٦	%٠,٥٤	١١	%٠,٤١
٤٤	ألفاظ تنتمي إلى معنى الضر	٥	%٠,٣٢	٧	%٠,٦٣	١٢	%٠,٤٥
٤٥	ألفاظ تنتمي إلى معنى الصغير	٤	%٠,٢٥	١	%٠,٠٨	٥	%٠,١٩
٤٦	ألفاظ الغيب	٤	%٠,٢٥	٦	%٠,٥٤	١٠	%٠,٣٧
٤٧	ألفاظ الشهادة	٤	%٠,٢٥	٦	%٠,٥٤	١٠	%٠,٣٧

الرقم	معجم المفـــردات	السور المكية		السور المدنية		المجموع الكلي	نسبتها المئوية
		مجموعها	نسبتها	مجموعها	نسبتها		
٤٨	ألفاظ الظلمات	٤	%٠,٢٥	١٠	%٠,٩٠	١٤	%٠,٥٢
٤٩	ألفاظ النور	٤	%٠,٢٥	١٠	%٠,٩٠	١٤	%٠,٥٢
٥٠	ألفاظ تنتمي إلى معنى الخوف	٤	%٠,٢٥	٩	%٠,٨١	١٣	%٠,٤٩
٥١	ألفاظ القيامة	٣	%٠,١٩	٣	%٠,٢٧	٦	%٠,٢٢
٥٢	ألفاظ تنتمي إلى الخبائث	٣	%٠,١٩	٧	%٠,٦٣	١٠	%٠,٣٧
٥٣	ألفاظ تنتمي إلى الطيبات	٣	%٠,١٩	٧	%٠,٦٣	١٠	%٠,٣٧
	المجمـــــوع	**١٥٥٩**	%١٠٠	**١١١٤**	%١٠٠	**٢٦٧٣**	%١٠٠

هوامش الفصل الثالث

١- الإيمان، أركانه، حقيقته، نواقضه، د. محمد نعيم ياسين، مجهول دار النشر، ط٤، (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ص١٥.

٢- الأنعام: ١٩/٦.

٣- انظر: الأنعام: ٥٦/٦،٥٨.

٤- انظر: النساء: ٣٦/٤، والمؤمنون: ٢٣/٢٣، وآل عمران: ١٩٣/٣.

٥- انظر: النمل: ٤٤/٢٧، ويوسف: ١٠٨/١٢.

٦- البقرة: ١٢٠/٢.

٧- انظر: الأنعام: ٧١/٦، والبقرة: ١٢٠/٢.

٨- انظر: سبأ: ٥٠/٣٤، والتوبة: ١٥٥/٩.

٩- انظر: إبراهيم: ٥/١٤، والحديد: ٩/٥٧.

١٠- الرحمن: ٢٦/٥٥-٢٧.

١١- انظر: الإسراء: ٤٤/١٧، والنور: ٤١/٢٤، ومريم: ٩٣/١٩.

١٢- انظر: ص: ١٨/٣٨.

١٣- الفرقان: ٥٩/٢٥. وانظر أيضاً: الأعراف: ٥٤/٧، والزمر: ٣٨/٣٩، والأنعام: ٧٣/٦، والعنكبوت: ٤٤/٢٩.

١٤- يوسف: ١٠١/١٣. وانظر أيضاً: الزمر: ٤٦/٣٩، والذاريات: ٥١/ ٤٧-٤٨، والرحمن: ٧/٥٥-١٠.

١٥- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم. بيروت، ط ٤، (١٤٠٣هـ-١٩٨١م) ج٢/ص٦٩.

١٦- فاطر: ١١/٣٥.

١٧- الرحمن: ٥٥/١٣-١٤.

١٨- النساء: ٤/١.

١٩- القصص: ٢٨/٥٦.

٢٠- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تفسير البيضاوي، ج٤/ص١٣٠.

٢١- الأعراف: ٧/١٥٥.

٢٢- الكشاف: ٢/١٢١.

٢٣- انظر: القصص: ٢٨/٥٦، والكهف: ١٨/١٧، والنمل: ٢٧/٨١.

٢٤- انظر: طه: ٢٠/٢٥-٢٦، وآل عمران: ٣/٨.

٢٥- البقرة: ٢/٢٠١، وانظر: الأعراف: ٧/١٥٦، والنحل: ١٦/١٢٢.

٢٦- صفوة التفاسير: ١/١٣٠.

٢٧- الإسراء: ١٧/٨٠.

٢٨- الكشاف: ج٢/ص٤٦٣.

٢٩- يوسف: ١٢/٥٦-٥٧.

٣٠- انظر: الرعد: ١٣/٣٩.

٣١- انظر: البقرة: ٢/٢٨٤، والمائدة: ٥/٤٠،٩٨.

٣٢- انظر: الأعراف: ٧/١٥٦، والإسراء: ١٧/٥٤.

٣٣- انظر الفتح: ٤٨/٢.

٣٤- البقرة: ٢/٢٨٦.

٣٥- الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط٢، دون تاريخ، ج٣/ص٢٦٥.

٣٦- انظر: فاطر: ٤١/٣٥.

٣٧- انظر: الحج: ٦٥/٢٢.

٣٨- انظر: النمل: ٨٨/٢٧.

٣٩- انظر: الأعراف: ٥٤/٧، والجاثية: ٥/٤٥، والنور: ٤٤/٢٤.

٤٠- انظر: آل عمران: ٢٧/٣، ولقمان: ٢٩/٣١، والحديد: ٦/٥٧.

٤١- انظر: الفرقان: ٤٨/٢٥، وإبراهيم: ٣٣/١٤.

٤٢- الفرقان: ٤٥/٢٥-٤٦.

٤٣- صفوة التفاسير: ٣٦٥/٢.

٤٤- انظر: طه: ٥٣/٢٠، والمؤمنون: ١٨/٢٢، وفاطر: ٢٧/٢٥، والنور: ٤٣/٢٤.

٤٥- انظر: الفرقان: ٥٣/٢٥، وفاطر: ١٢/٢٥.

٤٦- انظر: غافر: ٦٨/٤٠، والزمر: ٤٢/٣٩، والأنعام: ٦٠/٦، والأعراف: ١٥٨/٧، والبقرة: ٢٤٣/٢، ومريم: ٣٣/١٩.

٤٧- انظر: الفرقان: ٤٩/٢٥، والروم: ٢٤/٣٠، والنحل: ٦٥/١٦، وفاطر: ٩/٣٥، وفصلت: ٣٩/٤١.

٤٨- يونس: ٤٩/١٠.

٤٩- انظر: الشعراء: ٨٠/٢٦.

٥٠- انظر: آل عمران: ٢٦/٣.

٥١- انظر: الأعراف: ١٨٨/٧، والأنعام: ٧١/٦، والأنبياء: ٨٣/٢١-٨٤، والزمر: ٣٨/٣٩.

٥٢- انظر: سبأ: ٣٦/٣٤، والإسراء: ٣٠/١٧.

٥٣- انظر: المائدة: ٥/١١٤.

٥٤- انظر: هود: ١١/٤١.

٥٥- المائدة: ٥/١٠٩. وانظر: آل عمران: ٣/٦٦، والمائدة: ٥/١١٦، ويوسف: ١٢/٨٦.

٥٦- إبراهيم: ١٤/٣٨، وانظر: التغابن: ٦٤/٤، ويس: ٣٦/٧٦، والمائدة: ٥/٩٩.

٥٧- صفوة التفاسير، ج٢/ص١٠٠.

٥٨- الحج: ٢٢/٧٠. وانظر: المجادلة: ٥٨/٧، والعنكبوت: ٢٩/٥٢، ويونس: ١٠/٦١، والبقرة: ٢/٣٣.

٥٩- صفوة التفاسير، ج٢/ص٢٩٨.

٦٠- انظر: المزمل: ٧٣/٢٠.

٦١- انظر: الأنعام: ٦/٥٩.

٦٢- انظر: الأنعام: ٦/٥٩.

٦٣- الزمر: ٣٩/٤٦. وانظر: الأنعام: ٦/٧٣، والتغابن: ٦٤/١٨.

٦٤- الإيمان: أركانه، حقيقته، نواقضه، ص١٥.

٦٥- الأنبياء: ٢١/٥٦. وانظر: الكهف: ١٨/١٤، والدخان: ٤٤/٧، ومريم: ١٩/٦٥.

٦٦- صفوة التفاسير: ج٢/ص٢٦٦.

٦٧- انظر: الشعراء: ٢٦/٢٨، والرحمن: ٥٥/١٧، والمعارج: ٧٠/٤٠.

٦٨- انظر: الناس: ١١٤/٦.

٦٩- النور: ٢٤/٤٢. وانظر: البقرة: ٢/٢٨٤، والأعراف: ٧/١٥٨، والحديد: ٥٧/٢، والروم: ٣٠/٢٦.

٧٠- الروم: ٣٠/٤.

٧١- صفوة التفاسير: ج٢/٢٧١.

٧٢- انظر: هود: ١١/١.

٧٣- انظر: البقرة: ٢/١٢١.

٧٤- انظر: الأعراف: ٧/٣.

٧٥- انظر: المائدة: ٥/٦٧.

٧٦- انظر: المائدة: ٥/٤٨،٤٩، والشورى: ٤٢/١٥.

٧٧- انظر: يوسف: ١٢/١١١.

٧٨- انظر: النساء: ٤/١١٣.

٧٩- انظر: الأنعام: ٦/٨٩.

٨٠- انظر: الرعد: ١٣/١٩.

٨١- النجم: ٥٣/٧-٨.

٨٢- انظر: البقرة: ٢/١١٩، والأعراف: ٧/١٨٨، والأحزاب: ٣٣/٤٥.

٨٣- انظر: المائدة: ٥/٩٢.

٨٤- انظر: الحشر: ٥٩/٧.

٨٥- انظر: النساء: ٤/١٦٤.

٨٦- انظر: آل عمران: ٣/١٠٤،١١٠-١١٤، والحج: ٢٢/٤١، والأعراف: ٧/١٥٧.

٨٧- النساء: ٤/٤٣.

٨٨- معاني القرآن، لأبي زكريا الفراء: ج١/ص٢٧٠.

٨٩- انظر: النساء: ٤٣/٤، والمائدة: ٦/٥.

٩٠- انظر: المائدة: ٦/٥.

٩١- انظر: البقرة: ١٢٥/٢، والتوبة: ١١٢/٩.

٩٢- انظر: الفرقان: ٦٤/٢٥، والنساء: ١٠٣/٤، والزمر: ٩/٣٩.

٩٣- انظر: الإسراء: ١١٠/١٧، والمؤمنون: ٢/٢٣-٣.

٩٤- انظر: طه: ١٣٠/٢٠، وهود: ١١٤/١١، والمزمل: ٦/٧٣-٧.

٩٥- انظر: الأحزاب: ٤٢/٣٣، والإنسان: ٢٥/٧٦.

٩٦- انظر: آل عمران: ٤١/٣، ومريم: ١١/١٩.

٩٧- انظر: الروم: ١٨/٣٠.

٩٨- انظر: الروم: ١٧/٣٠.

٩٩- انظر: الأعراف: ٢٠٥/٧.

١٠٠- انظر: الإسراء: ٧٨/١٧.

١٠١- انظر: الذاريات: ١٧/٥١-١٨.

١٠٢- انظر: طه: ١٣٠/٢٠، وق: ٣٩/٥٠.

١٠٣- انظر: البقرة: ١١٥/٢، ١٧٧.

١٠٤- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ص٢٤.

١٠٥- انظر: السجدة: ١٦/٣٢.

١٠٦- آل عمران: ٩٧/٣.

١٠٧- روح المعاني: ج٤/ص١٣.

١٠٨- الحج: ٢٢/٢٧.

١٠٩- صفوة التفاسير، ج٢/ص٢٨٧-٢٨٨.

١١٠- انظر: البقرة: ٢/١٢٥، والحج: ٢٢/٢٦.

١١١- انظر: الحج: ٢٢/٣١.

١١٢- انظر: البقرة: ٢/٢٠٣.

١١٣- انظر: الحج: ٢٢/٣٧.

١١٤- انظر: الحج: ٢٢/٢٨،٣٦.

١١٥- انظر: البقرة: ٢/٢٠٠،١٩٢.

١١٦- البقرة: ٢/١٨٥.

١١٧- انظر: البقرة: ٢/١٨٧.

١١٨- الإسراء: ١٧/٢٩. وانظر أيضاً: ص٣٨/٣٩.

١١٩- صفوة التفاسير، ج٢/١٥٨.

١٢٠- انظر: الذاريات: ٥١/١٩، والمعارج: ٧٠/٢٥.

١٢١- انظر: إبراهيم: ١٤/٣١، وفاطر: ٣٥/٢٩.

١٢٢- انظر: آل عمران: ٣/١٣٤.

١٢٣- القصص: ٢٨/٧٧.

١٢٤- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ٣٣٠.

١٢٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ودار صادر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان. دون تاريخ، ج٥/ص٢٣١.

١٢٦- انظر: البقرة: ٢/٢١٦.

١٢٧- انظر: الأنفال: ٨/٣٩-٤٠.

١٢٨- انظر: البقرة: البقرة: ٢/٢٣٩.

١٢٩- انظر: الأنفال: ٨/١٥.

١٣٠- انظر: النساء: ٤/٧١.

١٣١- انظر: التوبة: ٩/٢٨-٢٩.

١٣٢- انظر: النساء: ٤/٧٥.

١٣٣- انظر: البقرة: ٢/١٩١.

١٣٤- انظر: البقرة: ٢/١٩٤.

١٣٥- انظر: الأحزاب: ٣٣/٢٦.

١٣٦- انظر: الأنفال: ٨/١٧.

١٣٧- انظر: الأنفال: ٨/١٧.

١٣٨- انظر: الأنفال: ٨/١٢.

١٣٩- انظر: الأنفال: ٨/٤٣.

١٤٠- انظر: التوبة: ٩/٢٦.

١٤١- انظر: المائدة: ٥/١١.

١٤٢- انظر: النساء: ٤/٩٥.

١٤٣- انظر: النساء: ٤/٧٤.

١٤٤- انظر: آل عمران: ٣/١٩٥.

١٤٥- انظر: آل عمران: ٣/١٦٩.

١٤٦- انظر: التوبة: ٩/١١٨.

١٤٧- انظر: الأنفال: ٨/٦١.

١٤٨- انظر: الحشر: ٥٩/٤.

١٤٩- انظر: الأحزاب: ٣٣/٥١.

١٥٠- انظر: الأحزاب: ٣٣/٣٧.

١٥١- انظر: النساء: ٤/٢٥.

١٥٢- انظر: التحريم: ٦٦/٥.

١٥٣- انظر: النساء: ٤/٣.

١٥٤- انظر: المائدة: ٥/٥.

١٥٥- انظر: المائدة: ٥/٥.

١٥٦- انظر: النور: ٢٤/٣.

١٥٧- انظر: البقرة: ٢/٢٢١.

١٥٨- انظر: البقرة: ٢/٢٢١.

١٥٩- انظر: النساء: ٤/٢٣-٢٤.

١٦٠- انظر: النساء: ٤/٢٤.

١٦١- انظر: البقرة: ٢/٢٣١.

١٦٢- انظر: البقرة: ٢/٢٣٦.

١٦٣- انظر: البقرة: ٢/٢٢٨.

١٦٤- انظر: البقرة: ٢/٢٢٩.

١٦٥- انظر: الطلاق: ٦٥/٢.

١٦٦- انظر: البقرة: ٢/٢٢٩.

١٦٧- انظر: النساء: ٤/٢٠.

١٦٨- انظر: النساء: ٤/٣٤.

١٦٩- انظر: النساء: ٤/٣٤.

١٧٠- انظر: الطلاق: ٦٥/٧.

١٧١- انظر: النساء: ٤/٢٥.

١٧٢- انظر: البقرة: ٢/٢٢٢.

١٧٣- انظر: النساء: ٤/٩٢-٩٣.

١٧٤- انظر: البقرة: ٢/١٧٨.

١٧٥- انظر: البقرة: ٢/١٧٨.

١٧٦- انظر: البقرة: ٢/١٧٨.

١٧٧- انظر: المائدة: ٥/٤٥.

١٧٨- انظر: المائدة: ٥/٤٥.

١٧٩- انظر: المائدة: ٥/٤٥.

١٨٠- انظر: المائدة: ٥/٤٥.

١٨١- انظر: البقرة: ٢/١٧٨.

١٨٢- انظر: النحل: ١٦/١٢٦.

١٨٣- انظر: النور: ٢٤/٢.

١٨٤- انظر: النور: ٢٤/٤-٥.

١٨٥- انظر: النور: ٢٤/١٣.

١٨٦- انظر: النساء: ٤/١٦.

١٨٧- انظر: البقرة: ٢/٢٨٢.

١٨٨- انظر: البقرة: ٢/٢٨٢.

١٨٩- انظر: البقرة: ٢/٢٨٢.

١٩٠- انظر: البقرة: ٢/٢٨٣.

١٩١- انظر: النساء: ٤/٧.

١٩٢- انظر: النساء: ٤/٧.

١٩٣- انظر: النساء: ٤/١١.

١٩٤- انظر: النساء: ٤/١٧٦.

١٩٥- انظر: النساء: ٤/١٧٦.

١٩٦- انظر: المائدة: ٥/١-٣.

١٩٧- انظر: الأنعام: ٦/١١٨-١٢١.

١٩٨- انظر: المائدة: ٥/٩٦.

١٩٩- انظر: الفرقان: ٢٥/٦٧.

٢٠٠- انظر: النساء: ٤/٦.

٢٠١- انظر: النساء: ٤/٦.

٢٠٢- انظر: النساء: ٤/٢.

٢٠٣- انظر: البقرة: ٢/٢٢٥، والمائدة: ٥/٨٩.

٢٠٤- انظر: النحل: ١٦/٩١.

٢٠٥- ص٢٥١.

٢٠٦- انظر: الأنعام: ٦/١٠٨.

٢٠٧- انظر: الأعراف: ٧/٥٥.

٢٠٨- انظر: البقرة: ٢/١٠٤.

٢٠٩- انظر: القصص: ٢٨/٥٥.

٢١٠- انظر: الأحقاف: ٤٦/١٥.

٢١١- انظر: الإسراء: ١٧/٢٣.

٢١٢- انظر: النساء: ٤/٣٦.

٢١٣- انظر: البقرة: ٢/١٨٩.

٢١٤- انظر: النساء: ٤/٩٤.

٢١٥- انظر: الفتح: ٤٨/٢٩.

٢١٦- انظر: لقمان: ٣١/١٨.

٢١٧- انظر: المائدة: ٥/٥٤.

٢١٨- انظر: إبراهيم: ١٤/٣٦.

٢١٩- انظر: الأنعام: ٦/٥٤، والأعراف: ٧/١٥٣.

٢٢٠- انظر: النمل: ٢٧/١١.

٢٢١- انظر: الأحزاب: ٣٣/٣٥.

٢٢٢- انظر: المائدة: ٥/٣٩،٤٠، والأنعام: ٦/٥٤.

٢٢٣- انظر: النحل: ١٦/١١٩.

٢٢٤- انظر: الزمر: ٣٩/٢٠.

٢٢٥- انظر: الغاشية: ٨٨/١٣-١٦.

٢٢٦- انظر: الحشر: ٥٩/٢٠.

٢٢٧- انظر: المائدة: ٥/١٠١.

٢٢٨- انظر: المائدة: ٥/٣٩.

٢٢٩- انظر: فاطر: ٣٥/١٨، وفصلت: ٤١/٣٤.

٢٣٠- انظر: البقرة: ٢/٢٥٦.

٢٣١- انظر: المائدة: ٥/٩٣.

٢٣٢- انظر: آل عمران: ٣/١٦١.

٢٣٣- انظر: المائدة: ٥/٢، والمجادلة: ٥٨/٩.

٢٣٤- انظر: آل عمران: ٣/١٦٢.

٢٣٥- انظر: آل عمران: ٣/١٣١-١٣٢.

٢٣٦- انظر: محمد: ٤٧/٣٨.

٢٣٧- انظر: الحشر: ٥٩/١٩.

٢٣٨- انظر: النساء: ٤/١٣٥.

٢٣٩- انظر: النور: ٢٤/٢١.

٢٤٠- انظر: النور: ٢٤/٣٠-٣١.

٢٤١- انظر: النحل: ١٦/٩٤.

٢٤٢- انظر: التوبة: ٩/٢٣.

٢٤٣- انظر: الحجر: ١٥/٤٩-٥٠، والأحزاب: ٣٣/٢٨-٣١.

٢٤٤- انظر: الأنفال: ٨/٣٠.

٢٤٥- انظر: التوبة: ٩/١١٣.

٢٤٦- انظر: الضحى: ٩٣/٦-٨.

٢٤٧- انظر: عبس: ٨٠/٥-١٠.

٢٤٨- انظر: الإسراء: ١٧/٧٥.

٢٤٩- انظر: النور: ٢٤/١١.

٢٥٠- انظر: النور: ٢٤/١٢.

٢٥١- انظر: التحريم: ٦٦/١.

٢٥٢- انظر: الشورى: ٤٢/١٥.

٢٥٣- انظر: الشورى: ٤٢/١٥.

٢٥٤- انظر: آل عمران: ٣/٤٥.

٢٥٥- انظر: آل عمران: ٣/٤٦.

٢٥٦- انظر: آل عمران: ٣/٣٦.

٢٥٧- انظر: الشعراء: ٢٦/١٣.

٢٥٨- انظر: طه: ٢٠/٦٧-٦٨.

٢٥٩- انظر: الكهف: ١٨/٧٤.

٢٦٠- انظر: القصص: ٢٨/١٥.

٢٦١- انظر: القصص: ٢٨/٣٢، والنمل: ٢٧/١٢.

٢٦٢- انظر: القصص: ٢٨/٧.

٢٦٣- انظر: القصص: ٢٨/٢٣.

٢٦٤- انظر: يوسف: ١٢/٥٩-٦٠.

٢٦٥- انظر: يوسف: ١٢/٥٨.

٢٦٦- انظر: يوسف: ١٢/٩٦.

٢٦٧- انظر: يوسف: ٨٩/١٢.

٢٦٨- انظر: الذاريات: ٢٨/٥١.

٢٦٩- انظر: البقرة: ١٣٠/٢.

٢٧٠- انظر: الحجر: ٥٢/١٥-٥٣.

٢٧١- انظر: الأنعام: ٨١/٦.

٢٧٢- انظر: سبأ: ١٢/٣٤.

٢٧٣- انظر: القصص: ٥/٢٨.

٢٧٤- انظر: آل عمران: ١٠٣/٣، والأنفال: ٦٣/٨.

٢٧٥- انظر: آل عمران: ١٠٣/٣.

٢٧٦- انظر: آل عمران: ١٥٤/٣.

٢٧٧- انظر: الزمر: ٨٦/٣٩.

٢٧٨- انظر: مريم: ٦٢/١٩.

٢٧٩- انظر: مريم: ٦٢/١٩، وفاطر: ٣٥/٣٥.

٢٨٠- انظر: فاطر: ١٩/٣٥.

٢٨١- انظر: فاطر: ٢٠/٣٥.

٢٨٢- انظر: فاطر: ٢١/٣٥.

٢٨٣- انظر: فاطر: ٢٢/٣٥.

٢٨٤- انظر: القصص: ٥٤/٢٨.

٢٨٥- قراءة ثانية في شعر امرئ القيس، القاهرة، طبعة أولى ١٩٨٦م، ص ٢٩٩.

٢٨٦- الزمر: ٣٩/٤٥.

٢٨٧- الكشاف: ٣/٤٠١.

٢٨٨- انظر: الصافات: ٣٧/١٣.

٢٨٩- انظر: يونس: ١٠/٤٢.

٢٩٠- انظر: يونس: ١٠/٤٣.

٢٩١- البقرة: ٢/٦.

٢٩٢- يس: ٣٦/٩.

٢٩٣- الأنعام: ٦/١٠.

٢٩٤- إبراهيم: ١٤/١٣.

٢٩٥- يس: ٣٦/١٥-١٦.

٢٩٦- الشعراء: ٢٦/١٨٦-١٨٧.

٢٩٧- انظر: الحجر: ١٥/٧-٨.

٢٩٨- الأنعام: ٦/٧.

٢٩٩- يونس: ١٠/٣٩.

٣٠٠- الأنعام: ٦/٩١.

٣٠١- الروم: ٣٠/١٠.

٣٠٢- فصلت: ٤١/٤٢.

٣٠٣- المؤمنون: ٢٣/٣٥-٣٧. وانظر: النحل: ١٦/٣٨، والإسراء:١٧/٤٩، ومريم: ١٩/٦٦.

٣٠٤- التغابن: ٦٤/٧. وانظر: السجدة: ٣٢/١١، ويونس: ١٠/٥٣.

٣٠٥- هود: ١١/٧.

٣٠٦- النحل: ١١٦/١٦. وانظر: الأعراف: ٢٨/٧، ٣٢-٣٣، والأنعام: ٦/ ١٥٠.

٣٠٧- النساء: ٤٦/٤، وانظر: الأعراف: ١٦٢/٧.

٣٠٨- الأنعام: ٩٣/٦.

٣٠٩- نوح: ٥/٧١.

٣١٠- نوح: ٧١/٨-٩.

٣١١- فصلت: ٣٧/٤١. وانظر: الأنعام: ١٥١/٦،١٥٣، وآل عمران: ٣/ ٩٥.

٣١٢- آل عمران: ٣٢/٣، وانظر: البقرة: ٥٤/٢.

٣١٣- البقرة: ١٧٠/٢، وانظر: المائدة: ١٤/٥، ولقمان: ٢١/٣١.

٣١٤- التكوير: ٢٩/٨١.

٣١٥- فاطر: ٤٤/٣٥.

٣١٦- الرعد: ١١/١٣.

٣١٧- انظر: الغاشية: ١٨/٨٨-٢٠، وسبأ: ٩/٣٤، والسجدة: ٣٢/٤-٦، ويونس: ٣/١٠.

٣١٨- انظر: الزمر: ٥/٢٩، ويونس: ٦/١٠، والفرقان: ٦٢/٢٥، ويس: ٣٦ /٣٧،٤٠.

٣١٩- الأنعام: ١/٦.

٣٢٠- الحج: ٥/٢٢، وانظر: الحجر: ٢٦/٥-٣٣.

٣٢١- الروم: ٥٤/٣٠.

٣٢٢- الجاثية: ٤٥/٢٦. وانظر: البقرة: ٢/٧٣، والمؤمنون: ٢٣/٨٠، والحج: ٢٢/٦٦، والنحل: ١٦، ٧٠.

٣٢٣- التين: ٩٥/٤-٥.

٣٢٤- انظر: العنكبوت: ٢٩/٦٢، والرعد: ١٣/٢٦، والزمر: ٣٩/٥٢، ويس: ٣٦/٤٧.

٣٢٥- انظر: الإسراء: ١٧/٧٠، والنحل: ١٦/٥-٦، ٨٠.

٣٢٦- انظر: النحل: ١٦/٧.

٣٢٧- انظر: الحديد: ٥٧/١٧، ويس: ٣٦/٣٣، والبقرة: ٢/١٦٤.

٣٢٨- انظر: الأنعام: ٦/٩٥، ١٤١، والرعد: ١٣/٤.

٣٢٩- انظر: الملك: ٦٧/٣٠.

٣٣٠- انظر: النمل: ٢٧/٨٦، والقصص: ٢٨/٧٣، وغافر: ٤٠/٦١، والروم: ٣٠/٢٣، والفرقان: ٢٥/٤٧.

٣٣١- انظر: الأنعام: ٦/٩٧.

٣٣٢- انظر: النحل: ١٦/٤٨.

٣٣٣- انظر: البقرة: ٢/٢١-٢٢، والحجر: ١٥/١٦-٢٠، ٢٩، والأنعام: ٦/ ٩٩، ولقمان: ٣١/٢٠.

٣٣٤- انظر: النحل: ١٦/٧٢.

٣٣٥- يونس: ١٠/٥٩.

٣٣٦- النحل: ١٦/٨١-٨٢.

٣٣٧- فاطر: ٣٥/٨. وانظر: المدثر: ٧٤/٣١، والأنعام: ٦/٣٩، والرعد: ١٣/٢٧.

٣٣٨- انظر: الرعد: ١٣/٣٣، والزمر: ٣٩/٣٦، والأعراف: ٧/١٨٦، والإسراء: ١٧/٩٧.

٣٣٩- انظر: فصلت: ٤١/٢٥.

٣٤٠- الأنعام: ٦/٦٥، وانظر: الشعراء: ٢٦/٢٠٥-٢٠٦، والأنعام: ٦/٤٧.

٣٤١- العنكبوت: ٢٩/٢١-٢٢، وانظر: المائدة: ٥/١٨، والفتح:٤٨/١٤، وآل عمران: ٣/١٢٨.

٣٤٢- الأنفال: ٨/٨. وانظر: الشورى: ٤٢/٢٤.

٣٤٣- الصف: ٦١/٨.

٣٤٤- انظر: فاطر: ٣٥/١٣، والحج: ٢٢/٦١-٦٢.

٣٤٥- انظر: النحل: ١٦/١٧،٢٠، والطور:٥٢/٣٥-٣٦، والفرقان:٢٥/٣.

٣٤٦- انظر: يونس: ١٠/٣٤، والروم: ٣٠/٤٠.

٣٤٧- انظر: النحل: ١٦/٢١.

٣٤٨- انظر: النحل: ١٦/٧٥.

٣٤٩- انظر: يونس: ١٠/٣٥.

٣٥٠- انظر: الحج: ٢٢/٦٢، ولقمان: ٣١/٣٠.

٣٥١- انظر: المائدة: ٥/٧٦، ويونس: ١٠/١٨، وطه: ٢٠/١٩، والأنبياء: ٢١/٦٦، والفرقان: ٢٥/٥٥.

٣٥٢- انظر: الرعد: ١٣/١٦.

٣٥٣- الحج: ٢٢/٧٣.

٣٥٤- الصورة الفنية في المثل القرآني، د. محمد حسين علي الصغير، دار الرشيد-بغداد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام-الجمهورية العراقية، (١٩٨١م) ص٢٧٥.

٣٥٥- انظر: القصص: ٢٨/٦٩. والنحل: ١٦/٢٢، والنمل: ٢٧/٤٧، والأنبياء: ٢١/١١٠.

٣٥٦- انظر: النحل: ١٦/٧٧، والحج: ٢٢/٧٦، وآل عمران: ٣/٥، والرعد: ١٣/٨.

٣٥٧- انظر: الرعد: ١٣/١٠، والنساء: ٤/١٠٨.

٣٥٨- انظر: السجدة: ٣٢/٦، والمؤمنون: ٢٣/٩٢، والرعد: ١٣/٩، والحشر: ٥٩/٢٢.

٣٥٩- انظر: النور: ٢٤/١٩، والنحل: ١٦/٧٤.

٣٦٠- انظر: المائدة: ٥/١٨، وآل عمران: ٣/١٢٩، والأعراف: ٧/١٨٥، والنساء: ٤/١٧١، ولقمان: ٣١/٢٦.

٣٦١- انظر: الأنعام: ٦/١٣.

٣٦٢- انظر: الزخرف: ٤٣/٨٢، والجاثية: ٤٥/٣٦، وص: ٣٨/٦٦.

٣٦٣- انظر: السجدة: ٣٢/٢٢، والصافات: ٣٧/١٢٥، والحج: ٢٢/١٣، والنساء: ٤/٤٨، والبقرة: ٢/١٤٣.

٣٦٤- انظر: النور: ٢٤/٢٣.

٣٦٥- انظر: المائدة: ٥/٤٧.

٣٦٦- انظر: الأعراف: ٧/٢٧.

٣٦٧- انظر: الحديد: ٥٧/٢٣.

٣٦٨- انظر: الأنعام: ٦/١٣٣، وإبراهيم: ١٤/١٩، وفاطر: ٣٥/١٦.

٣٦٩- انظر: يونس: ١٠/٥٠.

٣٧٠- انظر: إبراهيم: ١٤/٤٨، والانشقاق: ٨٤/١،٣.

٣٧١- انظر: الحج: ٢/٢٢.

٣٧٢- انظر: الأنعام: ٣٦/٦.

٣٧٣- انظر: النساء: ١٦٧/٤-١٦٩، والأنعام: ١٥٧/٦، ويونس: ٧٠/١٠، والمائدة: ٧٢/٥، والطور: ١١/٥٢-١٢.

٣٧٤- انظر: يونس: ٢٠/١٠،١٠٢، وهود: ١٢٢/١١.

٣٧٥- انظر: هود: ١٢١/١١، والأنعام: ١٣٥/٦.

٣٧٦- انظر: الحج: ١٥/٢٢، ويس: ٦٧/٣٦.

٣٧٧- المائدة: ١٥/٥-١٦.

٣٧٨- انظر: الأنعام: ١٠٤/٦، والمائدة: ١٢/٥، وإبراهيم: ٧/١٤، والإسراء: ٧/١٧، والنمل: ٩٢/٢٧.

٣٧٩- انظر: القصص: ٦٠/٢٨، والشورى: ٣٦/٤٢، والأنعام: ٣٢/٦، والعنكبوت: ٦٤/٢٩.

٣٨٠- انظر: الحديد: ٢٠/٥٧، وغافر: ٣/٤٠، والرعد: ٦/١٣.

٣٨١- انظر: التكوير: ١٢/٨١-١٣.

٣٨٢- الإسراء: ٦٧/١٧، وانظر: الزمر: ٨/٣٩، ويونس: ١٢/١٠، والإسراء: ٧٣/١٧، والروم: ٣٣/٣٠.

٣٨٣- انظر: فصلت: ٥٠/٤١، والأعراف: ١٣١/٧، والشورى: ٤٨/٤٢، وهود: ١٠/١١، والروم: ٣٦/٣٠.

٣٨٤- انظر: هود: ٨٢/١١، والحجر: ٧٤/١٥، والأعراف: ٨٣/٧-٨٤.

٣٨٥- انظر: هود: ٤٣/١١-٤٤، والأعراف: ٦٤/٧.

٣٨٦- انظر: البقرة: ٦٥/٢-٦٦.

٣٨٧- انظر: سبأ: ١٥/٣٤، والأعراف: ٧/٩٤-٩٨، ويونس: ١٠/٢٢-٢٣،٢٤، والنحل: ١٦/١١٢.

٣٨٨- انظر: الطور: ٥٢/٣١، والرعد: ١٣/٤٢، والنمل: ٢٧/٥٠، وآل عمران: ٣/٥٤.

٣٨٩- انظر: الإنسان: ٧٦/٢٧.

٣٩٠- انظر: الرعد: ١٣/٢٦.

٣٩١- انظر: النمل: ٢٧/٤٦.

٣٩٢- انظر: الإسراء: ١٧/١١.

٣٩٣- انظر: الحشر: ٥٩/١٤.

٣٩٤- انظر: الإسراء: ١٧/٣٧.

٣٩٥- انظر: الشعراء: ٢٦/١٨١، والمطففين: ٨٣/٢-٣.

٣٩٦- انظر: النازعات: ٧٩/٨-٩.

٣٩٧- انظر: النمل: ٢٧/٨٧.

٣٩٨- انظر: النازعات: ٧٩/٤٦.

٣٩٩- انظر: الغاشية: ٨٨/٢٥-٢٦.

٤٠٠- انظر: الرحمن: ٥٥/٤١، والزمر: ٣٩/١٦، والعنكبوت: ٢٩/٥٥، والأنبياء: ٢١/٣٩، والأنفال: ٨/٥٠.

٤٠١- انظر: غافر: ٤٠/٣٣.

٤٠٢- انظر: الطور: ٥٢/١٦.

٤٠٣- إبراهيم: ١٤/٢١، وانظر: الأعراف: ٧/٣٨-٣٩، ٥٢-٥٣.

٤٠٤- انظر: البقرة: ٢/١٦٦.

٤٠٥- انظر: إبراهيم: ١٤/٢٢، والصافات: ٣٧/٣٢.

٤٠٦- انظر: سبأ: ٣٤/٤٢.

٤٠٧- انظر: الزخرف: ٤٣/٩، ولقمان: ٣١/٢٥، والعنكبوت: ٢٩/٦١.

٤٠٨- انظر: العنكبوت: ٢٩/٦٣.

٤٠٩- انظر: غافر: ٤٠/٨٣، والأنعام: ٦/١٥٨، والحجر: ١٥/٢، ويونس: ١٠/٩٠-٩١.

٤١٠- الكافرون: ١٠٩/٢-٦. وانظر: الأعراف: ٧/٣٠، والصافات: ٣٧/ ١١٣، ويونس: ١٠/٤٠-٤١.

٤١١- انظر: البقرة: ٢/١٦٥.

٤١٢- انظر: البقرة: ٢/٢٥٧، والأنعام: ٦/١٢٢-١٢٣.

٤١٣- الروم: ٣٠/٤٤، وانظر: الإسراء: ١٧/١٥.

٤١٤- انظر: فصلت: ٤١/٤٤، والبقرة: ٤/١٥٩-١٦٠.

٤١٥- انظر: الشورى: ٤٢/١٨.

٤١٦- انظر: البقرة: ٢/٢٥٤.

٤١٧- انظر: محمد: ٤٧/٤، والأحزاب: ٣٣/٢٥، والروم: ٣٠/٤٧، والنور: ٢٤/٥٥.

٤١٨- انظر: النساء: ٤/٧٦.

٤١٩- انظر: النحل: ١٦/٩٩،١٠٠، والحجر: ١٥/٤٢.

٤٢٠- انظر: المجادلة: ٥٨/١٩-٢٢.

٤٢١- انظر: محمد: ٤٧/١-٣.

٤٢٢- انظر: الحديد: ٥٧/١٦.

٤٢٣- انظر: المائدة: ٥/٩-١٠، وسبأ: ٣٤/٣-٥، وغافر: ٤/٣٩-٤٠، والنازعات: ٧٩/٣٧-٤٦.

٤٢٤- وانظر أيضاً: الدخان: ٤٤/٤٠-٥٦، والصافات: ٣٧/٢٠-٦١، والزخرف: ٤٣/٦٩-٨٠، والنساء: ٤/٥٦-٥٧.

٤٢٥- انظر: البقرة: ٢/١٤-١٥،٧٦، والمائدة: ٥/٤١،٦١، والنساء:٤/٨١.

٤٢٦- انظر: التوبة: ٩/٦٦، والمنافقون: ٦٣/٣، وآل عمران: ٣/١٦٧، والبقرة: ٢/١٧-١٨،٢٠،٨٨.

٤٢٧- انظر: آل عمران: ٣/٢٩، وهود: ١١/٥، والبقرة: ٢/٧٧.

٤٢٨- انظر: البقرة: ٢/٨٦.

٤٢٩- انظر: آل عمران: ٣/١٧٧.

٤٣٠- انظر: البقرة: ٢/١٦.

٤٣١- انظر: البقرة: ٢/١٣.

٤٣٢- انظر: البقرة: ٢/٩١.

٤٣٣- انظر: البقرة: ٢/٨٥.

٤٣٤- انظر: التوبة: ٩/٥٢.

٤٣٥- انظر: النساء: ٤/٨٣.

٤٣٦- انظر: المنافقون: ٦٣/٨.

٤٣٧- انظر: التوبة: ٩/٥٠، وآل عمران: ٣/١٢٠.

٤٣٨- انظر: النساء: ٤/٧٨-٧٩.

٤٣٩- انظر: آل عمران: ٣/١١٩.

٤٤٠- انظر: البقرة: ٢/٩.

٤٤١- انظر: البقرة: ٢/١٠٠.

٤٤٢- انظر: التوبة: ٩/٩٨.

٤٤٣- انظر: التوبة: ٩/٥٦.

٤٤٤- انظر: الحشر: ٥٩/١١-١٢.

٤٤٥- انظر: التوبة: ٩/٩٤.

٤٤٦- انظر: الأحزاب: ٣٣/١٣.

٤٤٧- انظر: النساء: ٤/٧٧.

٤٤٨- انظر: التوبة: ٩/٤٤.

٤٤٩- انظر: التوبة: ٩/٨٣.

٤٥٠- انظر: البقرة: ٢/١١-١٢.

٤٥١- انظر: التوبة: ٩/١٠٢.

٤٥٢- انظر: المنافقون: ٦٣/٦.

٤٥٣- انظر: التوبة: ٩/٧٠.

٤٥٤- انظر: الحديد: ٥٧/١٣.

٤٥٥- انظر: التوبة: ٩/٦٩.

٤٥٦- انظر: التوبة: ٩/١٠٥.

٤٥٧- انظر: التوبة: ٩/٧٨.

٤٥٨- انظر: التوبة: ٩/٥٣.

٤٥٩- انظر: إلأحزاب: ٣٣/١٧.

٤٦٠- انظر: الفتح: ٤٨/١٦-١٧، والتوبة: ٩/٣٨-٤٢، ٧٥-٧٦، والمائدة: ٥/٤١.

٤٦١- انظر: النساء: ٤/٨٥، وآل عمران: ٣/٣٠.

٤٦٢- انظر: التوبة: ٩/٦٧-٧١.

٤٦٣- انظر: التوبة: ٩/١٢٤-١٢٥.

٤٦٤- انظر: العنكبوت: ٢٩/١١.

٤٦٥- انظر: التوبة: ٩/٨٦-٨٩، ٩٢-٩٣، والفتح: ٤٨/١٠-١١، والأحزاب: ٣٣/٢٣-٢٤.

٤٦٦- انظر: المائدة: ٥/٥٢-٥٣.

٤٦٧- انظر: الأحزاب: ٣٣/٧٣، والنساء: ٤/١٤٤-١٤٦، ١٥٠-١٥٢.

٤٦٨- انظر: آل عمران: ٣/١١٨.

٤٦٩- عرضت الكتب التي تناولت القرآن الكريم إلى مسألة السور المكية والسور المدنية في كثير من جوانبها بحيث حددت السور المكية والمدنية والآيات المكية التي دخلت في السور المدنية، والآيات المدنية التي دخلت في السور المكية، وعرضت إلى أهم النقاط التي تحدد خصائص كل منها سواء من الجانب الزمني أو الجانب المكاني أو من الجانب الفني من حيث طول السور أو قصرها ومن حيث طول الآيات وقصرها، أو من حيث مخاطبة المؤمنين أو الناس وغير ذلك. ولمن أراد التعرف إلى هذه المسألة فالمكتبة القرآنية مليئة بالكتب التي تناولتها من مثل:البرهان في علوم القرآن للزركشي، أو الإتقان للسيوطي وفي غيرهما كثير.

٤٧٠- للتعرف إلى طبيعة المرحلة المكية والمرحلة المدنية وموضوعاتها يمكنك الرجوع إلى: مباحث في علوم القرآن، الدكتور صبحي صالح، دار العلم للملايين، ط١٣، (١٩٨١م) ص١٨١، ودراسات قرآنية، محمد قطب، دار الشروق-بيروت، ط٢، (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م) ص٢١.

الفصـــل الرابــع

دور التقابل والتماثل في إنتاج الدلالة

لا شـــك في أنـــنا قدمـــنا في الفصول السابقة جوانب مختلفة للتقابل والـــتخالف والـــتماثل تؤدي بنا إلى هذا الفصل وذلك أن ما قمنا بتفصيله من أنواع التقابلات والتخالفات والتماثلات وعلاقاتها البنائية القائمة بين أطرافها، وتفـــصيل تحـــركها في محاور القرآن الكريم الثلاثة: الإيمان، والكفر، والنفاق، يفـــضي بـــنا إلى الـــبحث في مستوى آخر من مستوياتها، وهو الدلالات التي تـــتمخض عـــنها بأطرافها وعلاقاتها، وذلك من حيث ربطها معاً، ومن حيث ربطها بالسياق الكلي الواردة فيه.

ولعـــل البحث في هذا الجانب الدلالي يحتاج من الدارس أن ينتقل من المـــستوى السطحي إلى المستوى العميق الذي يشكل النقطة الجوهرية التي تنبثق عـــنها التقابلات والتخالفات والتماثلات، لتطفو على السطح مرة أخرى، كما نقـــرؤها، وكمـــا نعيها عند قراءتنا الأولى؛ وذلك لأنها في الأصل تتشكل في المـــستوى العمـــيق ومـــن ثم تظهر على السطح، لا كما يبدو من ظاهرها أنها تتشكل في المستوى السطحي ثم تتعمق. فالدلالات السياقية ليست هي سلسلة الألفاظ الظاهرة للمتلقي، وإنما هي ظاهرة لمعنى حقيقي مختف وراءها، يستطيع الـــدارس أن يكتشفها بقدراته الخاصة، يقول الدكتور رجاء عيد: "وهنا يكون النـــسق الأسلوبي صورة لغوية تظل وراءه ظلال المعاني هائمة على وجهها حتى تتلمس ذهناً مخصباً بإدراك واع شفاف يلتقط بغريزته الوشائج اللاشعورية التي تأنف من التوضيح السقيم أو الغلو العقيم، ومن هنا يمكن للكلمات أن تستكشف مـــن خلالها برزخاً ينقلنا إلى مغاور خبيئة حيث تحتضن الكلمة العالم الخارجي، وفي دفء أحـــضانها ينسحق حدود اللفظ وينسحق مدلوله اللغوي البارد تحت تـــوقد الخيال، وينعدم إطاره المحسوس في ذهول في خلال عالم الرؤيا التي تمثل تجربة القصيدة"(١).

ولعل البحث في المستوى العميق هنا خطوة جديرة بالاهتمام والدرس؛ وذلـك لأن هـذا المستوى هو الذي يكشف عن دور التقابلات والتماثلات والتخالفات الحقيقي، أو أن نقف عند سطحها والحكم بالتالي على أنها تكشف عـن أبعـاد المعاني وتجليها بصورة قريبة إلى الفهم والإدراك، كما زعم بعض الدارسـين(٢)، فـإن ذلـك لا يقدم لها الدور الحقيقي الذي تقوم به، فالدور الحقيقي لها هو إنتاج الدلالات العميقة التي تظهر من أطرافها وعلاقاتها بالسياق.

إن الـنقطة الجوهـرية في دراسة دلالاتها تكمن في كيفية النظر فيها، وذلك أنها تتشكل من مفردات تقيم فيما بينها علاقة ما، وهذه المفردات تتعلق بمفـردات أخرى تقع خارج نطاق وحداتها، وتقع داخل الإطار السياقي الذي يـشكل البنـية الكلـية التي تحتويها، من هذه الزاوية يجب علينا أن ننظر إلى الـدلالات. فالـدلالات إذن تمر بمرحلتين متصلتين: المرحلة الأولى هي الدلالة الـناتجة من أطراف التقابلات والتخالفات والتماثلات، وهي دلالة محصورة في مفـرداتها، ويمكننا أن نطلق على هذه المرحلة الدلالة الاستدعائية. وأما المرحلة الثانية، فهي الدلالة الناتجة عن علاقة وحداتها بالسياق الكلي الذي وقعت فيه، ويمكنـنا أن نـسمي هذه المرحلة بالدلالة السياقية، ومن خلال هاتين المرحلتين نـستطيع أن نخرج بدلالات حقيقية لها في النص المدروس. وقد أشار الدكتور محمـد عـبد المطلب إلى هذا الإجراء في قولـه: "والأهمية الأساسية التي نعلق علـيها إنـتاج الدلالـة إنما تعود إلى رصد وحدات تعبيرية، مع رصد شبكة علاقاتهـا، وتجميع كل ذلك في مستوى واحد يعود إلى السطح أولاً ثم يمتد منه إلى الذهن ثانياً"(٣). فالوحدات التعبيرية إذن هي الأساس الذي يمكننا أن ننطلق منه لتحديد الدلالات الاستدعائية، ومن ثم نتجه إلى السياق للكشف عن شبكة العلاقـات الـتي يفرضها السياق بالتواصل مع الوحدات التعبيرية لينتج بالتالي الدلالات السياقية.

وحتى نتتبع إنتاج الدلالة لكل من التقابلات والتخالفات والتماثلات على مستوييها الاستدعائي والسياقي، نأخذ كل واحد منها على حدة، فأبدأ بالتقابل.

التقابل:

لا شك في أن الدلالة التي تنتجها تقابلات القرآن الكريم تستمد معانيها من معجمية ألفاظ التقابل، ولكنها تنتقل في بعض جوانبها من المعنى المعجمي إلى معنى آخر، يشكل بعداً عميقاً من خلال الوحدات التعبيرية في التقابل. وقد أظهرت التقابلات في آيات القرآن الكريم عدداً من الأبعاد الأساسية التي تشكل دلالات استدعائية مهمة، هي:

البعد الزمني:

إن هذا البعد هو أول الأبعاد الأساسية للتقابلات، إذ تحرك كثير من تقابلات القرآن الكريم من خلاله، وقد أخذ هنا خاصية متميزة، يمكن لنا أن نسميها البعد الزمني المتكامل، فالتقابلات في القرآن العظيم تحركت من خلال إطار زمني موسع شمل ثلاث مراحل أو حلقات زمنية، هذه الحلقات هي **زمن الحياة الدنيا، وزمن الموت، وزمن الحياة الآخرة**. وكل حلقة منها تختلف في خصائصها ومميزاتها، ولاشك في أننا ندرك أن حلقة الحياة الدنيا حلقة فانية، تزول بقدوم الحلقة الثانية بالنسبة للفرد (الإنسان) الذي يمارس هذا الزمان، ولذلك فهي حلقة محصورة تدور في إطار محدد. وأما الحلقة الثانية، فهي تشكل حلقة الوصل بين الزمن الأول والزمان الثالث (الحياة الآخرة)، وهي حلقة محصورة أيضاً تبدأ وتنتهي بقدوم الحلقة الثالثة. ولعلنا ندرك أن الزمان في الحلقة

الثالــثة زمـــان يختلف بخصائصه ومميزاته عن الحلقتين الأولى والثانية، فهو زمن أبــدي غير محصور يمتد إلى ما لا نهاية. من خلال هذه الحلقات الثلاث تحركت تقابلات القرآن الكريم على اختلاف علاقاتها. ولعل قولـــه تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ ﴾[٤] يكشف لنا عن هذا البعد المتكامل.

لاشـــك في أن هـــذه الآية تضع لنا الحلقات الزمنية الثلاث من خلال أطـــراف التقابل، فحلقة الزمن الأول الفاني تتحقق في الفعل الماضي (أحياكم)، في حين أن الحلقة الثانية المتوسطة تتحقق في الفعل المضارع (يميتكم) وأما الحلقة الثالثة، فتتحقق في الفعل المضارع (يحييكم). فالفعل الأول (أحياكم) يحقق بعداً زمنـــياً يقع في إطار الغياب، وهو بعد محصور ينتهي بقدوم الحلقة الثانية المتمثلة في الفعـــل المـــضارع (يميـــتكم). وهذا الفعل الواقع في إطار الحضور يشير إلى قضيتين: الأولى- أن الحاضر يؤكد انتهاء الزمن في الحلقة الأولى (الماضي) بحيث يكـــشف عن أن هذه الحلقة قد انقضت وانتهت، وبدأت حلقة جديدة بالنسبة للإنـــسان. والـــثاني- أن الزمن الحاضر في هذا الفعل يؤكد بداية تكوين الحلقة الثانـــية، ولكن هذه الحلقة في ذاتها محصورة ومنتهية عند بداية الحلقة الثالثة في الفعل (يحييكم) ولاشك ي أن وقوع الزمن الحاضر في الفعل (يحييكم) مربوط بالـــبعد الزمني الحقيقي للحلقة المتوسطة التي تتصف بالانتهاء والزوال. ومن هنا يأخـــذ الـــزمن (الحاضر) في هذا الفعل صفة الانتهاء ليصبح زمناً ماضياً بقدوم الحلقة الثالثة في الفعل (يحييكم). ولا شك في أن صفة الزمن الحاضر هنا تختلف عنها في الفعل الثاني، وهي تستمد معناها من إطار الزمن الأبدي لتصبح مؤشراً على استمرارية الفعل الحاضر في (يحييكم).

ويتصف البعد الزمني في حلقاته الثلاث بصفة الانتشار من خلال الأفعال التي تحدد الأزمان كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾(٥).

إن البعد الزمني في هذه الآيات يتحدد من خلال المراحل الثلاث التي تمت بها عملية خلق الإنسان، بحيث أظهرت الحلقة الأولى عملية الخلق والإحياء، وذلك يتمثل بالأفعال (خلقنا) و(جعلناه) و(خلقنا) و(كسونا) و(أنشأناه) إن الملاحظ على هذه الأفعال المنتشرة في الآيات أنها تجتمع على الزمن المباشر (الماضي) الذي يمثل حقبة الحياة الدنيا (الزمن الفاني)، وقد جاءت متوافقة بتوجهها إلى الماضي، ومن ثم نلحظ أن الحلقة المتوسطة (الحلقة الثانية) قد اتخذت صفة التقلص للتعبير عن الزمن، وقد تضمن الاسم (ميتون) هذا الزمن، ونلحظ أيضاً خصوصية الزمن الثالث الأبدي التي ظهرت في الفعل (تبعثون)، وهو يتخذ الزمن الحاضر المباشر الذي يشير إلى استمرارية حدوث الزمن والفعل معاً، ويستمد هذه الاستمرارية من الإطار الزمني الأبدي للحلقة الثالثة.

وقد أسهمت وحدات تقابلية أخرى في إعطاء الدلالة الاستدعائية للزمن بحيث أظهرت حلقات جزئية غير متكاملة في آيات القرآن الكريم، فمن هذه الحلقات الحلقة الأولى والحلقة الثالثة، وقد عبرت التقابلات عن هذا البعد الزمني من خلال معجم لفظي اختلفت ألفاظه المتقابلة، وقد ترددت مفردات الحلقة الأولى في صورة: الدنيا، والأولى، وكل من عليها فان. أما مفردات الحلقة الثالثة، فقد جاءت بصور مختلفة أيضاً هي: الآخرة، ويوم القيامة، ويوم

يقوم الأشهاد، وما عند الله خير وأبقى. وقد اتخذ البعد الزمني في هاتين الحلقتين طابعاً مميزاً من حيث الأسلوب البنائي الذي يتصف بإثبات صفة الزمن الثالث، وهي صفة الديمومة واللانهائية، وحتى ندرك هذه الدلالة نأخذ قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [٦]. لا شك في أننا نلحظ أن الآية تبدأ بمفردات تحمل طابع البعد الزمن للحلقتين الأولى والثالثة، فمفردات الحلقة الأولى، هي: (أرسلنا) و(أيام) و(لنذيقهم) و(الحياة الدنيا). وأما مفردات الحلقة الثالثة، فهي: (الآخرة) و(لا ينصرون).

تأخذ مفردات الحلقة الزمنية الأولى طابعاً خاصاً بها مستمداً من الإطار الزمني الفاني، فنلحظ ورود الفعل الماضي (أرسلنا) الذي يقع في إطار معنى الجزاء الإلهي في الحياة الأولى، ومن ثم نلحظ مجيء فعل آخر يمثل الزمن الحاضر وهو (لنذيقهم)، ويشكل ورود هذا الفعل بعد الماضي أهمية خاصة، هي أن ثمة تتابعاً زمنياً بين الماضي والحاضر وما هذا التتابع إلا لإكمال حلقة الجزاء والاستمرار بإحداث الألم على هؤلاء القوم، والذي أرسله الله سبحانه وتعالى عليهم (ريحاً صرصراً)، فكأنما الزمن الحاضر يشير إلى استمرار الشعور بالألم والعذاب الذي يجعل الزمن القصير زماناً طويلاً سرمدياً، ولكن هذه الإطالة في الزمن نابعة من شعور الإنسان بالعذاب والألم لا من حقيقة زمنه فهو يقع في إطار زمن محدود ينتهي بانتهاء الحياة الدنيا بالنسبة للذي يذوقه، وتكشف الآية كشفاً حقيقياً عن هذا البعد الزمني الذي يرتبط بمعنى الجزاء في إحداثها زمناً آخر يقابل الزمن الفاني، وهو الزمن في (الآخرة). فزمن الآخرة الحقيقي زمن دائم أبدي. وقد ظهرت هذه الديمومة أو الاستمرارية على مستويين: الأول-

المستوى الفعلي في الفعل (لا ينصرون) وهو فعل منفي يفيد نفي نصرة هؤلاء القوم في الحياة الآخرة من عذابهم وآلامهم. والمستوى الثاني- هو المستوى الاسمي الذي يتمثل في اسم التفضيل (أخزى)، ولا يتضح هذا المستوى بزمانه الأبدي إلا بربطه بالزمان الأول، وذلك من خلال الاسم (الخزي) فالاسم (أخزى) يتفوق على الاسم (الخزي) في أنه يشير إلى نوعية الحدث وهو (المهانة والذلة)، ويتضمن تصعيد العذاب والإكثار من الخزي في إطار زمني ممتد على النقيض من الاسم الأول (الخزي) الذي يقع في إطار زمني محدد ينتهي بانتهاء الزمن الفاني (الزمن الأول)، هكذا إذن يتخذ البعد الزمني في هذه الآية خصوصية تتصف بقدرة الزمانين على الانتشار داخل الأفعال والأسماء في البناء السياقي.

ويظهر البعد الزمني في هاتين الحلقتين ميزة أخرى وهي تداخل مفردات الأزمنة في البناء السياقي، وحتى ندرك هذه الدلالة نأخذ قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧). إن المحور الأساسي للبعد الزمني في هذه الآية هو (الدنيا) و(الآخرة) ويقع هذا البعد في سياق يتخذ معنى الجزاء، وبالنظر إلى المفردات التي تشير إلى حلقتي الزمن نلحظ تردد الفعل (هاجروا) والفعل (ظلموا) والفعل (لنبوئنهم) والفعلين (كانوا يعلمون)، هذه الأفعال تنتقل من الماضي إلى الحاضر؛ بمعنى أنها متتابعة في إحداثاتها الزمنية، فالفعلان (هاجروا) و(ظلموا) يلتقيان الزمان الماضين وهما يشيران إلى التتابع المعكوس بمعنى أن الفعل (ظلموا) حدث في زمان يسبق الفعل (هاجروا)، وهذا ارتداد في بناء الأسلوب يقع في إطار زمن واحد، ومن ثم يأتي الفعل (لنبوئنهم) بعد الزمنين الماضيين،

وهـــو زمن حاضر، فكأنما الجزاء في هذا الفعل مقطوع عن الحدث في الفعلين الـــسابقين ليبدأ مرحلة جديدة من حياة المؤمنين المخاطبين في هذه الآية، بحيث يـــدرك المتلقي هنا بأن إحداث الفعل في الحاضر هو الجزاء المستمر الذي يقابل أجر هؤلاء الذين هاجروا وظلموا، ولكن الآية الكريمة أخرجت هذا الإحساس بالاستمرار إلى حيز الانتهاء والمحدودية بفرضها حلقة الزمان الأولى على السياق وانـــتقلت به إلى حلقة جديدة لتضع الأجر في إطار زمني أبدي وهو (الآخرة)، وبالـــتالي فإنهـــا تحـــدث جزاء جديداً يماثل الجزاء الأولى، ويفترق عنه في معنى اســـتمرارية إحداثه، ومن ثم ترتد الآية إلى الزمان الأول بفرضها الفعلين (كانوا يعلمون) وهما فعلان مختلفان من حيث المعنى، فالفعل الأول (كانوا) فعل ناقص لا يكـــتمل معناه إلا في جملة، وأما الفعل الثاني (يعلمون) فهو تام يكتمل معناه بفاعلـــه، ولكن من المدهش حقاً أن الآية جعلت الفعلين متعلقين بجملة واحدة وضعتهما في إطار زمنين مختلفين، الفعل الأول في إطار الماضي. والثاني في إطار الحاضـــر. ولا شك في أن هذا الأسلوب النحوي ينسجم مع القاعدة العامة التي افترضـــت فعـــلاً مضارعاً ليكون خبراً لكان وأخواتها، فالدهشة هنا هي جمع الـــزمان الماضـــي إلى الزمان الحاضر، وذلك أن لتعليق الآية الكريمة الزمنين معاً دلالة مهمة فيها، فالآية ارتدت بهذا التعليق إلى الحلقة الأولى بعد أن تحدثت عن الحلقـــة الثالـــثة، وبذلك تكون قد ربطت الماضي في (كانوا) بالفعل (ظلموا)، وربطـــت الفعل الحاضر (يعلمون) بالفعل (لنبوئنهم) وذلك كما يلي: إن الفعل (كانوا) يعود إلى أصحاب الفعل الذين ظلموا المؤمنين المهاجرين، وبهذا يتساوى الفعـــلان بالإحـــداث في إطار زمني واحد، وأن الفعل (يعلمون) لو تحقق لعاد بأصـــحابه إلى الفعل (لنبوئنهم) من حيث الإطار الزمني (الحاضر)، ومن حيث إحداث الجزاء في الفعل (لنبوئنهم)، إذ إنهم لو علموا حقيقة المؤمنين، ما كانوا

قد أحدثوا الظلم بالتالي، ولأصبحوا مع هؤلاء الذين هاجروا فنالوا الجزاء الحسن نفسه، وبهذا الأسلوب تجلي الآية الكريمة قدرة حلقتي الزمان الأول والثالث على التداخل والانتشار في النص القرآني.

وقد تناولت الآيات الكريمة الحلقة الزمنية الثانية (الموت) والحلقة الزمنية الثالثة معاً في وحدات التقابل، لتكشف من خلالهما عن الدلالة العميقة للبعد الزمني، وقد عبرت التقابلات عن الحلقة الزمنية الثانية بمعجم من المفردات، هي: الميت، وكنا عظاماً، وموتوا، ولن يبعثوا، وعبرت عن المعجم اللفظي للحلقة الزمنية الثالثة بالمفردات الآتية: مبعوثون، وفي خلق جديد، ثم أحياهم، ثم بعثناكم، وإلى ربكم ترجعون، ولتبعثن. وقد كان لهذا البعد صفات الربط والتوصيل مع دلالة الحلقة الأولى، كما في قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [8] إن وحدة التقابل الأساسية في هذه الآية هي (لن يبعثوا/ لتبعثن)، إذ إن الطرف الأول يكشف عن حلقة الزمن المتوسط (الثانية) وهو الموت في حين أن الطرف الثاني يكشف عن حلقة الزمن الثالثة وهو البعث أو الحياة بعد الموت، وتنشأ من حول هذه الوحدة التقابلية مفردات تتضمن أبعاداً زمنية ترتد إلى الحلقات الزمانية الثلاثة، فالأفعال (زعم) و(كفروا) و(علمتم) ترتد إلى حلقة زمانية ضمنية في الآية غير مذكورة ومن ثم الأفعال (لتبعثن) و(تنبؤن) ترتد إلى الحلقة الزمنية الثالثة، وأما الحلقة الزمنية المتوسطة فهي التي ينتمي إليها الفعل المنفي (لن يبعثوا)، نلحظ، من خلال توزيع هذه الأفعال، أن الحلقتين الزمنيتين تقيما روابط مع بعضهما من جهة، ومع الحلقة الزمنية الأولى التي تفهم ضمناً من الآية الكريمة من جهة أخرى، فالأفعال (زعم) و(كفروا) و(عملتم) أفعال في زمن الماضي، وهي واقعة في إطار الزمن المحصور، وأما الفعلان (لتبعثن)

و(تنبؤن) فهما يقعان في إطار الزمن الحاضر الذي يتصل بالحلقة الثالثة وهي الحياة الدائمة الأبدية. وتتواصل الأفعال فيما بينها من خلال الحلقة الثانية التي جاءت نتيجة الأفعال الأولى لتوصلنا إلى الأفعال في الحلقة الثالثة. ولعلنا نلحظ أن تحقق البعد الزمني في هذه الآية يتخذ طابعاً متميزاً من خلال البنية اللغوية التي تكشف عن هذا الطابع، وذلك أن الحلقة الثانية (المتوسطة) جاءت في فعل حاضر منفي بلن، والواقع أن هذا الفعل قبل نفيه كان دالاً على الاستقبال، بمعنى آخر أن البعد الزمني للحلقة المتوسطة لما يحدث في إطار الحديث القائم في زمن الأفعال (زعم) و(كفروا)، وهو حديث قائم في زمن الحياة الدنيا (الحلقة الأولى). ولكن البناء اللغوي يعمل على تحقيق إحداث هذا الزمن بالفعل والحرف (قل بلى) فهما دالان على توكيد وقوع الزمن الثاني، وتجاوزه إلى الزمن الثالث من خلال الفعل الحاضر المؤكد باللام والنون وهو (لتبعثن). وفائدة هذا التأكيد تنتقل إلى تقرير إحداث الحلقة الثالثة، ويزيد السياق تأكيد هذه الحلقة بالفعل الحاضر المؤكد باللام والنون (لتنبؤن)، ويأخذ السياق القرآني في هذه الآية المتلقي إلى إطار الزمن الأول بعد أن انتهى من حلقة الزمن الثاني والثالث ليعود به من حيث بدأ، وذلك بالفعل (عملتم)، وهذه العودة إلى الزمن الأول ذات دلالة زمنية مهمة، وهي أن الحديث قد حقق الحلقتين الزمنيتين الثانية والثالثة ضمن إطار الزمن الأول، وهذا هو دأب آيات القرآن في إثبات حقيقة البعث والحياة الآخرة، وما يجري فيها من حساب وجزاء على الأعمال، فالآية الكريمة تكشف من خلال وحدة التقابل الأساسية صفة الربط والتوصيل بين حلقات الزمن الثلاث.

وتناولت الآيات القرآنية الحلقة الزمنية الأولى بطريقة مختلفة عما ألفناه في الحلقتين السابقتين، وذلك أنها فصلت في سياقها وحدات تقابلية متعددة

الأبعـــاد والـــدلالات، وقد جاءت هذه الأبعاد في دائرتين زمنيتين، وقد كانت الدائرة الأولى هي دائرة الزمن العام الذي يجمع بين قطبيه الزمن القريب والزمن البعـيد، وقد حققت الآيات هذه الدائرة بمفردات مختلفة مثل: قريب، وبعيد، ويجعل له أمداً، والمهد، وكهلاً، والشتاء، والصيف، ومستقدمين، ومستأخرين.

ويمكنـــنا أن نفهـــم هـــذا البعد من قولـــه تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [٩] إن الوحدة التقابلـــية في هذه الآيات هي (أقريب ما توعدون/ أم يجعل له ربي أمداً). وهي تتـــضمن الدلالة الزمنية في نقطتي القرب والبعد، ولكن هذا البعد الزمني يتحقق ضـــمن إطار الحلقة الزمنية الأولى (الحياة الدنيا). ونلحظ أن البناء اللغوي لهذه الآيـــات وزع مفـــرداته الزمنية على حلقتين زمنيتين، هما الحلقة الأولى والحلقة الثالـــثة التي تستشف من غير أن تظهر بجلاء، كما هي الحال في الحلقة الأولى.

ولو ذهبنا إلى إعادة توزيع المفردات على الحلقتين لوجدناهما كما يأتي: مفردات الحلقـــة الأولى (قل) و(أدري) و(توعدون) و(يجعل) و(لا يظهر). وأما مفردات الحلقة الزمنية الخفية (الثالثة)، فهي: (رأوا) و(ما يوعدون) و(سيعلمون) و(عالم الغيب). إن مفردات الحلقة الأولى تحقق الأبعاد الزمنية في الدائرة الزمنية العامة، فهـــي تـــراوحت بين الأمر (قل) والحاضر (أدري) و(توعدون) و(يجعل) و(لا يظهـــر) وهي أزمنة تنتهي فاعليتها بانقضاء الزمن الأول. وأما مفردات الزمن الـــثالث فهي تتحقق مع بدء تحقيق الحلقة الثالثة، ونلحظ أن الزمان المباشر في هـــذه المفردات قد جاء مغايراً بعض الشيء لما جاء في المفردات السابقة، إذ بدأ بالماضي (رأوا) ومن ثم بالحاضر (ما يوعدون) والمستقبل (سيعلمون). ولعل لهذه

المغايرة أهمية خاصة في تحقيق الدلالة الزمنية لهذه المفردات. وذلك أن هذه الأبعاد الزمنية قد غطت مساحة الزمن بأجزائه الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل، لتشير بالتالي إلى تحقيق امتداد الحلقة الزمانية الثالثة من خلال ما حاولت تقريره في المفردات الزمنية في الحلقة الأولى، وذلك أن المفردات كانت في إطار الانتهاء، في حين أن المفردات في الحلقة الثانية حققت إطار الامتداد اللانهائي، وبهذا تكون البنية اللغوية قد خلقت دلالة زمنية جديدة قائمة على التضاد بين الحلقتين من خلال البناء الأسلوبي للمفردات. ولعل ورود قوله (عالم الغيب) في هذا السياق يكتسب أهمية خاصة بربطه بالسياق، هذه الأهمية التي تكشف عن القدرة الإلهية التي تنفك عن الأطر الزمنية، وتبقى متحققة، فعلمه للغيب يخرج عن النطاق الزمني المحدود؛ لأنه في الأصل يحتوي هذا الزمن، ويمتد إلى الزمان الأبدي الذي يحتويه أيضاً. ولا شك في أن هذه القدرة التي تحتوي زماناً فانياً وزماناً أبدياً دائماً هي قدرة خارجة عن الحلقات الزمنية.

وتمتاز الدائرة الزمنية العامة في آيات القرآن الكريم بأنها استطاعت أن تظهر حلقتين زمنيتين معاً في إطار حلقة زمنية واحدة، وهما حلقة الزمن الثاني وحلقة الزمن الثالث، وذلك من خلال وحدة تقابلية مجازية بين مفردتي (الحياة/ والموت) كما في قوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ** ﴾ [١٠] إن الوحدة التقابلية الأساسية في هذه الآية هي (ميت/ فأحيينا) لا شك في أن المفردة الأولى (ميت) تنتمي إلى الحلقة الزمانية الثانية. والمفردة الثانية (أحيينا) تنتمي إلى الحلقة الزمانية الثالثة. ولكن هاتين المفردتين تتحققان في إطار الحلقة الزمانية الأولى، ويمكننا القول هنا إن هاتين المفردتين هما ظلان للحلقتين الثانية والثالثة، وقد جاء هذان

الظــلان مــن خلال المعنى المجازي للتقابل، ولا شك في أن دوره في هذا البناء اللغــوي كان لتقريب الصورة الحقيقية لإحداث الحلقة الزمانية الثانية (الموت) والحلقــة الــزمنية الثالــثة (البعث)، وهذا ما يظهره السياق من خلال قولــه (كذلك النشور)، ولعلنا ندرك هنا عمومية الامتداد الزمني في وحدة التقابل بين القريب (ميت) والبعيد (أحيينا به الأرض)، ونلحظ في هذه الآية كيفية الامتداد الــزمني بــين المفردات من جهة كل مفردة في وحدة التقابل، وذلك أننا نجد الأفعال الماضية (أرسل/ و(سقناه) و(أحيينا به الأرض) تنتمي إلى فاعلية واحدة هــي من جهة الفاعل لفظ الجلالة (الله)، ونجد الفعل الحاضر (تثير) ينتمي إلى فاعلــية (الــريح)، وهــو يختلف بزمانه المباشر الحاضر عنه في الأفعال السابقة الماضــية، وكأنمــا مجــيء الأفعال الماضية في هذا السياق يكشف عن الافتراق الحقيقي بين طبيعة الحلقة الزمانية الثالثة، وطبيعة ظلها في هذا السياق، وذلك أن هــذه الحالة لا تتصف بالزمان الماضي الذي يشير إلى دلالة الانتهاء والمحدودية، وإنما إلى زمان ممتد أبدي. ومن هنا يمكن أن ندرك بوضوح حقيقة البعد الزمني للمفــردة (أحيينا) فالبعد الزمني ذو دلالة محصورة وفانية، وبهذا الإدراك تكون الآيــة الكريمة قد وضعت لنا دلالة دقيقة للتفريق بين الحلقات وظلها من خلال المجاز.

أمــا الدائرة الزمنية الثانية التي تقع في الحلقة الأولى، فهي دائرة الزمن الخــاص، وأقصد بالزمن الخاص الزمن الذي يمتد على مساحة اليوم الواحد ليله ونهــاره، وقد تجمعت مفردات كثيرة في طرفي تقابل الليل بالنهار مع اختلاف ألفاظهــا، فمفردات الليل، هي: العشي، والآصال، والأسحار، والبيات، وقبل طلــوع الــشمس، وتمسون، والظلمات، وغسق الليل، والرواح. أما مفردات

النهار، فهي: الإصباح، والغداة، والفجر، والبكرة، والإشراق، وقبل الغروب، وتظهرون، والضحى، والنور، ودلوك الشمس.

وتمتاز الدائرة الزمنية هنا بأنها تأخذ طابع الانتشار في البناء اللغوي، وحتى ندرك هذا الطابع نأخذ قوله تعالى: ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** ﴾(١١) إن الوحدة التقابلية الأساسية في هذه الآية هي (الفجر/ والليل): وذلك لأن موضوع الآية يتناول الصيام في إطار هذين الزمنين، ولكننا نلحظ في الآية أن البعد الزمني ينتشر بدلالاته على كثير من مفرداتها. فالآية تبدأ بالمفردة (ليلة الصيام)، وتختم الموضوع بالطرف الثاني من الوحدة التقابلية وهو (الليل)، وبين هاتين المفردتين يقع طرفان زمانيان يتصلان بالوحدة الأساسية أقصد بهما (الخيط الأبيض) و(الخيط الأسود). ولا شك في أننا ندرك أن هذا البعد اللوني يحمل في طياته بعداً زمنياً للنهار الذي يتجلى في (الأبيض) والليل الذي يتجلى في (الأسود). وتتم حركة الزمن من خلال هذين البعدين في الآية الكريمة، وترتد مفردات مختلفة إلى قطبي الوحدة الأساسية فالمفردات (الآن) و(باشروهن) و(ابتغوا) و(كلوا) و(اشربوا) تقع في قطب الليل. وأما مفردتا (يتبين) و(أتموا)، فتقعان في قطب الفجر (النهار) ولا شك في أننا نلحظ الدلالة الزمنية المباشرة التي تحملها هذه المفردات جميعاً؛ فالزمن الحاضر والماضي والأمر يقع في قطب

الفجـر (النهار)، ويحمل الزمن الماضي في قطب الليل خصوصية الزمن المحصور الـذي ينتهي بقدوم الزمن الحاضر للفعل (يتبين) الذي ينتهي إلى قطب الفجر، ويصبح الحد الفاصل بين الزمنين حول الخيط (الأبيض) و(الأسود). وبهذا الحد تنتهي فاعلية المفردات في الزمن، وتبدأ فاعلية المفردات (يتبين) و(أتموا) في قطب الفجـر (الـنهار). ولا شـك في أن هذا التتابع يتم من خلال دورة معكوسة حسب ما يقتضيه موضوع الآية الكريمة من دورة النهار والليل في شهر رمضان وتفرز لنا الدائرة الزمنية في هذه الآية بعداً زمنياً آخر قطباه الإيجاب والسلب في (باشـروهن) و(لا تباشروهن) ولكن هذا البعد يمتد خارج نطاق الدائرة الزمنية (الليل والنهار) المحصورة بين قطبيها، ويبقى ضمن دائرة الزمن المحصور بين بداية الشهر ونهايته، وذلك أن هذه الآية أجازت استمرار إحداث فعل المباشرة للنساء في فتـرة متقدمة من فترات الشهر، ومن ثم قطعت البعد الزمني لشهر الصيام في المـدة الـواقعة وقت الاعتكاف في المساجد. ومن هنا ندرك أن الزمن الأول (باشـروهن) زمـن محصور، في حين إن الزمن الثاني (لا تباشروهن) منفي لا يتحقق فيه فعل المباشرة.

وتكتـسب الدائرة الزمنية الخاصة دلالة أخرى من دلالات الانتشار في البـناء الـسياقي، وذلك من خلال تكرير مفردات الوحدة الأساسية للتقابل، وحتى ندرك هذه الدلالة نأخذ قولـه تعالى: ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ** ﴿٧١﴾ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴿٧٢﴾ **وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾[١٢] في هذه الآيات وحدتان تقابليتان أساسيتان هما

(الليل والنهار). وقد تميز البعد الزمني لهاتين الوحدتين بقدرته على الانتشار من خــلال مفــردات تنتمي إلى طرف من أطرافهما، ونلحظ أن الآيات بدأت في مفردة الليل، وانتهت بمفردة النهار في آيتها الأخيرة، وتجمع بين هذين الطرفين المفــردات الــتي تبلور البعد الزمني؛ بحيث جاءت مفردة (بضياء) بعد الطرف الأول وهي تكشف عن علاقة تخالفية مع الليل، وهي تشير بمعناها إلى النهار، ثم يــأتي السياق بكلمة (النهار) ويتبعه (الليل) ولا شك في أن هذا الأسلوب ذو دلالــة تصعيدية للبعد الزمني؛ وذلك لأن البناء اللغوي هنا يتدرج من زمن إلى آخــر بــبدئه من الليل إلى النهار الذي جعله منتشراً بين دفتي مفردة الليل من خــلال لفظــتي (بضياء) و(النهار سرمداً)، ثم بعد ذلك يعود البناء اللغوي إلى الارتــداد إلى مفردة الليل مرة أخرى، وتبلغ دلالة التصعيد الزمني قمتها في الآية الأخيرة عندما أعادت جمع (الليل) بـــ (النهار)، لتحدث علاقة التضاد بصورة مكثفة بعد أن كانت علاقة منتشرة على مساحة البناء اللغوي. إن هذا الامتداد في البعد الزمني وتكثيفه وحصره في السياق ينعكس على مفردات لغوية أخرى في الــسياق، وذلــك أنــنا نجد صفة الامتداد في المفردات (سرمداً) و(إلى يوم القــيامة) و(لتبتغوا). وهذه المفردات كما ندركها تعطي صفة التوسع والحركة الدائــبة، ونجــد أيــضاً صــفة التكثف والانحصار في مفردات (لا تسمعون) و(تــسكنون) و(لا تبــصرون) و(لتسكنوا فيه) و(لعلكم تشكرون). إن هذه المفــردات تعبر عن الحركة الساكنة التي تصل إلى نقطة الصفر، إذ تأخذ مقداراً زمنياً واحداً يتساوى مع نقطة الصفر، فالسكون هو الحركة المكثفة التي لا تمتد عبر مسافة الزمن، وكذلك الأفعال المنفية (لا تبصرون) و(لا تسمعون). والفعل المــرفق بالترجــي الذي يشي بعدم حدوث الشكر (لعلكم تشكرون) يشارك الــسكون في هذه النقطة؛ لأن النفي والترجي وصفان لعدم امتداد الأفعال عبر البعد الزمني.

البعد المكاني:

إن البعد المكاني هو البعد الثاني الذي يظهر في تقابلات آيات القرآن الكريم. وقد اتخذ هذا البعد في الوحدات التقابلية دلالات مختلفة غطت جميع الاتجاهات المكانية على المستويين العمودي والأفقي. ولكن هذه الاتجاهات كانت تقترن معاً في البناء اللغوي أحياناً، وتفترق أحياناً أخرى. ولعل أكثر الأبعاد تكريراً في الوحدات التقابلية كان **المستوى العمودي** الذي تحقق من خلال بعدي الأعلى والأسفل. وقد اختلفت المفردات التي تنتمي إلى هذا البعد، فبعد الأعلى كانت مفرداته: السموات، وفوق، ومعروشات، والسقف، وعاليها، وفرعها، والنواصي. أما مفردات بعد الأسفل، فكانت: الأرض، وتحت، والقواعد، وسافلها، وموضوعة، وأصلها، والأقدام. ويبدي المستوى العمودي في التقابلات امتداداً من نقطة مكانية تتركز في الأعلى إلى نقطة مكانية تتركز في الأسفل، وقد اتخذ هذا المستوى صفات الانتشار المكاني، فهو إما انتشار محصور، وإما انتشار ممتد واسع. وحتى ندرك هذين البعدين، نأخذ قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾[١٣] إن الوحدة التقابلية الأساسية في هذه الآية هي (الأرض/ والسماء)، وتتحرك بعض المفردات في إطار هذين البعدين، فمفردة (قراراً) تشكل نقطة الارتكاز التي ترتبط بالبعد (الأسفل)، ومفردة (بناء) تشكل نقطة الارتكاز التي ترتبط بالبعد (الأعلى)، فالمستوى العمودي في هذه الآية يتحدد من خلال هذه المفردات، وينقطع التشكل المكاني بين مفردات هذه الآية عند هذا الحد. ولكن صفة الانتشار المحصورة في التقابلات القرآنية تتخذ طابعاً آخر وهو صفة التلاقي بين

نقطـــتي المستوى العمودي، كما في قولـــه تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [١٤] إن الـــوحدة التقابلية الأساسية في هاتين الآيتين هي (السماء والأرض) والمفردات (فتحـــنا) و(بماء منهمر) و(فجرنا) و(عيوناً) و(فالتقى الماء) تحدد نقطة الالتقاء بـــين بعـــدي المستوى (الأعلى والأسفل). وذلك أن المفردات (فتحنا) و(بماء منهمر) تشكل حركة ارتداد من الأعلى إلى الأسفل، وذلك لكونها نقطة كامنة تتـــصف بـــصفة (الأعلى) ثم عادت إلى نقطة الأسفل. ونلحظ تشكل حركة الارتـــداد نفسها في المفردات (فجرنا) و(عيوناً) و(فالتقى الماء). وهي أن هذه المفـــردات أشـــارت إلى (المـــاء) الـــذي تحرك من نقطة المركز (الأسفل) إلى (الأعلـــى)، ويلتقي بعد ذلك نقطة الأعلى المتجهة من الأسفل. وهكذا يتشكل المـــستوى العمـــودي بصورة من تحرك النقطتين باتجاهين معاكسين لصفة كل نقطة، بحيث تصبح نقطة الارتكاز الأعلى سفلى ونقطة الارتكاز السفلى عليا، ولا شك في أن هذا التحرك في البناء اللغوي يقدم فاعلية مهمة في إحداث معنى الـــتوحد بـــين بعدي المكان في المستوى العمودي، إذ تلاشت الأبعاد العمودية هنا، وأصبحت تشكل وحدة مكانية تغيب فيها الحدود.

وأما صفة الانتشار الممتد في البعد المكاني على المستوى العمودي فكما في قـــولـــه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [١٥] إن الـــوحدة التقابلية في هذه الآيات تكاد تكون

عائمـــة بغـــير حـــدود ثابتة؛ وذلك لأنها تتخذ طابع التداخل من جهة وطابع الاخـــتفاء مـــن جهـــة أخرى، ولكن التدقيق في الآيات يقودنا إلى أن الوحدة الأساســية فيها هي (أصلها/ وفرعها). فالموضوع الأساسي في الآيات الحديث عـــن الـــشجرة كـــونها طيبة وخبيثة، ومن خلال هذه الوحدة تأخذ المفردات بالانتـــشار داخل البناء اللغوي، إن مفردة (أصلها) تشير إلى بعد نقطة الارتكاز المكـــاني الـــذي يـــشير إلى (الأسفل) وأما مفردة (فرعها) فتشير إلى بعد نقطة الارتكـــاز المكـــاني الـــذي يشير إلى (الأعلى)، ومن خلال هذين البعدين تبدأ مفـــردات البناء بالتشكل، ولذلك فإننا نلحظ تكوين وحدات بنائية ثانوية مثل (الـــسماء/ والأرض)، و(اجتثت/ وما لها من قرار). إن الوحدة البنائية الثانوية الأولى تقـــع في إطارها الوحدة الأساسية (أصلها/ وفرعها)، فالأصل ينتهي إلى الأرض، والفرع ينتهي إلى السماء، وأما الوحدة البنائية الثانية فإنها تتخذ طابعاً يختلف عن الوحدة الأولى وذلك من خلال علاقة الطرف الأول المثبت بالطرف الثاني المنفي، وهي تشكل نقطة حاسمة في إخفاء البعدين (الأعلى) و(الأسفل)، فقـــولـــه (اجتثت) انقطاع عن نقطة الارتكاز (الأسفل)، وقولـــه (ما لها من قرار) يعزز هذا الانقطاع، ويشير إلى اختفاء نقطة الارتكاز (الأعلى). ولا شك في أن البعد المكاني في هذه الآية يشير إلى التعليق بين (الأعلى) و(الأسفل).

ويـــأتي البعد المكان على **المستوى الأفقي** بتشكيل مهم بعد المستوى العمـــودي الذي لا يقل انتشاره أهمية عن العمودي في تقابلات القرآن الكريم، وذلك أننا نلحظ أن التقابلات قد أخذت مسارات وحركات مختلفة الاتجاهات في هـــذا البعد، ويمكننا أن نسميه المستوى الأفقي الممتد الذي يتخذ من بعض الاتجاهـــات الأربعـــة مساحة للتحرك أو يتخذها جميعا لحركته، وتبرز المساحة المكانـــية التي تتحدد بنقطة الانطلاق إلى الاتجاهات المتضادة في وحدات التقابل

الأساسية، بأهمية مميزة في بعدها المكاني، وقد جاءت وحدات تقابل هذه المساحة بمفردات هي: بين أيديهم، وخلفهم، ويمين، وشمال، والمشرق، والمغرب، ووجوههم، وأدبارهم، وظهورهم، وقبل، وبعد، وجنوبهم. وحتى ندرك طبيعة هذا البعد المكاني نأخذ قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ ﴾[١٦] إن الوحدة الأساسية في هذه الآية هي (من بين أيديهم) و(من خلفهم). وهي تشير إلى اتجاهين متضادين (الأمام) و(الخلف) على الترتيب، ويشكل من تتحدث عنهم الآية (الكفار) نقطة الانطلاق إلى الاتجاهين، ويتخذ البعد المكاني لهذين الاتجاهين مساحة مكانية محصورة إذ يحدد هذا الانحصار ما جاء في البناء اللغوي من مفردات دالة عليه وهي (سداً) و(أغشيناهم) و(لا يبصرون) إذ إن هذه المفردات تشير إلى قصر المسافة بين نقطة الانطلاق وبين نهاية خط الاتجاهين، وذلك أن كلمة (سداً) هي التي تحدد نهاية كل اتجاه. وترفدها كلمتا (أغشيناهم) و(لا يبصرون) دلالة الانحصار في المسافة في كل اتجاه. والواقع أن هذا البعد المكاني يحمل في طياته جانباً آخر من الدلالة الاستدعائية تتصل بعملية المجاز الذي تشكل التقابل من خلالها، وذلك أن الآية الكريمة جاءت تمثل عدم قدرة الكفار على الهداية إلى الإيمان فهم قد عموا وابتعدوا عنه.

وقد يتكون في مثل هذا المستوى المكاني (الأفقي الممتد) بعد زمني يفرض نفسه من خلال البناء اللغوي ومعطياته الدلالية، كما في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾[١٧] إن طبيعة البعد المكاني في هذه الآية تختلف عنها في الآية السابقة وإن كانت مفردتا وحدة التقابل الأساسية متشابهتين، وذلك أن الاتجاهين في

هـــذه الآيـــة يأخذان صفة الامتداد اللامحدود. وتتبلور هذه الصفة بربط وحدة الـــتقابل بالـــبعد الزماني وبالفعل (يعلم) وذلك أنها تشير إلى علم الله عز وجل بالـــزمان الماضـــي الـــذي يتضمنه الطرف (ما خلفهم) وبالزمان الحاضر الذي يتضمنه الطرف (ما بين أيديهم) وهو بعد زماني ممتد لا محدود بوصفه واقعاً في علـــم الله الأبدي. ومن هذه الزاوية يمكننا أن نتصور البعد المكاني الممتد الذي يوازي البعد الزماني.

وقد تناولت وحدات التقابل في آيات القرآن الكريم البعد المكاني على المستوى الأفقي الممتد بجميع اتجاهاته، كما في قولـــه تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[١٨] لا شـــك في أنـــنا نلحـــظ أن الاتجاهات المكانية الأربعة قد وردت في هذه الآية وجمـــيعها ينطلق من نقطة واحدة هي (الإنسان)، والأبعاد المكانية في هذه الآية هـــي (الأمـــام) متمثلة بـــ(من بين أيديهم) و(الخلف) متمثلة بـــ(من خلفهم) و(اليمين) و(الشمال).

وثمة مساحة مكانية أخرى تبرز في هذا المستوى وهي التي تتحدد بنقطة انطلاق ولكن إلى اتجاه واحد، وقد جاءت مفردات الوحدات الأساسية التقابلية هـــنا بألفاظ مختلفة، مثل: بعيد، وقريب، والدنيا، والقصوى، وحتى ندرك أبعاد هـــذا المستوى نأخذ قولـــه تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١٩] إن الـــوحدة التقابلية الأساسية في هذه الآية هي (الدنيا/ القصوى)، ويتحدد الاتجاه

المكـــاني في هذه الوحدة بالتحرك نحو جهة واحدة تنطلق من نقطة معينة وهي (العـــدوة)؛ أي الوادي. ولا شك في أننا ندرك بأن هذا الاتجاه يمتد بإطار محدد يبدأ من مفردة (الدنيا)، وينتهي إلى نقطة تتضمنها مفردة (القصوى). ويبدو أن المـــستوى المكاني في هذه الآية يتصف بصفة الانتشار في البعد المكاني، ويلتقي الـــبعد الزماني. أما البعد المكاني في صفة الانتشار ، فنجد فيه البناء اللغوي قد اســتخدم (الركب أسفل منكم)، وهذا الاستخدام يعطي حركة مكانية جديدة في الآيـــة وهـــي المستوى العمودي الذي يتحدد بطرف واحد وهو (الأسفل). وبهـــذا الامتداد المكاني تكون الآية قد غطت مستويين أفقي وعمودي. ولكن صـــفة المستوى العمودي لم تكن ناتجة عن وحدة تقابلية كاملة، وإنما يمكن أن نعـــدها امـــتداداً للـــوحدة التقابلية الأساسية. وأما البعد الزماني، فإنه يتحدد بالـــوحدة التقابلـــية (ليهلك من هلك/ ويحيى من حي) وهي تمثل حلقتي الزمن الـــثاني (المتوسط) والأولى (الدنيا)، ويأخذ هذا البعد صفة الامتداد في مفردات البناء اللغوي، وهذه المفردات هي (تواعدتم) و(لاختلفتم) و(الميعاد) و(ليقضي) و(كـــان مفعـــولاً). وتتصل دلالة هذه المفردات بارتباطها بحلقة الزمن الأول، ولكـــن مـــن الملاحظ على وحدتي التقابل المكانية والزمنية أنهما تشكلان بعداً متداخلاً نجد فيه أن البعد المكاني يحتوي البعد الزماني، وذلك أن أحداث الزمن الأول والـــزمن الـــثاني تـــتم من خلال حركة البعد المكاني نتيجة التقاء فريق المـــسلمين بالكفـــار في المكان (الوادي)، ومن خلال هذا الالتقاء يتحقق البعد الزماني لكل من الحلقتين.

وتتوجه الوحدات التقابلية الأساسية في القرآن الكريم إلى دلالة جديدة للمـــستويات المكانية وهي التقاء المستوى العمودي بالمستوى الأفقي. وقد جاء عدد من المفردات في الوحدات التقابلية، مثل: النفق، والسلم، والفراش، والبناء،

والمهـد. وحـتى ندرك هذه الدلالة نأخذ قولـه تعالى: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاء فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [٢٠] إن الوحدة التقابلية في هـذه الآية تقع ضمن النمط المعقد الذي يتكون من أربعة أطراف متقابلة وهي (نفقـاً/ الأرض سـلماً/ السـماء). إننا ندرك أن ثمة بعدين أساسيين في هذه الـوحدة. الأول بعـد المـستوى العمودي الذي يتجسد في مفردتي (الأرض/ والـسماء). والـثاني بعد المستوى الأفقي- العمودي الذي يتجسد في مفردتي (نفقـاً/ وسلماً). ولا شك في أننا نلحظ أن البعد الثاني منبثق عن البعد الأول ومـرتبط بـه، وذلـك أن مفردة (نفقاً) تتوافق مع المفردة (الأرض) ويتشكل المـستوى الأفقـي بـربطهما معاً، وأن مفردة (سلماً) تتوافق أيضاً مع المفردة (الـسماء)، ويتشكل المستوى العمودي بربطهما معاً أيضاً. ومحلل هذه الوحدة التقابلـية يحس بأن المستوى الأفقي- العمودي فرع من المستوى العمودي بين (الأرض/ والسماء) وهو يشكل امتداداً حقيقياً لهذا البعد، ولعل الدلالة العميقة لتـشكيل البعدين الأفقي والعمودي معاً في الآية الكريمة هي لإثبات عدم قدرة الرسول صلى الله عليه وسلم على هداية الكفار، ولو بحث في أسباب الهداية لهم في البعد المكاني على مستوييه العمودي والأفقي.

البعد الحركي:

إن الـبعد الحركي من الدلالات التي تفرزها وحدات التقابل في القرآن الكـريم، ولا شـك في أن هذا البعد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالبعد المكاني، وهو يـشكل امـتداداً له على نحو من الأنحاء[٢١]. وذلك أن حقيقة الحركة تنطلق

أساساً من مكان ما ومن ثم تأخذ شكلها النهائي في الحيز المكاني. وقد وجدت أن البعد الحركي في تقابلات القرآن الكريم يمتد في مسارات أربعة: أولها **الحركة الرأسية** وهي حركة تتصف بامتداد مسارها إلى الأعلى أو إلى الأسفل. وقد جاء هذا البعد في عدد من الألفاظ التي تجسد نقطتي الأعلى والأسفل من مثل: يترل، ويعرج، ويلج في الأرض، وسجدوا، وابلعي، وأقلعي، ونخسف، ونسقط، وغير ذلك. وقد تتحدد الحركة الرأسية بنقطة انطلاق في حركة نحو الأسفل وبنقطة أخرى تتجه بها الحركة نحو الأعلى، ويبدو أن هذا النوع من الدلالات في القرآن الكريم يتصف بالقدرة على الانتشار في نوعية الحركة المتكررة سواء إلى الأسفل أم إلى الأعلى، وحتى ندرك هذه الدلالة نأخذ قوله تعالى: ﴿**قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[22] إن الوحدة التقابلية الأساسية في هاتين الآيتين متعددة الأطراف وهي (يا أرض ابلعي/ ويا سماء أقلعي/ وغيض). ولا شك في أن هذه الأطراف تمثل مسارات رأسية تعتمد في أصلها على نقطة الانطلاق، فمفردة (ابلعي) تمثل الحركة إلى الأسفل منطلقة من مستوى سطح الأرض إلى باطنها، ومفردة (أقلعي) تمثل الحركة إلى الأعلى، لتنتهي عند نقطة الانطلاق وهي (السماء)، ومفردة (غيض) تمثل الحركة إلى الأسفل منطلقة من مستوى سطح الأرض إلى باطنها. إن هذه المسارات الحركية في الوحدة التقابلية تصور للمتلقي حركات رأسية متداخلة، فهي إلى الأسفل وإلى الأعلى ومن ثم إلى الأسفل، ولا تنحصر فاعلية هذه الحركات في الوحدة التقابلية، وإنما تنتشر في السياق الكلي لتخلق بعداً محايداً

للحـــركة بــين الأعلى والأسفل، فالمفردات (سآوي) و(المغرقين) و(استوت) و(الجودي) تستمد أبعادها الحركية من هذه الوحدة، وذلك أن المفردة (سآوي) تمـــثل التحـــرك نحو الأعلى، ومن ثم تأتي المفردة (المغرقين) لتمثل التحرك نحو الأسفل وهي حركة معكوسة للحركة الأولى. ومن ثم تنشأ حركة جديدة متمثلة بالمفـــردتين (استوت) و(الجودي)، وهي الحركة إلى الأعلى، وذلك أن الاستواء على الجبل يتمثل بالصعود من الأسفل إلى الأعلى، وبهذا تصبح الحركة مشتركة مـــع حركة المفردتين الأولى والثانية، علاوة على اشتراكها في الوحدة التقابلية الأساسية، ولو رصدنا الحركة الرأسية في هاتين الآيتين لوجدنا أن الحركات إلى الأعلـــى بلغت ثلاث حركات، والحركات إلى الأسفل بلغت ثلاث حركات أيـــضاً، ولكـــن ما يميز هذه الحركات هو نقطة الانطلاق، وذلك أن (الأرض) و(الجبل/ الجودي) يأخذان خمس حركات، وأن (السماء) تأخذ حركة واحدة، ولا شـــك في أن ارتـــباط الحركات الخمس بـــ (الأرض والجبل) يحمل أهمية خاصـــة في إحـــداث المعنى فـــ (الأرض والجبل) هما من أصل واحد من جهة، وتمـــثلان نقطـــة الانطـــلاق من جهة أخرى. ولعل لتجمع الحركات في هاتين النقطـــتين دلالـــة في البـــناء اللغوي الذي يخاطب المتلقي وينقله من حركة إلى أخرى، ترتبط أصلاً بالأرض وبالجبل الذي يمثل صورة من صور الأرض، وذلك حـــتى يبين مدى ارتباطه بحركتها التي تأخذه كيفما شاءت، فلا تبدو له قدرة على التخلص منها، وأن مصيره مرتبط بها، ويتجلى هذا المعنى بالعودة إلى فاعلية الحـــركة الـــتي تتصل بالسماء من خلال الفعل (أقلعي)، فهذا الفعل يمثل محور الآيتين الكريمتين، فإقلاع السماء عن إنزال الماء إلى الأرض فيه خلاص للأرض مـــن الجـــزاء الـــذي أنـــزل على أصحابها. فالسماء إذن هي محور الحركات، فـــبإحداث الحركة إلى الأعلى من السماء ينتهي الجزاء الذي نزل على أصحاب

الأرض، ولـذلك جـاءت الجملـة (وقيل بعداً للقوم الظالمين) خاتمة للآيتين الكريمتين، إذ إن هذه الجملة تكشف عن فاعلية هذه الحركة الرأسية إلى الأسفل أو إلى الأعلـى، فهي حركة فاعلة تطول بفعلها القوم الكافرين، وتنجي القوم المؤمنين، فالحركة الرأسية إذن في هاتين الآيتين تحكمت في الناس الذين وقعوا في نقطة الانطلاق (الأرض/ والجبل) دون أن تترك لهم قدرة على التحكم في هذه الحركة.

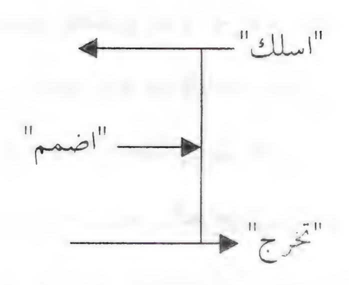
وثمـة مستوى آخر للحركة الرأسية يتمثل باتخاذ نقطة انطلاق واحدة لتجسد مسارين للأعلى والأسفـل، كما في قولـه تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ (٢٣) إن مفردات الوحدة الأساسية في هذه الآية تمثل لنا البعد الحركي الرأسي وهي (يلج في/ يخرج منها) و(يترل من/ ويعرج فيها). ولا شك في أننا نلحظ ارتباط هذه المفردات بالبعد المكاني (الأرض/ والسماء)، فالمفردتان (يلج في الأرض) و(يخـرج منها) تمثلان مسار التحرك إلى الأسفل وإلى الأعلى على تـرتيب المفردتين، ونقطة التقاء المسارين هي الأرض، وكذلك الأمر في مفردتي (يترل من السماء) و(يعرج فيها) تمثلان مسار التحرك إلى الأسفل وإلى الأعلى علـى تـرتيب المفردتين ونقطة التقاء المسارين هي السماء. ولعلنا نلحظ تماثل المـسارات في هذه الوحدة التقابلية، فهي تحدث حركة الأسفل وحركة الأعلى على الترتيب في البعد المكاني (الأرض/ والسماء). ولابد أن لهذا البعد الحركي دلالـة خاصـة يضفيها على البناء اللغوي بشكل عام، وذلك أن هذه الحركة ترتبط بالفعل (يعلم) فالله سبحانه وتعالى يعلم المسارات الحركية التي تنطلق من

الأرض والـــسماء. ولا شك في أن لهذا العلم دلالة التحكم في هذه المسارات، ويدعم هذا المعنى ما جاء في نهاية الآية الكريمة (وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملـــون بـــصير) فعلمه شامل وبصره للإنسان وبما يجري في هذا الكون محيط وشامل أيضاً.

وثـــاني مـــسارات الـــبعد الحركي هو **الحركة الأفقية**، وتتجسد هذه الحـــركة بالانتقال على مستوى أفقي إلى اتجاهات مختلفة إلى الأمام أو الوراء أو اليمين أو الشمال، أو جميع هذه الاتجاهات معاً، وتميزت دلالة البعد الحركي في تقـــابلات القـــرآن الكريم بأنها غطت المساحة الأفقية للبعد المكاني، وانعكست علـــى المستوى البنائي للسياق ككل، ويتخذ البعد الحركي هنا صفات خاصة تكشف عن طبيعة التقابل الحركي المعكوس لنقطة انطلاق واحدة بحيث يتجلى في أعمـــاق الـــسياق بأنـــه حركة أفقية متواصـــلة كـــــما في قولـــه تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ [٢٤] إن وحـــدة التقابل (أدخلني/ وأخرجني) تحدد لنا في هذه الآيـــة شـــكلية الـــبعد الحركي الأفقي المعكوس الذي ينبثق من نقطة انطلاق واحدة، فقولـــه (أدخلني مُدخل صدق) هي حركة عامة تشير إلى الاندفاع إلى الأمـــام لنقطة ما يحددها سياق الآية الكريمة، وقولـــه (أخرجني مُخرج صدق) هي حركة عامة أيضاً تشير إلى الارتداد إلى الوراء من النقطة نفسها التي حددها الـــسياق في الآية، ولكن حقيقة هذه النقطة تتحدد من خلال المعنى المتضمن في الوحدة التقابلية، وهي المعنى الزمني الذي يشير إليه كل طرف من طرفي التقابل. فالطرف الأول يشير إلى الانتقال من حلقة الزمن الأول إلى حلقة الزمن الثاني، وتنتهي هذه الحركة إلى الحلقة الثانية لتشكل بالتالي نقطة الانتهاء للحركة، وأما

الطرف الثاني فإنه يشير إلى الانتقال من النقطة النهائية للحركة الأولى وهو الزمن الثاني إلى نقطة لانهائية وهي الزمن الثالث وبهذا تبدو الحركة الأفقية متواصلة تتجه اتجاهاً واحداً مختلطة بالبعد الزماني. ولا شك في أن البعد الزماني في هذا البناء يحل محل البعد المكاني الذي تجري، عادة، فيه الحركة الأفقية، ومن هنا تتكشف لنا خاصية البعد الحركي الأفقي الذي يتجسد من خلال وجهين متصلين به، وهما: البعد الزماني والبعد المكاني، حتى ليصعب على المحلل أن يفصل الأبعاد الثلاثة عن بعضها عند التدقيق في المعنى، وفي هذه الحركة الأفقية المتصلة تبدو لنا المعاني الأولية في حركتي الفعلين (أخرجني) و(أدخلني) المعكوستين ليستا حقيقيتين، وإنما هما شكلان متغيران غير مستقري الأبعاد، ويتلونان بفاعلية السياق الكلي.

وتحمل لنا الحركة الأفقية دلالة أخرى من تشكيل حركة تتصف بثلاثة أطراف متغايرة في الاتجاهات كما في قوله تعالى: ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [(٢٥)] إن وحدة التقابل في هذه الآية تكشف عن الحركة الأفقية من خلال ثلاثة أطراف هي: (اسلك) و(تخرج) و(اضمم) وكل طرف يحدد اتجاهاً معيناً في الحركة فالطرف (اسلك) هي حركة أفقية للأمام، والطرف (تخرج) هي حركة أفقية للوراء وهي معكوسة للحركة الأولى، والطرف الثاني (اضمم) يعطي حركة مغايرة تماماً للاتجاهين (الأمام) و(الوراء) في الطرفين الأول والثاني، وهي حركة تكشف عن محاولة جمع الاتجاهين المعكوسين معاً وتوحيدهما. ويمكن أن نتصور مسار هذه الحركات في الرسم الآتي:



فحـــركة الأمـــام في (اسلك) وحركة الوراء في (تخرج) مجموعتان في الحـــركة الثالثة (اضمم). ولا شك في أن هذا البعد الحركي في السياق ذو دلالة خفية عميقة تنصب على صاحب هذه الحركة الأفقية وهو موسى عليه السلام، إذ إنـــه من خلال إحداث الحركة الأولى والثانية يصيبه الرهب والخوف. وحتى يـــتخلص مـــن هذه الحالة النفسية لابد له من أن يحدث الحركة الثالثة (اضمم) وبالتالي يخلص من حالته النفسية. وبهذه الصورة تصبح الحركة بأطرافها الثلاثة ذات تأثير نفسي عميق يتخلص من أثر ما يمكن أن يحدثه الخوف.

وتتشكل الحركة الأفقية على مستوى اتجاهات مختلفة غير الوراء والأمام، وهو المستوى العام الذي يجمع جميع الاتجاهات كما في قولـــه تعالى: ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾ [٢٦] إن الحركة الأفقية العامة تبدو من طرفي وحدة التقابل (جلاّها، ويغشاها) وذلك أن الفعل (جلاّها) فعل يشير إلى الحـــركة الأفقية الممتدة على جميع اتجاهات المكان، وأن الفعل (يغشاها) يشير أيـــضاً إلى الحركة الأفقية الممتدة على جميع الاتجاهات، ولكن من الملاحظ على هـــاتين الحـــركتين من الجهة الشكلية الظاهرة أنهما حركتان متعاكستان إذ إن الفعل الأول بربطه بالفعل الثاني يشير إلى كشف المكان بحركة ارتداد، وإبطال للحركة الثانية التي تشير في الوقت نفسه إلى حركة تقديم لتغطية المكان، ولكن

التدقيق في الدلالة، العميقة للفعلين يقود إلى تماثل الحركتين على المستوى الأفقي، وذلك أن كل فعل من الفعلين يفيد الامتداد المكاني الأفقي بالمقدار الذي يفيده الفعل الآخر، ومن المدهش حقاً في مثل هذه الحركة أن ترتبط بالبعد المكاني الخفي من جهة وبالبعد الزماني الظاهر في البناء اللغوي المتمثل في (النهار/ والليل) من جهة أخرى. ولا شك في أننا ندرك البعد المكاني الخفي هنا، وهو أن هذه الحركة تتم على النقطة المكانية التي أشير لها في السياق بالضمير (الهاء)، ومن الأهمية بمكان أن ندرك أن البناء اللغوي قد اتكأ بإظهار البعد الحركي على البعد الزمني المتمثل في (النهار/ والليل)، إذ إن تشكيل وحدة التقابل هنا بصورها المعقدة يخرج لنا بنمط معقد ذي علاقات توافقية على المستوى الأفقي وعلاقات ضدية على المستوى العمودي والتقاطعي، فـ (النهار) هو محور الحركة الأول في (جلاّها) و(الليل) هو محور الحركة الثانية في (يغشاها)، ومن هنا تكتسب الحركة الأفقي معنى البعد الزمني علاوة على اكتسابها معنى البعد المكاني.

وثالث مسارات البعد الحركي هو **الحركة الموضعية**، وهي حركة محددة المسار عرفها الدكتور محمد عبد المطلب في قوله: "تبدو الحركة مركزة في نقطة بعينها لا تتجاوزها إلى أي من الأبعاد السابقة"[٢٧] وقد جاءت هذه الحركة في وحدات التقابل في القرآن الكريم، وقد تنوعت مفرداتها مثل: "مغلولة، وتبدوه، وتخفوه، ومحونا، ويثبت، ويضيق"، وغير ذلك من المفردات، وتتصف فاعلية هذه الحركة بإضفاء التوترات النفسية على المتلقي، وبقدرتها على الانتشار داخل البناء اللغوي، كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا**

﴿غَفُورًا﴾ [٢٨] إن هـــذه الآيـــة تجسد لنا البعد الحركي الموضعي في طرفين هما (يمـــسك/ أن تزولا). فالطرف الأول (يمسك) يشير إلى الحركة الموضعية التي لا تـــنطلق إلى جهـــة ما من الجهات سواء أكانت رأسية أم أفقية، ويزيد السياق تركيـــزاً لهـــذه الحركة بالطرف الثاني (أن تزولا) الذي يفيد بارتباطه بالطرف الأول المـــنع من الزوال أو الحركة الرأسية أو الأفقية، وبهذا يكون الطرفان قد حققـــا الـــبعد الموضعي للحركة، ولكن من الملاحظ أن هذه الحركة تكتسب صـــفة الانتشار في البناء اللغوي، ويرافق هذا الانتشار توترات عميقة في المتلقي تـــنقله إلى حالـــة الخوف والرهبة، فالمفردتان (لئن زالتا) و(إن أمسكهما) هما حالتان متضادتان تنقلان الحركة الموضعية إلى رأسية أخرى وذلك مشروط بعد تدخل الخالق عز وجل بإحداث الحركة الموضعية، وبإحداث هذا التضاد خارج وحـــدة التقابل تنقل المتلقي من حال الاطمئنان في العيش بالحركة الموضعية التي يـــتحكم بها الله عز وجل إلى حال الخوف والرهبة في الحركة الرأسية الأخرى وذلك في حال جعل التحكم بـــ(السموات) و(الأرض) لأحد غير الله عز وجل، ولـــذلك نجـــد أن البـــناء اللغوي ينتهي بجملة تتوافق والدلالة النفسية للحركة الموضعية، وهي قولـــه (إنه كان حليماً غفوراً) فالله عز وجل لا يعجل العقوبة للمتلقي بتغيير الحركة الموضعية لـــ (السموات) و(الأرض) مع استحقاقهم لها؛ وذلك لأن مغفرته ورحمته واسعة تشمل من يتوب إليه في هذا الكون.

وثمة مسار آخر للبعد الحركي يكاد يجمع الحركات الثلاث السابقة من غـــير تحديد إطار لاتجاهاتها حيناً، وبتحديد اتجاهاتها مع المحافظة على تشكيلها الخاص حيناً آخر. ويمكن أن نسميه **بالحركة الانشطارية**. وهي حركة قد تجمع الحـــركة الرأســـية والأفقية والموضعية معاً في بعد واحد، والواقع أن مثل هذه الحركة لم تكن منتشرة في الوحدات التقابلية انتشار الحركات الثلاث السابقة،

وقـــد اختلفت مفردات هذه الحركة مثل: يتفطر، وتنشق، وفتقناها، وواجفة، واهتزت. وحتى نتبين حدود هذا البعد نأخذ قولـــه تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ [٢٩] إن الحركة الانشطارية تتمثل في الأطراف: (يتفطرن) و(تنـــشق) و(تخر الجبال هداً) لا شك في أننا ندرك أن حركة الفعل (يتفطرن) والفعـــل (تنشق) حركة متماثلة من خلال المعنى الذي يجمعها وهو الانشقاق، والواقـــع أن حـــركة الانـــشقاق قد تكون رأسية وقد تكون أفقية، وقد تأخذ المسارين معاً، ويشترك الفعل (تخر) في هذه الحركة، إذا ربطناها بالمفردة (هداً)، وذلـــك أن الحركة هنا تشير إلى توجه من الأعلى إلى الأسفل (رأسي). ومن ثم تشير إلى حركة أفقية باندفاع (الجبال) إلى الجهات الأفقية المختلفة. ولا شك في أن خـــصائص هذه الحركة هي خصائص انشطارية تسير على مساحات مختلفة من المـــسافات المكانية، ولكننا نلحظ ظهور الأبعاد الرأسية والأفقية في المفردات المتقابلة.

ويمكنـــنا أن نـــدرك عمق الحركة الانشطارية التي تغيب فيها الأبعاد الرأســـية والأفقية والموضعية في قولـــه تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٣٠] إن الحـــركة الانشطارية تبدو في وحدة التقابل (رتقاً/ ففتقناهما) وذلك من خلال تقابـــل الطرف الثاني بالطرف الأول، ونلحظ هنا أن الحركة قد اتخذت بعدين الأول بعـــد الحـــركة الموضـــعي في (رتقا)، والثاني بعد الحركة الانشطارية في (ففتقـــناهما)، وهذا يكشف عن أن الأصل في الحركة هنا الحركة الموضعية التي

تحولت إلى الحركة الانشطارية التي غابت فيها الأبعاد الرأسية والأفقية والموضعية. فالحـــركة الموضـــعية هي الأساس والأصل الذي تنبثق منه الحركة الانشطارية، وتتـــصف هـــذه الحركة بالفعلية على إضفاء ظلالها على البناء اللغوي في الآية الكـــريمة. وذلـــك أنـــنا نجد في قولـــه (وجعلنا من الماء كل شيء حي) صفة التركيب في كلمة (الماء) والتوزيع في (كل شيء حي) فالمفردة (الماء) يمكن أن تـــرتبط بالحركة الموضعية والتركيب (كل شيء) ينتج الحياة لكل ما ينتقل إليه. وهذا الترابط في الواقع يتم في أعماق البنية اللغوية للآية الكريمة.

وتـــتخذ الأبعـــاد الحركية في وحدات التقابل طابعاً خاصاً من خلال اجتماعهما في بنية لغوية واحدة، ويمكننا أن ندرك هذا الطابع في قولـــه تعالى: ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾(٣١) إن الـــبعد الحركـــي في هاتين الآيتين يرتبط ارتباطاً شديداً بالبعد المكـــاني بحيث يبدوان متواصلين، ونلحظ أن البعد الحركي يتجسد في المفردات (طلعت) و(تزاور) و(غربت) و(نقلبهم) و(بسط). فمفردتا (طلعت) و(غربت) تمـــثل الحركة الرأسية للشمس. ومفردتا (تزاور) و(نقلبهم) تمثل الحركة الأفقية، وذلـــك أن (تزاور) تشير إلى الحركة الأفقية التي تتحدد بتحرك الطرف الرأسي الأســـفل للأشـــعة المنبعـــثة من الشمس، وتتخذ الاتجاهين المكانيين (اليمين) و(الـــشمال) لنجد المستوى الأفقي، والمفردة (نقلبهم) تشير إلى الحركة الأفقية

التي تتخذ البعد المكاني (أجساد أهل الكهف) مركزاً للحركة باتجاه الجانبين من الجسد. ولا شك في أن هذه الحركة الأفقية تختلف بطبيعة تركيبها من الحركات المتجهة إلى الأمام أو الوراء؛ لأنها تتضمن الحركة المنحنية التي ترسم خطاً مائلاً يشكل حركة نصف دائرية، وأما المفردة (بسط) فهي تشير إلى الحركة الأفقية التي تتخذ مساراً مستقيماً على خلاف حركة الفعل (نقلبهم). من خلال هذه الحركات نلحظ تواصل الأبعاد الرأسية والأفقية بالبعد المكاني (اليمين) و(الشمال) الذي يحدد نهاية خط كل حركة، وأمام هذا التواصل يصبح كل بعد منهما جزءاً لا ينفصل عن الآخر؛ بمعنى أن تحقيق أي بعد منهما لا يمكن أن يتم إلا بتحقيق البعد الآخر، والواقع أن البعد الحركي في هاتين الآيتين يشيع الحركة الدائبة في مفردات السياق، فصورة هؤلاء الأشخاص تبدو متحركة من خلال وحدة تقابلية خارجة عن البعد الحركي وهي (أيقاظاً/ ورقود)، فالطرف الأول يشير إلى الحركة الدائبة التي ترتبط بالنهار (اليقظة)، في حين أن الطرف الثاني (رقود) يشير إلى الحركة الموضعية الساكنة التي ترتبط بالليل، ولا شك في أن طرفي هذه الوحدة يكشفان عن البعد الزمني في الأصل الذي يقع في الدائرة الزمنية الخاصة (الليل/ والنهار) من الحلقة الزمانية الأولى، وفي هذا التوجه في التحليل نرى تعانق البعد الحركي بالبعد الزمني، وتبدو فاعلية البعد الحركي أيضاً في قوله (لو اطلعت عليهم لو ليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً)، وذلك أن المفردات (وليت) و(فراراً) و(لملئت) مفردات تشيع فيها الحركة التي تتصل بالبعد الحركي الأفقي، وتنضاف إلى هذه الملاحظة قدرة البعد الحركي في هذه المفردات على التأثير في المتلقي، وذلك في خلق التوتر أمام قدرة الله عز وجل على الإحياء والإماتة من خلال الحركات الرأسية والأفقية والبعد المكاني (أهل الكهف).

إن الأبعـــاد الثلاثة المتقدمة تكاد تكون الإطار العام الذي يضم آيات القرآن الكريم وتقابلاتها، فمن خلالها تتشكل الأبعاد الدلالية المختلفة، وتتحرك بعـــض السور القرآنية الكريمة بجميع تقابلاتها وسائر البناء اللغوي الذي يرافق هـــذه الـــتقابلات، ونستطيع أن نكشف عن الأبعاد الثلاثة في سورة قرآنية من خلال تشابكها وتلاحمها في النص القرآني ولنأخذ (**سورة الليل**).

إن ســـورة اللـــيل تحتوي على عدد من وحدات التقابل تراوحت بين البـــسيط والمعقـــد، ولكنها جميعاً تصب في إطار الأبعاد الثلاثة (البعد الزمني، والـــبعد المكاني، والبعد الحركي)، وتتخذ هذه السورة بناء أسلوبياً متميزاً وهو أنهـــا تعـــتمد على وحدة تقابلية أساسية تتصف بصفتين رئيستين: الأولى- أنها تحـــتوي علـــى الأبعـــاد الثلاثة متداخلة، والأخرى- أنها تتصف بالقدرة على الانتشار والامتداد في هذه الأبعاد إلى وحدات تقابلية أخرى في النص القرآني. إن هـــذه الـــوحدة التقابلية هي (والليل إذا يغشى/ والنهار إذا تجلى)، إن هذه الوحدة تكشف عن البعد الزمني من خلال مفردتي (الليل/ والنهار)، وهما تقعان في الدائـــرة الـــزمنية الخاصة من الحلقة الزمنية الأولى، وكما تكشف عن البعد الحركـــي من خلال مفردتي (يغشى/ ويتجلى) وهما مفردتان تشيران إلى حركة أفقـــية غـــير محددة الاتجاهات، وكل مفردة تشكل حركة مماثلة لحركة المفردة الأخرى، فـــ (يغشى) يشير إلى تغطية المكان على المستوى الأفقي بشكل كلي، ومفردة (تجلى) تشير إلى كشف المكان على المستوى الأفقي بشكل كلي أيضاً، فهما حركتان متساويتان تثبت إحداهما عند غياب الأخرى، ويمكننا من خلال هـــاتين المفردتين أن نكشف عن البعد المكاني، وهو البعد الأفقي الذي تشكلت على وفقه الحركة الأفقية في هاتين المفردتين، وهو بعد يأخذ الاتجاهات الأفقية جميعها: الأمام، والخلف، والشمال، واليمين.

وقبل أن أتحدث عن قدرة هذه الوحدة على الانتشار والتوحد بالوحدات التقابلية الأخرى نرصد هذه الوحدات التقابلية، وذلك حتى تكون حاضرة في أذهاننا عند الحديث عنها، وهذه الوحدات هي:

١- "الذكر/ والأنثى".

٢- "فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى".

٣- "إن لنا للآخرة/ والأولى".

٤- "فأنذرتكم ناراً تلظى لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى وسيجنبها الأشقى الذي يؤتي ماله يتزكى".

هذه أربع وحدات تقابلية تشكلت في النص القرآني بعد الوحدة التقابلية الأساسية. ولابد هنا من أن نسبر أغوار كل وحدة على حدة لاكتشاف أبعادها التي تتحرك من خلالها، وبالتالي نربطها بالوحدة الأساسية.

إن الوحدة التقابلية (الذكر/ والأنثى) تخرج عن نطاق الأبعاد الثلاثة لتكون لنفسها محوراً إضافياً للوحدات الأخرى، وسندع الحديث عنها لنعود إليه بعد الحديث عن الوحدات التقابلية الأخرى.

أما الوحدة التقابلية الثانية، فإنها تتحرك من خلال البعد الحركي والبعد الزمني في صورة متداخلة ومتشابكة، فالمفردة (أعطى) تشير إلى الحركة الأفقية الممتدة باتجاه واحد. والمفردة (اتقى) تشير إلى الحركة الموضعية التي تتركز في مكان ما، وتمتنع عن الانفصال عن مركزها إلى أية جهة أخرى، في الوقت نفسه نلحظ ارتباط هاتين المفردتين بحلقة الزمن الأولى، وهما تحملان صفة الزمن المباشرة الماضي، وتشترك المفردة (صدق) في هذا البعد الزمني المباشر الماضي

الذي يقع في الحلقة الزمنية الأولى، ومن ثم تنتقل المفردات من الحلقة الأولى إلى الحلقــة الثالثة بالمفردات (الحسنى) و(سنيسره) و(اليسرى) وهي مفردات تحمل الـبعد الـزمني والـبعد المكاني في طياقما، إذ إن (سنيسره) تقع في حلقة الزمن الـثالث، وقد جاءت بإطار الزمن المباشرة المستقبل الذي يشير إلى معنى الدوام والاستمرار، وأما المفردتان (الحسنى) و(اليسرى)، فهما تحملان البعد المكاني الـذي يشير إلى المستوى الأفقي المركزي، ولكنه يرتبط بالحلقة الزمانية الثالثة، بوصف هاتين المفردتين تشيران إلى (الجنة). وتأتي المفردات الأخرى في الطرف الثاني من وحدة التقابل لترسم الدلالات السابقة نفسها، فمفردة (بخل) تحمل في طـياقما بعداً حركياً يشير إلى الحركة الموضعية التي لا تتجه إلى أية جهة كانت، وفي الـوقت نفـسه تشير إلى البعد الزمني الماضي الذي يقع في الحلقة الزمانية الأولى، وتتـبع هذه المفردة (استغنى) التي تشاركها في الحلقة الزمانية الأولى وفي بعـدها الزمني الماضي، وتأتي المفردات (الحسنى) و(سنيسره) و(العسرى) لتشير إلى الـبعد الزمني في الحلقة الثالثة، فــ (الحسنى) و(العسرى) مرتبطتان بالحلقة الثالـثة بوصـف الأولى (الجنة) والثانية (جهنم). وفي الوقت نفسه يشيران إلى البعد المكاني على المستوى الأفقي الموضعي، ومفردة (سنيسره) تشير إلى الحلقة الثالـثة متـضمنة المعـنى الـزمني المباشـر في المستقبل الذي يشير إلى الدوام والاستمرار، ونلحـظ أن هذه الوحدة التقابلية تنتج أبعاداً متماثلة من خلال علاقاقما البنائية في السورة القرآنية.

أمـا الـوحدة التقابلية الثالثة، فهي تشير في طرفيها إلى الحلقتين الثالثة والأولى فمفـردة (للآخرة) هي الحلقة الثالثة، في حين أن المفردة (الأولى) تشير إلى الحلقة الزمانية الأولى.

وتـــرتبط الوحدة التقابلية الرابعة بالوحدة الثالثة على المستوى البنائي، وتـــشير إلى الحلقـــتين الأولى والثانية، علاوة على إشارتها إلى البعدين الحركي والمكـــاني، فالمفردة (أنذرتكم) تقع في إطار البعد الزمني المباشر الماضي للحلقة الزمانية الأولى. وتشترك المفردتان (كذب) و(تولى) في هذا البعد الزمني الماضي. وتتضمن المفردة (تولى) البعد الحركي الأفقي الذي يتخذ مساراً معاكساً لنقطة الارتكاز، إذ إنها حركة ارتداد إلى الوراء، وتشير المفردة (لا يصلاها) إلى البعد الـــزمني الحاضر في الحلقة الزمانية الثالثة، وهي وإن كانت منفية إلا أنها تكون مثبـــتة باعتـــبار البناء اللغوي الذي جاء في أسلوب الحصر؛ أي أن الأشقى هو الـــذي سيصلى هذه النار، ومفردة (النار) تشير إلى البعد المكاني على المستوى الأفقـــي الموضـــعي الذي يرتبط بالحلقة الزمانية الثالثة. ويأتي الطرف الثاني من الـــوحدة التقابلـــية ليغير مجرى المفردات من حيث طبيعة البعد الزمني المباشرة، فمفردة (سيجنبها) جاءت بالزمن المباشر الحاضر غير المنفي كما كان في المفردة (لا يـــصلاها) وفي الوقت نفسه يشير إلى البعد الحركي في مسار أفقي يشير إلى تجـــاوز البعد المكاني وهو (النار)، والفعلان (يؤتي) و(يتزكى) جاءا ليشيرا إلى البعد الزماني في الحلقة الأولى، وهما يحملان الزمن المباشر على خلاف المفردتين (كذب) و(تولّى) في الطرف الأول، ولعل مجيء الفعلين في الحاضر مؤشر إلى أن هـــذين الفعلين من حيث المضمون يجسدان الفعل الدائم المستمر حتى يصلا إلى الحلقـــة الـــزمانية الثالثة، ليأخذا مجراهما الطيب الزكي، ولعل في هذا الامتداد ارتباطاً بالمتلقي الذي يثار من خلال طرفي التقابل وينبه بالتالي إلى أهمية إحداث الفعلين (يؤتي) و(يتزكى). ومن ثم نلحظ البعد الحركي على المستوى الأفقي في المفردة (يؤتي) الذي يشير إلى حركة في مسار متقدم إلى الأمام منطلقة من مركز مـــا، وهذا على الضد من حركة المفردة (تولى) في الطرف الأول، وتبقى لدينا

مفـــردتان همـــا (الأشـــقى) و(الأتقى) تحتفظان بخصوصية أخرى كما كان في الوحدة التقابلية (الذكر/ والأنثى) وإن كانا يتضمنان البعد الزمني الذي يقع في الحلقة الأولى.

بعد هذه النظرة التفصيلية لوحدات التقابل نعود إلى محاولة الكشف عن كيفـــية تحرك الوحدة التقابلية الأساسية في هذه الوحدات. إن هذه الوحدة في الواقع تشكل طرفين مهمين في تحديد الإطار العام للنص القرآني بوحداته جميعاً، إذ يمكـــن أن نعـــد الطرف الأول (والليل إذا يغشى) دائرة أولى والطرف الثاني (والنهار إذا تجلى) دائرة ثانية، بحيث تتجمع مفردات من النص حول كل دائرة مـــنها. فإذا ما أخذنا الدائرة الأولى، فإننا نلحظ أن المفردات الآتية تجتمع حولها وتـــرتبط بها من زوايا متعددة، هذه المفردات هي: (بخل) و(استغنى) و(كذب) و(العـــسرى) و(أنذرتكم) و(ناراً تلظى) و(تولى) و(لا يصلاها). لا شك في أن هـــذه المفردات متعددة ومختلفة الدلالات على مستوى الأبعاد الثلاثة من جهة، وعلـــى المستوى النفسي للمتلقي من جهة ثانية. فمفردة (بخل) تشير إلى البعد الحركـــي الموضـــعي علاوة على إشارتها النفسية التي ينفر منها المتلقي، وتصبح بمعـــناها مرتبطة بانتفاء الحياة وظلامها وضبابيتها في النهاية، وهذه الحال تتشابه مع كلمتي (الليل) و(يغشى)، إذ إنهما يشيران إلى انتفاء الحياة من خلال الظلام الـــذي يـــدل على المكان في الأرض. كما أن مفردة (استغنى) تشير إلى المعنى نفسه؛ أي انتفاء الحياة بتفاعلها وامتدادها، فهذه الكلمة بمعناها المعجمي المباشر اســـتغناء الإنسان الموصوف بها عن عبادة الله، والاستغناء هنا انكماش وتعطيل لحـــركة الإنسان وفعله تماماً كما هي الحال في ظلمة الليل إذا امتدت، وتشترك مفـــردة (كذب) بهذا المعنى أي تعطيل الحركة الإنسانية للفعل بوصف التكذيب رداً للعمـــل والحركة وإبقاء السكون وإبطال الفاعلية، وتأتي كلمة (العسرى)

لتكـــشف بوضـــوح عن دلالة المعنى الكامن في كلمة (الليل)، وذلك أنها تحمل معـــنى الضيق والانكماش تماماً كما يحدث في ظلمة الليل بالنسبة للمتلقي الذي يـــضيق بظلمـــته. وتأتي مفردة (أنذرتكم) محاولة تنبيه الذين اتصفوا بالمفردات الـــسابقة من هذه الظلمة التي يعيشون فيها ومن هذه الحياة المعطلة عن حركتها الحقيقـــية الممتدة إلى عبادة الله والتصدق على الإنسان في الحياة الدنيا، ومن ثم تـــأتي مفردة (تولى) لتجسد الدلالة العميقة لفعل الليل في النفس الإنسانية وهي الحركة الهروبية من كل ما هو مظلم. ولكنها حركة ارتدادية عكسية لا تؤدي إلى التغير المكاني؛ أي لا تحدث حركة إلى مكان جديد مختلف، ولكنها ترتد إلى المكان نفسه؛ أي إلى الظلمة نفسها، وتتجسد ظلمة الليل وضيق هذه الظلمة في المفـــردات (ناراً تلظى) و(يصلاها) بوصفها المثبت من خلال أسلوب الحصر، فالـــنار هنا تستوي مع ظلمة الليل الذي لا خروج من ضيقه، وذلك أن النار لا خروج من ضيقها وعذابها وسيتحقق في ذلك معنى الفعل (يصلاها). هكذا إذن تحمـــل المفردات السابقة من وحدات التقابل الدلالة المعنوية للدائرة الأولى من الوحدة التقابلية الأساسية.

أمـــا في الدائـــرة الثانـــية، فإننا نلحظ أن المفردات التي ترتبط بها هي (أعطـــى) و(اتقى) و(صدق) و(الحسنى) و(اليسرى) و(سيجنبها) و(يؤتي ماله) و(يتزكى). نلحظ أن هذه المفردات تتضمن في دلالاتها دلالة (النهار) و(تجلى) وذلك أن مفردة (أعطى) تشير إلى حركة الامتداد والإشراق، وكذلك الأمر في (اتقـــى) الـــتي تتضمن معنى الخشية والخوف والابتعاد عن كل ما يتخالف مع الـــشريعة الإسلامية وأخلاقها، فالتقوى أمر يحدث في حركة واضحة يحدد من خلالهـــا الأمـــر الذي يخشى منه، والمفردة (صدق) تؤكد صفة فاعلية الحركة الإنسانية للفعل بوصف الصدق إحداث العمل والحركة التي تنطلق من مركزها

لتمتد إلى الأشياء مؤمنة ومعتقدة بها، وهذه الصفة ترتبط بصفة (النهار) وبصفة (تجلـى) فالوضـوح والانكشاف هو الأساس الذي يربطها بهما، وتأتي مفردتا (الحسنى) و(اليسرى) لتصنعا علاقة وطيدة بهذه الدائرة، فهما تشيران إلى معنى البهجة والسرور والنشاط والحركة الدائبة، وتشترك مفردتا (يؤتي ماله) و(ويتزكـى) في هـذا الجانـب الحركي الممتد الذي يتوافق مع حركة النهار ووضوحه. بهذا تكون المفردات السابقة قد حققت معنى النهار والتجلي.

مـن هـذا الربط بين كل دائرة ومفرداتها نستطيع أن ندرك قدرة كل دائرة على الانتشار والتوحد بجميع مفردات وحدات التقابلات الأخرى خارج الدائـرتين في النص القرآني، ولا ينتهي هذا النص عند هذه العلاقة والدلالات وإنما يمتد تأثير الدائرتين إلى عناصر أخرى في السياق التي يمكن أن نعدها عناصر محايـدة بالنسبة لوحدات التقابل، وذلك أن ثمة مفردات وتراكيب تقع خارج الوحدات تتشكل وفقاً للدائرتين، إذ إن أول ما يواجهنا في هذا النص هو وحدة التقابل (الذكـر/ والأنثى) التي تحدثنا عنها سابقاً بأنها لا تندرج تحت التأثير المباشـر للدائرتين، ولكننا نستطيع أن نفهم طبيعة العلاقة العميقة بين وحدات التقابل الأساسية وبينها من خلال السياق. فهذه الوحدة ترتبط ارتباطاً وثيقاً في قولـه: "إن سعيكم لشتى". فطرفا التقابل (الذكر/ والأنثى) يجتمعان على عبارة (سـعيكم لـشتى) وهذه العبارة تتضمن صفة البعد الحركي في مسار المستوى الأفقـي الذي لا يتحدد باتجاه معين، فالمسارات والاتجاهات مختلفة غير محددة. فالإنـسان سـواء أكان ذكراً أم أنثى يتصف بهذه الحركة الدائبة، ويمكننا أن نوضـح من هذه الدلالة طبيعة العلاقة بين الدائرتين في وحدة التقابل الأساسية وبـين الـوحدات الأخـرى، وذلك أن وحدة (الذكر/ والأنثى) تشكل محور الدائـرتين، وأن عـبارة (سـعيكم لشتى) تشكل الرابط الأساسي الذي يربط

الدائـــرتين معاً، وهذا نابع من انعكاس الدلالة الاستدعائية لكلمة (سعيكم) التي تقـــع في نطـــاق الحلقة الزمانية الأولى، وتقع في بعد حركي على مستوى أفقي فـــتكون الصفات بين الامتداد والانحسار، ويشير الضمير فيه إلى محور الدائرتين (الذكر/ والأنثى) و(الأشقى/ والأتقى). وأن مفردة (لشتى) تتضمن البعد المكاني الذي يظهر بمستويات مختلفة كما جسدها المفردات. ويأتي ختام النص القرآني في بنى لغوية محايدة تتمحور في علاقات متشابهة مع مفردات الوحدات التقابلية، وذلـــك أنها تستمد فاعليتها من الدائرتين الأساسيتين، فقولـــه "وما لأحد عنده مـــن نعمـــة تجزى" تشير إلى حركة الامتداد الارتدادي إلى الليل الذي يشكل غياب الوضوح والانكشاف لجميع الأبعاد المكانية والزمانية والحركية ويتصف بالضبابية المستمدة من ظلمة الليل، وقولـــه "إلا ابتغاء وجه ربك الأعلى" يشير إلى حـــركة الامتداد التقدمي إلى النهار الذي يشكل الوضوح والتجلي لجميع الأبعـــاد المكانية والزمانية والحركية، ومن المدهش حقاً أن النص القرآني يجسد الفاعلية الغائبة والضبابية التي تنتمي إلى الدائرة الأولى، بحضور تجسيده للفاعلية المتجلـــية الـــتي يختتم بها النص وذلك في قولـــه: "ولسوف ترضى" فهذا القول يتـــصل بالدائـــرة التي تكشف عن الإشراق والاستبشار، والنص في هذا الختام الذي لم يأتِ بصورته المتضادة يشير إلى حقيقة الدلالة للدائرة الأولى.

هكـــذا إذن نجـــد الـــنص القـــرآني يعتمد على إحداث حركة المعنى والـــدلالات مـــن خلال الأبعاد الثلاثة مشتركة ومتداخلة، ونجد أنه كذلك، يتـــصف في تكثـــيف الدلالة في وحدة تقابلية أساسية لتلقي بظلالها على سائر الوحدات التقابلية، والبنى اللغوية الأخرى فيه.

إن الأبعاد الثلاثة المتقدمة تكاد تكون الأرضية التي يمكن أن تنطلق منها أبعـــاد أخرى ذات صلة وطيدة بها، بحيث تتشكل وتبنى العلاقات السياقية على

اختلاف مستوياتها المضمونة من خلالها، ولهذا فإن ما يأتي من أبعاد في الصفحات القادمة ما هي إلا انطلاق من حقيقة الأبعاد الثلاثة السابقة. وبوصولنا بالتقابل المعجمي إلى هذا الحد من التحليل والنظر في التقابلات القرآنية، لابد من محاولة رصـد العلاقات السياقية القائمة بين مفردات وحدات التقابل، وبين مفردات السـياق الأخرى؛ وذلك لأن السياق والعلاقات المتجاورة بين المفردات ذات قيمة أساسية في البناء الفني للنص القرآني. وقد أشار الدكتور محمد عبد المطلب إلى هـذا الجانـب في قولـه: "وهنا نحاول أن ننظر في التقابل باعتبار العلاقة السـياقية التي تربط الكلمة بما يجاورها، إذ إن هذه المجاورة قد تنقل التقابل من محـور إلى آخر باعتبار ما يضاف إليه من الهوامش قد تتصل أحياناً بأبعاد كلية ذات صبغة اجتماعية أحياناً أو سياسية أحياناً أخرى، وهذا لا ينفي أبداً ما فيها من طابع حركي أو بعد زماني أو مكاني، ذلك أن تعدد الإشارات ماثل في بنية اللفظـة إذا اسـتخدمت فنـياً، فـضلاً عن الاستخدام الشعري، بل إن تعدد الإشارات يظل ماثلاً في بنية التركيب مما يجعل الدلالة في حالة تبادل جدلي بين الإفراد والتركيب"[٣٢]. فالكلمة داخل سياق النص الفني في غاية الأهمية، وذلك أنهـا تأخذ مكاناً مناسباً في البناء اللغوي بحيث يقيم علاقات وترابطات سياقية مـع الكلمـات الأخرى إذ يصبح من الصعوبة بمكان أن نفهم حقيقة مضمون هـذه الكلمـات بفـصلها عن سائر كلمات السياق، فهي التي تعطي السياق المضمون الداخلي الذي يتصف بحركة المعنى النشيطة التي تنقل المتلقي بين معاني مخـتلفة تجـتمع في شكل داخلي واحد، وقد أشار أ. ف. تشيتشرين إلى هذا الجانب في قولـه: "تقوم الكلمة- من الزاوية الاستاتيكية- على تصميم داخلي معقـد، يـنطوي بناؤه الصوتي والمجازي والفكري على معان متباينة تنبثق من روابط الكلمات بعضها ببعض، يشكل بناء الكلمة الصوتي والفكري والمجازي وهـذه الخلية أو تلك التي تنطفئ ثم تلتهب حياة الشكل الداخلي للكلمة"[٣٣].

والواقع أن هذه المعاني المتباينة والمتضاربة التي تحدثها الكلمة بارتباطها بالكلمات الأخرى في السياق تجتمع في وحدة متكاملة، بحيث لا تبدو فروق في المضمون بينها، وأن الذي يجمع هذه المتنافرات قدرة خارقة قادرة على أن تزيل التناقض والتنافر الظاهرين في بنية السياق، وقد تنبه عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) إلى هـذا الجانـب فقال: "وإنها لصنعة تستدعي جودة القريحة والحذق، الذي يلطـف ويـدق، في أن يجمـع أعناق المتنافرات المتباينات في ربقة ويعقد بين الأجنبـيات معاقد نسب وشبكة وما شرفت صنعة ولا ذكر بالفضيلة عمل إلا لأنهمـا يحتاجان من دقة الفكر ولطف النظر ونفاذ الخاطر إلى ما لا يحتاج إليه غيرهمـا، ولا يقتـضيان ذلـك إلا من جهة إيجاد الائتلاف في المختلفات"(٣٤) فالكلمـة إذن ذات أهمية خاصة لا نستطيع أن نبحث في معانيها خارجين عن نطـاق الـسياق البنائي الذي ينظمها، ويبعث فيها الحياة والنشاط، ليكسبها مـضموناً جديـداً، عـلاوة على مضمونها المعجمي الذي يكتسب أهمية من خـصوصية اللفظـة نفسها، وقد نبه الدكتور عبد القادر الرباعي إلى مثل هذا الحـرص على أهمية الكلمة وربطها بالسياق في قولـه: "إن هذا كله يدفعنا ألا نفكـر بعـزل الألفاظ عن سياقها للنظر فيها- مفردة- ونحكم على صلاحيتها للشعر أم عدم صلاحيتها له. ويحفزنا، مقابل ذلك، أن نفكر بالعلاقات الخفية، أو الـروحية الداخلـية التي تثير الكلمة لتلائمها بعلاقات أخرى تثيرها كلمة أخرى، وهكذا حتى نضع أيدينا على كل العلاقات المتشابكة داخل العمل. بهذا وحده نقترب من أن نرى القصيدة في مبناها ومغزاها، أو، بكلمة أخرى، نرى العـالم كـيف بنى فيها لحظة نظمها"(٣٥). من هذا المنطلق يمكننا أن نبحث في وحـدات الـتقابل الأساسية التي مهدت لها الأبعاد الثلاثة من خلال العلاقات السياقية لمفردات التقابل التي تتمحور داخل البناء اللغوي لإنتاج الدلالة.

يأتي **البعد العقدي** بعد الأبعاد السابقة بدور أساسي في النص القرآني؛ وذلك لأنه يشكل محوراً أساسياً لإنشاء أبعاد مرافقة أخرى، فالمضمون العقدي في القرآن الكريم هو الأساس الذي تتحرك من خلاله آيات الكتاب في معظمها، فالقــرآن بناء فني قامت تقابلاته على اختلاف دلالاتها على بعد عقدي تتناول الفكرة أو الموضوع من منطلق العقيدة وتجليتها وتوضيحها للمتلقي حتى يكون القــرآن الكريم رسالة واضحة توطد دعائم معاني العقيدة في نفس المتلقي، ولا شك في أن المساحة الواقعة، التي اتخذها البعد العقدي، في تقابلات القرآن الكريم قــد تركت لنا كلمات أو مفردات مختلفة ومتعددة، ولكننا نستطيع أن نختزل هذه المفردات بإطار كلمتين قد تتسعان لجميع المعاني التي تحتملها هذه المفردات، هذا الإطار هو (الإيمان/ والكفر).

ويتميــز الــبعد العقــدي في تقابلات القرآن الكريم بصفة التواصل والامــتداد لإقامــة علاقات متعددة بأبعاد أخرى تنشأ في إطار وحدات تقابل جديــدة ذات صلة عميقة بالبعد العقدي. ولا شك في أن مناقشة البعد العقدي منفصلاً عن الأبعاد الأخرى يفقده دلالته الأساسية التي اتخذها السياق القرآني، ولذلك فإن مناقشته ستكون من خلال الأبعاد الأخرى ذات الصلة المباشرة.

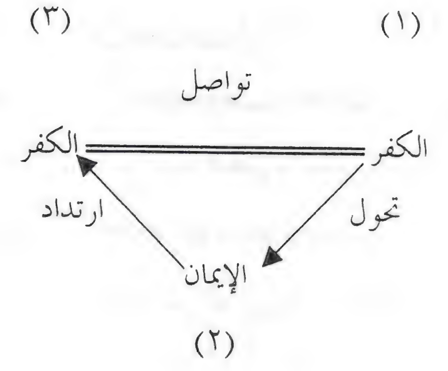
اســتطاعت وحــدات التقابل في آيات القرآن الكريم المتضمنة البعد العقــدي أن تتــصل بعــدد كبير من الأبعاد الأخرى، ويأتي أول بعد من هذه الأبعــاد **البعد الشعوري** الذي تراوحت مفرداته بين الخوف والأمن، والحزن، والفــرح، والضحك، والبكاء وغير ذلك من المفردات، ويتصل بهذا البعد **البعد الاجتماعــي** الذي تراوحت مفرداته بين الفساد، والصلاح، والفسق، والجوع، والإســاءة، والإحسان وما إلى ذلك، وحتى ندرك هذين البعدين في إطار البعد

العقدي نأخذ قوله تعالى: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ (٣٦)، إن هذه الآية تقوم أساساً على معنيي (الإيمان/ والكفر)، وهما من صميم البعد العقدي الذي يتشكل فيهما، ولكن هذين المعنيين يتخذان صفة الانتشار في أبعاد دلالية أخرى في هذه الآية. ولا شك في أن البعد الأول الذي ينبثق عن البعد العقدي هو البعد الاجتماعي وذلك أن الكلمات (عملوا الصالحات) و(هم الفاسقون) تحدد طبيعة الحياة الاجتماعية في بعديها المتضادين بين الصلاح والفساد أو الفسق، ونلحظ أن معنى الإيمان يتصل اتصالاً وثيقاً بطرف البعد الاجتماعي الأول، وهو الصلاح، وأن معنى الكفر يتصل أيضاً اتصالاً وثيقاً بطرف البعد الاجتماعي الثاني وهو الفسق أو الفساد. ولا شك في أن هذه الصلة الوثيقة بين البعدين تكشف عن أن **البعد العقدي** في طرفيه لا يتحقق إلا من خلال البعد الاجتماعي، وأن الكفر لا يتحقق إلا من خلال معنى الفساد والفسق الاجتماعيين. وتتواصل العلاقات السياقية في التبلور والكشف عن حقيقة البعد العقدي من خلال تدخل الصياغة القرآنية في تعميم قدرة البعد العقدي من طرف معنى الإيمان بأنها جعلت أصحاب هذا الطرف هم الخلفاء في الحياة الإنسانية على المستوى القيادي الذي يقود الناس جميعاً، من هنا جاءت المفردات (ليستخلفنهم في الأرض) و(ليمكنن لهم دينهم). ومن ثم يظهر لنا البعد الشعوري الذي يستمد وجوده ومعناه من الإيمان، وذلك أنه تجسد في طرفين هما (خوفهم/ أمناً) فمشاعر الأمن تحل محل مشاعر الخوف بحلول صفة الإيمان، وذلك أن الخوف الذي كان يكتنف أصحاب الإيمان زال عندما

تـدخلت الـذات الإلهية بأن جعلت هؤلاء أصحاب القيادة في الحياة بصفاهم العقديـة والاجتماعية النابعة من الصلاح، فحل محله الأمن والطمأنينة، ومن ثم نلحظ أن السياق القرآني في هذه الآية يحدث بناءً تركيبياً نابعاً من صميم البعد العقدي وهو الذي يتمثل في (يعبدونني/ ولا يشركون بي شيئاً) فهذا البناء جاء ضـمن سياق منتظم ذي ترتيب خاص في البناء اللغوي، وذلك أنه جاء ضمن حـديث الآيـة عن الإيمان من جهة، ومن جهة أخرى جاء ترتيبياً بعد وحدة الـتقابل الـتي تتضمن البعد الشعوري، ولا شك في أن هذا التسلسل في البناء اللغـوي ذو أهمية خاصة يكتسبها هذا البناء، وذلك أن تحقيق البعد الشعوري لمن يتـصف بالإيمان مشروط بتكريس صفة الإيمان وتعميقها وعدم الاتجاه بالعقيدة إلى غـير الله سبحانه وتعالى، حتى يكتسب أصحابها هذا البعد الشعوري، ومن المـدهش حقاً أن البناء السياقي قد جاء بأسلوب الإيجاب والنفي، فالعبادة مثبتة والـشرك منفـي، لعل هذا الأسلوب يؤكد للمتلقي حقيقة البعد العقدي من جانـب الإيمـان، فالعبادة عموماً يمكن أن تكون على اتجاهين: اتجاه لعبادة الله سـبحانه وتعالى، واتجاه آخر لعبادة غيره في الوقت نفسه، وحتى لا يبقى المجال عامـاً للمتلقي جاء الطرف الثاني من التركيب يحدد معنى الطرف الأول بدقة، وذلـك أن الطرف الثاني ينفي الاتجاه الثاني من العبادة، فالعبادة التي أرادها هذا البـناء هـي عبادة الله وحده دون غيره فلا يجوز أن يشرك بعبادته أحداً غيره، ومـن هنا يمكننا أن نفهم طبيعة البعد العقدي في هذه الآية ونفهم صلته بالبعد الاجتماعي والبعد الشعوري.

ويأتي البعد العقدي ببعد آخر يتصل به اتصالاً وثيقاً وهو **البعد الخُلُقي**، والـبعد الخلقـي هـو جانب مهم من جوانب إرساء معنى العقيدة في النفس الإنسانية التي ركز عليه القرآن الكريم من خلال تقابلاته، وقد تراوحت ألفاظه

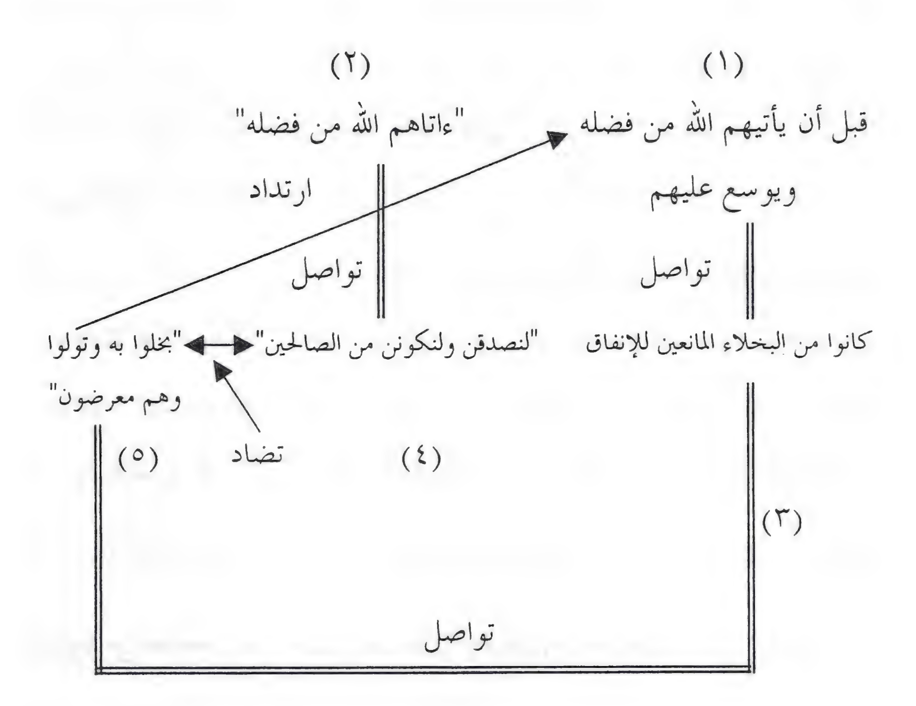
بين الصدق، والكذب، والافتراء، والوفاء بالعهد، أو الوعد، والإخلاف به، ونقضه، وغير ذلك. وحتى ندرك هذا التواصل بين البعدين نأخذ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ٧٦ ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [٣٧] إن هذه الآيات تأخذ إطاراً عاماً في البعد العقدي الذي يقع بين الارتداد عن الإيمان إلى الكفر، وبين دعوة المنافقين إلى الإيمان، وبعبارة أدق يقع في إطار الإيمان والكفر، نلحظ من سياق هذه الآيات كيفية تشكيل البعد العقدي في مفرداته وتراكيبه، ومن الملاحظ أيضاً في السياق أن الذي بلور هذا البعد هو وحدات تقابل مختلفة تحمل في طياها أبعاداً دلالية مختلفة، تراوحت بين البعد الخلقي، والبعد الزمني، والبعد الحركي. إن الوحدة التقابلية الأساسية في هذا السياق هي (كفروا/بعد إسلامهم) وهي وحدة تشير إلى حركة انعكاسية في البعد العقدي؛ بمعنى أنها اتجهت من الإيمان (الإسلام) إلى الكفر، وقد جسد السياق هذه الحركة في نظام التركيب اللغوي لطرفي التقابل كما يأتي:



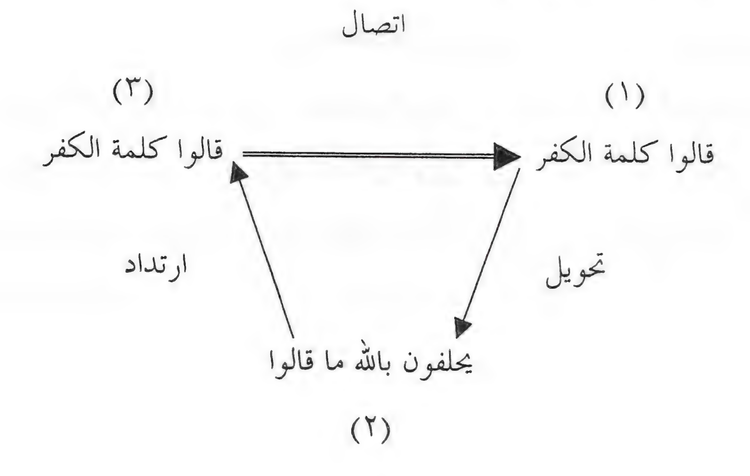
إن مفــردة (الكفــر) الأولى هي الأصل في حال هؤلاء المنافقين الذين تركوها ليتحولوا إلى المفردة الثانية (الإيمان)، وجاء السياق يغير الحركة العقدية لــدى هــؤلاء المنافقين من الإيمان إلى الكفر، وهي حركة ارتدادية تؤدي إلى رجــوعهم لحــالهم الأولى وهي الكفر، وبهذا يجسد السياق حال التواصل مع الوضــعين الأول والــثالث، أي بعد الارتداد عن الإيمان وقبل الإيمان، إن هذه الطبيعة الانعكاسية التي فرضها السياق على وحدة التقابل الأساسية تنسحب إلى الــوحدة التقابلــية الأخرى ذات الدلالات الخلقية والحركية. وما هذا إلا لأن الــبعد العقدي هو الأصل في البناء السياقي. وتنكشف هذه الحركة الانعكاسية في وحدة التقابل المتمثلة في قولــه: ﴿ **ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون** ﴾ إن هذه الوحدة التقابلــية ترصــد أبعاداً دلالية من جهة، وترصد الحركة الانعكاسية من جهة أخــرى، أما الأبعاد الدلالية فهي **البعد المعيشي** المتمثل في الصدقات والإنفاق والــبخل، والــبعد الخلقي المتمثل في الصلاح في الحياة الدنيا، والبعد الحركي المتمــثل في (بخلوا) التي تشير إلى الحركة الأفقية الموضعية التي تقطع كل مسار خطي إلى أي اتجاه لتبقي الحركة متمحورة حول صاحب صفة البخل، ومتمثلة

أيضاً في المفردة (تولوا) التي تشير إلى الحركة الارتدادية المعكوسة على المستوى الأفقـــي التي تنطلق من مركزها (صاحب صفة البخل) إلى الوراء، بحيث يتعانق هـــذا الاتجـــاه (الـــوراء) مع صفة البخل وتساند المفردة (معرضون) المفردتين (بخلوا) و(وتولوا) في صفة الاتجاه الارتدادي والتمحور حول مركز الحركة.

ويمكننا أن ندرك طبيعة حركة السياق الانعكاسية في وحدة التقابل كما يأتي:

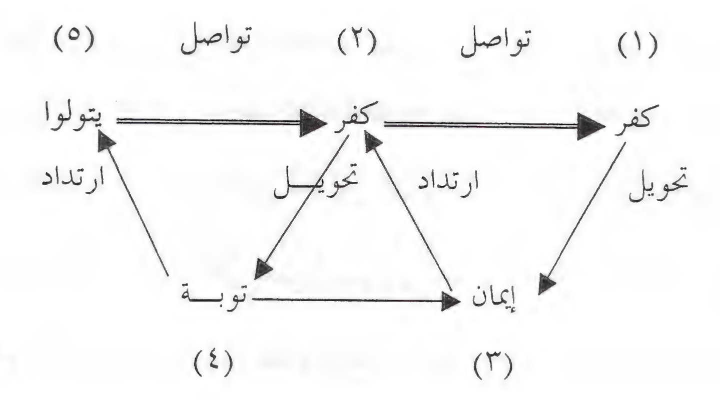


إن هـؤلاء المنافقين قبل أن يوسع الله عليهم كانوا في حال من البخل، وكانوا مانعي الإنفاق في سبيل الله فقطعوا عهداً على أنفسهم بأنهم إذا ما آتاهم الله مـن فضله ليكونن من المتصدقين الصالحين، وقد حققت وحدة التقابل هذا المضمون بأن وسع الله عليهم رزقهم ولكنهم لم يفوا بالوعد الذي قطعوه على أنفسهم. وبهذا يكشف السياق بأن التركيب رقم (٣) في الرسم التوضيحي، يتواصل مع التركيب رقم (٤) بحركة تقدمية ليحقق بالتالي مطلب المنافقين، ومن ثم يكشف السياق عن علاقة متضادة تقوم بين التركيب رقم (٤) والتركيب رقم (٥)، ليثبت بالتركيب رقم (٥) حركة الارتداد وحركة التواصل في الوقت نفسه، أما حركة التواصل، فهي توصيل هؤلاء المنافقين صفة البخل الثانية بصفة البخل السابقة قبل التوسعة عليهم في التركيب رقم (٢). إن هـذه الحركة الانعكاسية في هذه الوحدة التقابلية تتماثل مع الحركة الانعكاسية في الوحدة التقابلية السابقة، ولا ينحصر امتداد تأثير الحركة الانعكاسية في السياق عند هذه الوحدة التقابلية، وإنما يمتد إلى وحدة تقابلية أخرى سابقة على وحدة التقابل الأساسية، تتمثل هذه الوحدة في (يحلفون بالله ما قالوا/ولقد قالوا كلمة الكفر). فبنية الحركة الانعكاسية هنا تتمثل تماماً مع حركة الوحدة الأساسية كما في الرسم الآتي:



إن السياق القرآني يثبت في هذا البناء إبطال ما ادعاه المنافقون بأنهم لم يقولوا كلمة الكفر وذلك كما يأتي: نقل السياق بطريقة النفي حلف هؤلاء على أنهم لم يقولوا كلمة الكفر، وذلك في الطرف رقم (٢) دون أن يثبت في البدء حقيقة قولهم؛ بمعنى أنهم تحولوا من إثبات قولهم كلمة الكفر التي ظهرت في الطرف رقم (١) وهي الأصل إلى نفيها عن أنفسهم وهذه الحركة مماثلة تماماً لحركة الوحدة التقابلية الأساسية، ثم تحرك السياق بحركة معاكسة لحركة التحويل، بأن أثبت أنهم (قالوا كلمة الكفر)، وذلك من خلال الإيجاب وتمثل هذا الإثبات في الطرف رقم (٣). وبإعادة السياق المنافقين إلى حقيقتهم يكون قد أحدث حركة تواصل انعكاسية ترتد إلى الأصل في حال المنافقين وذلك يتمثل في العلاقة بين الطرفين (٣/١).

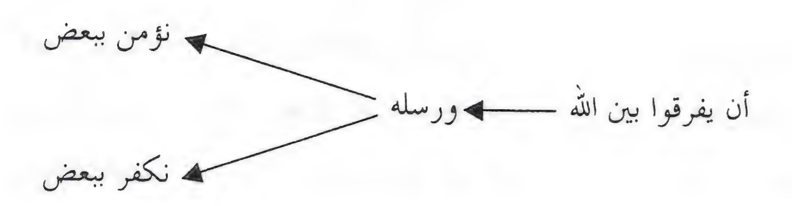
ويمكننا أن نتابع إحداثات وحدة التقابل الأساسية المبنية على البعد العقدي، لنلحظ نشوء وحدات تقابلية تتضمن بعداً عقدياً وحركياً في الوقت نفسه، وبعداً آخر وهو البعد الزمني، ويمكننا أن ندرك البعد العقدي- الحركي في الوحدة (ليتوبوا- خيراً لهم/ يتولوا- يعذبهم الله) إن المفردة (يتوبوا) تكشف عن المعنى العقدي الذي يتضمنه، وذلك أن التوبة تتضمن معنى العدول عن الكفر إلى الإيمان، وبربط هذه المفردة بالمفردة (يتولوا) التي تشير إلى البعد الحركي الارتدادي إلى الوراء، تكشف لنا عن طبيعة الحركة الانعكاسية التي أدركناها في التقابلات السابقة، ولكنها مختلفة من حيث التركيب البنائي في السياق، وحتى نكشف عن ذلك يجب أن نربطها بالوحدة التقابلية الأساسية، وذلك كما يأتي:



إن الـــوحدة التقابلية الأساسية تتمثل في الأطراف (١/ ٢/ ٣) وهي تجـــسد الحركة المعكوسة كما تحدثت عنها سابقاً. ومن خلال الرسم للطرفين (٤/٥) وعلاقتها بالطرف (٣) نلحظ الحركة الانعكاسية نفسها التي ظهرت في الوحدة التقابلية الأساسية، وذلك أن السياق بعدما أثبت ارتداد هؤلاء المنافقين إلى الكفـــر أحدث تقابلاً جديداً بدأ بالطرف (٤) وهو التوبة. والتوبة هنا ترتد إلى معنى الإيمان في الطرف (٢) ولكن هؤلاء المنافقين بإعراضهم عن هذه التوبة يكونـــون قد أحدثوا حركة ارتدادية تتجه نحو الطرف (يتولوا) ذي الرقم (٥)، وبتحقـــيق مضمون هذا الطرف يكونون قد أحدثوا حركة التواصل الارتدادية إلى الأصل وهو الكفر في الطرف رقم (٣) الذي يتواصل بالمثل مع الطرف(١)، ويمكن أن ندرك من هنا معنى وصفنا لـــ (يتولوا) بأنها حركة ارتداد إلى الوراء. ويأتي ضمن هذه الحركة الارتدادية البعد الزمني الذي يتخذ صفة الحلقة الزمانية الأولى والثالـــثة مـــن خلال (الدنيا/ والآخرة) وهي حركة محورية تجمع الأبعاد جمـــيعاً في طرفيها، وذلك من خلال الفعل (يعذبهم) الذي يتصل ببعد جديد في الـــسياق وهو البعد الجزائي الذي يشكل جزءاً مهماً من البعد العقدي في آيات القرآن الكريم.

ولعل من الأهمية بمكان أن نتحدث عن العلاقة الوطيدة بين البعد العقدي والبعد الجزائي لنلحظ الصلة الحقيقية بينهما، وحتى ندرك هذه الصلة نأخذ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[٣٨] إن مسار الوحدة التقابلية الأساسية في هذا السياق يتخذ نمطاً بنائياً مختلفاً عنه في سياق الآيات السابقة للبعد العقدي، وهي تتحدد في طرفين هما (يكفرون/ وآمنوا)، من ثم تمتد هذه الوحدة بجذورها داخل السياق، لتنشئ وحدات تقابلية أخرى ذات صبغة عقدية، وبالتالي ينبثق منها بعد جزائي يترتب على كل طرف من طرفيها، أما الوحدات التقابلية ذات البعد العقدي، فهي (أن يفرقوا/ و لم يفرقوا) و(نؤمن ببعض/ ونكفر ببعض) ولكن من الملاحظ على الوحدة الأولى أنها تتوزع في طرفيها على طرفي الوحدة التقابلية الأساسية، فالطرف (أن يفرقوا) ينتمي إلى الطرف الأول (يكفرون) والطرف (يفرقوا) ينتمي إلى الطرف الثاني (آمنوا) ولا شك في أن كل طرف يحدد طبيعة مسلك أصحابه من حيث البعد العقدي، فأصحاب الطرف الأول الكافرون يحاولون أن يفرقوا بين رسل الله. أما أصحاب الطرف الثاني المؤمنون فهم على الضد من الكافرين لم يفرقوا بينهم، إذ يكشف عن الطبيعة الأساسية لأصحاب العقيدة الأولى وهي عقيدة الكفر فهم يتبعون التفريق أساساً لمنهجهم العقدي، ومن هنا نشأت وحدة تقابلية جديدة بنيت على أساس التفريق، وتتضمن البعد العقدي

وهـــي الوحدة التقابلية الثانية (نؤمن/ ونكفر). فالتفريق في السياق انعكاس عن مفهـــوم عقيدهم بأنهم جزءوا الكل إلى جزأين: جزء ينتمي إلى الإيمان، وجزء ينتمي إلى الكفر. ولكن من الملاحظ على هذه الوحدة من حيث توزيع طرفيها أنهـــا قد جاءت في صورة معكوسة في السياق إذ كان الترتيب في أصل الوحدة التقابلية الأساسية الكفر أولاً والإيمان ثانياً، في حين إن الترتيب هنا جاء بالإيمان أولاً وبالكفـــر ثانياً. لا شك في أن لهذا العكس السياقي في الآيات دلالة سياقية مهمـــة في كشف المسلك العقدي للكفار. ولو ذهبنا إلى التوصيل بين مفردات (أن يفـــرقوا) وبـــين طرفي الوحدة التقابلية هنا، لوجدنا هذه الدلالة السياقية، فنلحظ أن السياق يسير بنا كما يأتي:



إن هـــذه التجزئة ذات صلة وثيقة بالمفردة (ورسله)؛ أي أن الإيمان أو الكفـــر يقـــع على جزء من مضمون هذه المفردة، فالمفردة في مضمونها تنقسم قـــسمين: القسم الأول- رسل يؤمن بهم الكفار، والثاني- رسل يكفرون بهم. ولكن مشروعية الرسل تستمد حقيقتها من صلتها السياقية بلفظ الجلالة (الله)، وذلـــك أن هؤلاء الرسل قد بعثهم الله إلى الناس. ومع أن هذه الحقيقة تمثل أمام الكفار إلا أنهم حاولوا أن يتخلصوا من قوتها بفعلهم التجزيئي، فآمنوا ببعضهم وكفـــروا ببعـــضهم الآخـــر، وذلـــك حتى يقنعوا أنفسهم بأنهم آمنوا بالرسل الحقيقـــيين من وجهة نظرهم؛ ولذلك يأتي السياق بتعليل هذه الحركة التفريقية

من وجهة نظر الكفار في قوله (ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً) فمسلكهم العقدي هذا يؤدي بهم إلى طريق وسط بين الكفر والإيمان، ولكن السياق لم يجعل الوحدة التقابلية هنا تكتمل على هذه الحركة التفريقية حتى لا تكون الصورة المعكوسة التي بدأت بالإيمان مشروعة ومقبولة، وإنما جاء بطرف آخر ينفي عنهم صفة الإيمان، وهو قوله أولئك هم الكافرون حقاً، فهذا القول هو الذي يحل الحركة المعكوسة، ويبرر بدء وحدة التقابل بالإيمان، ولا شك في أن هذا القول هو نفي قاطع لصفة هؤلاء، وبهذا ترتد وحدة التقابل بصفة الكفر إلى الصفة الأساسية لهؤلاء الكفار، وبعد هذه الإحداثات التقابلية في البعد العقدي، يأتي البعد الجزائي الذي يتمثل في طرفين هما (واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً/ أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً) فالعذاب نتيجة جزائية لمن يتصف بالكفر، والأجر والمغفرة والرحمة جزاء لمن يتصف بالإيمان، نلحظ هنا أن التركيب قد عكس الحركة التفريقية التي كانت في التقابلات السابقة إذ أدركنا فيها أن التفريق في الأصل كان من صفات الكفار ولكن هنا تتغير الحركة من خلال مفردات البناء السياقي، لتصبح حركة التفريق من صفات المؤمنين في البعد الجزائي، لذا يجب علينا أن نلحظ مفردات الجزاء في كل طرف، فمفردات الجزاء من جهة الكفار كانت (عذاباً) و(مهيناً). أما مفردات الجزاء من جهة المؤمنين، فكانت (أجورهم) و(غفوراً) و(رحيماً). إن مفردتي الجزاء للكفار تتخذان صفة الاحتواء بمعنى أن العذاب يحتوي في داخله معنى الإهانة، فهما وإن تبدوا مفردتين ولكنهما مكثفتان في معنى واحد. ولكن مفردات الجزاء للمؤمنين تتخذ صفة الافتراق والاستقلالية في المعنى. فالأجور هي معنى قائم بذاته والمغفرة أيضاً معنى قائم بذاته والرحمة كذلك الأمر قائمة بذاتها، ولا شك في أن صفة الاستقلالية هنا تشير إلى الحركة التفريقية.

نستطيع من خلال هذا العكس للحركة التفريقية أن نمسك بأطراف الدلالة في السياق التي تؤشر إلى أن ما فعله الكفار من تفريق أدى بهم إلى جزاء مكثف فيه إهانة لما صنعوه من التفريق في البعد العقدي، وأن ما فعله المؤمنون من عدم التفريق، في قوله (لم يفرقوا بين أحد منهم) أدى بهم إلى جزاء عظيم ممتد بين الأجر والرحمة والمغفرة. ولا شك في أن البعد العقدي في هذه الصورة يكون قد انعكس على البعد الجزائي بدلالته في السياق.

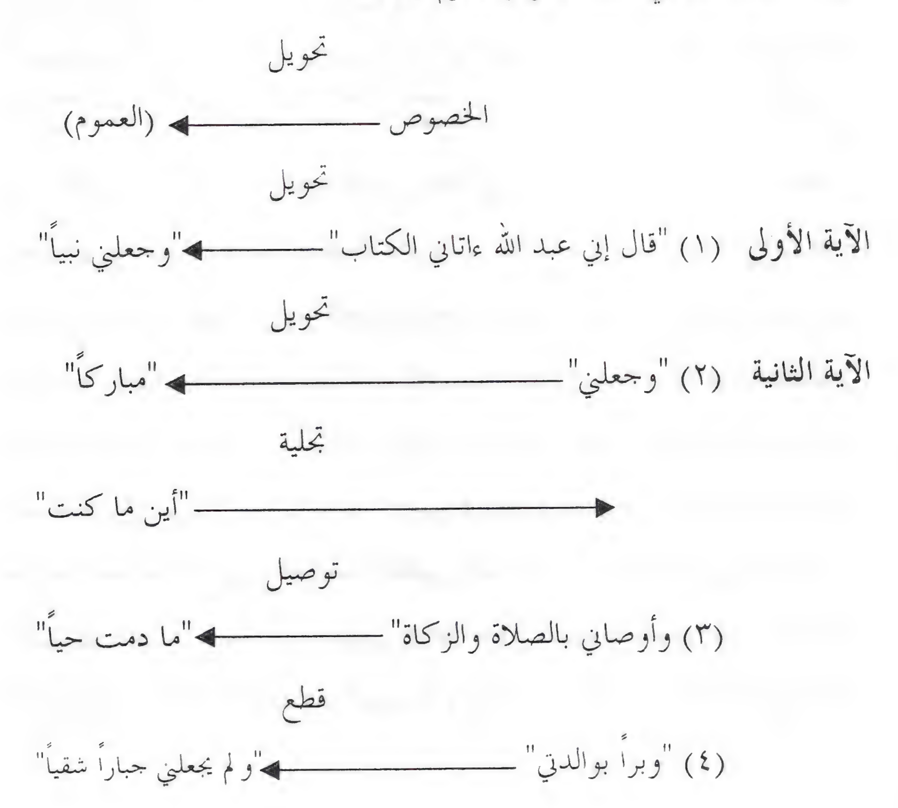
التخالف:

إن التخالف يستمد دلالته الاستدعائية من تشكيل طبيعته التركيبية التي أشرت إليها في الفصل الأول. وهي القائمة على الدال الحاضر والدال الغائب، متمثلين في طرفيها المثبتين في البناء اللغوي اللذين يمثلان الدال الحاضر، وفي طرفين مقابلين لهما يمثلان الدالين الغائبين. ولا شك في أن هذا التركيب الخاص بالتخالف ينتج دلالات استدعائية مختلفة في نمطها ومضمونها عن دلالات التقابل المعجمي الذي رأيناه في الصفحات السابقة.

إن أول دلالة تنتج في السياق القرآني نابعة من علاقة الدال الحاضر بالدال الغائب وواقعة في إطار (**الخصوص والعموم**) هذا الإطار الذي يتجسد في وحدة التخالف بشكل خاص، ويتجسد في البناء اللغوي بشكل عام. وقد ظهرت هذه السمة الشمولية في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ**

﴿وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (٣٩) إن حركة الخصوص والعموم في هذه الآيات واضـــحة في البنية اللغوية، وذلك أن الآيات بدأت بـــ(قال إني عبد الله) فهذا القول يكشف بدقة عن خصوصية عيسى عليه السلام من خلال ضمير المتكلم في (إني) الـــذي يمـــثل الانحـــسار نحـــو الذات وتحجيمها ليزيد هذا التحجيم خصوصية أخرى في قولـــه (عبد الله) فالعبد هو جزء خاص وصغير من شريحة كـــبيرة وواسعة هي جزء من عباد الله الذين يشكلون شريحة كلية كبيرة، ويمتد الـــسياق هنا ليؤكد هذه الخصوصية في (آتاني الكتاب) فالكتاب الذي هو جزء مـــن ملكـــوت الله سبحانه وتعالى يتترل على عبده هو عيسى الذي يمثل البعد الخامس بين خلقه سبحانه وتعالى، ومن ثم يأخذنا السياق إلى الشريحة الكلية أو العمومـــية في قـــولـــه (وجعلني نبياً) فالنبوة أعم من الفرد (النبي)، وهي معنى شـــامل لإرادة إلهية أرادها الله في هذا الكون. ولكننا نلحظ التركيز على معنى الخصوصية في الأقوال السابقة من خلال تكرير ضمير المتكلم (الياء) المرتبط بـــ (إني) و(آتـــاني) و(جعلني)، ثم ينتقل السياق إلى الحركة الخصوصية والعمومية نفـــسها في الآيـــة الثانـــية، وذلـــك في قولـــه (وجعلني)، الذي يكشف عن الخـــصوصية في فعـــل الـــتحويل (جعل) الذي يتحرك نحو العمومية المتمثلة في (مـــباركاً) فهذه الكلمة تكشف بنفسها عن معنى العمومية التي تصل إلى كلية الصفة المباركة في الحياة، ويجلي السياق هذه العمومية بأن جاء بتركيب يكشف عن البعد المكاني، وذلك في قولـــه (أين ما كنت) الذي يجعل المباركة عامة لا تنحـــصر في مكـــان مـــا. ومن ثم تعيد الآية هذه الحركة بين الخاص والعام في قولـــه (وأوصاني) التي تشير إلى الارتداد الخاص، ومن ثم تأخذ طابعاً جديداً في التعـــبير عـــن حركة الخاص في عملية التقسيم في قولـــه (بالصلاة) و(الزكاة) وهـــذا مـــتعلق بالضمير الياء) لا من حيث وقوع الفعل (أوصى) بل من حيث

علاقة المفعولية التي تربط بين الضمير وبين هذه المجرورات وكأنما حركة الخصوص هنا تتجسد في المفعولية التي يفرضها السياق، ومن ثم تنتقل الآية إلى حركة العموم في التركيب (ما دمت حياً)، إذ إن هذا التركيب يجسد حركة العموم من خلال البعد الزمني الممتد في الكون. ومن ثم تعيد الآية التالية لها هذه الحركة مرة أخرى من الخاص إلى العام، إذ إن قوله (وبراً بوالدتي) يجسد المعنى الخاص بربط البر بالوالدة التي تمثل خصوصية عيسى عليه السلام، وتنتقل الآية إلى العام من خلال الخاص في التركيب. (ولم يجعلني جباراً شقياً) وذلك أن النفي في هذا التركيب أخرج ضمير المتكلم الذي يمثل الخاص من فعل التحويل إلى العام وأقصد هنا (جباراً شقياً)، وقبل أن نأتي إلى وحدة التخالف الأساسية في السياق لابد من رصد حركة الآيات السابقة في الرسم الآتي حتى ندرك البعد الحقيقي للخصوص والعموم فيها:



إن حـــركة الخصوص والعموم في هاتين الآيتين اتخذت صفتين: الأولى الـــصفة التكريـــرية لتركيب الآيتين، بحيث كررت العلاقة باتجاه واحد في كل تركيب من الخصوص إلى العموم. والثانية هي الاعتماد في توجه الخصوص نحو العمـــوم على أكثر من علاقة كانت في التركيبين الأول والثاني فكما نلحظ هنا فـــإن علاقة التحويل هي الأساس، ولكن علاقة التجلية رافقت التركيب الرابع، فهي علاقة القطع التي قد تصل إلى حد التضاد بين الخصوص والعموم من خلال المفردة (براً) و(جباراً) ولكن أسلوب النفي في هذا التركيب يجعل العموم يرتد إلى الخصوص ليؤكد معناه.

وتـــأتي وحدة التخالف الأساسية خاتمة السياق لتنقل حركة الخصوص والعمـــوم مـــن خلال مفردات تركيب الآية بشكل عام، وذلك أن هذه الآية بـــدأت بالتـــركيب (السلام علي) الذي يشير إلى حركة الخصوص متمثلة في الـــسلام وفي الضمير الياء، وتتحدد حركة الخصوص في قولـــه (يوم ولدت)، وذلك أن الولادة هي معنى خاص في معنى الحياة، وينتقل السياق من هذا المعنى إلى تركيب آخر هو (يوم أموت)، والموت بالنسبة للولادة يجسد علاقة الخاص بالعـــام، وذلك أن العمومية أصلاً تكون بين الحياة والموت ولكن بإيراد كلمة (ولدت) تتحول العلاقة من الخاص إلى العام، والمدهش حقاً هنا أن تجسيد هذه العلاقـــة كـــان متحـــركاً في البعد الزمني بين الغائب والحاضر، فالغائب الذي يتحـــرك فيه الخصوص، والحاضر الذي يتحرك فيه العموم، ومن ثم يتحرك بنا الـــسياق إلى حركة عمومية جديدة وهي في التركيب (ويوم أبعث حياً) ولكن هـــذه العمومـــية في علاقتها مع الخاص والعام في (يوم ولدت) و(يوم أموت) تكـــشف عـــن طبيعة مميزة تتصف بها هنا وهي طبيعة استيعاب الخاص والعام المحـــدودين بالعـــام اللامنتهي، فقولـــه (أبعث حياً) يمثل حركة العام في البعد

الزمني للحلقة الثالثة اللامنتهية. ومن ثم ينتهي السياق القرآني عند هذا الحد من تحـرك الخاص والعام، وتجسد هذه الآية في حركة الخاص والعام ثلاث صفات تـشترك منها صفتان مع الآيات السابقة، وتختلف في الصفة الثالثة، إذ إن صفتي الاشتراك، هما: الأولى-مثلت اتجاه حركة الخصوص نحو العموم، والثانية-جسدت علاقـة التوصيل بين (السلام علي) وبين (يوم ولدت) وبين (يوم أموت) و(يوم أبعث حياً)، وأما الصفة الثالثة التي تفترق بها عن الآيات السابقة، فكانت صفة الاستيعاب التي تصل إلى درجة الاحتواء للخاص والعام.

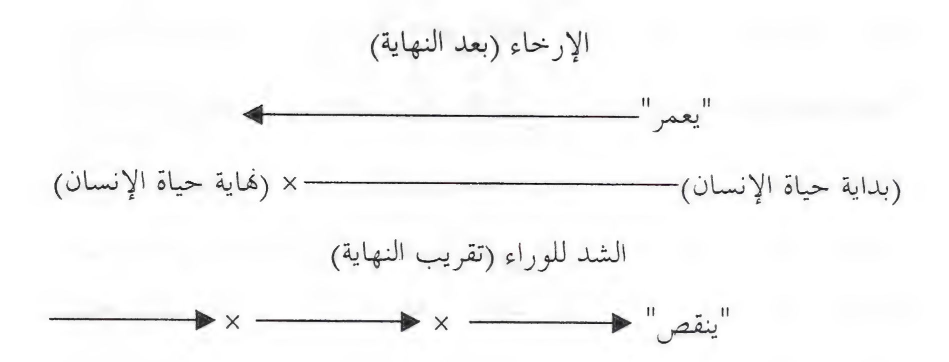
وتـتخذ وحـدات الـتخالف في آيات القرآن الكريم توجهاً آخر في دلالاتهـا تنـبع من إطار (**الكل والجزء**) هذا الإطار الذي ينسحب على بنية الآيات بصفات وخصائص تتشابه مع خصائص وحدة التخالف وصفاتها، وقد تجلـت هـذه السمة في قولـه تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾[٤٠]. إن هذه الآية تستمد بناءها الـساقي من خلال علاقة الكل بالجزء، وذلك منذ بدايتها إلى أن تنتهي بوحدة الـتخالف الأساسـية، فالبناء يطرح في البداية مفردتين متضامتين تصنعان فيما بيـنهما علاقـة التخالف في إطار الكل والجزء، وهما (تراب) و(نطفة) إذ إن المفـردة الأولى تشير إلى جنس المادة التي خلق الله منها الإنسان فالتراب جنس عـام يتضمن معنى الكلية، أما المفردة (نطفة)، فهي تشير إلى جزء من كل عام، وهـو الإنـسان في صورته الكلية. والتقابل بين هاتين المفردتين مبني على هذه العلاقة، ولكن بالرجوع إلى بداية الآية الكريمة نلحظ أنها بدأت بالتركيب (والله خلقكـم) والخلـق هي عملية كلية لا تتجزأ بمضمونها ويكشف الضمير (كم)

الــذي يتعلق بعملية الخلق عن معنى الكلية، فالسياق في هذا الجزء من الآية بدأ بالكــل وانتهــى بالجزء. ولكن الآية تتجه بنا مرة أخرى إلى البعد المكاني في التــركيب (ثم جعلكــم أزواجاً) وهو بعد تحويل من الكلية المطلقة إلى التقسيم الواقــع في إطار الكلية، وذلك أن الفعل (جعلكم) يشير إلى الكلية في أجزائها (أزواجــاً). ومن ثم يتجه السياق وجهة أخرى معاكسة لحركة الكل إلى الجزء، وذلــك بأنهــا تحركت من الجزء إلى الكل من خلال وحدة تركيبية تدخل في علاقــة السلب، وهي (ما تحمل ولا تضع إلا بعلمه) فــ(ما تحمل) و(لا تضع) تقعــان في الإطــار الجزئي بين الحمل والوضع، ولكن أسلوب السياق هنا لا يكمل حركة المعنى إلا بالأخذ بنهاية أسلوب الحصر، وذلك بأن التركيب (إلا بعلمــه) ذو صلة قوية بالوحدة التركيبية، وهو يحدد توجه الإطار العام للكلية والجــزئية. ولا شــك في أننا نلحظ معنى الكلية في هذا التركيب فعلم الله عز وجــل هــو حركة كلية تشمل كل بعد جزئي، وبهذا تكون الآية قد جسدت الحركة المعاكسة لإطارها، بحيث اتجهت في التركيب السياقي الثاني من الجزئية إلى الكلــية، ويصل السياق في هذا التركيب إلى وحدة التخالف الأساسية التي تمــثلت في (مــا يعمــر من معمر) و(ولا ينقص من عمره إلا في كتاب)، إن الطرفين في وحدة التخالف هنا هما الأول (ما يعمر) والثاني هو (ما ينقص)، ولا شك في أننا ندرك أن العلاقة بينهما هي علاقة الكلية (يعمر) والجزئية (ينقص). والحــركة هنا حركة مخالفة لحركة التركيب السابق لهذه الوحدة. والتدقيق في العلاقــة العميقة التي تربط طرفي الوحدة يقودنا إلى ملاحظة حركة (الإرخاء/ والــشد) وذلك أن الطرفين يقعان في البعد الزمني الذي يمثل زمن الحياة الدنيا، فالتعمير في الحياة الدنيا هو مدة زمنية طويلة نسبياً بالقياس إلى عمر الإنسان في الأرض، والنقص في الحياة أيضاً مؤشر إلى فترة زمنية قصيرة بالنسبة إلى التعمير.

ولكن الحركة الزمنية في هذين الطرفين تقع ضمن إطار الكلية والجزئية، وذلك كما يأتي: مفردة (يعمر) هي حركة امتدادية تشير إلى التوجه إلى الأمام لتنتهي عند نقطة معينة كما في الشكل الآتي:

"يعمر" ←———————— × (نهاية حياة الإنسان)

والمفردة (ينقص) هي جزء من المفردة السابقة، هذا الجزء الذي يشكل اتجاهــاً معاكــساً لاتجاهها، بحيث تصبح الحياة أقصر منها في المفردة الأولى في صورة (الشد) إلى الطرفين وذلك كما يأتي:



فكل طرف من الطرفين يشكل حركة مخالفة لحركة الآخر فـ (يعمر) يمــثل حــركة (الإرخـــاء) بحيث يسمح بطول المدة الزمنية للاقتراب من نهاية الإنسان، وهذا يشكل إطاراً كلياً متسعاً في حين أن الطرف (ينقص) يمثل حركة (الــشد) بحيث يجذب إليه نهاية الإنسان ويقربها في حركة مخالفة لحركة الطرف الأول، وهــو في هذه الصورة يكون قد حقق العلاقة الجزئية في الطرف الأول. ومــن ثم يــأتي السياق من خلال أسلوب الحصر في حركة كلية أكبر تحتوي الإطـــار الكلي والجزئي في وحدة التخالف بالتركيب (إلا في كتاب)، فمفردة

الكتاب هي مؤشر إلى الإطار الكلي. ومن المدهش حقاً أن تنتهي الآية بتركيب يشير إلى الإطار الجزئي الصغير من خلال قولــه (إن ذلك على الله يسير) فالحركة الـــسابقة علـــى هذا التركيب التي تراوحت بين الكلية والجزئية والتي توزعت بطـــرفيها وتعاكـــست وتداخلت ليست إلا حركات مصغرة أمام قدرة الله عز وجل، وهي يسيرة الأحداث والفعل عليه.

ويتوجه التخالف في السياق إلى رصد دلالته من خلال إطار (**التشابه**) بـــين أطـــراف الوحدات، ولعل الآية الكريمة الآتية توضح هذه الدلالة، يقول تعالى: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴾[٤١]، إن علاقـــة التشابه في هذه الآية تبدأ من طرفي التخالف (أشـــداء) و(رحمـــاء) وذلك اعتماداً على تقابل الدال الغائب بالدال الحاضر، وينتج الدال الغائب من تقابله بالدال الحاضر في الطرف الأول (أشداء)، وعلى هذا فالدال الغائب الذي أعنيه هو (اللين)[٤٢]. ومن ثم ينتج هذا الغائب علاقة التشابه مع الدال الحاضر في الطرف الثاني (رحماء)، وذلك أن بين الرحمة واللين صـــلة قـــوية ناتجة عن أن اللين يسبب الرحمة، فالعلاقة إذن بينهما هي علاقة التـــشابه، وهذه العلاقة تنتج لنا حركة تكثيف في المعنى، وذلك أن معاني اللين مـــتعددة وكـــثيرة، ولكن السياق في الآية يختصر هذه المعاني بمفردة واحدة هي (الرحمة). ومن هنا يبدو المعنى مكثفاً في الدال الحاضر، فالسياق إذن يبدأ بوحدة التخالف التي اعتمدت على محورين أساسيين هما: الأول الكفار والثاني المؤمنون الذي يتمثل في التركيب (بينهم). وقد توزع عليهما طرفا التخالف.

وينـــتج الـــسياق علاقة مماثلة للعلاقة التي أنتجتها وحدة التخالف مع الـــدال الحاضر (رحماء)، وذلك من خلال التركيب (تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً)، إن المعنى الخفي وراء الركوع والسجود وابتغاء الفضل وابـــتغاء رضوان الله سبحانه وتعالى ينبع من جانب الرحمة والسعي لهذا المعنى، فمفـــردات هذا التركيب تتواصل جميعاً لتصنع علاقة التشابه مع الدال الحاضر (رحمـــاء) من وحدة التخالف، ومن ثم يذهب بنا السياق إلى تركيب يكشف معنى الشدة والرحمة الواردة في وحدة التخالف وهو (سيماهم في وجوههم من أثـــر السجود) وذلك أن العلاقات التي تنشأ في وجه المؤمن من السجود تجمع طـــرفين مـــتخالفين: الأول يـــتجه إلى الشدة، وهو نابع من الألم الذي يحدثه الـــسجود بالأثر على الوجه. والثاني نابع من اتخاذ هذا الألم طريقاً للوصول إلى نـــيل الـــرحمة والرضوان والفضل من الله تعالى. إن هذا المعنى يكشف عن أن الـــسياق بعـــد أن فـــصل في طريقة ظاهرة علاقة التشابه بين الدالين (الشدة) و(الـــرحمة) أراد أن يجمعهمـــا مـــرة أخرى بطريقة تحويلية، إذ إنه جعل الدال الحاضر (الرحمة) دالاً غائباً، والدال الحاضر (الشدة) دالاً حاضراً.

ولا يقـــف السياق عند هذا الحد من تأثير وحدة التخالف، وإنما يمتد ليجلـــي الـــصلة الحقيقـــية بين محوري التقابل (الكفار) و(المؤمنين) من خلال التركيب (ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فئازره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار) إن هذا التركيب يكـــشف بدقة عن العلاقة بين المحورين، وهي علاقة قائمة على طرفي التخالف (الشدة) و(الرحمة)، وذلك كما يأتي: إن الساق يشير في هذا التركيب إلى بداية الآيـــة الكـــريمة الـــتي تضمنت التركيب (محمد رسول الله والذين معه) فهذا التـــركيب ينقـــسم قسمين، الأول: (محمد رسول الله). والثاني: (الذين معه).

وأمـــام هذين القسمين يمكن أن نرد التركيب السابق إليهما بأن نوصل قولـــه (كـــزرع) بقولـــه (محمد رسول الله)، وقولـــه (أخرج شطئه فئازره) بقولـــه (والذين معه) ليصبح اتحاد (الزرع) بـــ (شطئه) كاتحاد (محمد رسول الله) بـــ (الـــذين معه) أي المؤمنين. ومن ثم يتدرج السياق إلى تحديد العلاقة بين المؤمنين والكفـــار في هـــذا التركيب من خلال قولـــه (يعجب الزراع) الذي يمكن أن نصله بالمؤمنين وقولـــه (ليغيظ بهم الكفار). فالعلاقة في هذا التركيب قائمة بين (المؤمنين) و(الكفار) على المفردتين (يعجب) و(يغيظ)، ومفردة (يعجب) تجسد معـــنى الـــتعاون والتآزر بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين المؤمنين، وهذا المعـــنى يقتـــرب مـــن معنى الرحمة الذي جاء في وحدة التخالف. وأما مفردة (يغـــيظ)، فإنها تجسد الوقع السالب على الكفار من تعاون المؤمنين مع الرسول علـــيه الـــسلام وتآزرهم، وهذا المعنى يقترب من حركة الشدة في التعامل مع الكفار، ومن هنا يمكن أن نلحظ أن الآية الكريمة تتجه دائماً بالمؤمنين إلى المعاني المتـــضمنة الرحمة، ولذلك انتهت هذه الآية بالمعنى نفسه في التركيب (وعد الله الـــذين آمـــنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً) فالمغفرة والأجر العظيم ينسجمان مع معنى الرحمة التي بدأت بها الآية.

وتـــأتي علاقـــة (**الـــتقارب**) في وحدات التخالف لتشترك مع علاقة (التـــشابه) في إنـــتاج الدلالـــة التي تتجلى في السياق القرآني، ويبدو أن هذا الاشـــتراك بين العلاقتين صفة عامة للتخالف في غير آيات القرآن الكريم، وقد توفـــرت هذه الصفة في شعر الحداثة التي أشار إليها الدكتور محمد عبد المطلب، يقـــول: "وقـــريب مـــن علاقة التشابه علاقة (التقارب)، إذ هي على المستوى الـــدلالي تؤدي نفس المهمة إلى يؤديها التشابه، مع توسيع دائرته لكي تستغرق جـــوانب كثيرة تنضاف إلى عملية المفارقة الناتجة عن التخالف، فيتحرك الذهن

ذهابـــاً وجيـــئة بين الطرفين الملحوظين صياغياً، ثم منهما إلى ما يقترب منهما ويـــدور في فلكهمـــا، أو فلك أحدهما مما يثري اللغة الشعرية"(٤٣). ويمكننا أن نلحـــظ هذه الدلالة في قولـــه تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾(٤٤).

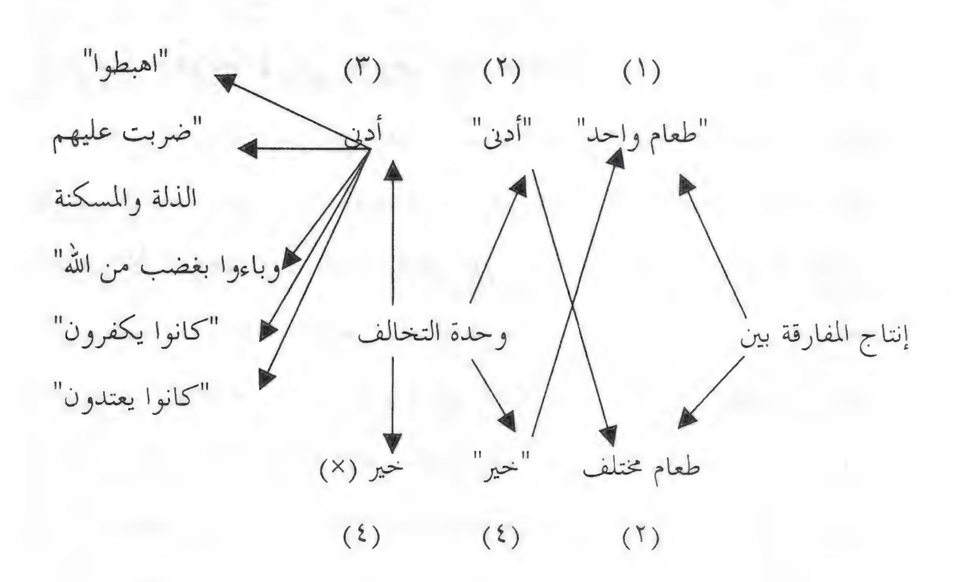
إن وحـــدة التخالف في هذه الآية هي (أدنى) و(خير)، وتتحدد علاقة المقاربـــة بـــين الـــدال الغائب على المستوى الذهني، وهو (الشر) الذي يتقابل بالطـــرف (أدنى) وبين الدال الحاضر في بنية التخالف المتمثل في الطرف الثاني (خـــير)، وذلك أن الشر قريب من معنى الأدنى، ولا يتشابه به كما لاحظنا في الآية السابقة في علاقة التشابه، ولكن ثمة اختلافاً بين العلاقتين: التشابه في الآية السابقة والتقارب في هذه الآية يكمن في كيفية إنتاج الدلالة والموقع البنائي، إذ كانـــت وحدة التخالف السابقة تتخذ موقعاً متوسطاً في بنية السياق، ويبدو أن هذا الاختلاف ليس جوهرياً في كيفية إنتاج الدلالة، وذلك أننا نلحظ في علاقة الـــتقارب انتـــشاراً في السياق سواء في التراكيب التي كانت سابقة على وحدة الـــتخالف، أو الـــتي جـــاءت بعدها منذ بداية السياق، ونلحظ أن ثمة مفارقة أحدثتها الآية الكريمة بين التركيب (لن نصبر على طعام واحد) و(ادع لنا ربك يخـــرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها)، وذلك أن التركيب الأول يضع لنا فارقاً مع التركيب الثاني وهو رفض للطعام الواحد

وطلب لطعام مختلف، والمفارقة هنا في الموقف بين الطعامين، إذ يصبح الطعام الأول مرغوباً عنه والطعام الثاني طعاماً مرغوباً به، ويمكن أن ننعت حركة المعنى هنا بالحركة التحولية من وضع إلى وضع جديد. ويجلي السياق هذا التحويل في التركيب (أتستبدلون) وهو مؤشر إلى عملية إبدال الوضع القائم في طعام واحد إلى الوضع القائم في طعام جديد، والتركيب هنا مفرغ في أسلوب استفهامي يتضمن معنى الإنكار، ولعل هذا الأسلوب يجلي لنا عملية المفارقة التي تقوم على عدم الموازنة بين الموقفين (الطعامين)، بحيث نحس من هذا الأسلوب بأن الطعام الأول هو الذي يتصف بالأفضلية والقبول على الطعام الثاني، ولكن ما أراده المخاطبون هنا عكس الأفضلية في طريقة رفضها وعدم قبولها، وهنا يصل السياق إلى وحدة التخالف التي جاءت عاكسة طرفيها على أساس المفارقة بين الأفضل وغير الأفضل. إذ كان السياق في البداية قد طرح الطرف الأفضل (طعام واحد) ومن ثم طرح الطرف غير الأفضل (طعام متعدد) ولكن وحدة التخالف قلبت هذا الترتيب في طريقة عكسية فأوردت ما هو أقل أفضلية أولاً وما هو أفضل ثانياً. ولا شك في أن الفاعل الأساس في هذا القلب هو فعل التبديل في قوله (أتستبدلون) الذي يجعل الطرف الأول قريباً منه ليحل محل الطرف الثاني المبعد، وكأنما السياق يجسد موقف المخاطبين هنا بأنهم قربوا (الأدنى) وأبعدوا (ما هو خير).

إن هذه البداية للسياق التي أوصلتنا إلى وحدة التخالف تذهب بنا إلى حركة جديدة في الدلالة بحيث تجسد موقف المخاطبين في التراكيب التالية لوحدة التخالف. وأول ما نواجهه هنا هو المفردة (اهبطوا) إن هذه المفردة تحمل اشتراكاً ظاهرياً يتفق مع الدال الحاضر (الأول) في وحدة التخالف وهي (أدنى) وذلك أنها تتفق معها من حيث البعدان الحركي والمكاني اللذان يشيران

إلى الأســـفل، فمفـــردة (أدنى) تحدد موقعاً مكانياً يستقر في الأسفل، والمفردة (اهـــبطوا) تحـــدد الحركة إلى حال المخاطبين الذين انتقلوا من (الأعلى) الذي يجسد (الخير) إلى (الأدنى) الذي يفترق مع هذا الخير، ويزيد السياق توحداً بين الـــدال (أدنى) وبين التركيب على مستوى حركة المعنى في قولـــه (فإن لكم ما ســـألتم) وســـؤال هؤلاء هو التحول عما هو (خير) إلى ما هو (أدنى)، ولذلك كان الناتج في هذا التحول متضمناً في التركيب (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله) فمفردات هذا التركيب تتوافق مع (الأدنى). ويأتي توافق (الأدنى) مـــع حال هؤلاء المخاطبين الذين (كانوا يكفرون بآيات الله) و(كانوا يعتدون).

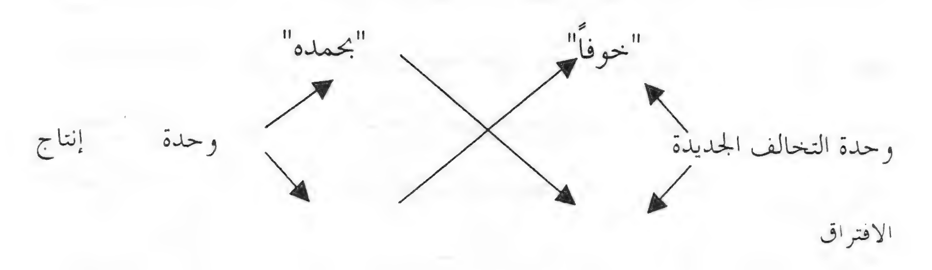
هكـــذا إذن كانـــت علاقة التقارب في هذه الآية تنتج دلالات متتابعة علـــى مستوى السياق ككل، وقد اتخذت حركات مختلفة في الدلالة وفي النسق البنائي للسياق، ويمكن أن نوضح هذا الاختلاف في الرسم التوضيحي الآتي:



إن العلاقـــة الـــتي تجمـــع البناء التركيبي بين ما ينتج المفارقة ووحدة التخالف هي علاقة انعكاسية تقاطعية بحيث تتقاطع صلة الطرف (٣) بالطرف (٢) مع صلة الطرف (٤) بالطرف (١). من ثم نلحظ اتجاه السياق بإنتاج دلالة جديـــدة ترصد لنا تراكيب تتصل بالطرف (٣) وهو (الأدنى) ومن ثم يحذف ما يمكن أن يتصل بالطرف (٤) وهو (خير). إن هذه الحركة في العلاقات لم تكن متوفـــرة في علاقـــة التشابه السابقة على المستوى البنائي وإن كان الالتقاء بين التشابه والتقارب على مستوى إنتاج الدلالة واضحاً.

وتكـــشف وحدات التخالف أيضاً عن علاقة أخرى مغايرة للعلاقتين الـــسابقتين (التشابه والتقارب) وهي علاقة (**الافتراق**) بحيث تبدو هذه العلاقة بين الدال الغائب والدال الحاضر على المستوى المكتوب، ويمكن أن ندرك هذه العلاقة في قولـــه تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ** ﴿ ١٢ ﴾ **وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ** ﴾ (٤٥). إن الآيتين الكريمتين تـــبدءان بوحدة التخالف التي تحددت بـــ (خوفاً) و(طمعاً). والواقع أن علاقة الافتـــراق بـــين طرفي هذه الوحدة متأتية من علاقة الدال الغائب (أمناً) المقابل للطرف الأول (خوفاً) مع الدال الحاضر على المستوى البنائي المتمثل في الطرف الثاني (طمعاً). وذلك أن (الأمن) يفترق عن (الطمع) ولا يلتقيه، ومن هنا تأخذ وحـــدات الـــتخالف علاقة جديدة غير العلاقات السابقة التي ناقشناها في هذا الفصل. ولكن هذه العلاقة تأخذ خاصية دلالية متميزة في المستوى السياقي، إذ إنها لا تتصف بانسحاب دلالة وحدة التخالف على سائر أبنية السياق اللغوية، وإنما هي تظهر في تراكيب وتختفي في تراكيب أخرى، ولعل هذه العلاقة تظهر

في التركيب (ويسبح الرعد بحمده) وفي التركيب (والملائكة من خيفته). وإذا ما وصلنا هذين التركيبين معاً، فإننا نجد علاقة الافتراق ناشئة بين (بحمده) و(خيفة)، ولعل نشوء هذه العلاقة متأت من العلاقة الأساسية بوحدة التخالف، ونستطيع أن نصل (بحمده) وبالطرف الثاني من وحدة التخالف (طمعاً)، ونصل (خيفته) بالطرف الأول منها (خوفاً) وفي هذا الاتصال على المستوى الدلالي نلحظ أن السياق قد عكس الأطراف على المستوى البنائي كما يأتي:



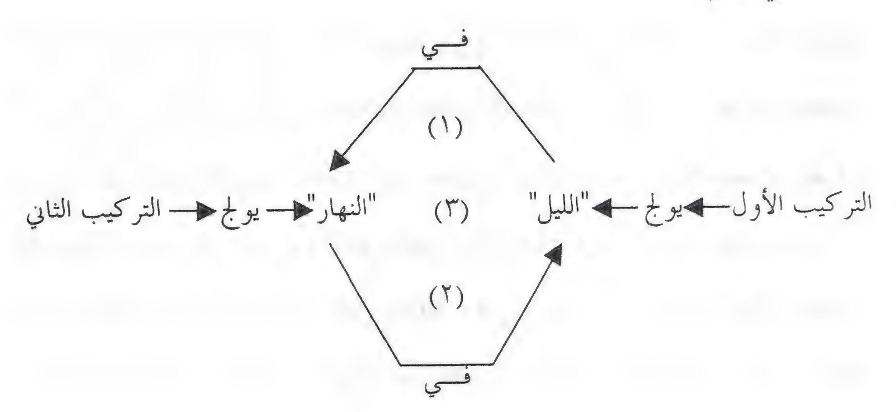
ولا شك في أن هذه العلاقة مؤشر إلى علاقة ذات حركة انعكاسية تقاطعية ضمن السياق، وتشترك علاقة الافتراق هنا مع علاقة التقارب في الآية في هذه الحركة الانعكاسية، وإن كل الاختلاف قائماً بينهما في القدرة على الانتشار في بنية السياق.

والسياق القرآني لم ينته في هاتين الآيتين من إحداث علاقة الافتراق الأساسية وإنما تظهر في التركيب (فيرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) ولا شك في أن هذا التركيب يتصل بالطرف الأول من وحدة التخالف، وهو (خوفاً). فالصواعق ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالخوف. وتنتهي هنا إحداثات علاقة الافتراق في السياق مع أن ثمة تراكيب أخرى فيه، ولكنها لم تشترك في إنتاج الدلالة على مستوى العلاقة، ولعل هذا متأت من طبيعة علاقة الافتراق نفسها التي تقوم بشكل عام على فصل الأشياء وإبعادها عن بعضها.

لقد كان البحث عن الدلالة فيما تقدم منصباً على وحدات التقابل ووحدات التخالف متمثلاً في علاقة الأطراف فيما بينهما على المستوى المعجمي أو على المستوى الذهني والمستوى المكتوب بين الدالات كما في التخالف، ورأينا كيفية انتشار الدلالة على المستوى السياقي في عناصره اللغوية، إذ كانت الدلالة تأخذ أبعاداً مختلفة تكاد تغطي البنية اللغوية. أما ما سنصنعه هنا أننا ننظر إلى التقابل والتخالف من خلال علاقتهما بالتركيب النحوي والمفردات المنظمة في سلكه؛ وذلك لأن البنية النحوية تأخذ دورها في إنتاج هذه الدلالة. وقد نبه الدكتور محمد عبد المطلب إلى هذا الإجراء فيما يتعلق بالتقابل في قوله: "إن شروط المعنى النحوي تلعب دوراً أساسياً في إنتاج دلالته، ذلك أن هذا المعنى بتشقيقاته يكاد يسيطر على كل عنصر لغوي ويرسم حدود علاقته داخل التركيب"[٤٦]. ومن هذا المنطلق أناقش التقابلات والتخالفات في آيات القرآن الكريم.

إن أول دلالة منتجة من علاقة التركيب النحوي بوحدات التقابل والتخالف نواجهها في النص القرآني هي (**التداخل**)، ويمكننا أن ندرك طبيعة دلالة التداخل في الآية الكريمة الآتية: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾[٤٧]. إن هذه الآية تجسد أطراف التقابل في صورة التعدد الذي بلغ أربع مفردات هي: (الليل) وقد كررت مرتين، و(النهار) وقد كررت مرتين. ولكن دلالة التداخل لا تنبع أصلاً من هذه الأطراف كما كنا نراه في التقابل المعجمي، وإنما تنبع من مفردات البنية النحوية التي أكدت في كثير من معانيها هذا التداخل. وأول مفردة تحدد معنى التداخل هي (يولج) إن هذا الفعل يشير

إلى معـــنى الإدخـــال، فإذا ما ربطناه بطرفي (الليل/والنهار)، فإننا ندرك أن ثمة تداخلاً بين هذين الطرفين بحيث يتداخل (الليل) بـــ(النهار)، وهذا هو المستوى الأول مـــن دلالة التداخل، ولعل حرف الجر (في) يزيد الدلالة تجلية وتوضيحاً، وذلـــك أنـــه يشير إلى دخول الطرف الأول (الليل) في الطرف الثاني (النهار) ويـــتوحد به بحيث لا نستطيع أن نجد فاصلاً حقيقياً بين الطرفين. ولكن العملية الـــنحوية زادت الدلالة عمقاً في معنى التداخل بإحداث بنية لغوية جديدة هي (ويـــولج النهار في الليل)، فنحن نلحظ أن التركيب النحوي في عناصره اللغوية قـــد كرر ما سبق في الفعل (يولج) وحرف الجر (في). ولكن المدهش حقاً هو عملـــية العكـــس في موقع طرفي التقابل على المستوى المكتوب بحيث جاء بـــ (النهار) في الطرف الأول وبـــ (الليل) في الطرف الثاني، وهذا الترتيب معكوس طـــرفي الـــتقابل في التركيب الأول. ولا شك في أن إحداث مثل هذه العلاقة العكـــسية بين الأطراف تأكيد دلالة التداخل، بحيث يحل (النهار) في التركيب الـــثاني محـــل (الليل) في التركيب الأول، ويحل (الليل) في التركيب الثاني محل (النهار) في التركيب الأول، ولابد أن هذا الحلول يشير إلى معنى التداخل الذي يـــصل إلى حد التوحد بين الأطراف، ويمكننا أن ندرك هذا التداخل في الرسم التوضيحي الآتي:



إن التركيب الأول يصل لطرفين في السهم المنحني رقم (١) بحيث تشير إلى تـــوجه (الليل) نحو (النهار) ويتداخل فيه، والتركيب الثاني يشير إلى حركة معاكـــسة في السهم المنحني رقم (٢) بحيث يشير إلى توجه (النهار) نحو (الليل) ويتداخل فيه، وهذان التوجهان يشيران إلى دائرة التداخل بين الأطراف إذ يعزز حـــرف الجـــر (في) معنى هذا التداخل بحيث تصبح دائرة مكتملة يصعب فصل أجزائها عن بعضها بعضاً وقد أشرت إليه بالرقم (٣).

ومن ثم تنتشر دلالة التداخل في سائر عناصر التركيب اللغوي، وذلك أنـــنا نلحـــظ أن كلمتي (الشمس) و(القمر) تتوحدان على مستوى السياق من خـــلال المفردة (سخر) والتركيب (كل يجري إلى أجل مسمى). فالمفردة الأولى تجمـــع بـــين الشمس والقمر من خلال معنى التسخير، إذ إن هذا المعنى يهضم داخلـــه هذين الطرفين ومن ثم يأتي التركيب ليكسبهما صفة واحدة وهي صفة الجريان (يجري) فكل واحد منهما يجري إلى أجل معلوم.

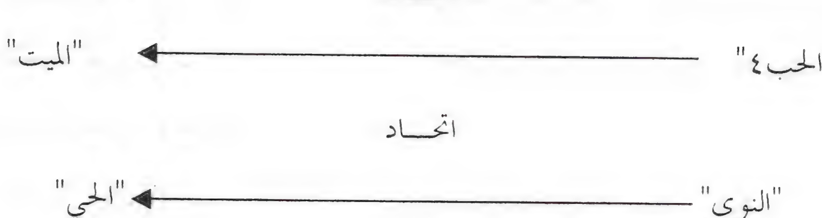
ونلحـــظ أن تأكيد دلالة التداخل بين الوحدة التقابلية وبين التركيب اللغوي التالي لها ينبع من بعد زمني متواصل، وذلك أن وحدة التقابل مؤشر إلى معـــنى زمني متواصل بين (الليل) و(النهار)، وأن التركيب اللغوي ينبثق من هذا البعد المتواصل حتى يصل إلى (أجل مسمى) بحيث ينهي عملية التواصل، ويزيد البـــناء تعمـــيقاً في دلالة التداخل في عملية التوصيل الذهنية بين أطراف التقابل وطرفي التركيب اللغوي، وذلك أننا نستطيع أن نصل مفردة (الشمس) بطرف (الـــنهار) ومفردة (القمر) بكلمة (الليل)، ولا شك في أن هذه الصلة تتعمق إذا ما أدركنا أن مفردة (الشمس) في معناها الخفي تشير إلى (النهار). وأن (القمر) في معـــناه الخفي يشير إلى (الليل)، وأن الشمس والقمر متتابعان يلاحق أحدهما

الآخـــر في المسار الفلكي، وأن (الليل) و(النهار) متتابعان أيضاً يلاحق أحدهما الآخر، بحيث لا نستطيع أن نفصل بين الأطراف سواء في (الليل) و(النهار)، أم في (الشمس) و(القمر).

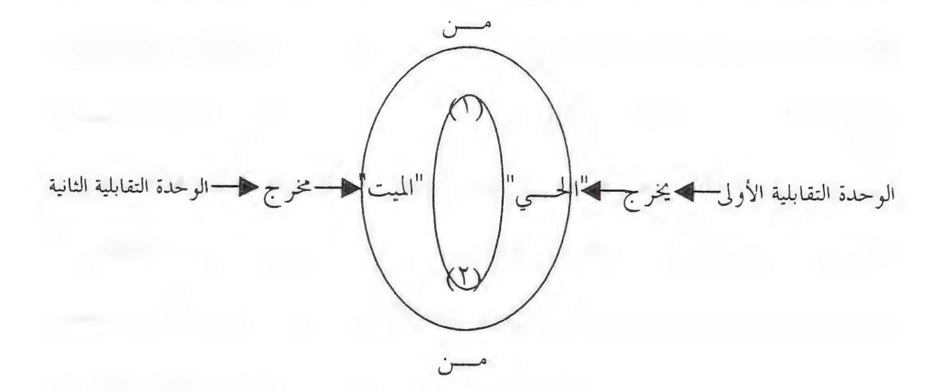
ويـــأتي الـــسياق في نهاية الآية ليعمق دلالة التداخل التي تصل إلى حد الـــتوحد في التركيب (وأن الله بما تعملون خبير)، وذلك أن العلم يجمع أطراف الـــتقابل والتـــركيب اللغـــوي، بحيث تتوحد هذه الأطراف تحت مظلة العلم، وينضاف إلى هذه الأطراف ما يعمله الإنسان في إطار الليل والنهار.

وتتصل دلالة أخرى بدلالة التداخل وهي دلالة (**الانبثاق**) وقد حققت آيـــات القرآن الكريم هذه الدلالة من خلال التقابل والتخالف كما في قولـــه تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾**[٤٨]. إن وحدة التخالف تتحقق في هاتين الآيتين مـــن خـــلال الطرفين (الحب/ النوى) ولكن هذه الوحدة متصلة اتصالاً وثيقاً بوحدة التقابل المتمثلة في الطرفين (الحي) و(الميت)، ومن خلال هاتين الوحدتين وعلاقـــتهما بالمفـــردات اللغوية في التركيب النحوي نستطيع أن نرصد دلالة الانبـــثاق، وذلك أن السياق قد بدأ بالاسم (فالق)، وهذا الاسم يرتبط ارتباطاً وثـــيقاً بالفعل (يخرج)، إذ إنهما على مستوى حركة المعنى يحقق أحدهما الآخر، فـــ (فالق) بمعنى (يخرج) والإخراج هي عملية إخراج شيء من شيء أي انبثاقه عـــنه، والتقابل يشير إلى هذا الانبثاق، إذ انبثق (الحي) من (الميت). ويمكننا هنا أن نصل أطراف التقابل والتخالف في الطريقة الآتية:





فـــ (الحب) يتحد بـــ (الميت) وذلك لقرب المشابهة بينهما من حيث إن (الحـــب) لا يـــشكل بعد حركة الحياة تماماً كما هو في (الميت). و(النوى) يـــتحد بـــ (الحي) وذلك لقرب المشابهة بينهما: وذلك لأن (النوى) يشكل انتـــشار الحياة وانبثاقها من (الحب)، تماماً كما هو في (الحي). والعلاقة تتأصل بيـــنهما إذا ما أدركنا أن السياق قد جعل (النوى) ينبثق من (الحب)، و(الحي) ينبـــثق من (الميت). ويؤكد حرف الجر (من) معنى هذا الانبثاق في ربطه بالفعل المحوري في التركيب النحوي (يخرج). وينطلق السياق إلى تصعيد معنى الانبثاق مـــن خلال بنية تقابل تصنع علاقة معكوسة مع الوحدة التقابلية الأولى. وبنية التقابل التي أعنيها هي (مخرج الميت من الحي). ويمكننا أن ندرك هذه العملية في الرسم التوضيحي الآتي:



إن الوحدة التقابلية الأولى تحاول أن تظهر طرفين الأول (الحي)، والثاني (الميت)، بحيث يكون الطرف الأول طرفاً جديداً منبثقاً من الطرف الثاني (القديم) هو (الميت). وهذه إشارة إلى حذف الطرف الثاني في المستوى الذهني ليحل مكان الطرف الجديد، ومن ثم تحدث الوحدة التقابلية الثانية حركة عكسية لعملية حذف أحد الطرفين، وذلك أنها جعلت المفردة (الميت) طرفاً جديداً منبثقاً من طرف قديم محذوف هو (الحي)، وفي هذه الحركة تصنع التقابلات دائرة منقسمة قسمين كل قسم منهما ينحذف مرة ويثبت مرة أخرى بناء على علاقاته بإحدى وحدتي التقابل.

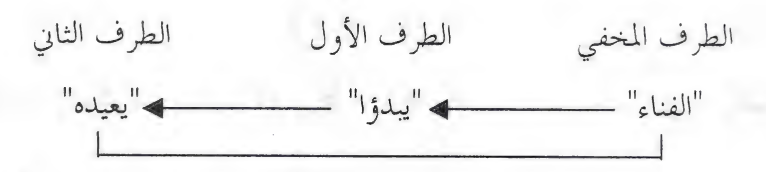
وتسيطر دلالة الانبثاق على السياق في الآية الثانية بطريقة جديدة تختلف عما ألفناه في الآية الأولى، وذلك من خلال فرض طرفين يبدوان متقابلين ولكنهما في الحقيقة يعملان في صورة منفصلة، الطرفان هما (فالق الإصباح) و(جعل الليل سكناً). إن الطرف الأول (فالق الإصباح) يصنع علاقاته على المستوى السياقي وعلى المستوى الذهني للمتلقي، أما على المستوى السياقي، فهو يتحرك من خلال اسم الفاعل (فالق)، وذلك أن هذا الاسم يجسد حركة الكشف والشق لنقطة ما ليصل بالتالي إلى كلمة (الإصباح)، وهذه النقطة تظل غامضة أو مجهولة إلى أن يتدخل الذهن ليكشف عنها من خلال ربط الإصباح بما يقابله ذهنياً وهو (الليل). وبهذا الربط بين المستويين البنائي والذهني تصبح دلالة هذا الطرف واضحة وهي دلالة الانبثاق، إذ إنه يشير إلى انبثاق (الإصباح) أو الضياء من الظلام المتمثل في (الليل).

ولا شك في أننا نلمس هنا أن السياق قد كشف دلالة الانبثاق في طرف واحد على خلاف ما تقدم في وحدتي التقابل والتخالف اللتين كانت الدلالة فيهما منسابة وممتدة.

ويقودنا الطرف الثاني إلى توجه آخر في إنتاج الدلالة، وذلك من خلال ربط الفعل (جعل) بالمفردتين (الليل) و(سكناً). إن الفعل (جعل) يعطي دلالته التحويلية في المعنى المعجمي. إذ تتحقق هذه الدلالة في اللجوء إلى المستوى الذهني لمقابل كلمتي (الليل) و(سكناً) وفي ربطهما بكلمة (الإصباح) ودلالاتها. إن المقابل الذهني لكلمتي (الليل سكناً) هي (النهار) و(حركة). وإذا ما ربطنا كلمتي (النهار) و(حركة) بمعنى (فالق الإصباح) نستطيع أن ندرك دلالة الانبثاق، وذلك أن (فالق) تشير إلى الحركة نتيجة معنى الانشقاق والكشف الذي يقابله معنى الستر والغطاء المرتبط بمعنى السكون (سكناً)، فـ (فالق) تتقابل مع (سكناً) و(الإصباح) تتقابل مع (الليل). وفي هذا الربط تصبح دلالة الانبثاق هي المحرك الأساسي لهذا الطرف، وذلك أن كلمة (سكناً) تشير إلى السكون المنبثق من كلمة (الليل).

وتنشئ وحدات التقابل في اتصالها بالبنية النحوية دلالة أخرى هي (**التوصيل**) وتنتج هذه الدلالة من سيطرة البنية اللغوية التي تقع خارج الوحدة التقابلية نفسها، بحيث تظهر اتصال الطرفين معاً، وحتى ندرك هذه الدلالة نأخذ قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**﴾ [٤٩]. إن السياق جاء في أسلوب الاستفهام المتضمن معنى التوبيخ والتقريع وهو يتحرك خلال وحدة التقابل التي تكررت مرتين متمثلة في الطرفين (يبدءوا/ ويعيده). ويتميز هذا التقابل عن سابقاته من الوحدات بأنه يشترك مع البنية النحوية في إنتاج الدلالة، ولعل السبب في ذلك أنه يعتمد على فعلين يتحركان في مفعولين هما أساس نقطة التوصيل بين الطرفين، وذلك أن الفعل الأول (يبدءوا) يمتد بفاعليته نحو مفردة (الخلق) التي تمثل المفعولية، فبداية الخلق تشير إلى بداية إنشاء الحياة الإنسانية، بمعنى أنه يقع في إطار الحلقة الزمانية

الأولى، وهـــو يمـــثل معنى إنشاء الحياة الإنسانية من العدم، ويأتي الفعل الثاني (يعيده) الذي يمتد بفاعليته نحو الضمير المتصل (الهاء) الذي يمثل المفعولية ويشير إلى إعادة الخلق مرة أخرى وهي الرجوع به إلى الحال الأولى في العدم. لا شك في أننا نلحظ هنا أن الطرف الأول يصل (الخلق) بالطرف الثاني الذي يمثل نقطة التوصـيل في الحـــال التي كانت قبل الطرف الأول (يبدءوا)، وذلك أن هذين الطرفين يعتمدان على طرف مخفي يتمثل في معنى الفناء، وفي هذا الطرف يمكن أن نتصور دلالة التوصيل، ويمكن أن ندركها في الرسم التوضيحي الآتي:



فالطرف الأول ينبثق أصلاً عن الطرف المخفي (الفناء) ثم يتصل بالطرف الـــثاني (يعيده)، وهذا الطرف بدوره يتصل بالطرف المخفي ليعيد عملية الخلق مرة أخرى، وتتعمق دلالة التوصيل في هذه الوحدة بارتكازها على حرف العطف (ثم) الـــذي يدل على معنى الترتيب والتتابع في دلالة التوصيل ضمن إطار زمني متـــباعد الحدين. ولكن هذه الوحدة التقابلية بوقوعها ضمن أسلوب الاستفهام التوبيخـــي تكتـــسب صفة النفي لأية قدرة تستطيع أن تصنع مثل هذا الفعل، وذلـــك لـــتؤكد بـــوحدة تقابلية أخرى مماثلة للوحدة الأولى وهي تحمل دلالة التوصـــيل نفـــسها، وهذه الوحدة هي (قل الله يبدءوا الخلق ثم يعيده) وهي لا تخـــتلف في دلالتها التوصيلية عن الوحدة السابقة، سوى أنها جاءت تثبت قدرة الله عز وجل على التوصيل بين الأطراف الثلاثة الطرف المخفي والطرفين الأول والثاني من وحدة التقابل، ويأتي أسلوب السياق ليؤكد صفة التوصيل من خلال التـــركيب الـــذي تنتهي به هذه الآية وهو (فأنى تؤفكون) إن كلمة (تؤفكون)

تـــشير في معناها المعجمي إلى (تنقلبون وتنفصلون) والانفصال والانقلاب هنا يـــدلان على أن المخاطبين في هذا التركيب قد اتجهوا إلى غير الله وهو الباطل. والأســـلوب الاستفهامي الذي يتضمن الإنكار على المشركين في قيامهم بحركة الانفـــصال عن الحق يثبت بطريقة ضمنية معنى التوصيل بين الحق وبين القدرة التي تجلت في وحدة التقابل.

ويعطـــي البـــناء اللغوي التقابلات في النص القرآني دلالة أخرى هي (الـــتحويل). والتحويل هو انتقال الشيء من حال إلى أخرى، ويمكن أن ندرك هذه الدلالة في قولـــه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [٥٠]. إن البناء اللغـــوي في هاتين الآيتين هو الذي يصل بنا إلى دلالة التحويل بارتباطه بطرف الـــتقابل (إيمانكم) و(كافرين). ولعل العنصر اللغوي المهم في إنتاج هذه الدلالة هو الفعل (يردوكم) وهو يؤشر إلى تصيير المخاطبين (المؤمنين) في هاتين الآيتين مـــن حال الإيمان إلى حال الكفر، والظرف (بعد) يؤكد هذه الدلالة؛ فهم بعد أن وصلوا إلى نقطة (الإيمان) تحولوا إلى نقطة جديدة هي (الكفر). ومن المدهش حقـــاً هنا أن دلالة التحويل في السياق الكلي تأخذ صفة التدرج حتى تصل إلى قمة التحويل، وذلك من خلال بداية الآية الأولى التي رصدت طرفين هما (الذين آمـــنوا) و(الذين أوتوا الكتاب). وذلك في ربط هذين الطرفين بالفعل (تطيعوا) الذي يقوم بدور التدرج في إنتاج دلالة التحويل؛ وذلك لأنه فعل يشير إلى معنى المطاوعـــة. والمطاوعة هي معنى من معاني التحويل؛ لأن في المطاوعة انتقالاً من حال إلى حال أخرى، ولهذا نجد أن هذا الفعل يرتبط ارتباطاً قوياً بالفعل الذي أنـــتج دلالـــة الـــتحويل (يردوكم)، وتتعمق هذه الصلة إذا ما أدركنا أن الآية

الكـــريمة قد ربطت الفعلين بجملتي الشرط. الجملة الشرطية التي فعلها (تطيعوا) وجملــة جواب الشرط التي فعلها (يردوكم)، فالفعلان إذن مرتبطان في تحقيق المعـــى فالطاعـــة موصلة إلى الارتداد أي إلى التحويل، ومن ثم ينشئ التركيب الـــنحوي علاقة جديدة مع الفعل الرئيس في إنتاج الدلالة (يردوكم) من خلال الآيـــة الكريمة الثانية التي جاءت في أسلوب الاستفهام الإنكاري المتضمن معنى استبعاد حدوث دلالة التحويل التي محورها المؤمنون. وهذا الفعل هو (تكفرون) إذ إنه تحقق عند المؤمنين، فهو يشير بالتالي إلى التحويل والقطيعة واستبعاد صفة الإيمان عنهم.

وتتصل دلالة أخرى بدلالة التحويل وهي دلالة مزدوجة فيها **التحويل والعكـــس** معـــاً، ويشترك في إنتاج هذه الدلالة المزدوجة التقابل والتخالف، ويمكننا أن ندرك هذه الدلالة في قولـــه تعالى: ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾(٥١). إن هذه الآية الكريمة ترصد مجموعة مـــن الـــتقابلات والـــتخالفات تتألف من ثمانية أطراف، تتشكل في وحدتين رئيـــستين: الوحدة الأولى- تجمع التقابل والتخالف معاً وهي التي تتمثل في (الله ولي الـــذين آمنوا) و(والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت). وأما الوحدة الثانية، فهـــي وحدة تقابلية منبثقة من الوحدة الأولى، تتمثل في (يخرجهم من الظلمات إلى النور) و(يخرجونهم من النور إلى الظلمات).

إن الوحدة الرئيسة الأولى هي التي تنتج دلالة العكس من خلال ترتيب البنـــية اللغوية بين التقابل والتخالف، إذ إننا نلحظ أن الآية الكريمة قد بدأت في لفظ الجلالة (الله) وجاء بعده (الذين آمنوا) ولكنها في الطرف الثاني من الوحدة

تعكس الترتيب فتبدأ بـ (الذين كفروا)، ومن ثم تأتي بـ (الطاغوت). ولا شك في أننا ندرك أن التقابل بين لفظ الجلالة (الله) و(الطاغوت) يقوم على التخالف، وأن التقابل بين (الذين آمنوا) و(الذين كفروا) يقوم على التضاد، وفائدة هذا العكس يدخل في كيفية إنتاج دلالة التحويل في الوحدة التقابلية المنبثقة من الوحدة الرئيسة، ويتمثل إنتاج هذه الدلالة في العناصر اللغوية المرافقة لأطراف التقابل وهي (يخرجهم) و(من) و(إلى)، وذلك أن الفعل يشير إلى تصيير الطرف الأول (الظلمات) في معاونة حرف الجر (من) إلى الطرف الثاني (النور) في معاونة حرف الجر (إلى). ولكن هذه البنية اللغوية التي سيطرت على الجزء الأول من وحدة التقابل تسيطر على الجزء الثاني من هذه الوحدة بطريقة معكوسة، وأعني هذا الجزء (يخرجونهم من النور إلى الظلمات) فالفعل (يخرجونهم) يتساوى من حيث المعنى المعجمي مع الفعل السابق (يخرجهم)، ولكن البنية النحوية عكست توجه هذا الفعل عن توجه الفعل السابق، وذلك أننا نجد التركيب النحوي قد قدم الطرف الثاني من الجزء الأول ليصبح الطرف الأول في الجزء الثاني وأخر الطرف الأول من الجزء الأول ليصبح الطرف الثاني من الجزء الثاني، وفي هذا تكون البنية النحوية قد سيطرت على وحدة التقابل، وحولت الدلالة في الجزء الأول من معنى تحويل المؤمن من (الظلمات) إلى (النور) إلى معنى تحويل الكافر من (النور) إلى (الظلمات) وهذا التغيير في الدلالة كان تحت تأثير العكس الذي صنعته البنية النحوية.

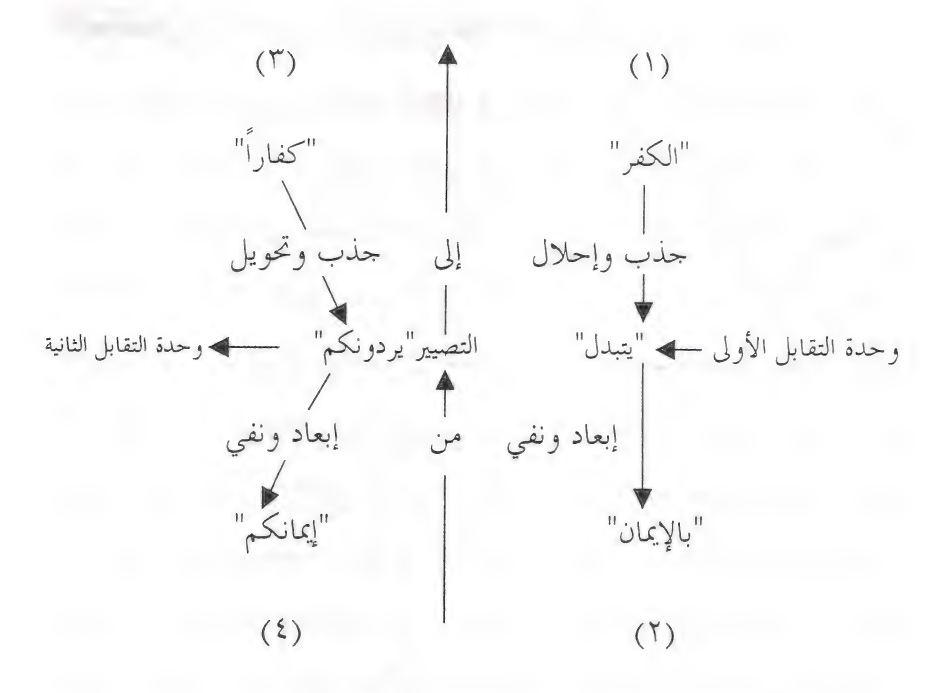
هكذا إذن نلحظ أن علاقة العكس قد أسهمت إسهاماً كبيراً في إنتاج دلالة التحويل. ومن المدهش في ازدواجية الدلالتين أننا نلحظ البنية النحوية قد جعلت الترتيب منتظماً في الجزء الأول من السياق في قوله ﴿الله ولي الذين آمنوا

﴿يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ ولكنها في الوقت نفسه، عندما بدأت في عكس أطراف التقابل والتخالف في قولـه ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت﴾ سحبت هـذا العكـس علـى سائر عناصر التقابل في قولـه ﴿يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾.

وتقترب دلالة أخرى من دلالة (التحويل) في النص القرآني وهي دلالة (**الإحلال**) والإحلال هو نفي لطرف وإنزال طرف آخر مكانه، ولكن العلاقة بـين الدلالـتين تبقى قائمة لأن الأصل الذي يجمعهما هو معنى التصيير، وحتى ندرك هذه الدلالة بارتباطها بالدلالة الأولى نأخذ قولـه تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٥٢]. إن دلالة الإحلال تتجلى في الآية الأولى من خلال البنـية اللغوية التي سبقت وحدة التقابل المتمثلة في الطرفين (الكفر) و(بالإيمان) والعنـصر الفاعـل في إنتاج الدلالة هو الفعل (يتبدل)، والتبديل هنا يشير إلى حذف الطرف الثاني (الإيمان) وإحلال الطرف الأول (الكفر) مكانه. إذ يصبح (الإيمان) وكأنه حالة مبعدة، ويشغل (الكفر) الصفة الرئيسة في وحدة التقابل، وقـد ارتبطت هذه الدلالة ارتباطاً نحوياً ودلالياً بالتركيب التالي لوحدة التقابل، وهـو (فقـد ضل سواء السبيل). أما الارتباط النحوي، فهو يتمثل في أسلوب الـشرط، إذ إن الفعل (ضل) مع حرف التحقيق (قد) يشكلان جواب الشرط

الذي يستقي معناه من جملة الشرط المتمثلة في فعلها (يتبدل) وفي وحدة التقابل الأساسية. وأما الارتباط الدلالي، فهو يتجسد في مدلولات فعل جواب الشرط المحقق (قد ضل) وفي مفعوله (سواء السبيل) وذلك أننا نلمس ارتباطاً في حركة المعنى بين (تبدل) و(قد ضل) وذلك أن الفعلين مؤشران إلى تحقيق معنى الإحلال أي إحلال الكفر محل الإيمان، فالتبديل في هذا السياق يصبح معادلاً للكفر كما هي الحال تماماً في الضلالة التي تعادل الكفر، وعلاوة على ذلك يصبح المفعول (سواء السبيل) مبعداً بفعل (ضل) تماماً كما كانت الحال بالنسبة لمفردة (الإيمان) بارتباطها في الفعل (يتبدل)، فدلالة الإحلال إذن نتجت عن البنية النحوية وامتدت إلى وحدة التقابل.

وتشكل الآية الثانية في ارتباطها بالآية الأولى صورة العلاقة بين دلالة الإحلال ودلالة التحويل، وذلك أن الآية الثانية تنتج دلالة التحويل من خلال البنية النحوية في عناصرها وربطها بوحدة التقابل المتمثلة في الطرفين (إيمانكم) و(كفاراً)، ولعلنا ندرك أن العنصر الرئيس في إنتاج هذه الدلالة هو (يردونكم) الذي يتضمن معنى الصيرورة من حال الإيمان إلى حال الكفر، ويرفده بإنتاج هذه الدلالة حرف الجر (من) والظرف (بعد) فهما فاعلان في إتمام عملية التحويل، وفي ربطنا أطراف التقابل في الوحدتين مع عناصر إنتاج الدلالة ندرك هذه العلاقة إدراكاً عميقاً، ويمكننا أن نوضح هذه العلاقة في الرسم التوضيحي الآتي:



إن الوحدة الأولى بعنصرها اللغوي (يتبدل) تكشف عن معنيي الجذب والإحلال مع الطرف (الكفر)، وفي الوقت نفسه يصنع العنصر اللغوي (يردونكم) في الوحدة التقابلية الثانية علاقة الجذب والتحويل مع الطرف (كفاراً). ونلحظ أيضاً أن العنصر اللغوي في الوحدة الأولى يصنع علاقة الإبعاد والنفي مع الطرف (بالإيمان)، وفي الوقت نفسه يصنع العنصر اللغوي (يردونكم) في الوحدة التقابلية الثانية علاقة الجذب والتحويل مع الطرف (كفاراً) والإبعاد والنفي مع الطرف (إيمانكم)، ويجتمع العنصران في الوحدتين على معنى التصيير الذي ينقل الطرفين (بالإيمان) و(إيمانكم) ويحولها إلى الطرفين (الكفر) و(كفاراً)، بحيث تكون حركة المعنى هي التصيير من الطرفين (٢/ ٤) إلى (١/ ٣). وبهذا الربط بين الوحدتين تجتمع دلالة الإحلال بدلالة التحويل.

التماثـــل:

إن الـــبحث في إنتاج الدلالة في التماثل على المشاكلة يقوم في الأصل على الدال والمدلول، وذلك أن الدال الذي يظهر في البناء اللغوي يشكل أهمية خاصة في توصيلنا إلى المدلول الذي يكمن وراء هذا الدال، والعلاقة بينهما هي علاقــة تبادلــية، بحيث يبلور كل واحد منهما الآخر في السياق الكلي بشكل عـــام، ولا شك في أن الباحث في التماثل يحتاج إلى عملية ذهنية ترصد المدلول الـــناتج عن الدال بدقة حتى تصل إلى حقيقة هذا المدلول، يقول الدكتور محمد عـــبد المطلـــب: "والحقيقة أن إدراك التماثل عملية ذهنية خفية لابد وأن يعينها حـــدس داخلـــي أيضاً، ذلك أن الدال يرد كعنصر في بنية الأسلوب، ومن ثم يـــشغل الذهن فوراً بالارتداد إلى المدلول لإدراك المطابقة أو عدمها"(٥٣). ولكن العملية الذهنية المرافقة لهذا التماثل لابد أن ترتبط بعنصر المرادف أو المجاز الذي ينبثق عنهما المدلول الذي يشكل الخلفية النهائية للدلالة في بنية التماثل، وذلك أن هذا التماثل في كثير من الأحيان يقوم على المشاكلة.

يـــأتي التماثل في النص القرآني بعدد من الدلالات أولاها (**التشارك**). والتـــشارك ناتج دلالي يفرزه في بنية التماثل كل من الدال والمدلول، أما الدال، فهـــو الذي يتمثل في تشارك طرفي التماثل المتجاورين في الشكل الظاهر للفظ، وأما المدلول، فهو الذي يتمثل في حركة المعنى على المستوى .الخفي التي يشترك فـــيها المدلـــولان في طريقة جزئية تتحول في النهاية إلى حركة معاكسة تتضمن معنى التماثل المضموني المعكوس بحيث يتجه كل طرف بالمعنى إلى الآخر، وبالتالي ينـــضم الشكل إلى المضمون ليحققا دلالة التشارك. ولعلنا ندرك هذه الدلالة في قـــولـــه تعالى: ﴿ **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا**

مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ ﴿١٤﴾ اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [٥٤]. إن الدالين في هاتين الآيتين هما (مستهزءون) و(يستهزئ) ويشتركان في إنتاج الدلالة بناء على التكوين البنائي لهما، وذلك أن الدال الأول جاء في إطار الحقيقة، وأما الدال الثاني، فقد جاء في إطار المجاورة، وهما يسعيان إلى حركة معنى واحدة تتضمن معنى الاستهزاء. فالدال الأول تضمن معنى الاستهزاء بالذين آمنوا بأن يظهر الكفار لهم إيمانهم فاتخذوا هذا الإيمان لهواً ولعباً، وأما الدال الثاني، فهو يتضمن معنى الاستهزاء ولكن بتوجيه آخر غير توجيه الإظهار للعب واللهو، وإنما هو فعل يتضمن معنى المهانة والذلة الذي يقع على هؤلاء الكفار من خلال الاشتراك بين المدلولين. ولكن الأساس في تحوير المعنى الحقيقي للدالين، والمدلولين معاً يكمن في توجيه حركة المعنى إلى محوري الدالين، ذلك أن الدال الأول يوجه الاستهزاء نحو (الذين آمنوا)، في حين أن الدال الثاني يوجه الاستهزاء نحو الذين كذبوا واستهزءوا بالمؤمنين وهم (الكفار). نلحظ هنا توجه حركة المعنى باتجاه معاكس يدور في حلقة متواصلة مكونة من ثلاثة أطراف متصلة، هي الكافر، ولفظ الجلالة (الله)، والمؤمنون، ويمكن أن نبين حركة المعنى والتواصل بين أطرافها كما يأتي:

إن الكفار في الأصل يتعاملون مع المؤمنين في الطرف الثاني، والعلاقة التي نشأت بين الطرفين هي علاقة الاستهزاء، وهي موجهة نحو الطرف الثاني (المؤمنين). ولكننا نلحظ في البناء السياقي للآيتين أن معنى الاستهزاء لم ينتج من الطرف الثاني، وإنما كان ناتجاً من الطرف الثالث هو لفظ الجلالة (الله)، وهو معنى يرد به الله سبحانه وتعالى على الكفار بالمضمون نفسه الذي صنعه الكفار مع المؤمنين. نلحظ هنا أن السياق (عطل) فاعلية الطرف الثاني من جهة الرد

على الكفار. ولكنه أعطى هذه الفاعلية للفظ الجلالة (الله)، ولا شك في أن هذا التعطـيل لفاعلية المؤمنين مبني على الصلة التي تربط المؤمنين بخالقهم عز وجل، وهـي صـلة الإيمـان. وذلـك أن ليس على المؤمنين أن يردوا على الكفار بالاسـتهزاء، وبهذا تكون حركة المعنى قد وصلت إلى دلالة التشارك مع عكس اتجاهها إلى أصلها. إذ إن الاستهزاء خرج من الكفار ومن ثم عاد إليهم.

وتنتـشر دلالة التشارك على السياق ككل في الآيتين مقسمة قسمين حسب تقسيم الدالين، وذلك أننا نلحظ أن وحدة التماثل تتوسط السياق. وأن الـدال المرتبط بالكفار قد جاء أولاً، والدال المرتبط بلفظ الجلالة قد جاء ثانياً، فإذا ما ربطنا البناء اللغوي السابق للدال به، فإننا نلحظ تجسيد معنى الاستهزاء في هـذا البـناء، وهـذا يتمثل في فعل الكفار بأنهم إذا ما لقوا المؤمنين، فإنهم يتظاهـرون بالإيمان وإذا ما خلوا إلى أتباعهم، فإنهم يرجعون إلى كفرهم، وهذا المعنى يجسد مدلول الاستهزاء. وأما لو ربطنا البناء اللغوي الذي جاء تالياً للدال الـثاني بـه، فإننا نلحظ الملاحظة نفسها، وذلك أن الله سبحانه وتعالى قد زاد هؤلاء الكفار في ضلالهم وكفرهم تخبطاً وحيرة، بحيث لا يجدون مخرجاً من هذا الـضلال والكفـر، وذلـك بطريق الإمهال والترك، وهذا المعنى يجسد حقيقة الاستهزاء بهم، وبهذا تكون دلالة التشارك قد انتشرت في السياق ككل.

وتتجلـى دلالـة أخرى في التماثل في إطار علاقة (**التبادل**). والتبادل يكـون علـى مستوى المدلولين بحيث يتجه كل واحد منهما باتجاه واحد حتى يـصعب الفـصل بين اتجاهيهما؛ وذلك لأنهما يصلان إلى حد إكمال بعضهما بعضاً، وندرك هذه الدلالة في قولـه تعالى: ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا**

﴿يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٥٥). إن دلالة التبادل في هذه الآية تنبع من وحدة التماثل المتمثلة في الدالين (أحسن) و(أحسن)، وذلك أن المفردة الأولى تدل على إخراج الصدقات في الحياة الدنيا للفقراء وغيرهم من المستحقين. وأما المفردة الثانية، فتدل على الرزق الذي ينعم الله به على الإنسان في الأرض. إن هذين المدلولين يسيران في حركة واحدة وفي اتجاه واحد، حتى إننا نستطيع أن نلمس صفة التبادل بينهما إذ إن المدلول الأول يكاد يغيب في صفة المدلول الثاني ويبادله هذه الصفة إذ لا نلحظ فروقاً واسعة بينهما؛ وذلك لأنهما ينبعان من فاعلية العطاء للآخرين. وتتجسد صفة التبادل ليس على المدلول فحسب، وإنما على الدالين بحيث نستطيع أن نغير البنية اللغوية للتماثل من غير أن يحدث تغيير ملحوظ على الدالين. ذلك بأن نقدم الدال الثاني على الأول كأن نقول (وكما أحسن الله إليك أحسن). ولكن يظل لتقديم الدال الأول على الدال الثاني في السياق أهميته الخاصة من حيث الدلالة والوظيفة. وذلك أن بنية السياق قد طرحت منذ بدئها حركة المعنى (المدلول) للدال الأول وجعلتها ملازمة له. فالله سبحانه وتعالى يجعل صفة الإحسان في الحياة الدنيا تتجه اتجاهين: الأول نحو الفقراء والمحتاجين لهذا الإحسان. والثاني نحو نفسه حتى لا ينسى نصيبه من عطاء الله وفضله. ولا شك في أن تقديم دلالة الإحسان على الفقراء في السياق تكتسب صفة متميزة، وذلك في ربطها بالدال الثاني المرتبط بلفظ الجلالة (الله) فكل منهما يكمل الآخر، فالإحسان من الإنسان الغني إلى الفقير يتماثل مع الإحسان من الله الغني إلى الإنسان الفقير مع الفارق بين الخالق والمخلوق في معنى الغنى والفقر. ذلك أن الإحسان الأول يشير إلى المخلوق، والإحسان الثاني يشير إلى الخالق. وتبقى صفة التواصل والإكمال بين المدلولين واردة على أساس أن الإحسان الذي يقدمه الله للإنسان هو إحسان ممتد بوساطة الإنسان الغني إلى

الإحسان المحتاج إليه، وفي حركة المعنى هذه يتم معنى إكمال المدلولين لبعضهما بعضاً. ومن ثم نلحظ أن السياق يتجه توجهاً آخر من حيث ارتباطه بالمدلولين، وهو أنه جاء بتركيب بعد وحدة التماثل يشكل علاقة تخالف معها. وهذا التركيب يشير إلى نهي الإنسان عن تحويل ما لديه من رزق من جهة الإحسان إلى جهة الفساد في الأرض، ومن هنا نلحظ أن دلالة التبادل تتجذر في أعمال حركة المعنى لتشير بالتالي إلى المؤشر الدقيق لبنية التماثل، وهذه الحركة تصنع فارقاً واضحاً بين معنى التبادل ومعنى التشارك الذي تحدثت عنه سابقاً.

ويكشف التماثل عن دلالته في إطار علاقة أخرى هي علاقة (**المفارقة**). والمفارقة تكون على مستوى المدلولين بحيث يتخذان نقطة بدء واحدة وهي تشارك داليهما في اللفظ، وينطلق كل مدلول من هذه النقطة باتجاه معاكس للآخر. ولإدراك هذه العلاقة نأخذ قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّآ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ**﴾[٥٦]. إن الآية الكريمة تقوم أساساً على المفارقة بين مدلولي وحدة التماثل التي تتجسد في الطرفين (تربصون) و(نحن نتربص) إذ إن هذين الطرفين يشكلان الدالين، ومن خلالهما يتحرك المدلولان باتجاهين متفارقين، بحيث نلحظ أن الدال الأول (تربصون) يتوجه بمدلوله نحو التركيب (إحدى الحسنيين). والحسنيان هنا هما النصر والشهادة. فتربص هؤلاء المنافقين بالمسلمين إنما هو في وقوع المسلمين إما في النصر، وإما في الشهادة، ولكن حركة المعنى هنا تدور في فلكين متخالفين تماماً لا يلتقيان. الفلك الأول غائب في السياق. والفلك الثاني حاضر فيه. وذلك أن هؤلاء المنافقين يتربصون بالمؤمنين حتى يقعوا في الهلاك والموت في مفهومهم الذي يبتعد عن المفهوم الإسلامي للموت في سبيل الله. وهذا هو الفلك الأول الغائب. وأما الفلك الحاضر، فهو ما صرحت به الآية الكريمة، ونعتته بـ (إحدى الحسنيين).

وأمـــا الدال الثاني (نحن نتربص بكم)، فهو يصنع فلكاً واحداً يتضمن معنى الفلك الغائب، وهو الهلاك. والهلاك هنا يرتبط بالمنافقين. ولكن الهلاك هنا ينقسم قسمين: الأول هلاك بيد الله سبحانه وتعالى، إذ لا تكون للمؤمنين فاعلية بإحداثه. والثاني الهلاك أو القتل بأيد المؤمنين أنفسهم. ويسمح البناء اللغوي هنا أن نوزع الأطراف الناتجة في المدلولين توزيعاً ترتيبياً، بحيث يكون القسم الأول من (الحسنيين) وهو النصر يقابل (إهلاك الله لهؤلاء المنافقين). والقسم الثاني من (الحـــسنيين) وهو الشهادة يقابل (إهلاك المؤمنين للمنافقين بقتلهم) ونلحظ أن علاقة المفارقة في الآية كانت تتخذ نقطة بدء مشتركة بين مدلولي التماثل وهي الشكل الظاهر لطرفي الوحدة، ولكن هذه الآية أخذتنا إلى نقطة تكثيف لحركة المعـــنى في نهايـــتها عندما كررت وحدة التقابل مرة أخرى متمثلة في التركيب (فتربصوا إنا معكم متربصون) وهذا التكرير ينسحب على المدلولين أيضاً. وفي هـــذا يكون السياق قد أعاد الدلالة مرة أخرى. ولعل فائدة هذا الأسلوب هو تأكيد المدلول الحقيقي للآية.

ويفرز التماثل دلالة أخرى تقع في إطار علاقة (**التطابق**). والتطابق يتم على مستوى المدلول ولا يشترط فيه التطابق الشكلي وإن توفر في بعض وحدات الـــتماثل، بحيث يكون المدلولان متطابقين من حيث حركة المعنى، وحتى ندرك هـــــــذه العلاقة نأخذ قولـــه تعالى: ﴿ **إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾[٥٧]. إن وحـــدة التماثل التي أثارت علاقة التطابق هنا هي (سخرياً/ وتـــضحكون). وذلك على مستوى المدلول. فالسخرية في مدلولها القائم على

معنى الاستهزاء والإهانة تتطابق مع الضحك الذي يقوم مدلوله على الاستهزاء والسخرية والإهانة، فكل دال من الدالين يلتقي الآخر، ويتطابق معه في المعنى. ويبدو لي أن الدلالة في هذه العلاقة لا تمتد فاعليتها بنفسها إلى السياق. إلا من خلال إقامة علاقات متخالفة خارجة عن بنية التماثل كما في هذا السياق. ذلك أن السياق قد أورد في الآية الأولى السابقة على وحدة التماثل الحال التي اتصف بها المؤمنون وسخر منها المشركون وضحكوا، وهي عبادة الله والتوجه إليه بالدعاء للمغفرة والرحمة. ولا شك في أن العلاقة القائمة بين موقف المؤمنين وموقف الكفار في السياق تقوم على علاقة التخالف، بحيث يرى المؤمنون موقفهم صحيحاً وثابتاً، في حين أن المشركين يرون أن هذا الموقف يدعو إلى السخرية والضحك. ومن هنا يفرز السياق في الآية الثالثة الحقيقة المتضمنة في الأولى بأن الله قد استجاب دعاءهم وجعلهم من الفائزين. وهذا المعنى يقيم علاقة تخالفية أخرى مع موقف الكفار، وهذه العلاقة تصل إلى حد تعرية موقفهم من الحقيقة التي مارسها المؤمنون.

الخاتمـــة:

خلـــصت في هذه الدراسة إلى أن مفهوم التقابل ينطلق أصلاً من معناه اللغـــوي الـــذي جاء من عدد من المفردات وهي: المطابقة والتكافؤ، والتضاد والتـــناقض، والتخالف، وأن مفهوم التماثل ينطلق أيضاً من معناه اللغوي الذي جـــاء مـــن المفردات الآتية: التكافؤ، والتشاكل، والتساوي. وانتهيت من هذه المفـــردات إلى وضـــع مصطلح التقابل والتماثل. فتتبعت هذين المفهومين عند اللغـــويين والـــنحاة، إذ وجـــدت أن هؤلاء قد أسهموا إسهاماً كبيراً في تناول المفهـــومين، ووجدت أن ثمة مصطلحات استخدمها هؤلاء للتقابل وهي المقابلة والتطبـــيق، والمطابقـــة، والمقلـــوب، ومجاورة الأضداد، والتكافؤ واستخدموا مصطلحات أخرى للتماثل وهي المشاكلة، والجزاء، والتجنيس المعنوي، والتشاكل. وكان أبو علي الفارسي أول من أطلق مصطلح المشاكلة على التماثل كما ثبت مـــن بعـــض الروايات. وبعد أن انتهيت من اللغويين والنحاة المتقدمين الذين أســـسوا للمفهومين وأظهروهما في صورة مستقرة اتجهت لإبراز مفهوم التقابل عند الفلاسفة. وقد وجدت أن الفلاسفة قد اتجهوا بالتقابل إلى عدد من القضايا هـــي: الـــسلب والإيجـــاب، والتضاد، والتضايف، والعدم والملكة، والتناقض، ووجـــدت أن هؤلاء الفلاسفة قد أسهموا في فهم التقابل في الدراسات البلاغية كسابقيهم من اللغويين والنحاة.

وكـــشفت عـــن مفهـــوم التضاد عند أصحاب الدراسات البلاغية، وخلصت إلى أنهم أفادوا إفادة واضحة من مفهوم الفلاسفة للتقابل.

وتـــناولت في الدراسة مفهوم التقابل والتماثل عند أصحاب الدراسات البلاغـــية بالتفصيل إذ تتبعت أهم الجوانب المتعلقة بهما وبدأت بقدامة بن جعفر لأن الـــصور البديعية عنده أخذت طابعاً علمياً مقنعاً وانتهيت إلى فترة متأخرة

عـند ابـن معصوم. وقد فعلت هذا حتى أكشف عن حقيقة هذا المفهوم وعن طبيعة البناء التركيبي الذي اتخذه هؤلاء البلاغيون. وقد خلصت إلى أنهم قسموا الـتقابل عدداً من الأقسام هي: تقابل التضاد اللفظي والتضاد المعنوي، وتقابل الـسلب والإيجاب، وتقابل التخالف. ووجدت أن تقابل التضاد اللفظي لديهم يعـتمد علـى مقابلة المفرد بالمفرد، وينقسم قسمين: الأول تضاد حقيقي، وقد بـرزت فـيه قـضيتان الأولى أن بعض أصحاب الدراسات البلاغية لم يضعوا شـروطاً علـى الـتقابل بين المتضادين، والثانية أن بعضهم وضع شروطاً على التضاد من حيث تقابل الاسم بالاسم أو الفعل بالفعل وغير ذلك. ووجدت أن ليست هناك فروق جوهرية بين أصحاب الاتجاهين. وقد وصلت إلى فهم آراء هـؤلاء البلاغيين من خلال تتبع أمثلتهم فوجدت أن ثمة عاملاً أساسياً في هذا الـنوع من التقابل في إبراز دوره الحقيقي، وهذا العامل هو المرادف الذي ينتج مـن العلاقـة بين طرفي التقابل المجازي والحقيقي. وقد أخذ هذا المرادف دوره الفاعل في الطبيعة التركيبية في هذا القسم.

وكـشفت أيـضاً عن المفهوم الحقيقي للتضاد المعنوي من خلال أمثلة البلاغـيين. وذلك بالحديث عن الطبيعة التركيبية التي اعتمدت على المرادف. وقـد وجدت التضاد في طرفيه يعتمد على تقابل المفرد بالتركيب أو التركيب بالتركيب.

وكـشفت أيـضاً عـن مفهوم تقابل السلب بالإيجاب. ووجدت أن البلاغـيين حددوا هذا المفهوم من خلال ثلاثة اتجاهات هي: الأول تقابل النفي بالإثبات، والثاني تقابل النهي بالأمر، والثالث تقابل النفي بالنفي. وقد حددت الطبـيعة التـركيبية لهذه الاتجاهات التي اعتمدت أيضاً على المرادف في سبيل التوصل إلى نقطة التضاد بين الأطراف.

وتناولت في الدراسة تقابل التخالف. وقد وجدت أن التخالف ينقسم لـدى البلاغـيين قسمين: الأول ما كان بين المقابل والمقابل مناسبة. والثاني ما كـان بين المقابل والمقابل بعد. ووجدت أن الطبيعة التركيبية للتخالف والتضاد المعـنوي تلتقي في إطارها الخارجي، ولكنها تختلف عنها في أن التخالف يعتمد علـى التناسب لإنتاج الطرف المناسب لأحد طرفي التخالف في حين أن التضاد المعنوي يعتمد على المرادف في إنتاج ما يقابل الطرفين.

وانتهيت إلى أن البلاغيين نظروا إلى التماثل من خلال مفهوم المشاكلة، ووجدت انهم نظروا إلى هذه المسألة من خلال إطار المصاحبة والمجاورة وكانوا ينظرون إلى المشاكلة من زاويتين: الأولى أنهم نظروا إليها من الجانب التحقيقي، والثاني أنهم نظروا إليها من الجانب التقديري. وقد كشفت عن الطبيعة التركيبية التي كانت تعتمد على المرادف والمجاز معاً لإنتاج دائرة التماثل الحقيقية.

وتناولت أيضاً أربعة مفاهيم متكاملة عند أصحاب الدراسات البلاغية وهم الزركشي والعلوي، ونجم الدين بن الأثير، وضياء الدين بن الأثير. إذ بينت أن هـؤلاء قد نظروا إلى التقابل والتماثل نظرة متكاملة على خلاف أصحاب الدراسات البلاغية الآخرين.

وبعد ذلك انتهيت إلى أنه يمكن أن ينظر إلى التقابل والتماثل في المفهوم الكامل على أساس أن ثمة ثلاثة أقسام: إذ إن الذي يشير إلى أن كل متقابلين أو متماثلين يعتمدان على المفرد هو نمط بسيط، وأن الذي يعتمد على طرف مفرد وآخر تركيبي، أو على طرف تركيبي وآخر تركيبي هو نمط مركب، وأن الذي يعـتمد على طرفين يحتويان المفرد المتعدد أو المفرد والتركيب في كل طرف هو نمط معقد.

وتـــناولت في هذه الدراسة تقابلات القرآن الكريم وتماثلاته من خلال هذه الأنماط الثلاثة. وقد وجدت أن القرآن يتحرك في هذه التقابلات والتماثلات في الـــنمط الأول مـــن خلال تقابل التضاد اللفظي، والتقابل المعنوي، وتقابل التخالف، والتماثل. ووجدت أنه يتجه بالتقابل البسيط إلى تقابل التضاد المعنوي إذ كثـــر هـــذا النوع من التقابل في آياته، وجاء بعده التضاد اللفظي، ومن ثم الـــتخالف، وبعد ذلك التماثل. وقد أبرزت نقطة مهمة في إحداث العلاقة بين الطرفين المتقابلين أو المتماثلين، وهي أن الطرفين في الآيات الكريمة يرتبطان إما بـــرابط واحد وإما برابطين. ومن ثم توصلت إلى تحليل مواقع التقابل والتماثل داخـــل البناء الأسلوبي لآيات الكتاب العظيم إذ أظهر عدداً من أبنية التقابلات والـــتماثلات هـــي: التقابل أو التماثل المتقاطع مع السياق، والتقابل أو التماثل الـــذي يـــسبق السياق، والتقابل أو التماثل الذي يتوسط سياقين، والتقابل أو الـــتماثل الذي يتداخل بسياقين، بحيث يبدو المماثل الأول أو المقابل الأول في بداية البناء ويأتي بعده السياق الأول ومن ثم المقابل الثاني أو المماثل الثاني، وبعد ذلك يأتي السياق الثاني. وأظهر أيضاً بناء آخر يكون فيه المقابل الأول متقاطعاً مع السياق الأول، والمقابل الثاني متقاطعاً في السياق الثاني.

ومـــن ثم وجدت القرآن يتوجه في تقابلاته وتماثلاته نحو النمط المركب مـــن خـــلال تقابل التضاد المعنوي الذي توزع على نوعين: الأول تقابل المفرد بالتـــركيب أو تقابـــل التركيب بالمفرد. والثاني تقابل التركيب بالتركيب ومن خـــلال التماثل الذي أخذ شكلين أساسيين: الأول تركيبان يتماثلان في اللفظ والمعـــنى. والثاني تركيبان يتماثلان في المعنى حسب. وقد وجدت أن هذا النمط يأخـــذ أبنية أسلوبية مشابهة لبعض الأبنية السابقة في النمط البسيط هي: التقابل أو الـــتماثل المـــتقاطع بالسياق. والمتقابلان المتداخلان في السياقين أو المتماثلان

المتداخلان في السياقين أو المتقابلان المتقاطعان في السياقين، والتماثل المتقدم على السياق، والسياق المتقدم على التماثل، والتماثل المتوسط بين سياقيين. وأفرز التقابل هنا بناء أسلوبياً مختلفاً عما جاء في البسيط وهو أن المقابل الأول يتقاطع بالسياق الأول، ومن ثم يأتي بعدهما المقابل الثاني، وبعد ذلك السياق الثاني. وجاء بناء آخر هو تقاطع المقابل الأول بالسياق الأول. وتقاطع المقابل الثاني بالسياق الثاني، ومن ثم ظهور سياق ثالث.

وقد وجدت أن القرآن الكريم كان يتجه نحو التماثل في النمط المركب أكبر من اتجاهه نحو التضاد المعنوي.

ووجدت أيضاً أن القرآن الكريم كان يتجه نحو النمط المعقد الذي يأتي في شكلين: الأول الشكل المتداخل ذو النسق الواحد وهو ينقسم إلى: تقابل التضاد اللفظي، وتقابل التضاد المعنوي، وتقابل التضاد اللفظي والمعنوي معاً، وتقابل التضاد اللفظي والتخالفي معاً، والتماثل، والتقابل اللفظي والتوافق، والتقابل المعنوي والتوافق، والتقابل المعنوي والتخالفي. وأما الثاني، فهو ذو نسقين وينقسم إلى: تقابل التضاد اللفظي، وتقابل التضاد المعنوي، وتقابل التخالف، والتماثل، وتقابل التوافق وقد جاءت الأبنية الأسلوبية لهذا النمط متشابهة مع الأبنية السابقة في النمطين البسيط والمركب، وكان القرآن الكريم يتجه إلى تقابل التضاد المعنوي أكثر من غيره، ومن ثم جاءت أشكال التداخل، وبعدها تقابل التضاد اللفظي، وبعد ذلك التماثل، ومن ثم التخالف.

ووجدت أن التقابلات والتماثلات أظهرت أربعة أبنية أسلوبية كانت أكثر وروداً في القرآن الكريم، هي: التقابل أو التماثل والسياق، والتقابل أو التماثل المتوسط بين سياقين، والتقابل أو التماثل المتقاطع مع السياق، والسياق والتقابل أو التماثل، وجاءت فيه سائر الأبنية بنسب قليلة.

وكشفت أيضاً عن تحرك التقابلات والتماثلات في محاور القرآن الكريم الثلاثة: الإيمان، والكفر، والنفاق.

وقد جاء محور الإيمان بعدد من المباحث وهي: العقيدة التي اختلفت في أنـــواعها أعداد التقابلات والتماثلات. إذ جاءت في النوع الأول وهو القدرة الإلهـــية أكثر من غيره من الأنواع، ويأتي بعد ذلك الإيمان بالله وحده، ومن ثم الإيمـــان بالملكـــية، وبعـــد ذلك الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم، ومن ثم الإيمـــان بالـــربوبية، ومـــن ثم الإيمان بالكتاب، وأخيراً الإيمان بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأما المبحث الثاني، فهو العبادات، وقد اختفت التقابلات والتماثلات في أنـــواعه، إذ كانت تقابلات الصلاة أكثر تردداً، وجاء بعدها تقابلات الحج ومماثلاته، ومن ثم الزكاة والصدقات، وبعد ذلك الصيام.

وأما المبحث الثالث، فهو المعاملات التي أفرزت عدداً من الأنواع كان أكثرها تردداً الجهاد، ومن ثم جاء بعده الزواج والطلاق، والجنايات، والطعام، والمواريث، والحدود، والعقود، وأموال اليتامى، واليمين على التوالي.

وأمـــا المـــبحث الـــرابع، فهو الآداب الذي تناول عدداً من الجوانب كـــالأدب مع الله ومع رسوله الكريم، ومع النفس، ومع الوالدين، ومع الجار، ومع المشركين، والأدب في دخول البيوت.

وأمـــا المبحث الخامس، فهو الأخلاق، وقد تحدثت عن خلقي الرحمة والتواضـــع. وتحـــدث المحور أيضاً عن المؤمنين والإيمان. وتناول قسمين: الأول الترغيب والترهيب، والثاني أحوال المؤمنين.

وكـــشفت عن أن محور الإيمان قد اتجه في تقابلاته وتماثلاته نحو العقيدة ومن ثم اتجه إلى المؤمنين والإيمان، وإلى المعاملات، وبعدها إلى العبادات، ومن ثم إلى الآداب وأخيراً إلى الآخرة.

وقـــد رصدت ألفاظ التقابل والتماثل من خلال معجم خاص في هذا المحـور وكانـت ألفـاظ الإيمان تأخذ أعلى نسبة فيها وبعدها ألفاظ الكفر. ووجـدت أن الحـركة المعنوية في هذا المعجم توطد ركائز الإيمان ومعانيه في النفس الإنسانية.

وتحدثت عن محور الكفر. وقد قسمته ثلاثة أقسام، الأول عناصر الكفر الـذي توزع على جوانب كثيرة هي: إثبات كفر الكفار، وتكذيبهم للرسل، وتكذيبهم للكتب السماوية، وإنكارهم للآخرة وللبعث والحساب، وادعاؤهم بما لم يأت به الله سبحانه وتعالى، وكانت التقابلات والتماثلات تتجه إلى إثبات سائر الجوانب. وجاء بعد ذلك تكذيبهم للكتاب، وتكذيبهم للرسل، وإنكارهم للآخرة والبعث والحساب، وافتراؤهم على الله بالأقوال على التوالي.

وأمـا القـسم الثاني، فهو وسائل دعوة الكفار إلى الإيمان، وقد توجه القرآن الكريم في تقابلاته وتماثلاته إلى وسيلة دلائل وجود الله ووحدانيته، ومن ثم اتجـه بعد ذلك إلى وسيلة إثبات علم الله، ومن ثم دعوة الرسل الكفار إلى الإيمان، ومن ثم إثبات ملكية الله، وأخيراً إثبات ربوبية الله.

وأما القسم الثالث، فهو الكافرون والكفر. وقد توزع هذا القسم على الترهيب والترغيب وعلى أحوال الكفار.

ويلاحظ البحث أن القرآن الكريم يتوجه في عدد كبير من تقابلاته وتماثلاته نحو وسائل دعوة الكفار إلى الإيمان، ومن ثم إلى الكافرين والكفر، وأخيراً إلى عناصر الكفر.

ومن ثم بينت حركة المعنى من خلال المعجم اللفظي لمحور الكفر، فوجدت أن هذه الحركة تتجه بألفاظ الإيمان وبذلك يكون هذا المعجم قد كشف عن حقيقة هذا المحور بأنه يتجه لتبيان حال الكفر والكافرين.

وتحدثت عن محور النفاق الذي انقسم ستة أقسام إذ كان أكثرها تردداً قسم المنافقين والعقيدة، وجاء بعده قسم المنافقين ومواقفهم من المؤمنين، وجاء قسم المنافقين بين الترهيب والترغيب، وكذلك قسم المنافقين والجهاد في سبيل الله، ومن ثم قسم المنافقين والعذاب، وأخيراً قسم المنافقين في الحياة الدنيا.

وقد بين المعجم اللفظي اتجاه هذا المحور نحو ألفاظ الكفر أكثر من ألفاظ الإيمان، وقد كشف عن حقيقة حركة المعنى في محور النفاق.

وتناولت تقابلات جاءت تجمع الإيمان والكفر وقد انقسمت ثلاثة أقسام: الأول يتعلق بتقابل معاني العقيدة بين المؤمنين والكفار. والثاني يتعلق بتقابل حال المؤمنين بحال الكفار في الحياة الدنيا، والثالث يتعلق بحال المؤمنين وحال الكفار في الآخرة. وقد أظهر القرآن الكريم هنا غلبة مفردات التقابل التي تتعلق بالمؤمنين على مفردات التقابل التي تتعلق بالكفار.

وتناولت أيضاً تقابلات جاءت تجمع الإيمان والنفاق. وقد توزعت على أربعة مجالات: الأول العقيدة، والثاني الجهاد، والثالث حال المؤمنين وحال المنافقين في الآخرة، والرابع جاء ليحذر المؤمنين من المنافقين. وقد أظهر القرآن الكريم أن المفردات تتصل بالإيمان أكثر من التي تتصل بالنفاق.

وقد تناولت معجم المفردات التي أفرزتها التقابلات والتماثل في السور المكـية والمدنية، ومن ثم أثبت المجموع الكلي لكل مفردة في القرآن تتصل بهذه الـتقابلات والـتماثلات. وقد كشف هذا المعجم عن توجه السور المكية إلى اسـتخدام ألفاظ الكفر أكثر من ألفاظ الإيمان. في حين أن السور المدنية كانت تـتوجه إلى اسـتخدام ألفـاظ الإيمان أكثر من ألفاظ الكفر. وأما التقابلات والـتماثلات بـشكل عـام فقد توجهت إلى استخدام ألفاظ الإيمان أكثر من توجهها نحو استخدام ألفاظ الكفر.

وتـناولت وظيفة التقابل والتماثل من خلال دورها في إنتاج الدلالة، وقـد أظهرت نوعين من الدلالة هما الدلالة التي كانت تنتج من أطراف التقابل والتماثل في السياق، والدلالة السياقية التي كانت تعتمد على ما يفعله السياق في أطـراف الـتقابل أو التماثل. ومن ثم من خلال علاقتهما بالسياق تخرج هذه الدلالة.

لقد أظهر التقابل عدداً من الدلالات هي: البعد الزمني الذي تحرك من خـلال حلقـات ثلاث وهي: الحلقة الأولى (زمن الحياة الدنيا) والحلقة الثانية (زمن الموت) والحلقة الثالثة (زمن الحياة الآخرة) وقد بين هذا البعد قدرته على الانتشار داخل السياق. والبعد المكاني الذي ظهر على مستويات متعددة، هي: المـستوى العمودي من خلال بعدي الأعلى والأسفل. وعلى المستوى الأفقي الممتد الذي يتحدد في نقطة انطلاق إلى جميع الاتجاهات أو إلى اتجاه واحد، وقد أظهر التقاء المستوى الأفقي بالمستوى العمودي. وأظهرت التقابلات هذا البعد بقدرته على الانتشار في السياق.

والبعد الحركي الذي أظهر الحركة الرأسية، والحركة الأفقية، والحركة الموضعية، والحركة العامة التي تجمع الحركات السابقة.

والبعد العقدي الذي أظهر اتصالاً وثيقاً بأبعاد أخرى هي: البعد الخلقي، والبعد الزمني، والبعد الحركي، والبعد الجزائي، وقد كانت هذه الأبعاد تتحرك مــع البعد العقدي في اتجاهات مختلفة منها الاتجاه المعاكس والاتجاه الموافق. وقد أظهرت جميعاً الانتشار والامتداد في البناء السياقي.

وكــشفت كــذلك عن التخالف الذي أظهر عدداً من الدلالات من خــلال علاقة الدال الحاضر بالدال الغائب في إطار الخصوص والعموم، وهذه الدلالة كشفت عن الامتداد داخل السياق. وظهرت أيضاً من خلال إطار الكل والجــزء، وإطــار التشابه، وإطار التقارب، وقد نتجت أيضاً من خلال علاقتي التــشابه والــتقارب معاً. وقد أظهرت الدلالات هنا تفاعلاً في السياق البنائي وانتشاراً وامتداداً.

وعلى مستوى الدلالة السياقية فقد ظهرت دلالات مختلفة هي: التداخل والانبثاق، والتواصل والتحويل، والتحويل والعكس معاً، والإحلال، وقد تميزت هــذه الــدلالات بأنها نتجت من علاقة السياق بالتقابل من جهة ومن علاقة طــرفية مــن جهة أخرى. وأما التماثل، فقد كشف عن دلالات أخرى هي: التــشارك، والتبادل، والمفارقة، والتطابق، وقد تميزت هذه الدلالات في قدرتها على الانتشار والامتداد.

هوامش الفصل الرابع

١- لغة الشعر، قراءة في الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف بالإسكندرية، (١٩٨٥م) ص٨٠.

٢- انظر في مثل هذا المعنى قول د. أحمد محمد علي: "ليست القضية إلاّ قضية جمع بين متضادين وكفى، ولكنها قضية بناء المعاني وتجليتها في صورة تعبيرية معينة تكون أقدر على جلاء المعنى المراد من غيرها". دراسات في علم البديع، مطبعة الأمانة-القاهرة، ط١، (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، ص٢٠. وانظر أيضاً قول د. أحمد مطلوب: "ولكن ليس معنى ذلك أن المطابقة حينما تأتي وحدها من غير ترشيح بفن آخر لا قيمة لها، بل لها قيمتها لأن التضاد نفسه يؤدي إلى إيضاح المعنى وتقريب الصورة". فنون بلاغية، دار البحوث العلمية – الكويت، ط١، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، ص٢٧٥.

٣- بناء الأسلوب في شعر الحداثة، ص١٥١.

٤- الحج: ٢٢/٦٦.

٥- المؤمنون: ٢٣/١٢-١٦.

٦- فصلت: ٤١/١٦.

٧- النحل: ١٦/٤١.

٨- التغابن: ٦٤/٧.

٩- الجن: ٧٢/٢٤-٢٦.

١٠- فاطر: ٣٥/٩.

١١- البقرة: ١٨٧/٢.

١٢- القصص: ٧١/٢٨-٧٣.

١٣- غافر: ٦٤/٤٠.

١٤- القمر: ١١/٥٤-١٢.

١٥- إبراهيم: ٢٤/١٤-٢٦.

١٦- يس: ٩/٣٦.

١٧- الأنبياء: ٢٨/٢١.

١٨- الأعراف: ١٧/٧.

١٩- الأنفال: ٤٢/٨.

٢٠- الأنعام: ٣٥/٦.

٢١- بناء الأسلوب في شعر الحداثة، ص١٦٥.

٢٢- هود: ٤٣/١١-٤٤.

٢٣- الحديد: ٤/٥٧.

٢٤- الإسراء: ٨٠/١٧.

٢٥- القصص: ٣٢/٢٨.

٢٦- الشمس: ٣/٩١-٤.

٢٧- بناء الأسلوب في شعر الحداثة، ص١٦٥.

٢٨- فاطر: ٤١/٣٥.

٢٩- مريم: ٨٩/١٩-٩١.

٣٠- الأنبياء: ٢١/٣٠.

٣١- الكهف: ١٨/١٧-١٨.

٣٢- بناء الأسلوب في شعر الحداثة، ص١٨٥.

٣٣- الأفكار والأسلوب، ترجمة: د. حياة شرارة، وزارة الثقافة الإعلام، العراق-بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية". دون تاريخ، ص٥١.

٣٤- أسرار البلاغة، صححه: السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م)، ص١٢٧.

٣٥- البديع الشعري بين الصنعة والخيال، مجلة أبحاث اليرموك سلسلة الآداب، جامعة اليرموك، اربد-الأردن، المجلد الثالث، العدد الثاني، سنة (١٩٨٥م)، ص٣١.

٣٦- النور: ٢٤/٥٥.

٣٧- التوبة: ٩/٧٣-٧٧.

٣٨- النساء: ٤/١٥٠-١٥٢.

٣٩- مريم: ١٩/٣٠-٣٣.

٤٠- فاطر: ٣٥/١١.

٤١- الفتح: ٤٨/٢٩.

٤٢- انظر: الطراز، ج٢/ص٣٨٥.

٤٣- بناء الأسلوب في شعر الحداثة، ص٢٤٦.

٤٤- البقرة: ٢/٦١.

٤٥- الرعد: ١٣/١٢-١٣.

٤٦- بناء الأسلوب في شعر الحداثة، ص٢٧٤.

٤٧- لقمان: ٣١/٢٩.

٤٨- الأنعام: ٦/٩٥-٩٦.

٤٩- يونس: ١٠/٣٤.

٥٠- آل عمران: ٣/١٠٠-١٠١.

٥١- البقرة: ٢/٢٥٧.

٥٢- البقرة: ٢/١٠٨-١٠٩.

٥٣- بناء الأسلوب في شعر الحداثة، ص٣٢٣.

٥٤- البقرة: ٢/١٤-١٥.

٥٥- القصص: ٢٨/٧٧.

٥٦- التوبة: ٩/٥٢.

٥٧- المؤمنون: ٢٣/١٠٩-١١١.

المصــادر والمراجــع

- القرآن الكريم: طبع بمصلحة المساحة، وتم ترتيبه وتجليده بمطبعة الكتب المصرية ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

أ- المصادر:

١- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية-بيروت، سنة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢- أساس البلاغة، لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، مطبعة دار الكتب-القاهرة، ط٢، سنة ١٩٧٣م.

٣- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تصحيح: السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، عام ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

٤- الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد بن علي الجرجاني. تحقيق: الدكتور عبد القادر حسين، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة-القاهرة، بدون تاريخ.

٥- إصلاح المنطق، لابن السكيت، شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، ط٢، سنة ١٣٧٥ هـ-١٩٥٦م.

٦- إعجاز القرآن، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف-القاهرة، ط٥، دون تاريخ.

٧- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف (بتفسير البيضاوي)، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت، دون تاريخ.

٨- أنوار الربيع في أنواع البديع، السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني، حققه وترجم لشعرائه: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان-النجف الأشرف، ط١، سنة ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

٩- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، شرح وتعليق وتنقيح: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، ط٢، دون تاريخ.

١٠- بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة-القاهرة، ط٢، دون تاريخ.

١١- البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث-القاهرة، ط٣، سنة ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

١٢- البصائر النصيرية في علم المنطق، زين الدين عمر بن سهلان الساوي، تحقيق: المرحوم الشيخ محمد عبده، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، بميدان الأزهر بمصر، ومطبعة الصاوي بالقاهرة، دون تاريخ.

١٣- تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، شرحه ونشره: السيد أحمد صقر، دار التراث-القاهرة، ط٢، سنة ١٣٩٣ هـ-١٩٧٣م.

١٤- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، دار إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، سنة ١٣٨٣هـ.

١٥- التعليقات، لابن سينا، حققه وقدم له: الدكتور عبد الرحمن بدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة، سنة ١٣٩٢هـ-١٩٧٣م.

١٦- التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، دون تاريخ.

١٧- تلخيص ما وراء الطبيعة، لابن رشد، تحقيق: الدكتور عثمان أمين، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي-القاهرة، سنة ١٩٥٨م.

١٨- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، سنة ١٩٨٧م.

١٩- جوهر الكنز، تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة، نجم الدين أحمد ابن إسماعيل بن الأثير الحلبي، تحقيق: الدكتور محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية-مصر، دون تاريخ.

٢٠- الحجة في علل القراءات السبع، لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي، تحقيق: علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الحليم النجار، والدكتور عبد الفتاح شلبي، مراجعة محمد علي النجار، الهيئة المصرية للكتاب، ط٢، سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٢١- حسن التوسل إلى صناعة الترسل، شهاب الدين محمود الحلبي، تحقيق ودراسة: أكرم عثمان يوسف، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، سنة ١٩٨٠م.

٢٢- الحلة السيرا في مدح خير الورى، لابن جابر الأندلسي، تحقيق: علي أبو زيد، عالم الكتب-بيروت، ط٢، سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٢٣- الحماسة البصرية، البصري، تصحيح: مختار الدين أحمد، عالم الكتب-بيروت، سنة ١٩٦٤م.

٢٤- الخصائص، لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط٢، دون تاريخ.

٢٥- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف بمصر، ط٣، دون تاريخ.

٢٦- ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح أبي البقاء العكبري، ضبطه وحققه: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، دون تاريخ.

٢٧- ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف بمصر، ط، دون تاريخ.

٢٨- ديوان دعبل بن علي الخزاعي، جمعه وحققه: الدكتور محمد يوسف نجم، دار الثقافة، بيروت-لبنان، سنة ١٩٦٢م.

٢٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، والألوسي البغدادي. عني بنشره وتصحيحه: المرحوم محمود شاكر الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط٤، سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٣٠- سر الفصاحة، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سعد بن سنان الخفاجي الحلبي، شرح وتصحيح: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر- القاهرة، سنة ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

٣١- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعه الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ثعلب، نسخة مصورة عن مطبعة دار الكتب سنة ١٣٦٣هـ-١٩٤٤م، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة-بيروت، الدار القومية للطباعة والنشر-القاهرة، دون تاريخ.

٣٢- الصاحبي، لأبي الحسن أحمد بن فارس زكريا، تحقيق: السيد أحمد صقر، طبع بمطبعة البابي الحلبي وشركاه-القاهرة، دون تاريخ.

٣٣- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفار عطار، الشركة اللبنانية للموسوعات العربية-دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، سنة ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٣٤- الطراز، المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإيجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، أشرفت على مراجعته وضبطه وتدقيقه جماعة من العلماء، بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، سنة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٣٥- العباب الزاخر واللباب الفاخر، الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار الرشيد للنشر-بغداد، منشورات وزارة الثقافة الإعلام، سنة ١٩٨١م.

٣٦- العبارة (ضمن كتاب الشفاء، للشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن سينا)، تحقيق: محمود الخضيري، تصدير ومراجعة: الدكتور إبراهيم مدكور، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر-القاهرة، دون تاريخ.

٣٧- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (ضمن شروح التلخيص)، بهاء الدين السبكي، طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، ١٩٣٧م.

٣٨- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل- بيروت، دون تاريخ.

٣٩- الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، ضبطه وحققه: حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٤٠- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم إمام الجوزية، بإشراف لجنة تحقيق التراث، مكتبة الهلال- بيروت، دون تاريخ.

٤١- قانون البلاغة في نقد النثر والشعر، لأبي الطاهر محمد بن حيدر البغدادي، تحقيق: الدكتور محسن غياض عجيل، مؤسسة الرسالة، ط١ سنة ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٤٢- قواعد الشعر، لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، تحقيق: الدكتور رمضان عبد التواب، دار المعرفة- القاهرة، سنة ١٩٦٦م.

٤٣- الكامل، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، والسيد شحاته، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، دون تاريخ.

٤٤- كتاب البديع، عبد الله بن المعتز، عني بنشره: إغناطيوس كراتشقوفسكي، دار المسيرة- بيروت، ط٣، سنة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٤٥- كتاب التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية-طهران، بالمطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر، سنة١٣٠٦هـ.

٤٦- كتاب التعليقات ابن سينا، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن بدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، سنة ١٣٩٢هـ-١٩٧٣م.

٤٧- كتاب الجدل، لأبي نصر محمد بن طرخان بن أوزلغ المعروف بالفارابي، تحقيق وتقديم وتعليق: الدكتور رفيق العجم، دار الشروق، بيروت، سنة ١٩٨٦م.

٤٨- كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، حققه وضبطه: الدكتور مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، سنة ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٤٩- كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي دار الرشيد للنشر، سنة ١٩٨٢م.

٥٠- كتاب المبين (ضمن كتاب: الفيلسوف الآمدي)، لأبي الحسن، علي بن أبي بن محمد بن سالم التغلبي المشهور سيف الدين الآمدي، دراسة وتحقيق: الدكتور عبد الأمير الأعسم، دار المناهل، بيروت، ط١، سنة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٥١- كتاب المقولات وضمن كتاب الشفاء- قسم المنطق، تحقيق: الأب جورج قنواتي، محمود الخضيري، أحمد فؤاد الأهوائي، سعيد زايد، مراجعة د. إبراهيم مدكور، القاهرة، ١٩٥٩م.

٥٢- الكشاف، عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط١، سنة ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

٥٣- الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحيني الكفوي، قابله على نسخة خطية: الدكتور عدنان درويش، ومحمد المصري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق سنة ١٩٨٢م.

٥٤- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر- بيروت، دون تاريخ.

٥٥- المثلث، لابن السيد البطليوسي، تحقيق ودراسة: صلاح مهدي علي الفرطوسي، دار الحرية للطباعة، بغداد، سنة ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٥٦- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير، قدم له وحققه وعلق عليه: الدكتور أحمد الحوفي، والدكتور بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، دون تاريخ.

٥٧- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: مصطفى البابي الحلبي وأولاده، بمصر، ط١ سنة ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م.

٥٨- مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني (ضمن: شروح التلخيص)، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٣٧م.

٥٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ودار صادر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، دون تاريخ.

٦٠- معالم الكتاب ومغانم الإصابة، القاضي عبد الرحيم بن علي بن شيث القرشي، عني بتحقيقه وضبطه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، سنة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٦١- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، بيروت، ط٣، سنة ١٤٠٢هـ-١٩٨٣م.

٦٢- معترك الأقران في إعجاز القرآن، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، دون تاريخ.

٦٣- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، بمصر، ط٢، سنة ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

٦٤- مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن فارس بن أبي بكر محمد بن السكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٦٥- المنـزع البديع في تجنيس أساليب البديع، لأبي محمد القاسم الأنصاري السجلماسي، تقديم وتحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف الرباط- المغرب، ط١، سنة ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٦٦- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لأبي الحسن حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار المغرب الإسلامي- بيروت، ط ٢، سنة ١٩٨١م.

٦٧- مواد البيان، علي بن خلف الكاتب، تحقيق: الدكتور حسين عبد اللطيف، طرابلس، جامعة الفاتح، سنة ١٩٨٢م.

٦٨- الموازنة بين أبي تمام حبيب بن أوس الطائي وأبي عبادة الوليد بن عبيد البحتري، لأبي القاسم الحسن بن بشير بن يحيى الآمدي البصري، حقق أصوله وعلق حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المسيرة، سنة ١٢٦٣هـ-١٩٤٤م.

٦٩- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح (ضمن: شروح التلخيص)، لابن يعقوب المغربي، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه- بمصر، ١٩٣٧م.

٧٠- النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعة والإلهية، للشيخ الرئيس أبي علي الحسن ابن سينا، على نفقة الرحالة محيي الدين صبري الكردي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، سنة ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م.

٧١- نقد الشعر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة، ط١، سنة ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٧٢- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات وفهارس جامعة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، دون تاريخ.

٧٣- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، تحقيق: الدكتور بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، سنة ١٩٨٥م.

٧٤- الوافي في العروض والقوافي، الخطيب التبريزي، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق، سورية، ط٤، سنة ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

٧٥- يتيمة الدهر، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، تحقيق: المرحوم محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط٢، سنة ١٣٩٢هـ-١٩٧٣م.

ب- المراجع:

٧٦- أثر النحاة في البحث البلاغي، الدكتور عبد القادر حسين، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة- القاهرة، دون تاريخ.

٧٧- الأفكار والأسلوب، أ. ف. تشيتشرين، ترجمة: الدكتور نجاة شرارة، وزارة الثقافة والإعلام، العراق- بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية"، دون تاريخ.

٧٨- الإيمان، أركانه، حقيقته، نواقضه، الدكتور محمد نعيم آل ياسين، مجهول دار النشر، ط٤، سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٧٩- البديع الشعري بين الصنعة والخيال، الدكتور عبد القادر الرباعي، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، جامعة اليرموك، اربد- الأردن، المجلد الثالث، العدد الثاني، سنة ١٩٨٥م.

٨٠- بناء الأسلوب في شعر الحداثة (التكوين البديعي)، الدكتور محمد عبد المطلب، القاهرة، سنة ١٩٨٨م.

٨١- الجملة الخبرية في ديوان جرير، الدكتور عبد الجليل العاني، منشورات آمال الزهاوي، بغداد، الباب الشرقي، سنة ١٩٨٦م.

٨٢- حركة المعنى في شعر المتنبي بين السلب والإيجاب، الدكتور عز الدين إسماعيل (ضمن كتاب: المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس) وقائع مهرجان المتنبي الذي أقامته وزارة الثقافة والفنون العراقية في بغداد، من ٥-١٠ تشرين الثاني ١٩٧٧م، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، درا الرشيد للنشر، سنة ١٩٧٩م.

٨٣- دائرة التكرار في شعر مصطفى وهبي التل، الدكتور محمد عبد المطلب، بحث مقدم لمهرجان عرار الأول للإبداع، نيسان ١٩٨٩م، الأردن- اربد، جامعة اليرموك.

٨٤- دراسات بلاغية ونقدية، الدكتور أحمد مطلوب، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، سنة ١٩٨٠م.

٨٥- دراسات في علم البديع، الدكتور أحمد محمد علي، مطبعة الأمانة- القاهرة، ط١، سنة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٨٦- دراسات قرآنية، محمد قطب، دار الشروق- بيروت، ط٢، سنة ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٨٧- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت،ط٤، سنة ١٤٠٢هـ-١٩٨١م.

٨٨- الصورة الفنية في المثل القرآني، الدكتور محمد حسين علي الصغير، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، دار الرشيد- بغداد، سنة ١٩٨١م.

٨٩- علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، الدكتور صلاح فضل، دار الآفاق الجديدة، ط١، سنة ١٩٨٥م.

٩٠- الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط٧، سنة ١٩٦٩م.

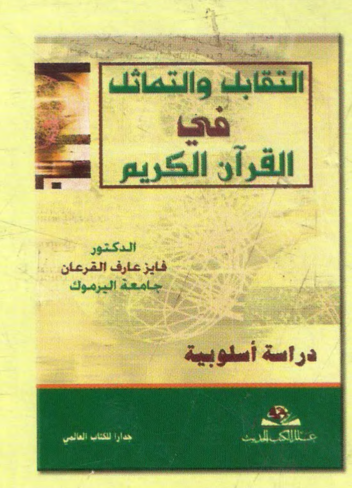
٩١- فنون بلاغية، الدكتور أحمد مطلوب، دار البحوث العلمية- الكويت، ط١، سنة ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

٩٢- قراءة ثانية في شعر امرئ القيس، الدكتور محمد عبد المطلب، القاهرة، ط١، سنة ١٩٨٧م.

٩٣- لغة الشعر، قراءة في الشعر العربي الحديث، الدكتور رجاء عيد، منشأة المعارف بالإسكندرية، سنة ١٩٨٥م.

٩٤- مباحث في علوم القرآن، الدكتور صبحي الصالح، دار العلوم للملايين، ط٣، سنة ١٩٨١م.

٩٥- الموضوعية البنيوية، دراسة في شعر السياب، الدكتور عبد الكريم حسن، المؤسسة العامة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان،ط ١، سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.





للنشر والتوزيع

إربد - شارع الجامعة - بجانب البنك الإسلامي

تلفاكس: ٧٢٧٢٢٧٢ - ٩٦٢+ خلوي: ٥٢٦٤٣٦٣ - ٠٧٩

صندوق بريد (٣٤٦٩) الرمز البريدي (٢١١١٠)

الموقع على الإنترنت

www.almalktob.com

جدارا للكتاب العالمي

للنشر والتوزيع

عمان-العبدلي-مقابل جوهرة القدس

خليوي: ٠٧٩٥٢٦٤٣٦٣

KANSO PRINTING
LEBANON - BEIRUT +961 1 471357
JORDAN - AMMAN +962 79 6642916

التقابل والتماثل
في
القرآن الكريم

